

المجلس الأعلى للثقافة

# البرقعة من الأدب العربي

الجزء السابع

القرن السادس الهجري



إشراف : أ. د. صلاح فضل



اهداءات ٢٠٠٤

المجلس الأعلى للثقافة  
القاهرة

المجلس الأعلى للثقافة

# الروائع من الأدب العربي

الجزء السابع

القرن السادس الهجري

إشراف : أ. د. صلاح فضل



٢٠٠٢





## فهرس الموضوعات

٥	..... تقديم
٩	..... - أولا : الشعر
١١	* ابن الزقاق .....
١٩	* ظافر الحداد .....
٣٧	* أمية بن أبى الصلت .....
٤٥	* ابن خفاجة .....
٧١	* يحيى بن بقی .....
٨١	* ابن منیر الطرابلسی .....
٩٧	* طلائع بن رزیک .....
١٠٩	* أبو جعفر بن سعد .....
١١٩	* المهذب بن الزیر .....
١٣٣	* ابن الکیزانی .....
١٣٩	* ابن قلاقس الإسکندری .....
١٤٧	* عرقلۃ الکلبی .....
١٥٩	* عمارة الیمنی .....
١٧٧	* محمد بن غالب الرصافی .....
١٨٣	* تاج الملوك بوری .....
١٩٥	* سبط بن التعاویذی .....
٢٢٣	* ابن زهر الحفید .....
٢٣٧	* العماد الأصبهانی .....



## (تابع) فهرس الموضوعات

٢٥١	* أبو حفص السلمي .....
٢٥٧	* أبو الفضل الحلياني الأندلسي .....
٢٦١	* ابن سناء الملك .....
٢٨١	* ابن النبيه المصري .....
٣٠١	* ابن مرج الكحل .....
٣٠٧	- ثانيا : النشر .....
٣٠٩	* ابن خفاجة .....
٣١٧	* جبار الله الزمخشري .....
٣٣٩	* ابن أبي الخصال الغافقي .....
٣٤٥	* ابن الصيرفي .....
٣٦٣	* ابن بسام الشنتريني .....
٣٧٣	* أبو عبد الله محمد بن عياض اللبلي .....
٣٧٥	* أبو حامد الغرناطي .....
٣٨١	* رشيد الدين الوطواط .....
٣٨٧	* ابن طفيل .....
٣٩٧	* ابن رشد .....
٤٠٥	* ابن الجوزي .....
٤٢٥	* ابن مماتي .....
٤٢٩	* علي بن طاهر الأزدي المصري .....
٤٥١	* ابن جبير .....



## تقديم

كانت غاية لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة من وراء إصدار هذه السلسلة من « الروائع » أن تتقدم إلى قراء العربية - خاصة الشبيبة منهم - وإلى جمهرة المثقفين بصفة عامة ، بمنظومة متسقة ومتصلة من النصوص التى تمثل أجمل وأقوى ما أبدعه الأدباء العرب من الشعر والنثر صافية خالصة من بطون الصحف القديمة وأشكال الكتابة المحيطة بها ، حتى تنمى لديهم ذائقة الحس اللغوى والجمالى وتعمق فيهم الوعى المباشر بالتراث الأدبى العربى وتصلهم بصفحاته البيضاء القابلة للتجدد والقارة فى وجدان الأجيال . ولا بد لنا من الإشارة إلى أن هدف « الروائع » لا يتمثل فى تقديم تاريخ واف للأدب ولا موسوعة مستوعبة لأحداثه وتقلباته وشخصه ، ولكنها تتقى من كل ذلك ما يمثل أهم اتجاهاتها وأبرز نصوصه ، ولعلها قد حققت قدرا مما تبتغيه فى الأجزاء الماضية .

وها نحن نقدم اليوم الجزء السابع ، الذى يتضمن إبداع القرن السادس الهجرى ، على اعتبار أن فترة الإسلام ، مما أطلق عليه مصطلح « الشعر الجاهلى » قد استوعبت الجزء الأول ، مع امتداد القرن إلى ما يربو على العقدين فيما يليه ، لاستكمال وإنتاج كتابه طيلة حياتهم التى تقع فيه ، على اعتبار أننا نأخذ سنة الوفاة معيارا للترتيب بين أصحاب النصوص المختلفة ، ومعنى هذا أن هذا الجزء يمتد إلى عام ٦٢٥ هـ تقريبا ، بنفس النظام المتبع فى الأجزاء السالفة . وتظل المعايير التى وضعتها اللجنة منذ بداية المشروع ضوابط مستمرة فى اختيارهم أهم النصوص وأكثرها تمثيلا لكتابها وعصرها ، والتمهيد لها بترجمة موجزة تكشف عن المعلومات الأساسية المتوفرة عنهم ، مع الاقتصار على شرح ما لا يمكن لقارئ اليوم أن يستجليه من مفرداتها . وقد اشتمل هذا الجزء على طائفة من الكتاب والشعراء من بلدان شتى ، فمن أهل الأندلس ابن خفاجة وابن الزقاق وأمية بن أبى الصلت وابن بقى وأبو جعفر ابن سعيد وابن غالب الرصافى وابن أبى الخصال وابن بسام واللبلى وأبو حامد الغرناطى وابن طفيل وابن رشد وابن جبير ، ومن أهل مصر ظافر الحداد وطلّاح بن رزّيك والمهذب بن الزبير وابن الكيزانى وابن قلاقس وتاج الدين بورى وابن سناء الملك وابن النبيه وابن الصيرفى وابن ممّاتى وعلى ابن ظافر ، ومن أهل الشام ابن مُنير الطرابلسى وعرقلة الكلبي ومن أهل فارس العماد الأصفهاني والزمخشري والوطواط ومن أهل العراق سبط ابن التعاوىذى وابن الجوزى ، ومن أهل الجزيرة العربية عمارة اليمنى وغيرهم .



ومن البدهى أن هؤلاء المبدعين إنما هم قليل من كثير غصّت بهم البيئات العربية الإسلامية المختلفة فى ذلك القرن السادس بعد أن تعددت مراكز الإبداع وتنوعت الأقاليم المنتجة له وامتدت التجارب الشعرية فيها لتشمل ما درجت عليه من موضوعات مثل الغزل والوصف والمدح والهجاء والفخر والعتاب والاستعطاف والتهنئة إلى تجارب جديدة تنبثق من طبيعة الحياة بتحولاتها المختلفة مما يصلح موضوعاً للتأمل والدرس النقدي المستقل .

كما أن الأشكال الشعرية قد تطورت من القصيد إلى الأرجاز والموشحات والمقطعات وغيرها من الأنماط ، واتسع الشربدوره ليشمل مستويات مختلفة من القول فى القص والرحلات والتاريخ والمقامات والرسائل الديوانية والإخوانية والحكم والزهد والنقد وسائر ما وصل إلينا من أنماط الكتابة فى مختلف الفنون .

ومن الواجب علينا أن نقدر الجهد الذى بذله كل من أسهم فى إعداد هذا الجزء ، خاصة الزميل الكريم الأستاذ محمد يونس عبد العال الذى كان له فضل المراجعة النهائية له والأستاذة عائشة عبد الرحمن أمينة اللجنة وقت متابعة إعدادة وتنفيذه .

وعلى الله قصد السبيل .

**دكتور / صلاح فضل**



**أعضاء لجنة الدراسات الأدبية واللغوية التي أعدت هذا الجزء :**

**مقرر اللجنة :**

**أ . د محمد صلاح الدين فضل .**

**أعضاء لأشخاصهم وهم السادة الأساتذة الدكاترة :**

- إبراهيم عبد الرحمن

- أحمد كمال زكى

- حسين نصار

- الطاهر مكي

- عبد اللطيف عبد الحلیم

- ألفت الروي

- محمد حمدي إبراهيم

- محمد زغللول سلام

- محمد عوني عبد الرؤوف

- محمود على مكي

- مصطفى مندر

- محمود فهمي حجازي





أولا

الشعر





## ابن الزقاق

( ت ٥٢٨ هـ / ١١٣٤ م )

على بن عطية بن مطرف بن سلمة اللخمي، أو على بن إبراهيم بن عطية، كنيته أبو الحسن، وشهرته ابن الزقاق، ومن المرجح أن أباه أوجده لقب « زقاقا » لانتفاخ جسده وسمنه الزائد، خلافا لما زعمه بعض من ترجموا له من أن أباه احترف بيع الزقاق.

ينسب إلى بلنسية لأنه ولد فيها، على الرغم من أن أصوله تعود إلى إشبيلية، ويقال إن أسرته تمت بصلات قوية إلى المعتمد بن عباد أمير إشبيلية في عصر ملوك الطوائف، فلما خلع المعتمد من إمارته هاجر الأب إلى بلنسية وعمل بها مؤذنا في مسجدتها الجامع.

ولد في أواخر العقد التاسع من القرن الخامس، والأخبار عن صباه قليلة، ومن المرجح أنه تتلمذ - على نحو ما - على خاله ابن خفاجة الشاعر وأنه اختلف في مرحلة باكرة من عمره إلى دروسا بن السيّد البطليوسي، وكان عالما في اللغة والأدب، حسن التعليم، ثقة حافظا ضابطا، تنقل في عواصم الأندلس الكبرى، وانتهت به رحلته في بلنسية.

ومن تلاميذ ابن الزقاق : الكتندى أبو بكر بن عبد الرحمن، وهو من نبهاء الشعراء وبلغاء الكتاب وكان يسكن غرناطة، وأبو بكر بن رزق الله الحافظ ولا يُعرف له ترجمة، وأبو زكريا يحيى بن محمد الأركشي راوية ابن خفاجة، وكان شاعرا وكاتبا.

ومما وصفه به معاصروه قولهم إنه من « الذين اشتهر ذكركم، فلشعره تعشق بالقلوب وتعلق بالسمع، أعانه على ذلك مع الطبع القابل كونه استمدّ من خاله أبي إسحاق ابن خفاجة ونزع منزعه »، ومدحوه بأنه « يظهر الخلق في حلية جديدة » أي أنه يعرض الصور والأخيلة التي سبقه إليها الشعراء حتى صارت كالأثواب الخلقة البالية، فيضيف إليها ويخلع عليها من ابتكاراته ما يجعلها جديدة زاهية معجبة، ولذا ظهر غنيا في استعاراته مجددا في تشكيلاتها.

ويمثل ابن الزقاق قمة من قمم الشعر الغنائي في شرقي الأندلس، وقد سار على خطا ابن خفاجة دون محاكاة تستغرقه أو تقليد يمحو تفرده، ولكن في إبداع قد يبدو أقل اتساعا ولمعانا. وقد توفي، ولم يبلغ الأربعين من عمره.

\*\*\*

قال ابن الزقاق يصف بَلَنْسِيَّةَ :

بَلَنْسِيَّةٌ إِذَا فَكَّرْتُ فِيهَا      وفي آياتِها أُنْشَى الْبِلَادِ  
وَأَعْظَمُ شَاهِدِي مِنْهَا عَلَيْهَا      وَأَنَّ جَمَالَهَا لِلْعَيْنِ بِإِدَادِ  
كَسَاهَا رَبُّهَا دِيَّاجَ حُسْنٍ      لَهُ عِلْمَانِ مِنْ بَخْرِ وَوَادِي (١)

\* \* \*

وقال :

كَبَيْتُ لَوْ أَنَّ نَفْسِي أُسْتَطِيعَ      لِإِجْلَالِ قَدْ زَكَّ دُونَ الْبَشَرِ  
قَدَدْتُ الْيَرَاعَةَ عَنْ أَنْفُلِي      وَكَانَ الْمِدَادُ سَوَادُ الْبَصَرِ (٢)

\* \* \*

وقال في حبِّ الولد :

خَلِيلِي مَا حُبُّ الْبَنِينَ يَدْعِيهِ  
فَهَلْ أَنْتُمْ فِيهِ مَقِيمَانِ مِنْ عُذْرِي  
تَقْسَمَ قَلْبِي بَيْنَ طِفْلَيْنِ : شَطْرُهُ  
لِهَذَا ، وَهَذَا قَدْ تَعَلَّقَ بِالشَّطْرِ  
صَغِيرَيْنِ لَمْ تَصْغُرْ حَيَاتِي عَلَيْهِمَا  
وَلَا كَانَ حَظِّي بِالْيَسِيرِ وَلَا النَّزْرِ

---

(١) الوادي هنا النهر .

(٢) اليراعة : القلم .



فمن قائلٍ آثرت سرًّا محمدًا  
 وآخر: إبراهيم تُؤثِرُ في السرِّ  
 فقلتُ : هما غُصنانِ أغْدِلُ فيهما  
 إذا جار ذوالنَّجْلين ، عَدَلُ ندى القطر  
 وما استويا سنًّا ولكن تَساوَيَا  
 ولوعًا وحُبًّا في الجوانح والصدر  
 محلُّهما في منزلِ القلبِ واحدٌ  
 فحيث أبوبكرٍ ثمَّ أبو عمرو  
 أحبُّ صلاحِ الدهرِ في جانبيهما  
 ولولاهما ما كنتُ أحفلُ بالدهر  
 فمن كان يَتَغى العمرَ مستمتعًا به  
 فلم أبغِ إلَّا في صلاحهما عمري

\*\*\*

وقال :

فَلَذْنُ وَأَمَّا رِذْفُهَا فَرَادُحُ	وَمُسْرَجَةُ الْأَطْرَافِ أَمَّا قَوَامُهَا
يَعَانِقُنِي حَتَّى الصُّبْحِ صُبْحُوحُ	فَبِتُّ وَقَدْ زَارَتْ بِأَنْعَمِ لَيْلَةٍ
وَفِي خَضْرَاهَا مِنْ سَاعِدَتِي وَشَاحُ	عَلَى عَاتِقِي مِنْ سَاعِدَيْهَا حِمَائِلُ

وقال :

أَرْقُ نَسِيمَ الصَّبَا عَرْفُهُ  
وراق قضيب النقا عطْفُهُ  
ومرَّ بنا يتهادى وقد  
نَضَا سيفَ أَجْفَانِهِ طَرْفُهُ  
ومدَّ لمَسَمِهِ راحَةً  
فخلتُ الأَقاصي دنا قَطْفُهُ (٣)  
أشار لتقبيلها بالسلام  
فقال فمى : ليتنى كَفُّهُ

\*\*\*

وقال :

وليلٍ قطعَتْ دِياجِيرَهُ  
بعذراء حمراء كالْعَنَدَمِ  
أديرتُ كواكبُ أَقْداحِها  
على فَاغْرَبْتُها فى فمى  
تجلّى الظلامُ سريعا بها  
كسرعةِ عَبلِ الشوى أدهم (٤)

(٣) العرف : الرائحة الطيبة - النقا - : كتمان الرمل - العطف : الجانب من لدن الرأس إلى الورك - نضا : أخرج - الأَقاص : جمع الأقحوان ، وهونبت زهره أصفر أو أبيض ، وكثر فى الأدب العربى تشبيه الأسنان بالأبيض المؤلل منه .

(٤) الدياجير : جمع الديجور وهو الظلمة - العذراء يريد بها الخمر - العندم : صبغ أحمر - عبل الشوى : أى الحصان ذو القوائم الضخمة - أدهم : أسود .



فقال ، وقد طبار من خيفة

وإصباحه واضح المسمى

رأيتك تشرب زهر النجوم

فوليت خوفنا على أنجمنى

\*\*\*

وقال :

وأغيد طاف بالكؤوس ضحى

فحنها والصباح قد وضحا

والروض يبدى لنا شقائقه

وأسه العبرى قد نفحا

قلنا : وأين الأقاح ، قال لنا :

أودعته ثمر من سقى القدحا

فظل ساقى المدام يجحد ما

قال ، فلمّا تبسم افتضحا (٥)

\*\*\*

وقال :

وساقٍ يحث الكأس وهى كأنما

تلاّ منها مثل ضوء جبينه

---

(٥) الأغيد : المتمايل المثنى فى نعومة ولين - وضح : ظهر - الشقائق : نبات أحمر الزهر مبقع بنقط سود ، وهو شقائق النعمان ، سميت بذلك لحرمتها على التشبيه بشقيقة البرق - الآس : شجر عطري دائم الخضرة أبيض الزهر أو وردية - يجحده : ينكره مع علمه به .

سَقَانِي بِهَا صِرْفَ الْحَمِيَّا عَشِيَّةً  
وَتَنِي بِأُخْرَى مِنْ رَحِيقِ جَفُونِهِ  
هَضِيمُ الْحَشَا ، ذَوِ وَجْنَةٍ عَنْدَمِيَّةٍ  
تُرِيكَ قِطَافَ الْوَرْدِ فِي غَيْرِ حِينِهِ  
فَأَشْرَبُ مِنْ يَمَنَاهُ مَا فَوْقَ خَدِّهِ  
وَأَلْتَمُّ مِنْ خَدَّيْهِ مَا فِي يَمِينِهِ (٦)

\* \* \*

وقال :

يَا رَبِّ يَوْمٍ وَاضِحٍ نَضَّرْتَهُ  
بِمُهْفَهَفٍ طَاوَى الْحَشَا وَضَّاحٍ  
أَوْمَى إِلَى بَرَاخَةٍ قَامَتْ لَنَا  
فِيهَا ثَنَائِيَاهُ مَقَامَ الرَّاحِ  
يَوْمٌ رَشَفْتُ بِهِ الْحَمِيَّا وَاللَّمَى  
فَشَرِبْتُ خَمْرَ زُجَاجَةٍ وَأَقَاحٍ  
وَلْتَمْتُ مِنْ خَدِّي أَغْرَ مُهْفَهَفٍ  
شَفَقَيْنِ حُفٍّ سَنَا هُمَا بِصَبَاحٍ  
حَتَّى إِذَا مَا السَّكْرُ مَالَ بِعَطْفِهِ  
مَيَّلَ الْقَضِيبَ بِمَدْرَجِ الْأَدْوَا ح (٧)  
وَسَدْتُهُ عَضْدِي فَظَلْتُ كَأَنَّمَا  
أَطْلَعْتُ فِي عَضْدِي سَنَا الْإِصْبَاحِ

(٦) صرف الحَمِيَّا : الخمر الخالصة لم تشب بماء - هضم الحشا : ضامر الخصر لطيفه - عندمية : أى فى لون العندم وهو صبغ أحمر.

(٧) مهفهف : ضامر البطن دقيق الخصر - الطاوى : الضامر - وضاح : بسام حسن الوجه - اللمى : سمرة فى الشفة تستحسن - القضيب : الغصن - الأدواح : الأشجار العظيمة .

وأورد له الصَّفدي في « توشيح التوشيح » هذه الموشحة :

خُذ حديثَ الشوقِ عن نفسي      وعن الدمعِ الذي هَمَّعا  
ما ترى شوقي قد اتقدا  
وهمي بالدمعِ واطردا  
واغتدي قلبي عليك سُدى<sup>(٨)</sup>

آه من ماءٍ ومن قَبَسٍ      بين طرفي والحشا جُمعا  
بأبي ريمٍ إذا سَفَرا  
أطلعتُ أزرادهُ قَمَرا  
فاحذروه كلما نَظَرا<sup>(٩)</sup>

فبالحافظِ الجفونِ قِسى      أنا منها بعضُ مَنْ صَرَعا  
أرتضيه جارا أو عَدَلا  
قد خلعتُ العَذْلَ والعَدَلا  
إنما شوقي إليه فلا<sup>(١٠)</sup>

كم وكَم أشكو إلى اللَعس      ظمئى لو أنه نَقَعَا  
صلِّ عبدُ الله بالخَوَرِ  
وبطرفِ فاترِ النظرِ  
حُكْمُه في أنفُسِ البشرِ<sup>(١١)</sup>

(٨) همت العين : دَمَعَتْ ، وَهَمَّتْ : صبت دموعها ، وهمي الدمع : سال .  
(٩) القبس : النار أو الشعلة منه - الديم : الطبي الخالص البياض .  
(١٠) القسى : جمع القوس الذي ترمى به السهام - العذل - يسكون الذال وفتحها : اللوم .  
(١١) اللعس : سواد مستحسن في باطن الشفة - الحور : شدة البياض في بياض العين مع شدة السواد في سوادها .



مِثْلُ حُكْمِ الصُّبْحِ فِي الْفَلَسِ      إِنْ تَجَلَّى نَوْرُهُ صَدَعَا  
شَبَّهَتْهُ بِالرَّشَا الْأُمَمُ (١٢)  
فَلَعَمْرِي إِنَّهُمْ ظَلَمُوا  
فَتَغَنَّى مِنْ بِهِ السَّقَمُ  
أَيْسَنَ ظَبْيُ الْقَفْرِ وَالْكُنُوسِ      مِنْ غَزَالٍ فِي الْحَشَا رَتَعَا (١٣)

\* \* \*

---

(١٢) الفلّس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح - صدع : شق - الرشأ : ولد الظبية إذا قوى وتحرك مع أمه .  
(١٣) القفر : الخلاء من الأرض - الكُنُوس : جمع الكناس وهو مولج في الشجر يأوي إليه الظبي ليستر - رتع : رعى كيف شاء في خصب وسعة .

## ظافر الحداد

( ت : ٥٢٩ هـ / ١١٣٤ م )

هو أبو منصور ظافر بن القاسم الجروى الجذامى ، ولد فى النصف الثانى من القرن الخامس الهجرى بالإسكندرية ، فى أثناء حكم الفاطميين ، ويتلمذ فى أصوله الأولى إلى قبيلة جذام اليمنية ، وقد عمل أبوه بالحدادة ، فكان فى شبابه يعاونه فى حرفته .

وكان طلبة محباً للأدب ، فجالس العلماء والشعراء بالشعر ، ورغبهم شمائله فى دعوته إلى حلقاتهم والاستماع إلى أحاديثه وشعره ، ومن المشهورين الذين داوم على حضور مجالسهم : العلامة المحدث أبو طاهر السلفى ، وكانت هذه المجالس ملتقى من يفد إلى الإسكندرية من المغرب ، وفيها تعرّف ظافر على جماعة من الأندلسيين والمغاربة ، منهم الأديب الشاعر أمية بن أبى الصلت ، وقد دامت الصداقة بينهما زمناً .

برع فى الشعر شاباً ، وافتتن بالطبيعة ، فوصف فى شعره البحر والرمل والبساتين والحقول والسواقي وخليج الإسكندرية وقصورها البيضاء ، وتحدث عن ذكرياته فى بعض أحيائها وعرض لبعض معالمها كالكنيسة المرقسية ، وعمود السوارى ، وحى اليونان أو - كما أطلق عليه - « هرقة » ومن عجائب أوصافه قوله فى الهرمين وأبى الهول :

تأمل بُنيةَ الهرمين وانظر      وبينهما أبو الهول العجيبُ  
كعمّار يتّين على رحيل      لمحجوبين بينهما رقيب  
وماء النيل تحتهم دموع      وصوت الريح عندهما نجيب

وانتقل إلى الفسطاط والقاهرة ، بصحبة صديقه أمية بن أبى الصلت ، فامتدح الخليفة ووزيره الأفضل بن بدر الجمالى ، فحظى منه بمكانة وشهرة وسعادة ، على عكس ما صادفه أمية من الحبس ، وتوفى الأفضل سنة ٥١٥ هـ ، فلم تطب الحياة لظافر ، وفضل العودة إلى الإسكندرية فأقام فيها إلى أن توفى ، بعد أن حصل من المال ما ضمن له حياة طيبة .

وله ديوان شعرى ، من أبرز موضوعاته : الوصف والحنين إلى الوطن ومديح الكبار من رجال الدولة والعلماء ، وقد نظم الموشحات على الطريقة الأندلسية ، ولعل ذلك بتأثير من

أمية بن أبي الصلت ، ومن لقيهم من الأندلسيين والمغاربية ، وله مقامة طريفة تخرج عن الإطار المعروف لمقامات الهمداني والحريري .

وقد وصفه العماد الأصبهاني ، فقال : « ظافر ، بحظه من الفضل ظافر ، يدل نظمه على أن أدبه وافر ، وشعره بوجه الرقة والسلاسة سافر ... حداد لو أنصف لشعره أجمعه عليها - أيضا - الدارسون المحدثون ، فتراكيه غاية في السلاسة والغروية ، وهي ظاهرة عامة تلاحظ دائما في معظم أشعار المصريين ، مع البعد عن التعقيد والتكلف .

\* \* \*



### قال ظافر الحداد يتذكر الإسكندرية :

يا ساحل الثغر: كم لى فيك من أرب  
ومن حبيب أرايبى فيك منظره  
ومن أصيل كأن الماء فيك به  
ومن حديث يسر النفس موقعه  
قد كان فى ردّ ماضى العيش فيك لنا  
ولو أعادت لى الأيام ما أخذت  
فالشيب أول موت المرء منه إذا  
يا ثغر لهوى وثغرا كنت أرفقه  
بعمدتما، ودنا منى، فهل سبب  
قد كنت أعجز عن حملى طليعته

ومن سرور، ومن عهد، ومن طرب  
روضا من الحشن فى روض من الأدب  
ذوب اللجين علاه ذائب الذهب  
كأنما اشتق من صرّف ائنة الهنب  
بعض الرجاء لو أننى كنت لم أشب (١)  
مع المشيب الذى أبقت له لم يطب  
بدا به كذيب النار فى الحطب  
بكأى من كل ثغر ظل يلعب بى  
يذنيكما، وهو منى غير مقترب؟  
فكيف حالى بحمل الجحفل اللجب؟ (٢)

\* \* \*

### وقال أيضا بذكر الإسكندرية :

يا ساحل الثغر كم أنأى وأغترب  
ويا أوائل أيام الشباب به  
والله، ما اخترت مضرا عنك عن مقة  
ولو جرى نيلها لى فضة وغدا

أما إليك مدى الأيام منقلب؟  
هل لى إليك فيه ساعة سبب  
وإن غدا العيش لى فيها كما يجب (٣)  
سفع المقطم منها وهولى ذهب

(١) اللجين: الفضة - لم أشب: لم يبيض شعري .  
(٢) الجحفل اللجب: الجيش العروم الكثير، ويريد به الشغب .  
(٣) لينة: الحب .

ما اخترتها عوضاً ممن نشأت بها  
جار الزمان على شملى ولا عجب  
لكن إذا أكد المقدار عُقدته  
لا تفرحن إذا أعطاك من عرض  
سلم إذا كان ما لا بُدَّ منه فما  
ولا شفى لى منها غلة أرب (٤)  
من ذل الجوريل أنصافه عجب  
فكل حل إذا حاولته تعب  
فإن بعض عطاياهُ له سبب  
يُنْجِيكَ من كونه حرص ولا هرب

\* \* \*

وقال يمدح الأفضل ، ويهنته بشهر رجب :

الحبُّ مُذْ كَامَ مَعْنَى يَضْحَبِ الْأَدْبَا  
وأحسن الشعر ما أضْحَى تَغَزُّلُهُ  
والفهم كالنار والتشيب إن خمدت  
كم فكرة أنتجت معنى لملتهب  
وحكمة العرب الماضين كامينة  
فهل تعاطاه فحل في فصاحته  
والشعر تلقين شيطان الغرام فلا  
إلا مدائح شاهنشاه لا برحمت  
جلت محاسنها عما تُضاف له  
لولم تجد شاعرا في الأرض ينظمها  
فإن تغزلت في مدح فلا عجباً  
إلى المدائح في إنشاده سيّاً  
يشبها بلطفنى فكرة وصبا (٥)  
بالشوق لورامه في غيره عزباً (٦)  
في الشعر فلبق من يُعنى به العربا (٧)  
إلا بكى سكنا أوناح أونادبا  
يُملى غرائبه إلا لمن نسباً (٨)  
تُشرف اللفظ والمعنى إذا اصطحبا (٩)  
مُستغنيات عن المُثنى وإن دربا (١٠)  
عجزا لأنشد فيها الحق واختطبا (١١)

(٤) الغلة : شدة العطش .

(٥) يشبها : يُوقدها .

(٦) عزب : بُعد وخفى .

(٧) يقفو : يتبع .

(٨) نسب : تغزل وعرض بحب المرأة .

(٩) شاهنشاه : ملك الملوك أو الملك الأعظم .

(١٠) المُثنى : المادح والواصف الآخرين بالخير - درب : مرّن وحذق .

(١١) يقال خطب الخطيب على المنبر ، واختطب أيضا .

حَكَثَ لَنَا الْعِيشَ فِي أَيَّامِ دَوْلَتِهِ  
تَصَرَّفَتْ فِي لُهَاةِ الْخَلْقِ جَائِلَةً  
كَمْ قَدَرُ مَا قِيلَ فِيهَا وَهِيَ فِي شَرَفٍ  
فَنَفْسُهُ حَيْثُ خَلَّتْ فِي تَفَرُّدِهَا  
وَكُلُّ شَيْءٍ تَقْيِيسٌ مِنْ مَوَاهِبِهِ  
أَعْطَى الْمَدَائِنَ وَالْجَمَّ الْهَجَائِنَ وَالـ  
فَلَيْسَ يَتْرُكُ صَوْتُ الْمُسْتَمِيعِ لَهُ  
صِفَ عَنْهُ مَا شَتَّ مِنْ مَدْحٍ وَمِنْ كَرَمٍ  
ذَوْ هِمَّةٍ لَوْ يُلْقَى بَعْضُ مَا حَمَلَتْ  
ذَوْ هِمَّةٍ لَو تَلَاهَا الْبَرْقُ وَانِيَّةً  
مَادَتْ بِنَا الْأَرْضَ لَا أَدْرَى هَلْ اضْطَرَبَتْ  
سَارَتْ لَهُ سِيرَةٌ أَذْنَى مَنَاقِبِهَا  
تَضَمَّنَتْ غَزَوَاتٍ كُلَّمَا ضَحِكَ  
أَرْضَى الْمَسَاجِدَ وَالزُّهَادَ عَنْهُ ، أَلَا  
وَلِلْأَذَانِ سُرُورٌ فِي مَوَاطِنِهِ

لِطَبِيبِهِ كُلَّمَا كَسَرَزَتْهُ عَذْبَا  
فِي الْأَرْضِ تَمَلَّأَتْ قُطْرَيْهَا بِمَا رَحِبَا (١٢)  
وَكثيرة وارتفاع فاقت الشُّهْبَا  
يَخْوِي بِهَا كُلُّ قَطْرِ عَسْكَرِ الْجَبَا  
وَالْأَرْضُ وَالْخَلْقُ طُرًّا بَعْضُ مَا كَسَا (١٣)  
جُرْدَ الصَّوَاهِلِ لَمَّا اسْتَفَدَ الذَّهْبَا (١٤)  
مَا لَا عَلَى عَظَمٍ مَا يَخْوِي وَلَا نَشْبَا (١٥)  
وَهِيَّةٌ وَافْتِخَارٌ تَأْمَنُ الْكَذْبَا  
طَوْدٌ مِنَ الشَّمِّ أَذْنَى سَاعَةِ نُكْبَا (١٦)  
لَا سَتَعِجَزَتُهُ ، عَلَى إِسْرَاعِهِ ، وَكْبَا (١٧)  
مِنْ عَذْلِهِ طَرِبَا أَوْ خَوْفِهِ رَهْبَا (١٨)  
قَدْ عَطَّرَ الْأَرْضَ وَالْأَفْوَاهَ وَالْكُتْبَا  
الْإِسْلَامُ عَنْهُمْ نَاحَ الْكُفْرِ وَانْتَجَبَا  
لِلَّهِ مَا أَسْخَطَ الرُّهْبَانَ وَالصُّلْبَا  
تُبْدِي النَّوَاقِيسُ مِنْهُ الْوَيْلَ وَالْحَرْبَا (١٩)

(١٢) اللُّهَا : جمع اللُّهْوَة وهي أفضل العطايا وأجزؤها ، واللُّهْوَة من المال : الحَفَنَة .

(١٣) طُرًّا : جميعا .

(١٤) الهَجَائِنَ : جمع الهَجِين وهو ضرب من النوق خفيف الجسم سريع السير - الصَّوَاهِلُ الجرد : الأفراس الكريمة السبابة القصيرة الشعر .

(١٥) المستمِيع : الذي يطبي العطاء - النَشْب : المال أو العقار .

(١٦) الطود : الجبل العظيم - الشَّم : المرتفعة العالية .

(١٧) وانية : مبطنة - أعجزه : وجده عاجزا ضعيفا - كبا : زلّ وعثر .

(١٨) مادت : دارت كأنها اضطربت .

(١٩) الْحَرْب : الويل والهلاك .



ضَمُّرُ خِيُولِكَ لِلنَّصْرِ الَّتِي وُعدتْ  
 أبشِرُ فعاداتُ وفِدِ النصرِ قادمةٌ  
 واشفِكَ دما في طُلَى الأعداءِ منتظرا  
 يا أفضلَ الناسِ أفعالا وتسميةً  
 لم يَعدَمِ الملكُ نَصرا من سيوفكما  
 أما أبوك الذي رَدَّتْ عَرائِئُـهُ  
 وأَمِنَ الأرضَ بالخوفِ الذي نَهَيْتْ  
 وبعدها لو نَهَيْتِ الحُوتَ في لُجَجِ  
 والريحَ في الجولا تجرى ولو عَصَفَتْ  
 والليثَ في اليَدِ يُغَضِي عن فَرِيسَتِهِ  
 لولاك ما غَمَضَتْ عَيْنُ امرئٍ فَرَقا  
 لا قَلَصَ اللهُ ظِلًّا أَنْتَ بِاسْطُـهُ  
 فالناسُ في بركاتِ أَنْتِ مَوْرِدُـها  
 دليلُ يُمْنِكَ أَنَّ النِيلَ في نَسَقِ  
 وَتَقْفِ السُّمُرَ حَزْما وازْهَفِ القُضْبَا (٢٠)  
 كَالْهِيمِ من بَعْدِ خَمِيسٍ وافَتِ القَرَبَا (٢١)  
 فلو أَشارَتْ لهُ أَسِيفُكَ انْسَكَبَا (٢٢)  
 وأَعْدَلَ الخَلْقِ نَفْسا حُرَّةً وَأَبَا  
 فيما نَأَى من قديمِ الدهرِ أَوْ قَرَبَا  
 للملكِ فيما مَضَى الحَقُّ الذي اغْتَضَبَا  
 أَذْنَى سَرايَاهُ فيها أَمِنَ مَنْ نَهَبَا (٢٣)  
 عن شُرْبِهِ داعمِ ظَمآنَا ولو شَرَبَا (٢٤)  
 إلابما تَبْتَغِيهِ شَمَالًا وَصَبَا (٢٥)  
 خوفا ولو نازَعَتْهُ قوَّةُ اجْتِنَبَا (٢٦)  
 ولا لَقِيَ هُدْبٌ من جَفْنِها هُدْبَا (٢٧)  
 ولا سَحَابَ نَوَالٍ مِنْكَ مُنْجِبا  
 كادت لَهَا كُلُّ نَفْسٍ تَأْمِنُ الشُّجْبَا  
 وافي بِهِ مُذْ كَفَّانَا سَعْدُكَ النُّوبَا

- (٢٠) تَضْمِيرُ الْخِيُولِ : تَذْلِيلُهَا وَإِعْدَادُهَا لِلْسَبَاقِ وَنَحْوِهِ - السُّمُرُ : الرِّمَاحُ ، وَتَثْقِيفُهَا : تَسْوِيتُهَا وَتَقْوِيمُهَا - الْقُضْبُ : السُّيُوفُ اللَّطِيفَةُ الْقَطَاةُ ، وَرَهَافَتُهَا وَإِرْهَافُهَا أَيْ سَهْلُهَا وَتَرْقِيقُهَا .
- (٢١) الْهِيمُ : الْإِبِلُ الْعَشَى عَطْشًا شَدِيدًا - الْقَرَبُ : الْبَثَرُ .
- (٢٢) طَلَى : جَمْعُ طَلِيَّةٍ وَهِيَ الْعَنْقُ أَوْ أَصْلُهَا .
- (٢٣) سَرَايَا : جَمْعُ سَرِيَّةٍ وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَيْشِ .
- (٢٤) اللَّجَجُ : مَعْظَمُ الْبَحْرِ وَتَرْدُّ أَمْوَاجِهِ ، وَاحِدُهَا : لَجَّةٌ .
- (٢٥) الشَّمَالُ : رِيحُ نَهَبٍ مِنَ الشَّمَالِ - الصَّبَا : رِيحُ مَهَبِّهَا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِذَا سَتَوَى اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .
- (٢٦) الْيَدُ : الْغُلُوتُ وَالْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمَقْفَرَةُ .
- (٢٧) الْفَرْقُ الْجَزَعُ وَالْخَوْفُ - الْهُدْبُ : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَى شَفْرِ الْعَيْنِ .

ما دولة سَلَفَتْ إلا وكان بها  
حتى وليت فما فى الأرض مرتفع  
وهذه فى معانٍ قد سبقت لها  
كم رام قبلك فى الماضين من ملك  
تَهَنُّ ذاك وهذا الشهر مبتدئا  
ما ثلث نيلك نيلاً ثم شهرك ذا  
لكل شهر ونهر بعض منزلة  
يا أوحده الفضل قد كثرت منفردا  
وهبتنى فوهبت الناس عن سعة  
كم قذر شكرى وإن سارت مواكبُه  
فلو أعان لسانى كل ذى كلم  
لكنتى سوف أبدى جهداً مقدرتى  
يا مانع الناس لما جذت عن كرم  
لقد تطولت حتى طُلْتُ عن شبهِ  
لا زال عُمرُك كالأفلاك دائرة

نقص من النيل يُفنى أهلها سَغْباً (٢٨)  
حتى ارتوى وهو فى الطوفان ما شرباً  
من كان قبلك أوفاستخير الحقباً (٢٩)  
هذا فلم تقض منه نفسه أرباً  
فما يخص هنائى وحده رجباً  
فضلاً ، وكلُّ يوافى خائراً تعباً (٣٠)  
مما حويت من الفضلين إن نسيا  
ويا غريب العلى عرفت مغترباً  
يا واهباً يهب الموهوب أن يهباً  
حتى يخفف عني بعض ما يجبا  
فى شكرٍ أيسر ما أوليتنى غلباً  
إن لم تطرب جوادٍ أربع وكباً  
صعبت ما هان إذ هونت ماصعباً  
مهلاً فجودك مغط مثل ما سلباً  
يكر الدهر منه كل ما ذهباً



(٢٨) السَّغْب : الجوع ، ويشير إلى المجاعات الكثيرة التى نكبت بها مصر وخاصة فى عهد المستعمر فى سنوات ٤٤٠ ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦٥  
(٢٩) الحقب : جمع الحقة وهى المدة لاوقت لها أو السنة .  
(٣٠) الخائر : الضعيف المنكسر .

وقال يمدح ، ويهتئ بشهر رجب ، ذاكرًا حال النيل فى إحدى السفين :

يا خليلي الهوى برّح بى	فاغنما الفرصة فى مكتّيب
فإذا ثوب حاديههم غدا	عرّضا باسمى لذاك الرّبر (٣١)
واقصدا منه غزالا باسمما	عن شتيت كالأقاحى شنب (٣٢)
وهلالا فى قضيب ناعم	يتشئى فى نقا مضطرب (٣٣)
يُخجلُ الشمس أضاءت فى الضّحى	ذاك ما زال ، وذى لم تغب
فَعسى وُحى سلام خلسة	بين من دمسى مُختضب
أه من لوعةٍ وجيد دائم	يتلظى فى حشى ملتهب
هى أشيافٌ وتُدعى حذقا	يا لقومى من عيون العرب
فاتق الأضعف منها فلقد	نقضت عاداتها فى الحسب
واخذر الأضعف من أجفانها	فالمنايا بين تلك الهدب
أين ما كنا تناجينا به	وغرايب النوى لم تنعب (٣٤)
من حديث عذبت ألفاظه	كضربٍ كامنٍ فى ضرب (٣٥)
رق حتى لو سرى فى يذبل	رقصت أكنافه من طرب (٣٦)
وترشفت رُصابا كلما علنى	عُدتُ كأن لم أشرب (٣٧)

(٣١) ثوب : رجع - حاديههم : سائقهم الذى يسوق الإبل ويحثها على السير بالحذاء - الربر : القطيع من بقر الوحش أو الظباء أو الإنسى ، ولا واحد له .

(٣٢) الشتيت : متفرق الأسنان متباعدها قليلا ، وهو أمر محبوب عند العرب - شنب : ذوماء ورقة وعذوبة فى الأسنان .

(٣٣) النقا : كنان الرمل .

(٣٤) غرايب : جمع غريب أى حالك السواد ، يصف الغربان التى يؤذن صيامها بالفراق .

(٣٥) الضرب : النصيب أو الثلج أو اللبن - الضرب : العسل الأبيض .

(٣٦) يذبل : جبل - أكنافه : جوانبه .

(٣٧) الرصاب : الريق المرشوف - علنى : سقانى مرة بعد مرة .



خمرة لكنّهما بنتُ اللَّمَى  
 هى من كأسٍ علاها حَبَبٌ  
 عَجَبى منه وإنْ أَكْثَرْتُ فى  
 لَوْلَوْ أَضْفَرُهُ أَفْخَرُهُ  
 لَيْتَ شِغْرِى والأمانى راحةٌ  
 هل تُغْنِينَا حَمَامَاتُ الْجَمَى  
 بغنماءٍ أعجمى لفظُـه  
 يُطْرِبُ السامعَ حتى أنه  
 وكأنَّ الروضَ فيه غادةٌ  
 والأقاصى كلالٍ نُظِمَتْ  
 وبهـارٍ باهرهـيته  
 كالـدنـانير، بَدَتْ ألوانه  
 وشقيق شُقُقَتْ أَطْمَارُهُ  
 أَسْوَدُ فى أحمرٍ تَحْسِبُهُ  
 أو كخالٍ لاح فى وَجْنة ذى

حَسَدَتْهَا بِنْتُ مَاءِ الْعَنْبِ (٣٨)  
 وأحاشى مثله عن حَبَبِ (٣٩)  
 كُلُّ مَا أَبْصَرْتُ مِنْهُ عَجَبى  
 جَلُّ فى السِّلَكِ وإنْ لَمْ يُثَقِّبْ  
 للمحبِّ النَّازِحِ الْمُغْتَرِبِ  
 فى ظِلَالِ الْأَيْكِ بَيْنَ الْكُتُبِ (٤٠)  
 يُقْهِمُ السَّمْعَ وإنْ لَمْ يُغْرِبْ  
 يَقْتَدِى فِيهِ بِمُلْدِ الْقُضْبِ (٤١)  
 تَهَادَى فى الثَّيَابِ الْقُشْبِ (٤٢)  
 فى حَوَاشِى كَوَكِبٍ مِنْ ذَهَبٍ  
 مثل جِزْمِ الشَّمْسِ عِنْدَ الْمَغْرِبِ  
 تُعْدِمُ الْإِعْدَامَ كَفَّ التَّرِبِ  
 كدموعِ الْعَارِضِ الْمُتَحِيبِ (٤٣)  
 فَحَمَا فى جَمْرِهَا الْمَلْتَهَبِ  
 خَجَلٍ فَرَطَ أَوْذَى غَضَبِ

(٣٨) اللَّمَى : سمرة فى الشفة ، ولعله أراد بنت اللمى : الريق البارد .

(٣٩) الحَبَب : الفقايع على وجه الماء - أحاشى : أسثنى .

(٤٠) الْأَيْك : الشجر الكثير الملتف - الْكُتُب : الرمل المستطيل المحدوب .

(٤١) مُلْد : جمع أَمْلَد ، وهو اللَّيْنُ النَّاعِم .

(٤٢) الْقُشْب : الجديد .

(٤٣) الْبَهَار : زهر طيب الريح ، وهو العرار - التَّرِب : الفقير المعدم - الْأَطْمَار : جمع طمر وهو الكساء البالى -

الْعَارِض : السحاب المعترض .



## وقال :

إِيسِ عَلَي تَذْكَارِ مَا سَلَفَا  
يَا عَيْنَ ، أَنْتِ جَلَبْتِ نَاطِرَةً  
كَمْ قَدْ كَفَفْتُكَ خَائِفًا حَذِرًا  
فَعَجِبْتُ كَيْفَ رَمَيْتِ يَوْمئِذٍ  
ذَاكَ التَّبَسُّمُ كَانَ غَايَتَهُ  
أَسْرَثُكَ وَانصَرَفَتْ وَمَا وَجَدَتْ  
وَاللَّهُ ، رَبِّ مَنَى ، وَمَا جَمَعَتْ  
إِنِّي إِذَا مَا الْوَصْلُ أَمَكَّتْنِي  
وَأَبَيْتِ أَقْنَعَ بِالْحَدِيثِ وَلَوْ  
وَبِمَا يَبْلُغُهُ الرَّسُولُ وَلَوْ  
وَبَطِيفُهَا وَبِأَنَّهُهَا عَلِمَتْ  
وَبَلْفِظِ مَبْسِمُهَا وَمَقْصِدُهُ  
وَبَرَشَفِ مَاءِ النَّيْلِ قَدْ وَرَدَتْ  
وَلَوْ اسْتَطَعَتْ مَنَعَتْ إِذْ وَرَدَتْ  
غَيْرَانَ مِنْ عِلْمِي بِأَنْ بِهِ  
وَأَغَارُ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ بِهَا  
مَالِي وَلِلْعُذَالِ لَا سَعِيدُوا

فَالْدَمْعُ مِنْكَ أَقْلُ وَكَفَا  
لِفَوَادِي الْأَشْوَاقِ وَالشَّغْفَا (٤٩)  
عَنْ نَاطِرٍ يَقْوَى إِذَا ضَعُفَا  
سَهْمَا فَعَادَ لَوَقْتِهِ هَدَفَا  
هَذَا الْبُكَاءُ لِأَجَلِهِ سَرَفَا  
عَزَمَاتُ قَلْبِكَ بَعْدَ مُنْصَرَفَا  
وَكَفَى بِذَاكَ لِمُقْسِمٍ حَلَفَا  
نَزْهَتُهُ عَنْ رِييَةِ أَنْفَا  
كَانَ الْحَدِيثُ إِشَارَةً لَكَفَى  
كَانَ النَّسِيمُ رَسُولُهَا لَشَفَى  
أَنَّى أَبَيْتِ بِحَبْهَا كَلَفَا  
أُخْرَى فَيُنْهَجُنِي وَمَا عَرَفَا  
أَوَّلَاهُ ثُمَّ وَرَدَتْهُ طَرَفَا  
مَنْ عَابَ مِنْ شَطِئِهِ أَوْرَشَفَا  
مَنْ سُورِ شُهْدِ رُضَائِهَا نُطَفَا (٥٠)  
دُونِي يُبَاشِرُ ذَلِكَ التَّرَفَا  
فَلَقَدْ لَقِيتُ بَعْدَ لَهُمْ جَنَفَا (٥١)

(٤٩) وكف الدمع يكف : سأل - الشغف : الحب والوله .  
(٥٠) السُّور : بقية الشيء - الشَّهْد : عسل النحل .  
(٥١) الجنف : الميل والجور .

عَذَلُوا وَمَا عَشَقُوا وَلَوْ عَشَقُوا  
يَا وَيْحَهُمْ لَوْ أَبْصَرُوا رَشَاءً  
بَدَرُ عَلَى غَصْنٍ عَلَى نَقْوَى  
بِفَتْرٍ عَنِ نَوْرِ الْأَقْصَا إِذَا  
كَالْدُرِّ لَكِنْ صَاغَ نَاطِمُهُ

قَبِلُوا هِنَاكَ عُذْرَ مَنْ شُغِفَا  
يَهْتَزُّ مَنْ لَيْسَ الصُّبَا هَيْفَا  
رَمَلٍ أَضَاءَ وَمَا سَ وَارْتَدَفَا (٥٢)  
وَأَقَى نَدَى سَحَرَا بِهِ فَصَفَا  
بِالْمَسْكِ مِنْ لَعَسٍ بِهِ صَدَفَا (٥٣)



### وقال :

أَلَا يَا نَسَمَ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ عَابِرَا  
فَبِالرَّمَلِ مِنْ شَرْقِيَّةٍ مَنْ بِحُبِّهِ  
عَزِيزٌ عَلَى قَلْبِي وَلَا سَمًّا إِذَا  
مَرِيضٌ جُفُونِ الطَّرْفِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ  
بِفِيهِ لَالٍ فِي عَقِيْقٍ كَأَنَّهَُا  
وَفِي هَدَّةٍ نَارٌ وَمَاءٌ تَأَلَّفَا  
كَأَنَّ غَصُونَ الْبَانِ فِي كُتُبِ النَّقَا  
وَكَمْ لَيْلَةٍ بَشَا وَيْنِي وَيْنِهِ  
وَقَدْ ضَمَّنَا شَوْقٌ كَمَا ضَمَّ سَاهِرَا  
وَقَائِمٌ سَيْفِي فِي يَمِينِي ، وَجِيْدُهُ

عَلَى الثَّغْرِ فَاقْرِ السَّاحِلَيْنِ سَلَامِي  
سَرَايُرُ تَسْرِي فِي أَدَقِ عِظَامِي  
أَطَانَتْ عَلَيْهِ الْعَاذِلَاتُ مَلَامِي  
فَهِنْ سَقِيمَاتٌ بِغَيْرِ سَقَامٍ  
أَقَا حَيُّ رَمَلٍ فِي سُلَافٍ مُدَامٍ  
وَمِنْ عَجَبٍ مَاءٌ خِلَالِ ضِرَامٍ (٥٤)  
جُذِبْنِ عَلَى رَدْفٍ لَهُ وَقَوَامٍ  
عَفَافٌ يُنَاجِي فِي الْعِنَاقِ غَرَامِي  
تَوَى لَكَرَى جَفْنِيَّةٍ عِنْدَ مَنَامٍ  
يُشْرَايَ فِي عَقْدٍ بِغَيْرِ نِظَامٍ (٥٥)

(٥٢) الهَيْفَ : دَقَّةُ الْخَصْرِ وَضُمُورُ الْبَطْنِ - مَاسَ : تَبَخَّرَ وَاجْتَالَ .

(٥٣) اللَّعَسَ : سَوَادٌ مُسْتَحْسَنٌ فِي بَاطِنِ الشَّفَةِ .

(٥٤) السُّلَافَ : أَفْضَلَ الْخَمْرِ وَأَخْلَصَهَا - الْمُدَامَ : الْخَمْرُ - الضَّرَامُ : اشْتَعَالُ النَّارِ .

(٥٥) الْجِيْدُ : الْعُنُقُ .



حِذارا علينا من غيور مُبادِرٍ  
فواها على الإسكندرية كلما  
دياراً أحبابُ قلبى ومُنشئى  
فلى من جُذام عصبه جَرَوِيَّةٌ  
هى الذهبُ الإبريزُ صَفَتْ نضارةً  
إذا اليمينُ اعتدت بأوفى فضيلةٍ  
أسودٌ وغى لا ترتضى نيلَ مكسب  
يبيتون خُمصاً والمطاعمُ جَمَّةٌ  
وما الموت إلا الذلُّ فى العيش عندهم  
طوالَ حَكَا حَطِيَّةً بأَكْفَهُم  
إذا شئت أصلَ المجدِ والفخرِ فاتِغِه  
أخَفْتُ إلى الهَيْجاءِ وفِدِ عاصِفِ  
حَيُّون أنْدى أوجْها وأناملا  
يصونون ما تحوى المآزرُ من تُقى  
إذا قِلتِ العَوراءُ غَضُّوا أو غودرت

يُسايقنى بالضرب قبل قيامى  
تَنكَّد عيشى دونها بدوام  
وقومى من فتيان آل جُذام  
صَفَتْ كزلالٍ من مُتونِ غَمام  
يدُ السَّبكِ من عيبٍ يشوب وذام (٥٦)  
وجذتهم فيها أمامَ أمام  
وإن جَلَّ إلا مِن قنَّا وخُسام  
إذا شيلَ أدنى ذلةٍ بطعام (٥٧)  
وما العيشُ إلا عِزَّةٌ بِحِمَام (٥٨)  
ثِقَاتٌ لدى الهَيْجاءِ بقرطِ ذِمَام (٥٩)  
وحسبك من شيخٍ لهم وغلام  
وأثبتَ حلماً من هِضابِ ضَمَام (٦٠)  
من الغيثِ والى وذَقَه بسِجَام (٦١)  
وفضلٍ ، وما فى بُرْقِعٍ ولثام (٦٢)  
بأسماعِهم منها أحرُّ كلام

(٥٦) الذهب الإبريز: الخالص - الذام: العيب .

(٥٧) خمص: جائعون ، يقال خمصه الجوع أى أضعفه وأدخل بطنه فى جوفه .

(٥٨) الحمام: قضاء الموت وقدره .

(٥٩) الخطية: الرماح المنسوبة إلى الخط وهو موضع ببلاد البحرين الهيجا: الحرب - الذمام: العهد والأمان

والحرمة .

(٦٠) ضَمَام: اسم جبل .

(٦١) الوَذَق: المطر - السِجَام: سيلان المطر .

(٦٢) المآزر: جمع متزر وهو الثوب يحيط بالنصف الأسفل من البدن - اللثام: النقاب يوضع على الفم أو الشفة .

أَلَا هَلْ إِلَى الْإِسْكَندَرِيَّةِ أَوْبَةٌ  
كَأَتَى عَلَى إِفْرَاطٍ شَيْبٍ أَصَابَنِي  
وَإِنِّي وَإِنْ بَاشَرْتُ أَرْفَعَ رَتْبَةً  
لَكَ الطَّيْرِ تُذَنِّي فِي الْقُصُورِ لِصَوْتِهَا  
وَمَا الشُّوقُ لِلْأُوطَانِ مِنْ أَجْلِ طَبِيعِهَا  
وَلَكِنَّهُ فِي النَّفْسِ طَبْعٌ لِأَجْلِهِ  
كَذَا الطِّفْلِ يَبْغِي الْأُمَّ مَعَ سُوءِ شَخْصِهَا  
وَمِنْ غَرْبَةٍ يَبْكِي الْجَنِينُ إِذَا بَدَا  
وَيُعْذِرُ مَنْ يَشْتَاكُ أَسْوَأَ مُوَطِنٍ  
يُحِبُّ الْفَتَى أَوْطَانَهُ وَبِهَا الْعِدَا  
سَكَنْتُ بِهَا الدُّنْيَا ، فَلَمَّا تَرَكْتُهَا  
عَلَى أَنْفِي فِيمَا كَرِهْتُ مُحَسَّدٌ  
يَرَى الْأَزَى مَا أَعْتَدُ شُرْبًا ، وَيَسْتَقِي  
وَبَعْدُ فَمَا أَوْطَانُنَا إِنْ تَحَقَّقَتْ  
فَمَا مَنْزِلُ الْإِنْسَانِ فِيهَا مَقَرُّهُ  
وَلَكِنَّهُ رَهْنُ الْمَنَآيَا لِمَدَّةٍ  
غَرِيبٍ وَإِنْ لَمْ يَشْرَحْ عَنْ بِلَادِهِ

تُبَرِّدُ أَشْوَاقِي وَحَرًّا أُوَامِي (٦٣)  
عَلَيْهَا رَضِيعٌ فِي حَدِيثِ فِطَامٍ  
بِمَدْحِ مَلُوكٍ أُعْجِبْتُ بِكَلَامِي  
فَتَبْكِي عَلَى أَوْكَارِهَا بِمَوَامٍ (٦٤)  
وَلَا شَرَفٍ فِيهَا وَفَضْلٍ مُقَامٍ  
تُجَادِلُ فِي تَفْضِيلِهَا وَتُحَامِي  
وَيَشْنَأُ سِوَاهَا وَهِيَ ذَاتُ وَسَامٍ (٦٥)  
وَقَدْ كَانَ فِي ضَيْقٍ وَفَرَطٍ ظَلَامٍ  
فَكَيْفَ مُقَامًا طَيِّبًا كَمُقَامِي ؟  
فَكَيْفَ بِأَحْبَابٍ عَلَى كِرَامٍ ؟  
سَكَنْتُ دَفِينًا فِي بُطُونِ رِجَامٍ (٦٦)  
وَأَخْسَدُ مَنْ يَبْغِيهِ كُلُّ هُمَامٍ  
بِمَا أَتَوَقَّى مِنْ وَشِيكِ سِمَامٍ (٦٧)  
سَوَى حُفْرِ فِي جَنْدَلٍ وَرَغَامٍ  
وَإِنْ كَانَ ذَا خَيْمٍ بِهَا وَخِيَامٍ  
مَحْرَرَةٍ مَعْلُومَةٍ بِإِمَانٍ  
فَقِيدٌ عَلَى عِزٍّ وَبُعْدٍ مَرَامٍ

(٦٣) العوراء : الكلمة القبيحة الأوام : حرارة العطش .  
(٦٤) الموامي : جمع المومة أو الموماء ، وهي المفازة الواسعة الملساء .  
(٦٥) يشنأ : يبغض ويتجنب - وسام : جمال ووضاءة وحسن ثابت .  
(٦٦) دفين : مدفون موارى - الرجام : الحجارة التي توضع على القبر .  
(٦٧) الأزى : العسل - الجندل : الحجارة - الرغام : التراب - خيم : إقامة .

تَغَرَّبَ فِي الْأَحْشَاءِ عَنْ ظَهْرِ وَالِدٍ  
وَفِي غَرَبَةِ الدُّنْيَا لَهُ أَيْ حَصْرَةٌ  
وَعَرَبَتُهُ عِنْدَ الْحِسَابِ أَشَدُّهَا  
وَمَا قَصْدُهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَهَمُّهُ  
وَمَا حَظُّهُ مِنْ كَشْبِهِ غَيْرُ قُوتِهِ  
وَمَنْ سَعَدَ أَلَا يَكُونُ ، فَإِنْ يَكُنْ  
فَمَا هَوْلَ لَاقَاتِ الْإِدْرِيَّةِ  
وَمَا يَتُّهُ حَالَانِ : إِمَّا الْجَنَّةَ  
وَإِمَّا إِلَى نَارِ فَيَا لَكَ غَرَبَةً

\* \* \*

وَعَرَّبَ بِهِ الْمِيلَادَ بَعْدَ زِحَامٍ  
وَمِنْ بَعْدِهَا لَا شَكَّ غَرَبَةٌ سَامٍ  
فَأَيُّ أُمُورٍ لَا تُطْأَقُ جِسَامٍ ؟  
سِوَى مَكْسَبٍ يَخْطِي بِهِ وَيُسَامِي  
وَيَجْمَعُ لِلسُّوَرِثِ كُلِّ حَرَامٍ  
يَمُتُّ وَهُوَ فِي الْأَحْشَاءِ لَيْسَ بِنَامِي  
لَوْ خَزِرَ مَاحٍ أَوْ لَرَشَقَ مِهَامٌ (٦٨)  
لَهَا مِنْ جَوَارِ اللَّهِ خَيْرٌ مُقَامٍ  
وَطَوْلُ عَذَابٍ دَائِمٍ وَلِزَامٍ

#### وقال :

تَوَافَقَ النَّاسُ فِي النِّسْيَانِ وَاخْتَلَفُوا  
إِلَّا أَبَا عَامِرٍ لَمْ يَخُوضِ خَاطِرُهُ  
إِذَا تَصَعَّدَ لَفْظٌ مِنْ ضَمَائِرِهِ  
يَصْدُ كُلُّ حَدِيثٍ فِي مَسَامِعِهِ  
مَا مَرَّقَطُ بِهِ خَيْرٌ فَأَضْحَكَهُ  
لَا فَرْطُ حِلْمٍ ، بَلَى سَهْوٌ يُزِيلُهُمَا  
كَأَنَّهُ جَا حِدٌ مُذْقَطٌ وَهُوَ عَلَى  
إِذَا تَشَهَّدَ أَبْدَى « لَا إِلَهَ » وَلَا

\* \* \*

فَكُلُّ نَاسٍ لَهُ جَنْسٌ وَأَشْبَاهُ  
مَذْكَانٍ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى فَيَنْسَاهُ  
يَنْسَاهُ مَنْ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّى بِهِ فَاهُ  
عَنْ قَلْبِهِ فَكَأَنَّ اللَّفْظَ يَشْنَاهُ  
وَلَا أَلَمَ بِهِ شَرٌّ فَأَبْكَاهُ  
مَنْ قَبْلَ يَنْسِي أَوْ تَنْهَلُ عَيْنَاهُ  
حَقٌّ وَلَكِنْ بِسَرِّ لَاحِ مَعْنَاهُ  
يَتَمُّهَا ثُمَّ يَنْسِي بَعْدُ « إِلَّا هُوَ »

(٦٨) الدريشة : حلقة أو دائرة يتعلم عليها الطعن أو ما يستتر به الصائد ليختل الصيد - الوخز : الطعن طعنًا

غير نافذ .

## وقال أيضا موشحة :

ثَغْرُ لَاحِ يَسْتَأْسِرُ الْأَرْوَاحَ	لَمَعَا فَاخٌ مَا الْخَمْرُ؟ مَا التَّفَاخُ؟
أَلْجَانِي ذَا	التَّائِهَ الْجَانِي
أَنْسَانِي نَظْرُ	رَهْ إِنْسَانِي
أَفْنَانِي طَرُ	سُرُّ بِأَفْنَانِي (٦٩)
أَحْيَانِي فِي	بَعْضِ أَحْيَانِي
لَمَّا صَاخَ مَا خِلُّهُ يَا صَاخَ	لِلْأَرْوَاحِ ذَا نَشْوَةٍ مِنْ رَاخَ
قَلْبِي مَالُ	فِيهِ إِلَى الْأَمَالِ
مَالِي حَالُ	يَا قَوْمَ لَمَّا حَالُ
لَوْلَا الْخَالُ	مَا كُنْتُ إِلَّا خَالُ
لَمَّا غَالُ	قَلْبِي فَصَارَ لِي غَالُ
ذَا الْمَرْآخُ عَاتِبُهُ مَا زَاخَ	وَالْإِصْلَاحُ أَنْ أَتَرَكَ الْإِصْلَاحَ
أَغْلَى لِي	مَوْتِي بِأَعْلَى
أَوْصَى لِي	نِيرَانِ أَوْصَالِي
بَلْ بَالِي	أَوَّلِي يَبْلِي (٧٠)
يَا حَالِ	انْظُرْ إِلَى حَالِي

(٦٩) إنسان العين : ناظرها - أفناني الأولى بمعنى أهلكني ولم يبقني ، والثانية جمع الفنن ، وهو الغصن .  
(٧٠) البليال : الوسواس وشدة الهم .



ذو إفصاح بالسرى بالإفصاح	ما قد ساح من مقلتى سَحاح
فى مثل خُوطِ البان	بـدريـبان
قَدَا كـعـودِ زان	وجـة زان
فى اللوم لى خُوان	فـالـإخـوان
لما جفا عينا	والعيناـان
لما لاح لم احتفل باللاح	جسم راح يُذميه لَمْسُ الراح
بالقتل من أفتاك	يـا قـتـاك
ليلا إلى أشراك	مـا أسـراك
سبحان من أخلاك	مـا أخـلاك
وجهها ، وما أسناك	مـا أسـناك
كم أرتاخ للقرب لـونـرتـاخ	كـالمـصـباح نورا ، بـلى الإصباح



## أمية بن أبي الصلت

( ٤٦٠ - ٥٢٩ هـ / ١٠٦٨ - ١١٣٥ م )

هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت ولد بدانية في الأندلس ، وذكر بعض من ترجموا له أنه من أهل إشبيلية ، رحل وهو في العقد الثالث من عمره إلى المهدية بجوار القيروان ، ومدح أميرها تميم بن المعز الصنهاجي ( ت ٥٠١ ) الذي أرسله إلى مصر - وكانت الصلة بين تميم وحكامها سيئة - فأقام فيها ثلاث سنوات ، وقيل عشرين سنة ، سجن خلالها ، ودارت بينه وبين علي بن منجب الصيرفي رئيس ديوان الإنشاء مراسلات وأشعار ، ولما أطلق سراحه رجع إلى المهدية في أثناء خلافة يحيى بن تميم ( ت ٥٠٩ ) وعلا شأنه في عهده وفي عهد ابنه علي بن يحيى ( ت ٥١٥ ) ثم الحسن بن علي آخر ملوك الصنهاجيين . وتوفي في ولايته .

كان بن أبي الصلت شاعرا ومتفلسفا وموسيقيا وطيبا ، له مؤلفات في الأدب والتاريخ والعروض والألحان والهندسة والطب والتنجيم ، منها « كتاب الحديقة » ترجم فيه لشعراء عصره على نسق يتيمة الدهر للثعالبي ، « الأدوية المفردة » في الطب ، و « تقويم الذهن » في المنطق ، و « الوجيز في علم الهيئة » و « الملح العصرية في شعراء الأندلس » ، وله أيضا « الرسالة المصرية » وصف فيها ما رآه من طبيعة مصر وآثارها وأعلامها من الأطباء والمنجمين والشعراء وعرض لذكر من مدحوا الأفضل الجمالية أو هجوه .

أما ديوانه الشعري فقد احتفظ العماد الأصبهاني في الخريدة بمختارات كثيرة منه رتبها بترتيب الحروف الهجائية وبلغت حوالى ثمانين صفحة ، في موضوعات شتى كالمدح والهجاء والرثاء والغزل ووصف الخيول والقصور ، وشعره كما وصفه الواصفون « كله منقح مستملح صحيح السبك محكم الحول نظيم السلك » ويقول ابن سعيد في المغرب : « عنه أخذ أهل إفريقية ( تونس ) الألحان التي هي الآن بأيديهم » .

\*\*\*

قال أمية بن أبي الصلت يصف هرمى مصر :

بَعِشْكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَعْجَبَ مَنْظَرًا      عَلَى الطَّوْلِ مَا أَبْصَرْتَ مِنْ هَرَمَى مَصْرَ  
أَنَافًا بِأَعْنَانِ السَّمَاءِ وَأَشْرَفَا      عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ أَوِ النَّشْرِ  
وَقَدْ وَافِيَا نَشْرًا مِنَ الْأَرْضِ عَالِيَا      كَأَنَّهُمَا نَذِيَانِ قَامَا عَلَى صَدْرٍ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقال يصف فرسًا سمى هلالاً لغرة هلالية الشكل فى جبهته :

شَهِدْتُ لَقَدْ فَاتَ الْجِيَادَ وَيَذُّهَا      جَوَادُكَ هَذَا مِنْ وَرَادٍ وَمِنْ شُقَّرٍ<sup>(٢)</sup>  
جَوَادٌ تَبَدَّتْ بَيْنَ عَيْنِي غُرَّة      تُرِيكَ هَلَالَ الْفَطْرِ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ  
وَمَا أَعْتَنَ إِلَّا قَلْتُ أَسْأَلُ صَاحِبِي      بَعِشْكَ مِنْ أَهْدَى الْهَلَالِ إِلَى الْبَدْرِ  
كَأَنَّ الصَّبَاحَ الطَّلُقَ قَبْلَ وَجْهَهُ      وَسَالَتْ عَلَى بَاقِيهِ صَافِيَةُ الْخَمْرِ  
كَأَنَّكَ مِنْ إِذْ جَذِبْتَ عِنَانَهُ      عَلَى مَنَكَبِ الْجُوزَاءِ أَوْ مَفْرِقِ النَّسْرِ  
كَأَنَّكَ إِذْ أَرْسَلْتَهُ فَوْقَ لُجَّة      تُدَفِّقُهَا أَيْدَى الرِّيَّاحِ إِلَى الْعَبْرِ<sup>(٣)</sup>  
تَدَفَّقْتُمَا بِحَرِيْنٍ : جُودًا وَجَوْدَةً      وَمِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ بِحَرٍ عَلَى بَحْرِ

\* \* \*

وقال يصف بعض المباني السلطانية :

قُمْ يَا غَلَامُ وَدَعْ مُخَالَسَةَ الْكَرَى      لِمُهْجَرٍ يَصِفُ النَّوَى وَمُغْلَسٍ<sup>(٤)</sup>  
أَوْ مَا رَأَيْتَ النُّورَ يَشْرِقُ بِالنَّدَى      وَالْفَجَرَ يَنْصُلُ مِنْ خَضَابِ الْحَنْدَسِ<sup>(٥)</sup>

(١) أناف : ارتفع وأشرف - السماء : نجم نير - النشر : المرتفع من الأرض .

(٢) بذًا : غلبها وسبقها - اعتن : اعترض وعرض .

(٣) العبر ، بالكسر وبالفتح : الشاطئ والناحية .

(٤) المهجر : الذى يسير فى الهاجرة وهى نصف النهار عند اشتداد الحر - المغلس : الذى يسير فى الغلغس ، وهو ظلام آخر الليل ، وقيل : هو أول الصبح حين يتشرف فى الآفاق .

(٥) يشرق : يغص - ينصل : يخرج من لونه - الحندس : الظلمة ، وقيل : الظلمة الشديدة .



والتُّرب في خَلل الحديقة مُرتَق  
والرَّوض يَترزُّ في قلائد لؤلؤ  
لا تَعدَم الأَ لحاظ كيف تصرَّفت  
والفصن من حُلل الشَّبية مُكتسى (٦)  
والأرض ترفلُ في غلائل سُندس (٧)  
وجناتٍ وزد أولوا حظَّ نرجس



وروى ابن الأَبار أَنه قال فيها أَيضاً :

وضَّاحة حلَّت الأنوارُ ساحتها  
كَأَنَّ رَأد الضُّحى مما يُغازلها  
تجمَّعت وهى أَشباتٌ محاسنها  
يُضاحك النُّور فيها النُّور من كُثبٍ  
خضر خمائلها زرق جداولها  
دَوَّح وظِلُّ يَلدُ العيشُ بينهما  
يَجري النسيمُ على أرجائها دَنفًا  
حاك الربيعُ لها ممن صوبه حبرًا  
غريرة من بنات الرِّوض ناعمة  
تَندى أصائلها صُفراً غلائلها  
فأَزمعت رحلةً عن أَفقا الشَّدفُ  
عن الغزالة هيمانُ بها كَلِف  
هذا الغدير وهذى الرِّوضة الأنف  
مهما بكى للغواني عينُ ذُرْف  
فالحُسن مُؤتلف فيها ومُختلف  
هَذَا يَرف كما تَهوى وذا يَرف  
ومِلؤه أَرَجٌ يُشقى به الدَّنِف (٨)  
كَأنا الحُلل الأفواف والصُّحف (٩)  
يَتنى معاطفها فى السُّندس التَّرف (١٠)  
كَأَنَّ ماءً نُصار فوقها يَكِف



(٦) مرتق : ملصق لازق ، يريد أن الترب ندى ، وأن الأرض ممطرة .  
(٧) الغلائل : جمع غلالة ، وهو القميص أو الثوب يلبس تحت الثياب .  
(٨) ورف يرف أى برق وتلألأ ، يصف إشراق النبات ونضرتة ، وورف يرف أى طال وامتد ، ومنه : ظل وارف - الدنف : العليل الذى قد أشرف على الموت .  
(٩) الصوب : المطر - والجبر : جمع حبرة : ضرب من البرد اليمانية منمرة - وأفواف : ثياب رفاق من ثياب اليمن موشاة .  
(١٠) الغريرة : الشابة الحديثة السن التى لم تجرب الأمور - والترف : النعمة والرغد .

وله في المصنع المعروف بأبي فهر : (١١)

نمت صُعْدًا في جِدَّةِ عُرفائه      على عَمَدٍ مما أَسْتَجَادَ لها الجَدُّ  
تَخَيَّلَن قَامَت وهُسْنٌ عَقَائِلُ      سوى أنها لَانَاطِقَاتٌ وَلَا مُلْدُ (١٢)  
قَدُود كَسَاهَا ضَافِي الحُسْنِ عُرْيُهَا      وأَمَعَنَ فِي تَنَعِيمِهَا النَّعْتِ وَالْقَدُّ  
تُذَكِّرُ جَنَّاتِ الخُلُودِ حَدَائِقُ      زَوَاهِرُ لَا الزَّهْرَاءُ مِنْهَا وَلَا الْخَلْدُ (١٣)  
فَأَسْحَارُهَا تُهْدِي لها الطَّيِّبَ مَنَبِجَ      وَأَصَالُهَا تُهْدِي الصَّبَا نَحْوَهَا نَجْدُ (١٤)  
أَنَافَ على شَخَمِ القُصُورِ فَلَمْ تَزَلْ      تَنَهَّدُ وَجَدًا لِلْقُصُورِ وَتَنَدُّ (١٥)  
رَحِيبَ المَعَانِي لَا يَضِيقُ بَوْفُده      وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُمْ وَفَدُ  
تَلَاقَى لَدَيْهِ النُّورُ والنُّورُ فَانْجَلَّتْ      تَفَارِيقَ عَنْ سَاحَاتِهِ الظُّلُمُ الرُّبْدُ (١٦)

\* \* \*

ولها سَجَنُ بِمِصْرَ ، قال في ذلك : (١٧)

عَذِيرِي مِنْ دَهْرٍ كَأَنِّي وَتَرْتُهُ      بِيَاهِرِ فَضْلِي فَاسْتَقَادَ بِهِ مَنِي (١٨)  
تَعَجَّلْنِي بِالشَّيْبِ قَبْلَ أَوَانِهِ      فَجَرَّعْنِي الدُّرْدَى مِنْ أَوَّلِ الدَّنِّ  
وَمَا مَرَّبِي كَالسَّجْنِ فِيهِ مُلَمَّةٌ      وَشَرُّ مِنَ السَّجْنِ الْمُصَاحِبُ فِي السَّجْنِ  
أَظُنُّ اللَّيَالِي مُبْقِيَاتِي لِحَالَةٍ      تُبَدِّلُ فِيهَا حَالَتِي هَذِهِ عَنِّي

(١١) المصانع : القصور والأبنية ، وكذلك الأحباس تتخذ للماء ؛ الواحد : مصنعة ومصنع .

(١٢) تخيلن : تشبهن وتصورن وتبين - والعقائل : جمع عقيلة ، وهي الكريمة من كل شيء .

(١٣) الزهراء : من ضواحي قرطبة ، بناها الناصر عبد الرحمن - والخلد : قصر المنتصوريين بغداد .

(١٤) منبج : مدينة بالشام بينها وبين حلب عشرة فراسخ .

(١٥) القصور هنا : بمعنى العجز والتخلف .

(١٦) تفاريق : قطعاً صغيرة - والربد : المعتمدة المغيرة .

(١٧) يشير إلى اعتقال الأفضل شاهنشاه له بمصر .

(١٨) عذيري من كذا أي من يعذرني في أمره إذا جازيته على صنعه ، ولا يلومني على ما أفعله - استقاد : طلب

القود والقصاص مني .

وإلا فما كانت لتبقى حُشاشتي  
وقالوا : حديث السن يسمو إلى العلا  
وما ضَرَّنِي سنُّ الحَدَاثَةِ والضُّبَا  
فعلِمَ بلا دَعْوَى ورأى بلا هَوَى  
متى صَفَّتِ الدُّنْيَا لِحُرِّفَاتِنِي  
وهل هي إلا دارُ كُلِّ مُلَمَّةٍ

على طُول ما ألقى من الضَّيْمِ والغَبَنِ  
كَأَنَّ العُلَا وَقَفَتْ عَلَى كِبَرِ السَّنِ  
إذا لم يُضَفْ خُلُقِي إلى النَّقْصِ والأَفَنِ  
ووعدٌ بلا خَلْفٍ وَمَنْ بلا مَنْ (١٩)  
بها طِيبَ عَيْشِي أو خُلُوِي من الحُزَنِ  
أَمْضُ لأَحْشَاءِ اللَّيْبِ مِنَ الطَّعَنِ



#### وقال في الحكمة :

تَجْرِي الأُمُورُ عَلَى حُكْمِ مَا الْقَضَاءُ وَفِي  
فَرَبِّمَا سَرَّتْنِي مَا بَيْتٌ أَحْذَرُهُ

طَى الحَوَادِثِ مَحْبُوبٍ وَمَكْرُوهٍ  
وَرَبِّمَا سَاءَ نِي مَا بَيْتٌ أَرْجُوهُ



#### وقال :

وقائلة : « مَا بَالُ مِثْلِكَ خَامِلًا ؟  
فقلتُ لها : « ذَنبِي إِلَى الْقَوْمِ أَنَّنِي  
وَمَا فَاتَنِي شَيْءٌ » سَوَى الْحِظِّ وَحْدَهُ

أَأَنْتَ ضَعِيفُ الرَّأْيِ أَمْ أَنْتَ عَاجِزٌ ؟  
لِمَا لَمْ يَجُوزْهُ مِنَ الْمَجْدِ حَائِزٌ  
وَأَمَّا الْمَعَالِي فَهِيَ عِنْدِي غَرَائِزُ



---

(١٩) مَنْ بلا مَنْ : أى إعطاء من غير تقريع وتعيير .

### وقال :

جَدُّ بقلبي وعَبَثُ      ثم مضى وما اكثر  
واخربنا من شادن      في عَقْد الصبر تَقَثُ (٢٠)  
يقتل من شاء بعيه      —————  
فأى ودل لم يخُنْ ؟      وأى عهد ما نكث ؟

\* \* \*

### وقال :

إذا كان أصلى من تُراب فكلها      بلادى ، وكل العالمين أقاربى

\* \* \*

### وقال عندما أشرف على الموت ، وهو آخر ما سمع منه :

سكتك يا دار الفناء مُصَدَّقَا      بأننى إلى دار البقاء أصيرُ  
وأعظم ما فى الأمر أنى صائر      إلى عادِل فى الحكم ليس يجور  
فياليت شعرى ، كيف ألقاه عندها      وزادى قليل ، والذنوبُ كثير  
فإن أكن مجزياً بذنبى فإتنى      بشر عقاب المذنبين جدير  
وإن يك عفؤ منه عنى ورحمة      فثم نعيم دائم وسرور

\* \* \*

---

(٢٠) يقال : « واخرباه » عند إظهار الحزن والتأسف ، ورواية البيت فى بعض المصادر : « واحزنى من شادن ... » .



وقال :

لئن عَرَضْتُ نَوَى وَعَدْتُ عَوَادِ  
فَمَا بَعُدْتُ عَنِ اللَّقِيَا جُسُومُ  
وَلَكِنْ قُرْبُ دَارِكٍ كَانَ أَنْدَى  
أَدَا لْتُ مِنْ دُنُوكَ بِالْبَعَادِ (٢١)

تَدَانْتُ بِالْمَحَبَّةِ وَالْوِدَادِ  
عَلَى كَيْدِي وَأَخْلَى فِي فَوَادِي

\* \* \*

---

(٢١) النوى : البعد - عوادي الدهر : نوائبه .



## ابن خفاجة

( ٤٥٠ - ٥٣٣ هـ / ١٠٥٨ - ١١٣٨ م )

هو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الأندلسي ، ولد في جزيرة شُقر من أعمال بلنسية ، ونشأ نشأة مكنته من أن يُقبل على الدرس ويتزوّد بالأدب فظهرت موهبته الشعرية وهو في مقتبل العمر ، متأثراً ببعض شعراء المشرق ، مثل : عبد المحسن الصوري والشريف الرضي ومهيار الديلمي والمتنبى ، وقد تحدث ابن خفاجة في مقدمة ديوانه عن تأثره في شبابه بهؤلاء الشعراء وتمثله لمحاسنهم الرائعة الرائقة وألفاظهم الشفافة الشائقة ومعانيهم المتنوعة في الغزل وما يتصل به من الحماسة ووصف الطبيعة والإشارة إلى الطيف والخيال والظعائن ونسيم الصبا ... إلخ .

عاش في عهد ملوك الطوائف منصرفاً إلى متع الحياة ، مبتعداً عن استجداء الممدوحين ، وفي ديوانه مدائح في أمراء المرابطين وأعيانهم ، فاختص أولاً بمدح إبراهيم ابن يوسف بن تاشفين أول ولاية المرابطين على شرق الأندلس ، ثم مدح أخاه تميمًا وإلى غرناطة وزوجته السيدة الحرّة مريم ، كما مدح على بن يوسف سلطان المرابطين ... ، ولكنه لم يكن يمدح طلباً للعطاء والنوال ، وإنما كان كما يقول : « مصطنعاً لا متجعّجاً ، ومستميلاً لا مستنيلاً ، اكتفاء بما في يده من عطايا مَنان ، وعوارف جواد وهّاب » .

ومن يقرأ ديوانه يلحظ أن أهم موضوع استنفد أكثر شعره هو وصف الطبيعة ، ذلك أنه عكف عليها ، ممعناً في تأملها ، مستجلياً أسرارها ، حتى أن الأندلسيين سمّوه « الجنّان » نسبة إلى جنّان الأندلس ، وإلى براعته في تصويرها .

ومع هذا الكلف بالوصف ، أجاد في معظم الأعراض الأخرى كالغزل والمدح والثناء والهجاء ... ، كما أجاد أيضاً في الفنون الثرية كالرسائل وغيرها .

وقد طبقت شهرته الآفاق ، وانكب أدباء عصره وبخاصة الأندلس والمغرب على شعره يروونه ويتمثلون به .

وقال عنه ابن بسام : « كان مقيمًا بشرق الأندلس ، ولم يتعرّض لاستماعة ملوك طوائفها ، مع تهافتهم على أهل الأدب » ، وأثنى عليه بقوله إنه « الناظم المطبوع ، الذي شهد بتقديمه الجميع ، المتصرّف بين أشتات البديع » .

أما ابن الأَبَّار، فقال عنه : « كان عالما بالآداب ، صدرا في البلغاء ، متقدما في الكتاب والشعراء ، يتصرّف كيف يريد، فيبدع ويبيد ، ناظما وناثرا ، ومادحا وراثيا ، ومشبّيا ومشبّها ، وكان نزيه النفس ، لا يتكسّب بالشعر ، ولا يمتدح رجاء الرغد ... وديوان شعره متنافس فيه ، مروى عنه ، توفّي سنة ٥٣٣ هـ ، وهو ابن اثنتين وثمانين سنة » .

وقد أثار وصفه للرياض إعجاب بعض الكتاب الغربيين ، مثل غرسيه غومس ، فقال عن روضياته : « إنها سائغة تصدر عن طبع فنى لمّاح ، فتبدو كأنها مشاهد خيالية ، أو مجالس أنس خمرية » .

\* \* \*



قال ابن خفاجة في الاعتبار . ووصف الجبل :

بَعِشِكَ هَل تَذَرِي أَهْوَجَ الْجَنَائِبِ  
فَمَا لُحْتُ فِي أُولَى الْمَشَارِقِ كَوَكَبًا  
وَحِيدًا تَهَادَانِي الْفِيَا فِي فَأَجْتَلِي  
وَلَا جَارًا إِلَّا مِنْ حُسَامٍ مُصَمِّمٍ  
وَلَا أَنْسَ إِلَّا أَنْ أَضَاحِكَ سَاعَةً  
بَلِيلٍ إِذَا مَا قُلْتُ قَدْ بَادَ فَاَنْقَضَى  
سَحَبْتُ الدِّيَاجِي فِيهِ سُودَ ذَوَائِبِ  
فَمَزَّقْتُ جَنِبَ اللَّيْلِ عَنْ شَخْصٍ أَطْلَسِ  
رَأَيْتُ بِهِ قِطْعًا مِنَ الْفَجْرِ أَغْبَشَا  
وَأَزَعَنَ طَمَّاحِ الذُّوَابَةِ بِأَذِخِ  
يَسُدُّ مَهَبَّ الرِّيحِ عَنْ كُلِّ وَجْهَةٍ  
وَقُورٍ عَلَى ظَهْرِ الْفَلَاةِ كَأَنَّهُ  
يَلُوثُ عَلَيْهِ الْغَيْمُ سُودَ عَمَائِمِ  
أَصْحَخْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ أَخْرَسُ صَامِتٌ  
وَقَالَ أَلَا كَمْ كُنْتُ مُلْجَأَ فَاتِكِ

تَحُبُّ بِرَخْلَى أَمْ ظُهُورُ النَّجَائِبِ ؟ (١)  
فَأَشْرَقْتُ ، حَتَّى جُبْتُ أَخْرَى الْمَغَارِبِ  
وُجُوهَ الْمَنَايَا فِي قِنَاعِ الْغِيَاهِبِ (٢)  
وَلَا دَارَ إِلَّا فِي قُتُودِ الرِّكَائِبِ (٣)  
ثُغُورَ الْأَمَانِي فِي وَجُوهِ الْمَطَالِبِ  
تَكْشَفَ عَنْ وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كَاذِبِ  
لِأَغْتَبَقَ الْأَمَالَ بِمِضِّ تَرَائِبِ  
تَطَّلَعَ وَضَّاحِ الْمَضَاحِكِ قَاطِبِ (٤)  
تَأَمَّلْ عَنْ نَجْمٍ تَوَقَّدَ ثَاقِبِ  
يُطَاوِلُ أَغْنَانَ السَّمَاءِ بِغَارِبِ (٥)  
وَيَرْحَمُ لَيْلًا شُهْبَةً بِالْمَنَاكِيبِ  
طِوَالَ اللَّيَالِي مُطَرِّقُ فِي الْعَوَاقِبِ  
لَهَا مِنْ وَمِيزِ الْبَرْقِ حُمْرُ ذَوَائِبِ  
فَحَدَّثَنِي لَيْلُ السُّرَى بِالْعَجَائِبِ (٦)  
وَمِسْوَطُنْ أَوَاهٍ تَبْتَلُ تَنَائِبِ

(١) هوج : جمع هوجاء أى مسرعة - الجنائب : الدواب تقاد - النجائب : الإبل .  
(٢) لحْتُ : رأيت - الفيافي : الصحراوات الواسعة المستوية - الغياهب : الظلمات .  
(٣) مصمم : قاطع - القنود : جمع القند ، وهو خشب الرجل .  
(٤) الذوائب : الخصل من الشعر - الترائب : عظام الصدر - الأطلس المغبر اللون ، ويقصد به الذئب .  
(٥) أغبش : خالط بقية ظلمته بياض الفجر - ثاقب : مضى - أرعن : طويل - طمّاح : مرتفع - الذؤابة من كل شيء أعلاه - باذخ : عال - غنان السماء : ما يبدو منها للناظر إليها - الغارب : الكاهل أو أعلى كل شيء .  
(٦) يلوث : يلف ويغصب - أصخت : استمعت - السرى : سيرة الليل .

وَكَمْ مَرَّ بِي مِنْ مُذَلِّجٍ وَمُؤَوِّبٍ  
وَلَا طَمَ مِنْ نُكْبِ الرِّيحِ مَعَاطِفِي  
فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ طَوَّتُهُمْ يَدُ الرَّدَى  
فَمَا خَفَقَ أَيْكِي غَيْرَ رَجْفَةٍ أَضْلَعِ  
وَمَا غَيْضُ السُّلُوفِ دَمْعِي وَإِنَّمَا  
فَحَتَّى مَتَى أَبْقَى وَيَظْعَنُ صَاحِبُ  
وَحَتَّى مَتَى أَرْغَى الْكَوَكِبَ سَاهِرًا ؟  
فَرُخْمَاكَ يَا مَوْلَايَ دَعْوَةٌ ضَارِعِ  
فَأَسْمَعْنِي مِنْ وَعْظِهِ كُلِّ عِبْرَةٍ  
فَسَلِّ بِمَا أَبْكِي وَسَرِّ بِمَا شَجَا  
وَقُلْتُ وَقَدْ نَكَّبْتُ عَنْهُ لِطَبِئَةٍ :

وَقَالَ بَظِلِّي مِنْ مَظِيٍّ وَرَاكِبٍ (٧)  
وَزَاخَمَ مِنْ خُضْرِ الْبَحَارِ جَوَانِبِي  
وَطَارَتْ بِهِمْ رِيحُ النَّوَى وَالنَّوَابِ  
وَلَا نَوُحُ وَزُقْسِي غَيْرَ صَرْخَةٍ نَادِبِ (٨)  
نَزَفْتُ دُمُوعِي فِي فِرَاقِ الْأَصَاحِبِ  
أَوْدَعُ مِنْهُ رَاحِلًا غَيْرَ آيِبِ ؟ (٩)  
فَمِنْ طَالَعِ أُخْرَى اللَّيَالِي وَغَارِبِ  
يَمْسُدُّ إِلَى نَعْمَاكَ رَاحَةً رَاغِبِ !!  
يُتْرَجِمُهَا عَنْهُ لِسَانُ التَّجَارِبِ  
وَكَانَ عَلَى لَيْلِ السَّرَى خَيْرَ صَاحِبِ  
سَلَامٌ فَإِنَّا مِنْ مُقِيمٍ وَذَاهِبِ (١٠)

\* \* \*

وقال في وصف بعض مظاهر الطبيعة :

أَبَى الْبَرْقُ إِلَّا أَنْ يَحِجْنَ فُؤَادُ  
وَيَكْخَلَ أَجْفَانُ الْمُحِبِّ سُهَادُ  
فَبِلْتُ وَلِي مِنْ قَانِيءِ الدَّمْعِ قَهْوَةٌ  
تُدارُ مِنْ إِحْدَى يَدَيَّ وَسَادُ (١١)

(٧) أَوَاه : كثير الدعاء - تَبَتَّل : تفرغ للعبادة - المذلج : السائر من أول الليل - المؤوب : الذي يسير النهار كله إلى الليل - قال : نام وسط النهار .  
(٨) النُكْب : جمع النكباء وهي الريح التي تجس القطر وتهلك المال - المعاطف : الجوانب - النوى : البين والفراق والبعد - النوايب : الكوارث والحوادث المؤلمة - الورق : الحمام ، واحده ورقاء .  
(٩) غَيْض : أنقص واحتبس - يظعن : يرحل - آيب : راجع .  
(١٠) عبرة : عظة - سَلَّى : جعله ينسى فتطيب نفسه - سَرَى : أشاع السرور وكشف الهم - نَكَّبْتُ عنه : عدلت وتنحيت - طَبِئَةٍ : حاجة .  
(١١) قَانِيء : شديد الحمرة - قهوة : خمر - خَلِيَّة : مطلقة .

تنوح لى السورقاء وفى خلية  
وقد كان فى خدى للشهب ملعب  
وليل كما مد الغراب جناحه  
به من وميض البرق والجوفحة  
سريت به أخيه لحيه السرى  
يقلب منى العزم كمنان مقلية  
بخرق لقلب البرق خفقة روعة  
سحيت فلا غير الرياح ركائب  
كانى وأحشاء البلاد تجتنى  
أجوب جوب اليد والصبح صارم  
وفى مضطلى الظلماء جمر كواكب  
ولما تفرى من دجى الليل طحلب  
حتت وقد ناح الحمام صباية  
على حين شطت بالأحبة نية  
ويض بهاليل تلفت دونهم

وينهل دمع المزن وهو جماد  
فقد صار فيه للوراد طراد (١٢)  
وسال على وجه السجل مداد  
شراز ترامى والغمام زناد  
تموت ولا ميت الصبح يعاد  
لها الأفق جفن والظلام سواد  
به ولجفن النجم فيه شهاد  
هناك ولا غير الغمام مزاد (١٣)  
سريرة حب والظلام فواد  
له الليل غمد والمجر نجاد  
علاها من الفجر المطل رماد  
وأعرض من ماء الصبح ثماد (١٤)  
وشق من الليل البهيم حداد  
وحالت فياف يتنا وبلاد (١٥)  
عئون لأطراف الرماح حداد

(١٢) طراد : صيد - السجل : الكتاب - فحمة الليل : سواده - الزناد : ما يقدح به النار.

(١٣) سحيت : بعيد - السريرة : ما يكتم ويسر - جيوب الأرض : مداخلها - صارم : سيف قاطع - الغمد : غلاف السيف - النجاد : حمائل السيف.

(١٤) تفرى الليل عن صبحه : انشق وبدا الصبح - الطحلب : خضرة تعلو الماء المزمز - ثماد : ماء - الحداد : ثياب الماتم.

(١٥) الفيافى : الصحراوات الواسعة - البهاليل : السادة الكرام الجامعون لصفات الخير.

عَشِيَّةً لَا مِثْلَ الْجَوَادِ ذَخِيرَةً      وَلَا مِثْلَ رَقِراقِ الْحَدِيدِ عِتَادُ  
 إِذَا رَابَ خَطْبُ خَفَرْتَنِي ثَلَاثَةً      سِنَانٌ وَعَضْبٌ صَارُمٌ وَجَوَادُ  
 فَبِتُّ وَلَا غَيْرَ الْحُسَامِ مُضَاجِعُ      وَلَا غَيْرَ ظَهْرِ الْأَعْوَجِيِّ مِهَادُ  
 مُعَانِقُ خَلٍّ لَا يُخِلُّ وَإِنَّمَا      مَكَانَ ذِرَاعَيْنِهِ عَلَى نَجَادُ (١٦)

\* \* \*

### وقال فى وصف القمر :

لَقَدْ أَصْخَتْ إِلَى نَجْوَاكَ مِنْ قَمَرٍ      وَبِتُّ أَدْلِجُ بَيْنَ الْوَعْيِ وَالنَّظَرِ (١٧)  
 لَا أَجْتَلِي لِمَحَاً حَتَّى أَعِى مُلْحَاً      عَدَلًا مِنْ الْحُكْمِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ (١٨)  
 وَقَدْ مَلَأَتْ سَوَادَ الْعَيْنِ مِنْ وَضَحٍ      فَقَرَّطِ السَّمْعَ قُرْطَ الْأُنْثَى مِنْ سَمَرِ (١٩)  
 فَلَوْ جَمَعْتَ إِلَى حُسْنِ مُحَاوَرَةٍ      حُزْنَ الْجَمَالَيْنِ مِنْ خُبْرٍ وَمِنْ خَبَرِ  
 وَإِنْ صَمَمْتَ ففى مَرَاكَ لى عِظَّةً      قَدْ أَفْصَحْتَ لى عَنْهَا أَلْسُنُ الْعَبْرِ  
 تَمُرُّ مِنْ نَاقِصٍ حَوْرًا وَمُكْتَمِلٍ      كَوْرًا وَمِنْ مُرْتَقٍ طَوْرًا وَمُنْحَدِرِ (٢٠)

\* \* \*

### وقال يصف شُهدة بعث بها إليه بعض أصدقائه : (٢١)

لِلَّهِ رِيقَةٌ نَخْلٍ      رَعَى الرَّبِّى وَالشَّعَابَا  
 وَجَابَ أَرْضًا فَأَرْضًا      يَغْشَى مَصَابَا مَصَابَا

(١٦) خفرتنى : حرمستنى - الأعوجى أى القوس - الخل : الصديق المختص - لا يخل : لا يقصر ولا يجحف .

(١٧) أدلج : أسر من أول الليل .

(١٨) لمح به بصره لمحا : صوبه إليه - المُلح : جمع المُلحة ، وهى الكلمة الملحة .

(١٩) قرطه : ألبسه القرط ، وهو ما يعلق فى شحمة الأذن .

(٢٠) يقال « نعوذ بالله من الحور بعد الكور » أى من النقص بعد الزيادة .

(٢١) الشُهدة : القطعة من العسل .



حَتَّى ارْتَوَى مِنْ شِفَاءٍ      يَمْجُ مِنْهُ رَضَابًا (٢٢)  
إِنْ شِئْتَ كَانَ طَعَامًا      أَوْ شِئْتَ كَانَ شَرَابًا

\* \* \*

وقال في وصف نهر :

لله نهرٌ، سَالَ فِي بَطْحَاءٍ  
أَشْهَى وَرُودًا مِنْ لَمَى الْحَسَنَاءِ (٢٣)  
مُتَعَطِّفٌ مِثْلُ السَّوَارِكَائِهِ،  
وَالرَّهْرُ يُكْنَفُهُ، مَجْرُ سَمَاءٍ  
قَدْ رَقَّ، حَتَّى ظَنَّ قُرْصًا مُفْرَعًا  
مِنْ فِضَّةٍ، فِي بُرْدَةٍ خَضِرَاءِ  
وَعَدَتْ تَخْفُفُ بِهِ الْغُضُونُ، كَأَنَّهَا  
هُدْبٌ يَخْفُفُ بِمُقْلَةٍ زَرْقَاءِ (٢٤)  
وَلَطَالَمَا عَاطَيْتُ فِيهِ مُدَامَةً  
صَفْرَاءَ، تَخْضِبُ أَيْدِيَ النَّدَمَاءِ  
وَالرَّيْحُ تَغْبِثُ بِالْغُضُونِ، وَقَدْ جَرَى  
ذَهَبُ الْأَصِيلِ عَلَى لُجَيْنِ الْمَاءِ (٢٥)

\* \* \*

(٢٢) يَمْجُ : يلفظ - الرضاب : رَغْوَةُ العسل .

(٢٣) البطحاء : المكان الواسع ، يترك فيه السيل الرمل والحصى الصغار - اللَّمَى : سمرة في الشفاء .

(٢٤) الهُدْبُ : شعر الأجفان .

(٢٥) الأصيل : الوقت بين العصر والمغرب - اللجين : الفضة .

### وقال في صفة فرس :

وَأَقْبَبَ وَزْدَى الْقَمِيصِ بِمِثْلِهِ  
يَمْشِي الْعَرْضَنَةَ فِي الطَّرِيقِ كَأَنَّهُ  
قَبْدًا وَقَدْ مَلَأَ النَّفُوسَ مَسْرَةً  
مُتَخَطِّفٌ مَا شَاءَهُ مُتَعَطِّفٌ  
وَلَرُبَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ قَدْ خَاضَهُ  
وَمِنَ الْحَمِيمِ بِذَفَرَتَيْهِ فِضَّةٌ  
وَالشُّهْبُ شُهْبٌ وَالْعَجَاجَةُ سُذْفَةٌ  
وَالْحَرْبُ رَوْضٌ فِيهِ مِنْ خُرْصَانِهَا  
رَكِبُوا الْجِيَادَ إِلَى الْجِلَادِ وَأَوْجَفُوا  
فَكَأَنَّهُمْ مِنْ فَوْقِهَا أَسَدُ الشَّرَى

\* \* \*

### وقال في الحماسة والغزل :

مَضَاءٌ كَمَا سُلَّ الْحُسَامُ مِنَ الْغَمْدِ  
وَحُكْمٌ كَمَا زَاخَمَتْ مَنَكِبَ هَضْبَةٍ  
وَحَزْمٌ كَمَا طَارَ الشَّرَارُ مِنَ الزُّنْدِ  
وَبَأْسٌ كَمَا حَدَّثَتْ عَنْ أَسَدٍ وَزْدٍ

(٢٦) أقبب : دقيق الخصر ، ضامر البطن - ريعت : فزعت - الظلمان : جمع الظليم ، وهو ذكر النعام .  
(٢٧) يمشي العرضنة أى مشية فيها اعتراض وبغى من النشاط - أومى : مسهب أو مأى بمعنى أشار .  
(٢٨) متخطف : يمر سريعاً - غدران : جمع غدیر ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .  
(٢٩) الحميم : القيظ أو الماء الحار - الذفرى : العظيم الشاخص خلف الأذن - النجيع : الدم - عقبان : ذهب العجاجة : واحدة العجاج وهو الغبار - سدفة : الظلمة أو اختلاطها بالضوء - القتام : الغبار الأسود .  
(٣٠) الخرصان : جمع الخرص ، وهو الحلقة من الذهب أو الفضة - أوجفوا : أسرعوا فى سيرهم - يقال : هم أسد الشرى أى أشداء شجعان ، والشرى : موضع كثير الأسد - عقبان : جمع عقاب وهو طائر كاسر .  
(٣١) أسد وزد : لونه ما بين الكميت والأشقر .

بِأَمْثَالِهِمْ مِنْ مَنْ فِتْيَةٍ أَقْتَضَى الْمُنَى  
 مَبْسَابٌ عَلَى خَيْلٍ عَرَابٍ فَإِنْ يَكُنْ  
 إِذَا اغْتَقَلُوا الْخَطَى فِي لَيْلَةِ السُّرَى  
 فَأَسْمَرُ عَسَالٍ وَخَمَصُ بِاسِلٍ  
 تَسَاقَوْا وَمَا غَيْرَ النَّجِيعِ سُلَافَةٍ  
 وَلَا شَجَرٍ إِلَّا مُتَقَفَّةُ الْقَنَّا  
 فَرَهَرٌ وَلَكِنْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنِ الْجَنَى  
 قَدْ انْتَضَمُوا فِي نَخْرِ شُقْرِ قِلَادَةٍ  
 فَدَيْتُهُمْ مِنْ كُلِّ أَرْوَغٍ مَا جِدِ  
 وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا أَغْرَ مُحَجَّلٍ  
 مَكْرٌ وَصَدْرُ الرُّمَحِ يَهْتَزُّ عِزَّةً  
 وَقَدْ عَطَفَ الضَّرْبُ الْحُسَامَ بِمَقِّهِ  
 وَإِنِّي عَلَى أَنْ لَسْتُ صَدْرَقَنَانِهِمْ

وَفَتَكَ الْقَنَى بِالْكَفِّ وَالْكَفُّ بِالزُّنْدِ  
 جِلْدٌ فَقَلٌ فِي بَأْسٍ مُزْدٍ عَلَى جُزْدٍ (٣٢)  
 نَظَرْتُ إِلَى الْخَطَى مُلْدًا عَلَى مُلْدٍ (٣٣)  
 وَمَثْوَى الرَّدَى بَيْنَ الْأَسَاوِرَةِ الْأَشَدِّ (٣٤)  
 تُدَارُو وَلَا غَيْرَ الْأَسْنَةِ مِنْ وَزْدٍ  
 وَلَا نَهْرٍ إِلَّا مُشْطَبَةٌ الْهِنْدِ (٣٥)  
 وَمَاءٌ وَلَكِنْ غَيْرُ مُسْتَعَذِّبِ الْوَزْدِ  
 وَكُلُّهُمْ وَسَطَى فَنَاهِيكَ مِنْ عَقْدِ  
 كَرِيمِ السَّجَايَا لَا يَزِيْفُ إِلَى النَّقْدِ (٣٦)  
 رَفِيعُ سَمَاءِ الْمَجْدِ هَامِي حَيَا الرَّفْدِ (٣٧)  
 وَيَمْضَى وَجَفْنُ السَّيْفِ يُسْفِرُ عَنْ جَدٍّ  
 وَغَيْرُ قَوِيمٍ بُرْثُنُ الْأَسَدِ الْوَزْدِ  
 لَخِذْنُ الْعُلَى تَرْبُ النَّدَى لِدَّةُ الْمَخْدِ (٣٨)

(٣٢) عراب : عربية ليس فيها عرق هجين - جلاد : مضاربة - المرد : جمع الأمرد وهو الذي ينبت شاربه وبلغ خروج الحيته ولم تبد - الجرد : الخيول السبابة .

(٣٣) اعتقلوا الخطى : جعلوه بين الركاب والساق ، والخطى

هو الرمح - مُلد : لينة .

(٣٤) الأسمر العسال : الرمح المضطرب المهتز للينه - أخمص : ضامر - الأساور : جمع إسوار وهو الذي يجيد الرمي بالسهام .

(٣٥) مثقفة القنا : الرماح المسواة - مشطبة الهند : السيوف لها شطب أى خطوط أو طرائق تتراءى فى متونها .

(٣٦) ناهيك منه : كافيك عن تطلب غيره - السجايا : جمع سجيّة وهى الطبيعة والخلق - لا يزيّف بمعنى

لا يمشى .

(٣٧) أغرّ محجّل بمعنى مشهور - الحيا : المطم - الرفد : العطاء .

(٣٨) برثن : مخلب - خدن : صديق - الترب واللدة : كلاهما بمعنى المعائل فى السن .

أُخْوَضُ الظُّبَى تَخْضَرُ فِي النَّقْعِ بِيضُهَا  
فَأَطْعَنُ مِنْ عَزَمِي بِأَمْضَى مِنَ الْقَنَى  
وَأَطْلُعُ لِلْأَعْدَاءِ مِنْ حَيْثُ تَشْحَى  
عَلَى أَنْ لِي قَلْبًا تَمْلِكُهُ الْهَوَى  
وَأَغِيدَ قَدْ صَارَ الْعِذَارُ بِخَدِّهِ  
تَخَيَّرْتُهُ مِنْ فِتْيَةِ الْحَى سَيِّدَا  
\* \* \*

وقال في العتاب ، وقد بلغه عن صديق له ، أنه نال منه فكتب بها إليه :  
خُذْهَا يُرْنُ بِهَا الْجَوَادُ صَهِيلاً  
بَسَامَةً تُصْبَى الْأَرِيبَ وَسَامَةً  
حَمَلْتُهَا شَوْقاً إِلَيْكَ تَحِيَةً  
مِنْ كُلِّ بَيْتٍ لَوْ تَدَفَّقَ طَبْعُهُ  
إِيَّاهُ وَمَا بَيْنَ الْجَوَانِحِ غُلَّةٌ  
مَا لِلصَّدِيقِ وَقِيَتْ تَأْكُلُ لَحْمَهُ  
أَقْبَلْتَهُ صَدْرَ الْحُسَامِ وَطَالَمَا  
مَاذَا ثَنَاكَ عَنِ الثَّنَاءِ وَنَشْرِهِ  
وَتَسِيلُ مَاءٌ فِي الْحُسَامِ صَقِيلًا  
لَوْلَا الْمَشِيبُ لُسْمَتُهَا ثَقِيلًا (٣٩)  
حَمَلْتُهَا عَثْبًا عَلَيْكَ ثَقِيلًا  
مَاءٌ لِفَصٍّ بِهِ الْفَضَاءُ مَسِيلًا  
لَوْ كُنْتُ أَنْقَعُ بِالْعِتَابِ غَلِيلًا (٤١)  
حَيًّا وَتَجْعَلُ عِرْضَهُ مِنْدِيلًا  
أَضْفَيْتُهُ دِرْعًا عَلَيْكَ طَوِيلًا (٤٢)  
بُرْدًا عَلَى الرَّسْمِ الْجَمِيلِ جَمِيلًا

(٣٩) السرد : اسم جامع للدروع وساير الخلق .  
(٤٠) أغيد : ناعم متمایل - العذار : جانب اللحية - الكافور : نبت طيب الريح - الند : ضرب من النبات يتخثر بعوده .

(٤١) صقيل : لامع حاد - تصبى : تستميل - الأريب : العاقل .  
(٤٢) الغلة والغليل : كلاهما بمعنى شدة العطش - أنقع : أروى .  
(٤٣) أقبلته صدر الحسام : سدّته نحوه .



أَرْجَا كَمَا عَثَرَ النِّسِيمُ بِرَوْضَةٍ  
أَعَدَّ التَّفَاتِكَ وَأَدْرَكَهَا خَلَّةً  
وَأَصْبَحَ إِلَى سَجْعِ الْقَرِيضِ فَرَبَمَا  
وَعُجِجَ الْمَطِيِّ عَلَى السُّودَادِ وَحَيَّهِ  
وَابْعَثْ بِطَيْفِكَ وَاعْتَقِدْهَا زُورَةً  
وَلِئِنْ سَأَلْتُ بِكَ الْغَمَامَةَ وَابِلًا  
وَإِذَا دَعَبْتَ وَلَا دُعَابَةَ غَيَّيَةٍ  
وَأَضْحَبْتَ وَذَهْنُكَ مِنْ هَجِيرٍ لَافِحٍ  
فَلَقَدْ حَلَلْتَ مَعَ الشَّبَابِ بِمَنْزِلٍ  
وَبَدَهْتَ لَا تَرْزُ الْمَحَاسِنِ مُجْبِلًا  
مُتَدَفِّقًا أَغْيَا الْعُقُولَ طَرِيقَةً  
يَسْتَوْقِفُ الْعُلْيَا جَلًّا لَا كَلَمًا  
لَا تَسْتَنْيرُ بِكَ السِّيَادَةُ غُرَّةً  
وَسِوَايَ يُنْشِدُ فِي سِوَاكَ نَدَامَةً

لَذْنَا كَمَا نَضَحَ الْغَمَامُ مَقِيلًا (٤٤)  
لَا تَسْتَقِيلَ بِهَا عُسْلَاكَ مَمِيلًا  
نَدَبَ الْقَرِيضُ مِنَ الْوَفَاءِ هَدِيلًا  
طَلَّلَا عَلَى حُكْمِ الزَّمَانِ مُجْبِلًا (٤٥)  
وَصَلَّى السَّلَامَ عَلَى النَّوَى تَغْلِيلًا  
يَسِيمُ الْجَدِيبَ لَمَّا سَأَلْتُ بِخَيْلًا (٤٦)  
فَاغْضُضْ هُنَاكَ مِنَ الْعِنَانِ قَلِيلًا  
ذِكْرًا كَمَا سَرَّتِ الْقَبُولُ بَلِيلًا  
بَرْتَدُّ طَرْفُ النَّجْمِ عَنْهُ كَلِيلًا  
وَمَضَيْتَ لَا قَضِيمَ الْغِرَارِ قَلِيلًا (٤٧)  
فَكَأَنَّمَا رَكِبَ الْمَجْرَّ سَبِيلًا  
سَجَدَ الْبِرَاعُ بِكَفِّهِ تَبْجِيلًا (٤٨)  
حَتَّى يَسِيلَ بِكَ النَّدَى تَخْجِيلًا  
يَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْكَ خَلِيلًا (٤٩)

\* \* \*

- (٤٤) الأرج : الذى فاحت رائحته - لذن : لئن ناعم - نضحت السماء : أمطرت - المقيل : موضع القيلولة .  
(٤٥) مُحِيل : متغير ، أتى عليه أحوال .  
(٤٦) الوابل : المطر الغزير - يسم : يصيب الأرض ويؤثر فيها - الجدیب : الأرض اليابسة التى احتبس الماء عنها .  
(٤٧) كليل : ضعيف النظر - بدعت : بدأت - مجبل : بخيل - القضم : السيف الذى طال عليه الدهر فتكسر حده - الغرار : الجيش الكشيف - فليل بمعنى المكسور المثلم .  
(٤٨) أعيا : أعجز - المجر : مجموعة من الأجرام السماوية تترأى من الأرض كوشاح أبيض - البراع : القلم .  
(٤٩) قال تعالى « يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا » - سورة الفرقان ٢٨

وقال قصيدة كتب بها إلى أبي عبد الله بن عائشة ، رحمه الله ! :

مِنْ لَيْلَةٍ لِلرَّغْدِ فِيهَا صَرْخَةٌ      لَا تُسْتَطَابُ وَلِلْحَيَا إِبْقَاعُ  
خَلَعْتُ عَلَى يَهَا رِدَاءَ غَمَامَةٍ      رِيحٌ تُهْلِلُهُ هُنَاكَ صَنَاعُ (٥٠)  
وَالصُّبْحُ قَدْ صَدَعَ الظَّلَامَ كَأَنَّهُ      وَجْهٌ وَضِيءٌ شَفَّ عَنْهُ قِنَاعُ  
فَرَفَلْتُ فِي سَمَلِ الدُّجَى وَكَأَنَّمَا      فَرَعُ السَّحَابِ بِجَانِبَيْهِ رِقَاعُ  
وَدَفَعْتُ فِي صَدْرِ الرَّدَى عَنْ مَطْلَبٍ      بَيْنِي وَبَيْنَ الدَّهْرِ فِيهِ قِرَاعُ (٥١)  
وَقَبَضْتُ ذَيْلِي رَغْبَةً عَنْ مَعْشَرٍ      عُوجِ الطَّبَاعِ كَأَنَّهُمْ أَضْلَاعُ  
جَارِينَ فِي شَوْطِ الْعِنَادِ كَأَنَّهُمْ      سَيْلٌ تَلَاطَمَ مَوْجُهُ دَفَاعُ  
يَرْمُونَ أَغْطَافِي بِنَظَرَةٍ إِخْنَةٍ      وَقَدْتُ كَمَا تُذَكِّي الْعُيُونَ سِبَاعُ  
أَفْرَعْتُ مِنْ كَلِمِي عَلَى أَكْبَادِهِمْ      قَطْرًا لَهُ أَسْمَاعُهُمْ أَقْمَاعُ (٥٢)  
وَوَصَلْتُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ      حَتَّى كَأَنَّا مِغْصَمٌ وَذِرَاعُ  
وَوَفَّرْتُ مِنْهُ عَلَى الْمَشِيبِ بِصَاحِبٍ      خَلْفَ الشَّبَابِ فَلَئِي إِلَيْهِ نِزَاعُ  
قَدْ كُنْتُ أَغْلِي فِي أَيْتِياعٍ وَدَادِهِ      لَوْ أَنَّ أَغْلَاقَ الْوِدَادِ تُبَاعُ  
وَالْيَكْهَا غُرَاءَ لَوْلَا حُسْنُهَا      لَمْ تُفْتَقِ الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ  
عَبَقْتُ بِهَا فِي كُلِّ كَفٍّ زَهْرَةٌ      فُتِّقْتُ لَهَا مِنْ حُسْنِهَا أَقْمَاعُ (٥٣)

\* \* \*

(٥٠) تهليله : ترفق نسجه - صناع : ماهرة .

(٥١) ثوب سَمَل : خلق بال - قزع السحاب : قطعه المتفرقة - رفاع : جمع رُقعة وهي القطعة - قراع : مضاربة .

(٥٢) إحنة : حقد - الأقماع : الأذان ، يقال : « ويل لأقماع القوم » يعنى الذين يسمعون القول ولا يعملون به ، شبه آذانهم وكثرة ما يدخلها من المواعظ ، وهم مصرّون على ترك العمل بها بالأقماع التي تفرغ فيها الأشربة ، ولا يبقى فيها شيء .

(٥٣) أقماع : جمع - قمع ، وهو الأصل الأخضر الذي يبقى على الغصن بعد ذهاب أوراق الورد فيحمر .

وقال ، وكتب بها إلى أبي عبد الله محمد بن عائشة يستدعيه للأنس به ،  
والراحة معه ، فيما كانا يشتركان فيه من نظر ، ولطب صديق لهما تعذرت  
معالجته ، وطالت شكايته :

يَا هِرَّةَ الْفُضْنِ السَّوْرِيقِ	وَيَشَاشَةَ الرَّوْضِ الْأَنِيقِ
أَأَتَكُمَا بُشْرَى بِسُفْيَا	أَمْ سَلَامٌ مِنْ صَدِيقِ
فَهَزَزْتَ مِنْ عِطْفٍ نَدِ	وَسَفَرْتَ عَنْ وَجْهِ طَلِيقِ
وَلَقَدْ أَقْبُولُ إِذَا سَرَى	يَنْ الْأَقَاحِي وَالشَّقِيقِ (٥٤)
نَفْسٌ وَنَى فَكَأَنَّهُ	مِنْ رِقَّةٍ لَفْظُ الشَّفِيقِ
بِاللَّهِ يَا نَفْسَ الصَّبَا	حَيَّ الصَّدِيقَ عَنِ الصَّدِيقِ
قُلْ لِلْحَبِيبِ بَلِ الْحَمِيمِ	بَلِ الشَّقِيقِ بَلِ الشَّقِيقِ
يَا مُلْتَقَى الْخُلُقِ الشَّرِيفِ	وَهَشَّةَ الْوَجْهِ الطَّلِيقِ
إِنَّ النَّجَاةَ يَعِيدُهُ	فَاسْأَلْكَ بِمَا قَضَى الطَّرِيقِ
وَارْكُضْ بِمَا رَكُضَا حَيْثَا	فِيهِ عَنْ نَظَرِ رَقِيقِ (٥٥)
فَلِمِثْلَاهَا مِنْ شُقَّةٍ	أَعْدَدْتُ مِثْلَكَ مِنْ رَفِيقِ
فَارْغَبْ بِنَفْسِكَ عَنْ مَكَا	نِ قَدْ نُبَذَتْ بِهِ سَجِيقِ (٥٦)
وَارْكَبْ بِسَى اللَّفْظِ الْجَلِيلِ	وَسِرْ إِلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ
وَأَمْسَخْ قَسْدِي طَرْفِي بِهِ	يَمْتَدِّ فِي فَرْجِ عَمِيقِ

(٥٤) عطف : جانب - ندى : مبتل - الأقاحي والشقيق : من الزهور .

(٥٥) حيث : سريع .

(٥٦) نُبَذَتْ به : طرحت .

وَشُبِّ السَّوْعِيدِ بِمَوْعِدِ  
وَتَلَّافٍ مِنْ بَخْرِ الشَّكَا  
لَا بِالسَّقِيمِ وَلَا الصَّحِيحِ  
لَوْ جِئْتَهُ فَقَجَأْتَهُ  
لَا تَبْخَلَنَّ بِنَفْحَتِهِ  
وَارْبَعٍ بِوَادِي عَيْشَةٍ

فَالْمَاءُ يُنَزَّحُ بِالرَّحِيْقِ (٥٧)  
وَ أَخَا يُمْدُ يَدَ الْغَرِيْقِ  
وَلَا الْأَسِيرَ وَلَا الطَّلِيْقِ  
لَأَقْلَّ جَفْنِ الْمُسْتَفِيْقِ  
وَتَرَكَ مِنْ مِسْكٍ فَتِيْقِ (٥٨)  
خَضِلٍ وَتَمَّ فِي رَأْسِ نِيْقِ (٥٩)

\* \* \*

وقال يتألم لشكوى من لم يرها إلا بوساطة خطاب وزورة خيال :

يَا مُنِيَّةَ النَّفْسِ حَسْبِي ، مِنْ تَشْكِيكِ  
وَلَوْ تَسَامَحَ خَطْبٌ فِي فِدَائِكَ بِي  
وَكَيْفَ أَغْفِي بَلِيلَ تَشْهَرَيْنَ بِهِ  
هُمَيْدَ ، أَوْجَعْتَ قَلْبًا قَدْ أَقَمْتَ بِهِ  
فَرُبَّ لَوْلُودَمَعٍ كُنْتُ أَذْخَرُهُ  
وَإِنْ نَأَى بِكَ رَبْعٌ غَيْرُ مُفْتَرٍ  
فَإِنَّ كُلَّ نَسِيمٍ خُصَّهِ أَرْجٌ  
وَرَبَّمَا شَفَعْتَ لِي غَفْوَةً نَسَخَتْ

أَنْتَى أَصَابُ ، وَكَفَّ الدَّهْرُ تَرْمِيكَ  
لَكُنْتُ ، مَهْمَا عَرَاخَطُبٌ ، أَفْدِيكَ (٦٠)  
أَوْ أَسْتَسِيغُ شَرَابًا لَيْسَ يُزَوِّبُكَ ؟  
مَا بَالُ طَرْفِي ، وَمَا يُدْرِيكَ ، يَتَكِيكَ  
عَلَقًا أَعَالِي بِهِ ، أَرْخَضْتُهُ فَيْكَ (٦١)  
أَوْ اخْتَوَاكِ حِجَابٌ فِيهِ يُقْصِيكَ  
رُسُولُ شَوْقٍ ، أَنْتَى عَنِي يُحَيِّكَ (٦٢)  
أُخْرَى الظَّلَامِ ، فَبَاتَ الطَّيِّفُ يُذْنِيكَ !

\* \* \*

(٥٧) الرحيق : الخمر .

(٥٨) النفجة : الطيب ترتاح له النفس - فتيق : مخلوط بما يذكيه .

(٥٩) رُبْعُ الْمَكَانِ : أَقَامَ فِيهِ وَاطْمَأَنَّ - خَضِلٌ : نَاعِمٌ نَدَى - النِّيقُ : الطويل من الجبال .

(٦٠) عَرَا : أَلَمَ وَأَصَابَ .

(٦١) العلق : الشيء النفيس .

(٦٢) الأرج : انتشار الرائحة الطيبة .



وقال يتوجع لفقد الشباب ، والأحباب ، ويصف فرساً أشهب :

وَجَاذَيْنِي الشَّبَابُ وَلَوْ قَسِيماً (٦٣)	أَلَا سَرَتِ الْقُبُورُ وَلَوْ نَسِماً
فَأَقْبَلَ نَاطِرِي وَجْهَهَا وَسِماً	وَطَالَعَنِ الظَّلَامُ بِهِ خَيْالاً
كَأَنَّ بِمَضْجَعِي فِيهِ سَلِيماً	تَقْضَى غَيْرَ لَيْلٍ مَا تَقْضَى
غِرَارَ النَّوْمِ أَوْ قَلْبَا أَلِيماً (٦٤)	أَصَانِعُ تَحْتَهُ طَرْفَا قَرِيحاً
هُنَاكَ وَلَا طَرِبْتُ لَهُ نَدِيماً	كَأَنِّي مَا أَلْفْتُ بِهِ شَفِيعاً
أَرَفْتُ لَهُ أُنَاجِيَهُ كَلِيماً	فَمَهْمَا شَاقَ مِنْ بَرْقٍ مُلِيحٍ
عَفَا قَدَمًا وَهَلْ جَادَ الْغَمِيمَا	وَأَسْأَلُ هَلْ سَقَى طَللاً بِحُرْوَى
صَبَا نَجْدٍ أَسَاثِلُهَا شَمِيمَا (٦٥)	وَأَنْشَقُ لَوَعَةً لِعَرَارٍ نَجْدٍ
زَعِيمَا أَوْ عَلِيمَا أَوْ حَلِيمَا	وَكُنْتُ رَجَوْتُ أَنْ أَعْتَاضَ مِنْهُ
فَلَمْ أَنْظُرْ بِهَا إِلَّا مُلِيمَا	وَلَمَّا أَنْ نَظَرْتُ مَعَ اللَّيَالِي
لَيْمًا أَوْ ذَمِيمًا أَوْ ذَمِيمَا (٦٦)	عَبَامَا أَوْ كَهَامَا أَوْ جَهَامَا
كَرِيمٍ لَا يُسَوِّغُهَا لَيْمًا	شَدَدْتُ عَلَى الْقَوْفَى كَفَّ حُرٍ
حَمِيًّا أَوْ حَبِيًّا أَوْ حَمِيمَا (٦٧)	فَمَا أَطْرِي إِذَا أَطْرَبْتُ إِلَّا
وَيَعْبُوبَا أَكْرُبُهُ كَرِيمَا (٦٨)	وَمَطْرُورًا أَجْرُدُهُ صَقِيلًا

(٦٣) القبول : ربح الصِّبا - فسيم الشيء : شطره والنصيب منه .

(٦٤) السليم : الملدوغ أو الريح المشفى على الهلكة - أصانع : أدارى وألاين - قريح : جريح - غرار النوم : القليل منه .

(٦٥) مليح : باد ظاهر - أنشق : أشم - العرار : نبات طيب الرائحة - الشميم : ما يشم .

(٦٦) المليم : الذي يأتي ما يلام عليه - عبام : أحرق غليظ الخلقة - كهام : بطيء ضعيف - جهام : لا خير فيه .

(٦٧) أطري : أثنى - حمى : كل محمى - حميم : قريب تودّه ويودّك .

(٦٨) سنان مطرور : محدّد - صقيل : مجلوّ - يعبوب : فرس طويل سريع .

فَلَسْنَاكَ أَرَدُّهُ إِلَّا كَلِيمًا  
عَلَى شَرَفٍ تَلَفٌ بِهِ هَشِيمًا (٦٩)  
تَأَلَّقَ شُهْبَةً وَصَفَا أَدِيمًا (٧٠)  
طَرَدْتُ مِنَ الظَّلَامِ بِهِ ظَلِيمًا (٧١)

\* \* \*

إِذَا أَقْبَلْتُهُ سُمِرَ الْعَوَالِي  
وَقَدْ لَفَّ الْعَدُوَّ كَانَ رِيحًا  
يَشِيمُ بِهِ وَرَاءَ النَّقْعِ بَسْرُقًا  
إِذَا أَوْطَأْتُهُ أَغْقَابَ لَيْلٍ

### وقال مع الاكتهال :

وَاللَّيْلُ قَدْ ضَرَبَ الظَّلَامَ رَوَاقًا (٧٢)  
خَضَعَ الْمُلُوكَ لَهُ بِهَا أَغْنَاكَ  
قَدْ أَلْزَمُوا أَعْمَالَهُمْ أَطْوَاكَ  
زَمْنَا فَشَدَّ إِلَى الْفُسُوقِ نِطَاقًا (٧٣)  
نَدَمًا وَيُرْسِلُ دَمْعُهُ إِشْفَاكَ  
حَتَّى تَسْرِبَلَ ثَوْبَهَا أَخْلَاقًا (٧٤)  
وَلَيْنَ صَنَعْتَ لَهُ فَلَا اسْتِحْقَاقًا

\* \* \*

طُوبَى لِعَبْدٍ قَامَ خَشْيَةً رَبِّهِ  
خَضِلَ الْمَدَامِخَ خَوْفَ عَرْضَةِ مَالِكٍ  
وَالنَّاسُ مِنْ كَابٍ هُنَاكَ وَسَابِقٍ  
فَحَنَانِكَ اللَّهُمَّ فِي عَبْدٍ غَوَى  
قَلْبِ الْمَضَاجِعِ بَاتَ يَقْرَعُ سِنَّهُ  
سَحَبَ الشَّيْبَةَ فِي الْغَوَايَةِ ضِلَّةً  
فَلَيْنَ سَطَوْتَ بِهِ فَلَا ظِلْمًا لَهُ

- 
- (٦٩) الشرف : الموضع العالي - الهشيم : المتكسر كالتبات من عام أول .  
(٧٠) يشيم البرق : ينظر إليه يتحقق أين يكون مطره - شهبه : بياض مختلط بسواد .  
(٧١) أوطأته : جعلته يطأ أي يدوس - ظليم : ذكر النعام .  
(٧٢) طوبى : كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء ، وعز بلا زوال ، وغنى بلا فقر - الرواق : بيت كالفسطاط يحمل على عمود واحد طويل ، ورواق الليل : مقدمه وجانبه .  
(٧٣) كَاب : عاثر - حنانك : رحمتك - شَدَّ نِطَاقًا إِلَيْهِ أَي تَهَيَّأ ، والنطاق : حزام يشد به الوسط .  
(٧٤) أَخْلَاق : جمع خَلَقَ ، وهو البالي من الثياب والجلد وغيرهما .

وقال في ذلك الغرض :

كَفَى حِكْمَةً لِّلّهِ أَنَّكَ صَائِرٌ      تُرَابًا كَمَا سَوَّاكَ قَبْلُ فَعَدْلُكَ  
وَلَيْسَ بِخَافٍ كَيْفَ كَوْنُكَ ثَانِيًا      وَهَذَا أَنْتَ رَأَيْتَ كَيْفَ كَوْنُكَ أَوَّلُكَ  
فَهَلْ أَنْتَ فِي دَارِ الْفَنَاءِ مُمَهَّدٌ      مَحَلُّكَ فِي دَارِ الْبَقَاءِ وَتَنْزِلُكَ



قال بن خفاجة يرثي جملة من الإخوان الأعيان . تلاحقوا في أقصر مدة من الزمان . ويندب ريعان الشباب . ومعه أولئك الأتراب الأحباب . ويمدح أبا العلاء ابن زهر . أعزه الله ! وكتب بها إليه . منتصف محرم سنة أربع عشرة وخمسمائة:

كفاني شكوى أن أرى المجد شاكيا      وحسب الرزايا أن تراني باكيا  
أداري فؤادا يصدع الصدور زفرة      ورجع رنين يجلب الدمع ساجيا (٧٥)  
وكيف أوارى من أوار وجذتنى      له صادرا عن منهل الماء صاديا (٧٦)  
وها أنا تلقاني الليالي بملئها      خطوبا وألقى بالعويل الليالي  
ويطوى على وخز الأشافي جوانحي      توالي رزايا لا ترى الدمع شافيا (٧٧)  
ضمان عليها أن ترى القلب خافقا      طوال الليالي أو ترى الطرف داميا  
وإن صفاء الوؤد والعهد بيننا      ليكرم عن أن أشرب الماء صافيا  
وكم قد لحتنى العاذلات جهالة      ويأبى المعنى أن يطيع اللواحيا (٧٨)  
فقلت لها إن البكاء لراحة      به يشتقى من ظن الأتلاقيا

(٧٥) يصدع : يشق - ساجيا : دائما .  
(٧٦) أوارى : أخفى - الأوار : شدة العطش - صاديا : عطشان .  
(٧٧) الأشافي : جمع الإشفى ، وهو أداة تستعمل في خصف النعال .  
(٧٨) لحتنى : لامتنى ، واللواحى : اللاثمون - المعنى : الذى يكلف ما يشق عليه .

أَلَا إِنَّ دَهْرًا قَدْ تَقَاضَى شَيْئَتِي  
وقد كنتُ أهدي المذح والدارُ غُربةً  
إِخواننا بِالْعُدْوَتَيْنِ صَمَمْتُمْ  
فَقِيذْتُ مِنْ شَجْوَى وَأَطْلَقْتُ عَبْرَتِي  
وَأَكْبَرْتُ خَطْبًا أَنْ أَرَى الصَّبْرَ بَائِنًا  
وَأَنْ عَطِلَ النَّادِي بِهِ مِنْ حِلَاكُمُ  
وَمَا كَانَ أَحْلَى مُقْتَضَى ذَلِكَ الْجَنَى  
وَأُنْدَى مُحْيَا ذَلِكَ الْعَصْرِ مَطْلَعًا  
زَمَانٌ تَوَلَّى بِالْمَحَاسِنِ عَاطِرٌ  
تَقْضَى وَأَبْقَى بَيْنَ جَنْبَى لَوْعَةً  
كَأَنِّي لَمْ أَنْسَ إِلَى اللَّهِ وَلَيْلَةً  
وَلَمْ أَتَلَقَّ الرِّيحَ تَنْدَى عَلَى الْحَشَا  
وَكَانَتْ تَحَايَانَا عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى  
فَهَلْ مِنْ لِقَاءٍ مُعْرِضٍ أَوْ تَحِيَّةٍ  
فَهَا أَنَا وَالْأَرْزَاءُ تَقَرُّعُ مَرْوَةٍ  
أَجِنُّ إِذَا مَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ حَنَّةً

وَصَحْبِي لَدَهْرٍ قَدْ تَقَاضَى الْمَرَاذِيَا (٧٩)  
فَكَيْفَ بِإِهْدَائِي إِلَيْهِ الْمَرَاثِيَا  
بِحُكْمِ الرَّدَى عَنْ أَنْ تُجَيِّسُوا مُنَادِيَا  
وَحَفَظْتُ مِنْ صَوْتِي هُنَاكَ شَاكِيَا  
وَرَاءَ ظِلَامِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ثَاوِيَا  
وَكَانَ عَلَى عَهْدِ التَّفَاوُضِ حَالِيَا (٨٠)  
وَأَحْسَنَ هَاتِيكَ الْمَرَامِي مَرَامِيَا  
وَأَكْرَمَ نَادِي ذَلِكَ الصَّخْبِ نَادِيَا  
تَكَادُ لِيَالِيَهُ تَسِيلُ غَوَالِيَا (٨١)  
أُنَاجِي لَهَا أُخْرَى اللَّيَالِي الْبَوَاكِيَا  
وَلَمْ أَتَصَفَّحْ صَفْحَةَ الدَّهْرِ رَاضِيَا  
سُلُوءًا وَلَمْ أَطْرَبْ إِلَى الطَّيْرِ شَادِيَا  
تَطِيبُ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي تَعَاظِيَا  
مَعَ الرُّكْبِ بَغْشَى أَوْ مَعَ الطَّيْفِ سَارِيَا  
بَصْدَرِي وَقَلْبًا يَتَن جَنْبَى حَانِيَا (٨٢)  
تُذِيبُ الْحَوَايَا أَوْ تَقْضُ التَّرَاقِيَا (٨٣)

(٧٩) المرازىء : جمع المرزنة وهي المصيبة .

(٨٠) عطل : بخلا من الزينة ، وامرأة عاطل أى خالية من الحلى .

(٨١) الغوالى : جمع الغالية ، وهي نوع من الطيب مركب من المسك والعنبر وغيرهما .

(٨٢) الأرزاء : جمع الرزء ، وهي المصيبة - المروءة : واجدة المروء ، وهو ضرب من الحجارة تقدح منها النار .

(٨٣) عسعس بمعنى أقبل أو أدبر ، فهو من الأضداد - الحوايا : الأمعاء - التراقى : العظام المشرفة بين ثغرة

النحر والعاتق .



وَأَرْخَصُ أَغْلَاقَ الدُّمُوعِ صَبَابَةً  
فَمَا بِنْتُ أَيْكَ بِالْعَرَاءِ مُرْنَةً  
وَتَشْدُبُ عَهْدًا قَدْ تَقْضَى بِرَامَةٍ  
بِأَخْفَقِ أَخْشَاءٍ وَأَنْبَى حَشِيَّةٍ  
فَمِنْ قَائِلٍ عَنِّي لَوَادٍ بِذِي الْغَضَى  
وَعَلَّلَ بِرِيَّا الرُّنْدِ نَفْسًا عَلِيلَةً  
فَكَمْ شَاقَنِي مِنْ مَنْظَرٍ رَاتِقٍ  
وَضَاحَكَنِي مِنْ أَفْحُوانٍ وَمَبْسَمٍ  
وَدُونِ حِلْيِ تِلْكَ الشَّيْبَةِ شَيْبَةٍ  
وَإِنَّ أَجَدَّ الْوَجْدِ بِأَشْمَطِ  
وَتَهْفُو صَبَا نَجْدٍ بِهِ طِيبَ نَفْحَةٍ  
فَقُلْ لِلْيَالِي الْخَيْفُ : هَلْ مِنْ مُعْرَجٍ  
وَرَدَّدَ بِهَاتِيكَ الْأَبَاطِحَ وَالرُّبَى  
فَمَا أُسْتَسِغُ الْمَاءَ بَعْدُ ظَامئًا  
وَلَوْ لَا أَمَانٌ عَلَّلَنِي عَلَى النَّوَى

وَعَهْدِي بِأَغْلَاقِ الدُّمُوعِ غَوَالِيَا (٨٤)  
تُنَادِي هَدِيلاً قَدْ أَضَلَّتْهُ نَائِيَا (٨٥)  
وَوَكَّرًا بِأَكْنَافِ الْمَشَقَّرِ خَالِيَا  
وَأَضْرَمَ أَنْفَاسًا وَأَنْدَى مَآيَا (٨٦)  
تَأَرْجُ مَعَ الْإِمْسَاءِ حُيَّتٍ وَادِيَا (٨٧)  
مَعَ الصُّبْحِ يَنْدَى أَوْ مَعَ اللَّيْلِ هَادِيَا (٨٨)  
هَزَزْتُ لَهُ مِنْ مِغْطَفِ الشُّكْرِ صَاحِيَا  
فَلَمْ أَدْرِ أَيُّ كَانَ ثُمَّ الْأَقَاحِيَا  
حَلَيْتُ بِهَا رَغْمًا وَلَمْ أَكُ حَالِيَا (٨٩)  
تَلَدَّدَ يَسْتَقَرِّي الرُّسُومَ الْبَوَالِيَا (٩٠)  
فَيَلْقَى صَبَا نَجْدٍ بِمَا كَانَ لَا قِيَا  
عَلَيْنَا وَلَوْ طَيْفًا سُقِيَتْ لِيَالِيَا (٩١)  
نَحِيَّةً نَاءٍ لَيْسَ يَرْجُو التَّلَاقِيَا  
وَلَا أُسْتَطِيبُ الظِّلَّ يِرْدُ ضَاحِيَا  
بَلُغِيَا ابْنِ زُهَيْرٍ مَا عَرَفْتُ الْأَمَانِيَا

(٨٤) أغلاق : نفائس .

(٨٥) الأيك : الشجر الكثير الملتف - مرنة : صائحة - الهديل : ذكر الحمام .

(٨٦) أنبى : من نبا الشيء أى لم يستوفى مكانه .

(٨٧) الغضا : شجر من الأثل ، خشبه من أصلب الخشل - تأرج الطيب : فاح .

(٨٨) الرند : شجر طيب الرائحة .

(٨٩) الشيبية : الشباب ، والشيبة : ابياض الشعر .

(٩٠) الأشمط : الذى اختلط سواد شعره بياض - تلدد : تحير .

(٩١) الخيف : ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء .



أخوالمجد لم يعدل عن النَّجْدِ نازِلاً  
تَلُودُ بِرُكْنِي حَالِقٍ مِنْهُ شَاهِقٍ  
تُسَاجِلُ طَوْرًا كَفُّهُ الْغَيْثُ غَادِيَا  
وَبِنَايَ الْعُلَا مِنْهُ بِأَيُّضٍ مَاجِدٍ  
وَيَحْطُمُهُ مَا بَيْنَ دِرْعٍ وَقَوْنَسٍ  
شَرِيفٌ لِأَبَاءٍ نَمَّتْهُ شَرِيفَةٌ  
تُسَابِقُ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ سَمَاحَةً  
إِذَا نَحْنُ أَثْنَيْنَا عَلَيْهَا وَجَدْتَنَا  
كَفَى قَوْمُهُ عُلْيَاءَ أَنْ كَانَ غَايَةً  
تَبَوَّأَ مَنْ رَسَمَ الْوِزَارَةَ رُبَّةً  
وَأَخْرَزَ فِي فِي أُخْرَى اللَّيَالِي فَضَائِلًا  
مَكَارِمُ يُسْتَضْحَى بِهَا مِنْ مُلْمَةٍ  
لَقِيَتْ بِهِ وَالْبَلُّ رَائِشُ نَبْلِهِ  
وَأَرُوغٌ يُنْدَى لِلطَّلَاقَةِ صَفْحَةً  
فِي جَمْعٍ بَيْنَ الْمَاءِ أَيْيُضٍ سَلْسَلَا  
أَحْنُ إِلَيْهِ حَنَّةَ النِّيبِ هُجَّرَتْ

بِأَرْضٍ وَلَمْ يَشْمَخْ مَعَ الْوَجْدِ نَازِيَا  
فَتَغَشَى كَرِيمًا حَامِلًا عَنْكَ حَامِيَا  
وَيَحْمِلُ طَوْرًا دَرْعُهُ اللَّيْثُ غَادِيَا  
يُجَرِّدُ دُونَ الْمَجْدِ أَيْيُضٍ مَاضِيَا (٩٢)  
وَإِنْ كَانَ عَضْبُ الشَّفَرَتَيْنِ يَمَانِيَا  
تَطُولُ الْعَوَالِي بِسَطَّةً وَالْمَعَالِيَا  
وَتَحْمِلُ أَوْضَاحَ الصَّبَاحِ مَسَاعِيَا  
نُحَلِّي صُدُورًا لِلْعُلَا وَهَوَادِيَا  
لَهُمْ وَكَفَّاهُ أَنْ يَكُونُوا مَبَادِيَا (٩٣)  
تَمَنَّى مَرَاqِيهَا النُّجُومُ مَرَاqِيَا  
تُعَدُّ عَلَى حُكْمِ الْمَعَالِي أَوَالِيَا  
تُثَوِّبُ وَيُسْتَشْقَى الْغَمَامُ غَوَادِيَا  
أَخَافَهُمْ لَا يُخْطِئُ الرَّأْيُ رَامِيَا  
وَيَقْدَحُ زَنْدًا لِلنِّبَاهَةِ وَارِيَا (٩٤)  
يَسُخُّ وَيَبْسُ الْجَمْرُ أَحْمَرَ حَامِيَا  
وَقَدْ ذَكَرَتْ مَاءَ الْعِضَاهِ صَوَادِيَا (٩٥)

(٩٢) الحالق : المرتفع المنيف - الشاهق : عظيم الارتفاع - تساجل : تبارى وتفاخر - أبيض ماحد أي شريف نقي العرض ، أما الأبيض الماضي فهو السيف .

(٩٣) القونس : أعلى الخوذة من الحديد - عضب : حاد - العوالي من كل شيء أرفعها - الأوضاح : جمع الوضع ، وهو البياض أو الضوء - الهوادي : الأعناق أو المتقدّمات من كل شيء - غاية : نهاية وآخر - المبادي : جمع المبدأ وهو بمعنى الأول .

(٩٤) أروع : ذكى الفؤاد معجب بحسنه وشجاعته .

(٩٥) النيب : النوق المستنة - العضاه : شجر له شوك .

فِيَا أَيُّهَا النَّأْيُ مَعَ النَّجْمِ هِمَّةٌ  
يَرَى فَرَقْدُ اللَّيْلِ الشُّهَى مِنْهُ ثَالِثًا  
حَنَائِكَ فِي نَاءٍ شَكَا مَسَّ لَوْعَةٍ  
وَحْيَى بِهَا أَذْكَى مِنَ الرَّوْضِ نَفْحَةٍ  
وَقَدْ نَدَيْتَ حَتَّى لَمْ أَذِرْ أَرْقَعَةً  
وَإِنَّكَ لِلْعَذْبِ الْفُرَاتِ عَلَى الصَّدى  
شَقِيقُ النَّدى وَابْنُ النَّهْيِ وَأَبُو الْعَمَلَا

وَمَرَقَى خِلَالٍ فِي الْإِمَارَةِ سَامِيَا  
وَيَرْغَى بِهِ بَذْرُ الدُّجْنَةِ ثَانِيَا (٩٦)  
فِيْفَرْمِنْ شَوْقٍ إِلَيْكَ الْقَوَافِيَا  
وَأَرْهَفَ مِنْ لَذَنِ النَّسِيمِ حَوَاشِيَا  
أَنْتَقُ أَمْ دَمْعاً أَرْقِرُقُ جَارِيَا  
وَإِنْ بِنْتَ وَالْبَرُّ الْكَرِيمُ أَيْادِيَا  
وَحَسْبُكَ يَتْنَا فِي الْمَكَارِمِ عَالِيَا

\* \* \*

وقال يرثى والده الفقيه الأجل ، قاضي القضاة ، أبي أمية :

فِي مِثْلِهِ مِنْ طَارِقِ الْأَزْزَاءِ  
مِنْ كُلِّ قَائِلٍ نَسِيلٌ كَأَنَّهَا  
تَحْمَى فَتَفَرِّقُ مُقْلَةً فِي جَا حِمِ  
مَحَتِ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ وَرُبَّمَا  
لَأَنْسُورُ الْأَخْشَاءِ إِلَّا غُلَّةٌ  
أَهْوَلَ بِهِ مِنْ يَوْمِ رُزْءٍ فَادِحِ  
مُتَلَا طِمِ الْأَخْشَاءِ تَحْسَبُ أَنَّهُ  
جَمَعَ الْجِدَادَ إِلَى الْعَوِيلِ فَمَا تَرَى

جَادَ الْجَمَادُ بِعَبْرَةٍ حَمْرَاءِ  
شُهْبٌ تَصُوبُ مِنْ فُرُوجِ سَمَاءِ  
مِنْهَا وَتُخْرِقُ وَجَنَةً فِي مَاءِ (٩٧)  
غَسَلَتْ سَوَادَ الْمُقْلَةِ الْكَخْلَاءِ  
وَالْمَاءُ يَنْقَعُ غُلَّةَ الْأَخْشَاءِ (٩٨)  
سَحَبَ الصَّبَاحُ لَهُ دُيُولَ مَسَاءِ  
بَخَرُ طَمَى مُتَلَا طِمِ الْأَرْجَاءِ  
فِي الْقَوْمِ غَيْرَ حَمَامَةٍ وَرَقَاءِ

(٩٦) السهمى : كوكب صغير خفى الضوء - الدجنة : الظلمة .

(٩٧) قانئة : شديدة الحمرة - تصويب : انحدر - فروج : نواحي - مقلة : عين - جاحم : جمر شديد الاشتعال .

(٩٨) ينقع غلته : يروى عطشه

مِنْ مَاسِحٍ عَنْ وَجَنَةِ مَمْطُورَةٍ  
وَكَأَنَّمَا يَسْقَى بِمَا يَتَكِي تُسْرَى  
وَلَيْسَ جَزَعَتْ لِيَوْمٍ أَمِ بَرَّةٍ  
تَصِلُ الدُّعَاءُ إِلَى الْبُكَاءِ كَأَنَّمَا  
فَلِمَثْلِهِ مِنْ يَوْمٍ حَطَبٍ نَازِلٍ  
فَاسْمَحْ بِأَغْلَاقِ الدُّمُوعِ فَإِنَّمَا  
وَاهْتَفَ بِمَا تَشْكُو إِلَيْهَا لَوْعَةً  
وَاقْرَعْ لَهَا بَابَ السَّمَاءِ بِدَعْوَةٍ  
حَتَّى تَجُودَ بِكُلِّ عَارِضٍ رَحْمَةٍ  
زَجَلِ الرُّعُودِ كَأَنَّمَا مَسَجَلَتْ بِهِ  
فِيمَثْلِهَا مِنْ تُزْبَةِ قَدْ لُدَّسَتْ  
وَسَرَى يُمَرِّغُ خَدَّهُ قَمَلِ الدُّجَى  
وَلَيْسَ صَبَرَتْ وَصَبْرُ مِثْلِكَ حِسْبَةٌ  
مِنْ كُلِّ مَاضِي الْعَزْمِ لِهَوَى بِالْأَسَى  
كَشَقَتْ لَهُ الْأَيَّامُ عَنْ أَشْرَارِهَا  
لَمْ يَثْنِ فِي السَّرَّاءِ مِنْ تَيْهِ بِهَا

أُورَافِعٍ مِنْ زَفَرَةٍ صُعَدَاءِ (٩٩)  
مَا قَدْ ذَوَى مِنْ دَوْحَةِ الْعَلْيَاءِ  
نَشَأَتْ تَطُولُ أَكْبَارِ الْآبَاءِ  
تَرْمِي السَّمَاءَ بِمُقْلَةٍ مَرَهَاءِ (١٠٠)  
جَنَّتْ دُمُوعُ أَفَاضِلِ الْإِنْسَاءِ  
تُقْنَى دُمُوعُ الْعَيْنِ لِلْبُرَحَاءِ (١٠١)  
إِنْ كَانَ يُضْغِي هَالِكٌ لِنَدَاءِ  
تَسْتَمِطِرُ الْخَضِرَاءُ لِلْغُبَرَاءِ (١٠٢)  
يَسْتَضْحِكُ الْأَنْوَارُ لِلْأَنْوَاءِ  
كَفُ الصَّبَا عَنْ نَاقَةِ عُشْرَاءِ (١٠٣)  
تَنَرَّ النَّسِيمُ فَلَائِدَ الْأَنْدَاءِ  
وَيُذِيلُ فَضْلَ لَهْفِيرَةِ الْجَوَزَاءِ  
فَلَقَدْ أَخَذَتْ بِثِيَمَةِ النَّبْلَاءِ  
عَنْ هَضْبَةٍ مِنْ صَبْرِهِ خَلْقَاءِ (١٠٤)  
فَرَأَى جَلِيَّ عَوَاقِبِ الْأَشْيَاءِ  
أَعْطَافًا فَيَخُورُ فِي الضَّرَاءِ

(٩٩) الوجنة : ما ارتفع من الخدين - زفرة صعداء : نفس ممدود أو مع تَجْع .

(١٠٠) مرهء : خالية من الكحل أو أصابها المره ، وهو مرض في العين قرح منه - جَعَت : كثرت .

(١٠١) البرجاء : الشدة ، ومنه برجاء الحمى .

(١٠٢) الخضرء : السماء - الغبراء : الأرض .

(١٠٣) زَجَل : له صوت - العشرء من النوق : ما مضى على حملها عشرة أشهر .

(١٠٤) هضبة خلقاء : لانيات فيها .

مَا ارْتَابَ أَنَّ سُورَةَ لِكَابَةِ  
فَكَأَنَّهُ وَالْعِيسُ تَبْسُطُ خَطْوَهُ  
فَلَرُبَّ رُكْبٍ لِلرَّدَى تَحْتَ الشَّرَى  
مُتَوَسِّدِينَ بِهَا التُّرَابَ كَأَنَّهُمْ  
صَرَغَى فَلَا قَلْبٌ لِغَيْرِ صَبَابَةِ  
مَا شِثَّ مِنْ قُرْتَاءٍ خَيْرٍ أَغْصَفَتْ  
مُلِثَتْ بِهِمْ عَيْنِي دُمُوعًا كُلَّمَا  
وَكَفَى أَسَى وَصَبَابَةً أَنْ أَنْزِلُوا  
بَدَا بِمَشْرِى كُلِّ رِيحٍ عَاصِفٍ  
أَلْوَى بِهِمْ وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَضْرَعٌ  
وَطَوَى الْقُرُونِ بِحَيْثُ صَمَّتْ عَنْهُمْ  
وَسَطًا بِسَيِّدَةِ النِّسَاءِ وَمَا دَرَى  
بِنَجِيَّةٍ جَاءَتْ بِأَوْحَدٍ أَمَجَدٍ  
مُتَقَلِّبٌ فِي اللَّهِ يَبْنِ بِشَاشَةِ  
لَذَنُ فِي كَمَطُلُولِ النَّسِيمِ وَتَارَةٍ  
فِي مَقْعَدٍ وَسِعَ الْأَنَامَ عَدَالَةً  
يَسْتَنْزِلُ الْأَزْوَى هُنَاكَ سَكِينَةً

يَوْمًا وَأَنَّ بَقَاءَهُ لِفَنَاءِ  
قَذَبَاتٍ مُرْتَجِلًا عَنِ الْأَخْيَاءِ (١٠٥)  
ضَرَبُوا قِيَابَهُمْ بِهَا لِثَوَاءِ  
لَمْ يَرْتَعُوا فِي زَهْرَةِ النِّعْمَاءِ  
يُذَكِّي وَلَا عَيْنٌ لِغَيْرِ بُكَاءِ  
رِيحُ الرَّدَى بِهِمْ وَمِنْ قُرْبَاءِ  
مُلِثَتْ عُيُونُهُمْ مِنَ الْإِغْضَاءِ  
وَهُمْ الْأَقَارِبُ مَنْزِلَ الْبُعْدَاءِ  
وَمَصَابِ كُلِّ غَمَامَةٍ هَطْلَاءِ  
دَاءٌ عِيَاءٌ عَزَزُ كُلِّ دَاوَاءِ  
أُذُنُ الْمُصْبِيحِ وَكُلُّ طَرْفِ الرَّائِي (١٠٦)  
أَنْ قَدْ سَطَا بِقَلِيلَةِ النَّظَرَاءِ  
قَذَفَاتٍ طَوَلَا أَيْدِيَ النُّجَبَاءِ (١٠٧)  
يُنْدَى الْهَشِيمُ بِهَا وَيَبْنِ مَضَاءِ  
خَشِنٌ كَصَدْرِ الصَّغْدَةِ السَّمَرَاءِ (١٠٨)  
وَسَمَا فَرَاخَمَ مَنَكِبَ الْخَضْرَاءِ  
وَيَرُوعُ قَلْبُ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ

(١٠٥) العيس : الإبل البيض الكريمة يخالط بياضها شقرة .

(١٠٦) داء عياء : شديد لاطب له ولا يبرء منه - كل : ضعف - الرائي : الناظر .

(١٠٧) الطول : الغنى والفضل .

(١٠٨) المطول : الذى أصابه الطل وهو المطر الخفيف يكون له أثر قليل .



عَدْلٌ يَظَلُّ بِظِلِّهِ ذَنْبُ الْغَضَى  
وَكَفَاهُمَا أَنْ يَخْلُوا بِأَرَاكَةِ  
وَالْيَكِ مِنْ حُرِّ الْكَلَامِ عَقِيلَةً  
نَشَأَتْ وَشُقُرُ دَارِهَا وَكَأَنَّمَا  
زُقْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَوْضِعِ حُسْنِهَا  
جَارًا هُنَاكَ لِظَبْيَةِ الْوَعَسَاءِ (١٠٩)  
عِنْدَ الْمَقِيلِ وَيَشْرَبَا مِنْ مَاءِ (١١٠)  
قَصَرَتْ خُطَاهَا خَجَلَةُ الْعَذْرَاءِ  
وَرَدْتُكَ زَائِرَةً مِمَّنَ الزُّورَاءِ  
فَأَتَتْكَ تَمْشِي مِشْيَةَ الْخِيَلَاءِ

\* \* \*

وقال يتحدث عن آلام الاغتراب وشدة تعلقه بالوطن :

بَيْنَ شُقُرٍ وَمُلْتَقَى نَهْرَيْنِهَا  
وَيُعْنَى الْمُكَّاءُ فِي شَاطِئِهَا  
عَيْشَةٌ أَقْبَلَتْ يُشْهَى جَنَاهَا  
لَعِبَتْ بِالْعُقُولِ إِلَّا قَلِيلًا  
فَاتَّشَيْنَا مَعَ الْغُصُونِ غُصُونًا  
ثُمَّ وَلَتْ كَأَنَّهَا لَمْ تَكْذَنْ لَ  
فَانْدُبَ الْمَرْجَ فَالْكَنِيسَةَ فَالشُّطَّ  
حَيْثُ أَلْقَتْ بِنَا الْأَمَانِي عَصَاهَا  
يَسْتَخِفُّ النَّهْيُ فَحَلَّتْ حُبَاهَا (١١١)  
وَارِفٌ ظِلُّهَا الَّذِي ذُكِّرَ أَرَاهَا  
بَيْنَ تَأْوِيلِهَا وَبَيْنَ سُورَاهَا (١١٢)  
مَرَحًا فِي بَطَاحِهَا وَرُبَاهَا  
بَتْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا  
وَقُلْ آهٍ يَا مُعِيدَ هَوَاهَا ! (١١٣)

(١٠٩) الأورى : إناث الوعول - ذنب الغضا : أخبث الذئاب ، والغضا هو شجر الأثل أو الشجر الملتف عامة -  
الوعساء : السهل اللين من الرمل .

(١١٠) الأراكاة : شجرة السواك - المقييل : نومة نصف النهار أو الاستراحة فيه وإن لم يكن نوم .

(١١١) شقير : بلدة شرقى الأندلس - المحكاء : طائر صغير مغرد - النهي : العقول - الحبي : جمع الحبة وهي  
الجمع فى الجلوس بين الظهر والساقين بعمامة ونحوها أو ضم الفخذين والساقين إلى البطن بالذراعين - وحل  
الحبي كناية عن الاستقرار والاسترخاء والانطلاق .

(١١٢) يشهى : يستلذ - الجنى : كل ما يجنى من الشجر - وارف : ممتد - كراها : نومها - تأويلها : سيرها  
بالنهار - سراها : سيرها بالليل .

(١١٣) البطاح : السهول الواسعة - الربا : المرتفعات من الأرض - اندب : ابك وعدد المحاسن .



آه من غربة تُرْفِرُقُ بئُسا  
 آه من فُرْقَةٍ لغير تلاقٍ  
 لستُ أذرى ومدمعُ المزنِ رطب  
 فتعالى يا عَيْنُ نَبْكِ عليها  
 وشبابٍ قد فات إل تناسيه ،  
 ما لعَيْنى تبكى عليها ، وقلبي  
 آه من رحلة تطولُ نَواها !  
 آه من دارٍ لا يُجيبُ صَداها ! (١١٤)  
 أبكاها صبايةً أم سقاها ؟ !  
 من حياةٍ إن كان يُغنى بكاها  
 ونفْسٍ لم يَنقُ إلا شجاها  
 يَتَمَنَّى سَوادُه لوفداها ؟ ! (١١٥)




---

(١١٤) تفرق : تصبّ وتحرك - البتّ : أشدّ الحزن - نواها : بعدها - الصدى : رجع الصوت .  
 (١١٥) الصباية : الشوق أو الهوى - الشجا : الهم والحزن - سواد القلب : حبه .



## يحيى بن بقى

( ت . نحو ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م )

هو أبوبكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن القرطبي القيسى المشهور باسم بن بقى نسبة إلى جدّ أبيه ، وهو وشاح بارع فى عصر المرابطين ، اختلفت المصادر فى ذكر البلد الذى ينتسب إليه ، فمنها ما ينسبه إلى قرطبة ، ومنها ما يذكر أنه من طليطلة أو سرقوسة أو وادى آش ، وقد حفظ هذه المصادر قدرا من شعره وأشار بعضها إلى أن معظمه من التوشيح ، وأن « له ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة ، ومثلها قصائد ومقطعات منقحة » ، وأغلب الظن أن هذا العدد من المبالغة ما فيه .

ويظهر من أخباره أنه عانى الحرمان والإقلال فترات طويلة من حياته ، فكثرت رحاله فى البلدان إلى أن وصل إبي سلا بالقرب من مدينة الرباط الحالية بالمغرب فغمره بنو عَشْرة قضاة سلا بجودهم وخاصة يحيى بن على بن القاسم وأخاه أحمد القاضى ، فمكث فى رحابهما طويلا ينشئ الأشعار والموشحات .

وقد وصفه بعض من ترجموا له بأنه « رافع راية القريض ، وصاحب آية التصريح فيه والعريض ، أقام شرائعه ، وأظهر روائعه ، وصار عصيّه طائعه ، إذا نَظَمَ أَرزَى بنَظْمِ العقود ، وأتى بأحسن من رَقْمِ البرود . ضفا عليه حرمانه ، وما صفا له زمانه ، فصار قعيد صَهوات ، وقاطع فلوات ، مع توهُم لا يُظفره بأمان ، وتقلّب دهر كواهى الجُمان » .

\*\*\*

قال ابن بقی یلوم أهل المغرب ، بعد أن ضاق بهم وذمّ مقامه عندهم :

أَقَمْتُ فَيْكُمْ عَلَى الْإِقْتَارِ وَالْعَدَمِ	لو كنت حُرّاً أبى النفس لم أقم
وظَلَلْتُ أُبَلَى لَكُمْ عَذْرًا لَعَلَّكُمْ	تستيقظون وقد نمتم عن الكرم <sup>(١)</sup>
فَلَا حَدِيقَتُكُمْ يُجْنَى بِهَا ثَمَرٌ	وَلَا سَمَاؤُكُمْ تَهْلُ بِالدَّيَمِ
لَا رِزْقٌ عِنْدَكُمْ لَكِنْ سَأَطْلُبُهُ	فِي الْأَرْضِ إِنْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ بِالْقِسَمِ
أَنَا امْرُؤٌ إِنْ نَبَتْ لِي أَرْضٌ أَنْدَلِسَ	جئت العراق فقامت لي على قدم
أَيُّنَ الرَّجَا وَالْعُلَا مِنْ حَازِمٍ يَقِظُ	يغزو أعادته في الأشهر الحرم
إِنْ كَانَ سَهْمًا فَلَا تُنْمَى رَمِيَّتُهُ	أو كان سيفًا فمسلولٌ على البهم
مَا الْعَيْشُ بِالْعِلْمِ إِلَّا حِيلَةٌ ضَعُفَتْ	وحِرْفَةٌ وَكَلْتُ بِالْقُعُودِ الْبَرَمِ <sup>(٢)</sup>
لَا يَكْسِرُ اللَّهُ مَتْنِ الرَّمْحِ إِنْ بِهِ	نِيلَ الْعُلَا وَأَتَاخَ الْكُسْرَ لِلْقَلَمِ
وَلَا أَرَا قِ دَمًا مِنْ بَاسِلٍ بَطَلٍ	ومان كلُّ أديب غبطة بدم
أَوْغَلْتُ فِي الْمَغْرَبِ الْأَقْصَى وَأَعْجَزَنِي	نِيلَ الرِّغَائِبِ حَتَّى أُبَيِّتُ بِالْندَمِ

\* \* \*

ومنها :

وساقط نال من عرضي فقلت له :	« إِلَيْكَ عَنِّي فَلَيْسَ السَّبُّ مِنْ شِمَى »
أعرضت عنه ولو أنى عرضت له	سقيته حُمَةً الْأَفْعَى مِنَ الْكَلِمِ <sup>(٣)</sup>

---

(١) الإقتار: ضيق العيش - أبلى: اختبر، أي أستعرض أعدارا لعلى أجد فيها عذرا لكم في غفلتكم عن حال إقتاري أيام إقامتي عندكم وانتظر زوال الغفلة عنكم، فشبه غفلتهم عنه بالنوم، وشبه زوال الغفلة باليقظة .  
(٢) لا تُنْمَى: لا يفوته أخذها، يقال: أنمى الصيد إذا رماه فأصابه وبقي فيه رمق فذهب عنه فمات - البهم: جمع بهمة، وهو الشجاع - العقد: الجبان أو الخامل الذي يقعد عن المكارم .  
(٣) الحُمّة: السم .



وقال :

إلى الله أشكوها نوى أجنبيّة  
إذا جاش صدر الأرض بى كنت مُنجداً  
أكل بنى الآدابِ مثلى ضائع  
سَبَّكى قوافى الشعرِ ملى جُفونها  
لها من أبيها الدهرِ شيمه ظالم  
وإن لم يجش بى كنت بين التّهائم<sup>(٤)</sup>  
فأجعل ظلمى أسوة فى المظالم  
على عربى ضاع بين أعاجم<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

وقال يستنجد الوزير أبا محمد بن مسعدة :

قل للوزير أبا محمد الرضى  
رعدت سماؤك ساحتى بسحابها  
وإذا مطلت مَضَتْ بشاشة منطقى  
وفعّاله وقف على العلياء  
وأنا أشم بوارق الأنواء  
وذوى قضيب الروضة الغناء

\* \* \*

وقال يفتخر :

ولى همم ستقذف بى بلاداً  
والحق بالأعاريب اعتلاء  
لكيما تحمل الرُكبانِ شعري  
وكيما تعلم الفصحاء أنى  
وقد أطلعتهنّ بكل أرض  
فلم أعدم وإياها حسوداً  
نأت إمّا العراق وإمّا الشاماً  
بهم وأجيد مدحهم اهتماماً  
بوادى الطلح أو وادى الخزامى  
خطيبٌ علّم السجع الحمّاماً  
بُدوراً لا يفارقن التّمّاماً  
كما لا تغدّم الحسناء ذاماً

\* \* \*

(٤) التّهائم : جمع تهامة ، وهى الأرض المنخفضة .

(٥) يشير الشاعر إلى حلوله بين البربر فى بلاد المغرب الأقصى ، وذلك فى « سلا » عند أميرها يحيى بن على ابن القاسم بن عشرة .

موشحة لابن بقي :

عَيْتَ الشَّوْقُ بِقَلْبِي فَاشْتَكَيْ      أَلَمَ الْوَجْدِ فَلَبَّتْ أَدْمَعِي

\*\*\*

أَيُّهَا النَّاسُ فَوَادِي شَغِفُ

وَهُوَ مَنِّغِي الْهَوَى لَا يُنْصَفُ

كَمْ أَدَارِيهِ وَدَمْعِي يَكْفُ

أَيُّهَا الشَّادِنُ مَنْ عَلَمَكَا      بِسَهَامِ اللَّحِظِ قَتَلَ السَّبْعِ

\*\*\*

بَدَرْتُمْ تَحْتَ لَيْلٍ أَغْطِشِ

طَالَعُ فِي غَصْنِ بَانَ مُتَشِّشِ

أَهَيْفُ الْقَدِّ بِخَدِّ أَرْقَشِ

سَاحِرُ الطَّرْفِ وَكَمْ ذَا فَتَكَا      بِقُلُوبِ الْأَشَدِّ بَيْنَ الْأَضْلَعِ (٦)

\*\*\*

أَيُّ رَيْمٍ رُمْتُهِ فَاجْتَنِبَا

وَانْتَنَى يَهْتَزُّ مِنْ سُكْرِ الصَّبَا

كَقَضِيْبٍ هَزَّهُ رِيحُ الصَّبَا

قَلْتُ : هَبْ لِي يَا حَبِيْبِي وَصَلَكَا      وَاطَّرِخْ أَسْبَابَ هِجْرِي وَدَعِ

\*\*\*

---

(٦) أغطش : مظلم - أرقش بمعنى مَرْزُوقٌ مُزَيْنٌ .

قال : خَذِي زَهْرَهُ مُذْفَوْفَا  
جَرَدَتْ عَيْنَايَ سَيْقًا مُرْهَفَا  
خَذَرًا مِنْهُ بَأْن لَا يُقْطَفَا  
إِنَّ مَن رَامَ جَنَاهَ هَلَكَا      فَأَزَلْ عَنْكَ عِلَالُ الطَّمْعِ (٧)

\* \* \*

ذَابَ قَلْبِي فِي هَوَى ظَبِي غَرِيرِ  
وَجْهُهُ فِي الدَّخْنِ صَبْحٌ مُسْتِيرِ  
وَفَوَادِي بَيْنَ كَفَيْهِ أَسِيرِ

لَمْ أَجِدْ لِلصَّبْرِ عَنْهُ مَسْلَكَا      فانتصاري بانسكابِ الأذْمَعِ

\* \* \*

وله أيضا هذه الموشحة :

أَدْرَلْنَا أَكْوَابَ يُنْسَى بِهَا الْوَجْدُ      واستصحب الجُلاس كما اقتضى العهدُ

\* \* \*

دِنْ بِالْهَوَى شَرَعَا مَا عَشَتْ يَا صَاحِ  
وَنَزَّهُ السَّمْعَا عَنْ مَنْطَقِ الْإِلَاحِي  
وَالْحُكْمُ أَنْ يُذْعَى إِلَيْكَ بِالرَّاحِ  
أَنَامِلُ الْعُنَابِ وَنَقْلُكَ الْوَرْدُ      حَفَا بِصَدْغِي آسَ يَلْوِيهِمَا الْخَدُ

\* \* \*

---

(٧) علال الطمع : استدراه باستمرار من عالل الناقة : حلبها صباحا ومساء وظهرا .

لله أيام دارت بها الخمرُ  
والروض بسامٍ باكره القطرُ  
وَصَلُّ وأنغامٍ وأوجه زهر

فنحنُ بالأصحاب قد ضمنا عقدُ      وأفرط الإيناس مماله حَدُّ

\* \* \*

بيننا أنا شاربٌ للقهوة الصِرْفِ  
وبيننا تائبٌ لكن على حَرْفِ (٨)  
إذ قال لى صاحبٌ من جملة الظُرْفِ

أميرُنا قد نابَ غنٌّ له واشدُّ      واعرض عليه الكاس عساه يرتدُّ

\* \* \*

وله أيضا :

يا وَيْحَ صبِّ إلى البرقِ \* له نَظَرُ \* وفى البكاء مع الوُزْقِ \* له وَطَرُ (٩)

من أجلٍ بعدي عن	صحبى بكيث دَمَا
كم لى هناك من	سِرْبٍ ووصل دَمَى
وعسكر الليل فى	الغرب قد انهزما

---

(٨) تائب على حرف : أى على وجه واحد ، كأنه يتوب عن معصية ولا يتوب عن أخرى .  
(٩) الورق : القمارى ، فى لونها يياض وسواد ، واحدها : ورقاء .

والصبحُ قد فاض في الشرقِ \* له نَهْرُ \* وسالَ من أنجم الأفقِ \* دمٌ كَثير

شوقى أحبَّ بتردادى وإن كُنْـسَـرًا

إن المعظم فى النادى نوى سَفَرا

أقولُ لما حَدا الحادى به سَحَرا

أمسك فؤادى بالرفقِ \* إذا ابتكروا \* إنى أراه من الخفقِ \* سينفطر

بأرض غرناطية بدرُ قد اكتملا

يُطبعه النَّظْمُ والثر إذا ارتجلا

وبعضُ حليته الفخرُ وأى حُلَى

كم رامهن من الخلقِ \* فما قدروا \* هذى حُجُول من السبقِ \* وذوى غُرَر

تُزوى ذوى الخمس من خمس أنامله (١٠)

وتُخجلُ الشمس من شمس فضائله

يا أحسن الإنس فى الإنس لآمله

بالبشر من وجهك الطَّلَق \* دَرى البشرِ \* أنْ بنائك بالرزقِ \* سينهمر

لما ولعت بذكراه وبِـرَّح بـى

كتبت ما السوق أملاه على كـبى

وصحْتُ واحرَّ قلباه من الوَصَب (١١)

بالبين يا عابد الحقِّ \* جرى القدرُ \* فالشوقُ عندى لا يُقى \* ولا يسدُّ

\* \* \*

(١٠) ذوى الخمس : الظماء ، وأصل الخمس ألا تشرب الإبل لمدة خمسة أيام ، وتُسقى فى السادس .

(١١) الوصب : المرض .



وله أيضاً :

مالى شمول \* إلاشجون \* مزاجها فى الكاس \* دمع هتون

لله ما بذر من الدموع

صب قد استعبر من الولوع

أودى به جودر يوم البقيع (١٢)

فهو قتل \* لابل طعين \* بين الرجا والياس \* له منون

جرخت للحين كفى بكفى

وحيل ما بينى وبين ألفى

لا شك بالين يكون حنقى

حان الرحيل \* ولى ديون \* إن ردها العباس \* فهو الأمين

أما ترى البذرا بدر السعود

قد اكتسى خضرا من البرود

إذا انتشى نضرا بين القودوم

أضحى بقول \* مث يا حزين \* قد اكتسى بالأس \* الياسمين

قلت وقد شرد النوم عنى

وأياس العود الشقم منى

صد فلما صد قرغت سنى

(١٢) استعبر: بكى - الولوع: الحب - أودى به: قتله - الجودر: ولد المهابة.

جَسَمِي نَجِيلٌ \* لَا يَسْتَبِينُ \* تَطْلُبُهُ الْجُلَّاسُ \* حَيْثُ الْأَنِينُ

تَجَاوَزَ الْحَدَّ      قَلْبِي اِشْتِيَاقًا

وَكَلَّفَ السُّهْدَا      مَنْ لَوْ اَطَاقَا

قَلْتُ وَقَدْ مَدًّا      لَيْلِي رِوَاقَا

لَيْلٌ طَبْوِيلٌ \* وَلَا مُعِينٌ \* يَا قَلْبَ بَعْضِ النَّاسِ \* أَمَا تَلِينُ ؟

\* \* \*

وَلَهُ أَيْضًا :

سَاعِدُونَا مَصْبِحِينَ \* نَرْتَشِفْهَا قَدْ ظَمِينَا \* كُنْضَارٍ فِي لُجَيْنٍ \* نَغْمَ أَجْرِ الْعَامِلِينَ (١٣)

قُمْ بِنَا نَجْلُو الْكَؤُوسَا      تَحْتَ أَظْلَالِ السَّحَابِ

نَتَعَاطَاهَا عَرُوسَا      حَلِيْهَا دُرُّ السَّحَابِ

قَهْوَةٌ تُعْطَى النُّفُوسَا      عِزَّ أَيَّامِ الشَّبَابِ

تَغْصِبُ اللَّيْثَ الْعَرِينَا \* وَيُرَى كَسْرِي قَرِينَا \* حِينَ يُسْقَى بِالْيَدَيْنِ \* جَامَهَا حِينًا فَحِينَا (١٤)

يَوْمُنَا يَوْمٌ أُنِيقُ      يَوْمٌ شُرِبَ وَالتَّذَاذِ

طَرَزَتْ فِيهِ الْبُرُوقُ      لَابَسًا أَثْوَابَ لَاذِ

وَسَقَى الْغَيْسُمُ الرَّقِيقُ      مَاءً وَرِدَ بِرِذَاذِ

---

(١٣) نضار: ذهب - لجين: فضة.

(١٤) العجم: إناء للشراب من فضة أو نحوها.

أَظْهَرَ السَّحَرِ الْمُبِينَا \* حِينَ رَشَّ الْيَاسْمِينَا \* وَبَكَى مِنْ دُونَ عَيْنِ \* فَضَحِكُنَا | فَكَيْهِنَا (١٥)

أَيُّهَا السَّاقِي الْمُحَيَّا	بِرِيَا حِينَ التَّمْنَى
سِحْرُ عَيْنِكَ الْحَمِيَّا	فَاصْرِفِ الصَّهْبَاءَ عَنِّي
لَا تُسَلِّطْهَا عَلَيْنَا	فَالْهُوَى قَدْ نَالَ مِنِّي

قَدْ نَفَثَ السَّحَرُ فِينَا \* فَرَضِينَا الْحُبَّ دِينَا \* فَمُنَائِي دُونَ مَيْنِ \* أَنْ نَرَى ذَاكَ الْبَحِينَا (١٦)

لِي حَبِيبٌ يَوْسُفِيٌّ	وَصَلُّهُ فِي الْحُبِّ مِنِّي
وَجْهُهُ صَبَحٌ وَضِيٌّ	قَدْ تَبَدَّى فِي الدُّجْنَةِ
دَلَّنِي مِنْهُ الْأَبَى	فَاعَادَ النَّارَ جَنَّةَ

بَذَلَ الْوَرْدَ الْمُصُونَا \* بَعْدَمَا كَانَ ضَمِينَا \* فَكَأَنِّي ذَوْرُعَيْنِ \* أَوْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا (١٧)

سَاءَنَا لَمَّا اتَّصَلْنَا	كُلُّ مَغْتَابٍ حُسُودٍ
وَكَذَاكَ الْوَجْهَ قَلْنَا	لَا لَتَدْنِيْسِ الْبُرُودِ
لَمْ نُرِدْ فِيمَا امْتَلْنَا	غَيْرَ إِقْلَاقِ الْحُسُودِ

قَدْ بَلَيْنَا وَابْتَلَيْنَا \* وَاشْ يَقُولُ النَّاسُ فِينَا \* قُمْ بِنَا يَا نُورَ عَيْنِي \* نَجْعَلِ الشَّكَّ يَقِينَا

---

(١٥) الفاكه من الرجال : الناعم العيش .

(١٦) الصهباء : الخمر - مين : كذب .

(١٧) دجنة : سواد وظلمة - ذورعين : ملك من ملوك حمير ، ينسب إلى رُعين ، وهو اسم جبل باليمن فيه حصن .

## ابن مُنِير الطرابلسي

( ٤٧٣ - ٥٤٨ هـ / ١٠٨٠ - ١١٥٣ م )

هو أبو الحسن أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسي ، كان والده ينشد الأشعار ويغنى في الأسواق ، وقد لُقّب بالرفاء ؛ لأنه - فيما قيل - اتخذ الرفي مهنة له .

وُلد بطرابلس ، وكانت وقتئذ بلدا عامرا يشجع أهلها وحكامها الأدب والعلم ، ويكثر في مجالسهم من المناظرات والمحاورات ، ويجزلون العطايا لمن يقصدهم من الشعراء ، مثل ابن حيوس وابن الخياط ، وكان آل عمار يحكمون إمارة طرابلس ، وهم من الشيعة الإمامية ، وقد عرف عنهم أنهم أقاموا علاقات طيبة بالفاطميين في مصر وبالسلاجقة في العراق وبغيرهم من أصحاب الممالك والإمارات .

نشأ شيعيا إماميا ، وتلقى تعليمه على يد جماعة من العلماء المشهورين ، وبدأ ينظم الشعر شابا يافعا ، ودفعه طموحه إلى أن يتردد على البلدان ، كدمشق وحلب وحماة وشيزر وبغداد ، وقد عاصر في شبابه حصار الصليبيين لطرابلس ، ولعله غادرها قبل سقوطها في أيديهم سنة ٥٠٢ هـ . أوبعد ذلك ، ويبين من بعض أخباره أنه عمل بالتدريس حيناً من الوقت لطلاب اللغة والأدب بحلب ، كما يبين من أشعاره التي وصلت إلينا أنه متمكن من لغته متملك للأدوات اللازمة للشاعر المجيد ذي الثقافة الواسعة .

ومن أظهر الأغراض التي تناولها ابن منير في شعره : المديح ، فقد مدح كثيرين من حكام البلدان الشامية وخاصة أمراء شيزر ، من أشهرهم طفتكين أمير دمشق وابنه بوري . وأكثر من مديح عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود ، وتغنى بانتصاراتهما على الصليبيين في بادين والزها وغيرهما من ساحات الحرب بالشام ، وكان مقرباً من نور الدين يصحبه في كثير من غزواته ووقائعه ، واتخذته سفيرا إلى حاكم دمشق في بعض المهام . وكان ابن منير وابن القيسراني يسجلان في قصائدهما بالإعجاب والإكبار كل معركة من معارك نور الدين من خلدا ذكره وسجلا بطولته ، قال صاحب كتاب الروضتين : « ماتا ... قبل أن يفتح نور الدين كل عام في ازدياد من جهاد واجتهاد ولو كانا أدركا ذلك لأتيا في وصفه ، بعجائب المدائح » .

وهجا كثيرا من الأعيان هجاءً شديداً ، فسجنه صاحب دمشق بوري بن طغتكين ، وعزم على قطع لسانه ، ثم شفع فيه ، فتفاه ، ولكنه رجع إلى دمشق بعد وفاته ، وظل أهلها بعد بوري ينفونه مرارا ، يقول عنه الذهبي : إنه « كان هجاء خبيث اللسان ، يكثر الفحش في شعره ويستعمل فيه الألفاظ العامية » .

ومن الأغراض الشعرية التي أجادها : الغزل والوصف والحكمة ، وقد أجمع المؤرخون لحياته والراوون لشعره على علو منزلته ، قال ابن منقذ : إنه « أوحده عصره ، ولسان دهره . تأخر زمانه ، وتقدم فضله وبيانه ؛ فهوزهير الفصاحة ، وابن حجاج الملح والطرافة ، في أشعاره لطافة تستخف القلب ، وتملك السمع ... » ، وقال بعضهم في الثناء عليه : « ما كان أسمع قريحته ، وأوضح طريقته ، وأبدع بلاغته ، وأبلغ براعته ... » ، وقال العماد : « ومحاسن أبي الحسين ابن منير مُنيرة ، وفضائله كثيرة » ، وقال ابن القلانسي : « ... مرهوب اللسان ، خبيث الهجاء ، مجيد فيه ، لا يكاد يسلم من مقاطيع هجائه منعم عليه ولا مسمىء إليه ، وكان طبعه في الذم أخف منه في المدح ، وكان يصل بهجائه ، لا بمدحه وثنائه » .

\* \* \*



قال ابن منير يهنئ عماد الدين لفتح الرها سنة ٥٣٩ هـ :

صِفَاتُ مَجْدِكَ لَفْظٌ جَلُّ مَعْنَاهُ      فَلَا اسْتِرْدَّ الَّذِي أُعْطَاكَهُ اللَّهُ  
يَا صَارِمًا يَمِينُ اللَّهِ قَسَائِمُهُ      وَفِي أَعَالِي أَعَادِي اللَّهِ خَدَّاهُ  
أَصْبَحْتَ دُونَ مَلُوكِ الْأَرْضِ مَنفَرْدًا      بِلَا شَيْءٍ إِذِ الْأَمْلَاكُ أَشْبَاهُ  
فَدَاكَ مِنْ حَاوِلَتِ مَسْعَاكَ هِمَّتُهُ      جَهْلًا ، وَقَصَّرَ عَنْ مَسْعَاكَ مَسْعَاهُ  
قُلْ لِلْأَعَادِي : أَلَا مَوْتُوا بِهِ كَمَدًا      فَاللَّهُ خَيِّكُمُ وَاللَّهُ أَعْطَاهُ  
مَلِكٌ تَنَامُ عَنِ الْفَحْشَاءِ هِمَّتُهُ      تُقْسِي وَتَسْهَرُ لِلْمَعْرُوفِ عَيْنَاهُ  
مَا زَالَ يَسْمُكَ وَالْأَيَّامُ تَخْدُمُهُ      فِيمَا ابْتِلَاهُ وَتُذْنِي مَا تَوَخَّاهُ (١)  
حَتَّى تَعَالَتْ عَنِ الشُّعْرَى مَشَاعِرُهُ      قَدْرًا ، وَجَاوَزَتْ الْجُوزَاءَ نَعْلَاهُ (٢)  
وَقَدْ رَوَى النَّاسُ أَخْبَارَ الْكِرَامِ مَضُورًا      وَأَيُّنَ مِمَّا رَوَوْهُ مَا رَأَيْنَاهُ  
أَيُّنَ الْخِلَافِ عَنْ فَتْحٍ أُتِيحَ لَهُ      مَظْلَلٌ أَفْتَقَ الدُّنْيَا جَنَاحَاهُ  
عَلَى الْمَنَابِرِ مِنْ أَنْبَاءِهِ أَرْجٌ      مَقْطُوبَةٌ بِفَتَقِ الْمِسْكِ رِيَاهُ (٣)  
فَتَحَّ أَعَادَ عَلَى الْإِسْلَامِ بِهَجَّتِهِ      فَافْتَرَّ مِبْسَمُهُ وَاهْتَرَزَ عِطْفَاهُ (٤)  
يَهْدِي بـ « مَعْتَصِمٌ بِاللَّهِ » فَتَكَتِهِ      حَدِيثُهَا نَسَخَ الْمَاضِي وَأَنْسَاهُ  
إِنَّ « الرُّهَا » فِي « عَمُورِيَّةٍ » ، وَكَذَا      مَنْ رَامَهَا لَيْسَ مَغْرَاهُ كَمَغْرَاهُ (٥)

(١) يَسْمُكَ : يرفع - توخاه : تحراه وقصد إليه .

(٢) الشُّعْرَى : كوكب ثير - الجوزاء : من بروج السماء .

(٣) فَتَقَ الْمِسْكِ : هو استخراج رائحته بشيء تدخله عليه .

(٤) افْتَرَّ : ابتسم وبدت ثناياه - عطفاه : جانباه .

(٥) عَمُورِيَّة : بلد في بلاد الروم ، غزاه المعتصم بالله العباسي سنة ٢٢٣ هـ ، وكان الفتح من أعظم فتوح

الإسلام ، قال فيه أبو تمام :

يَا يَوْمَ وَقَعَةِ عَمُورِيَّةٍ انصرفت

عنك المني حَفَلًا مَغْشُولَةَ الْحَلَبِ

أُخِثُ الْكَوَاكِبَ عِزًّا مَا بَغَى أَحَدٌ      مِنْ الْمُلُوكِ لَهَا وَقَمًّا فَوَاتَاهُ<sup>(٦)</sup>  
 حَتَّى دَلَفَتْ لَهَا بِالْعِزِّ يَشْحُدُهُ      رَأَى بَيْتَ فُؤَيْقَ النَّجْمِ مَسْرَاهُ  
 مَشْمَرًا وَبَنُو الْإِسْلَامِ فِي شُغْلٍ      عَنْ بَدْءِ غَرِيبٍ لَهُمْ أَثْمَارُ عُقْبَاهُ  
 يَا مُخَيِّ الْعَدْلِ إِذْ قَامَتْ نَوَادِيْبُهُ      وَعَمَارَ الْجُودِ لَمَّا مَحَّ مَغْنَاهُ<sup>(٧)</sup>  
 يَا نِعْمَةَ اللَّهِ يَسْتَضْفِي الْمَزِيدَ بِهَا      لِلشَّاكِرِينَ وَيَسْتَقْنِي صَفَايَاهُ<sup>(٨)</sup>

\*\*\*

وقال يمدح نور الدين ، ويذكر ظفري بالبرنس صاحب أنطاكية وأصحابه ، وحمل رأسه  
 إلى حلب ، وقد أنشده عند حصن « إنب » في سنة ٥٤٤ هـ :  
 أَقْوَى الضَّلَالُ وَأَقْفَرُ عَرَصَاتِهِ  
 وَعَلَا الْهَدَى وَتَبَلَّجَتْ قَسَمَاتِهِ<sup>(٩)</sup>  
 وَأَنْتَ شَاشٌ دِينَ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُهُ  
 مِنْ بَعْدِ مَا عَلَّتْ دُمًّا عِبْرَاتِهِ<sup>(١٠)</sup>  
 رَدَّتْ عَلَى الْإِسْلَامِ عَصْرَ شَبَابِهِ  
 وَثَبَاتِهِ مِنْ دُونِهِ وَثَبَاتِهِ  
 أَرَسَى قَوَاعِدَهُ ، وَمَدَّ عَمَادَهُ  
 صُعْدًا ، وَشَيْدَ سَوْرَةِ سَوْرَاتِهِ<sup>(١١)</sup>

(٦) الوقم : القهر والإذلال .

(٧) مَحَّ : عفا وأخلق - المعنى : المنزل الذي غني به أهله .

(٨) يستقني بمعنى يرضى أو يعطى ما يقتني به .

(٩) أقوى المكان وأقفر : خلا من أهله - عرصاته : ساحاته - تبلجت : أنارت وتنفذت سرورا .

(١٠) انتاشه : أنقذه - علَّت بمعنى سقيت .

(١١) السورة : السطوة والوثبة .

وأعاد وجهه الحقَّ أبيض ناصعاً  
إِصْلَاتُهُ ، وَصِلَاتُهُ ، وَصَلَاتُهُ (١٢)  
لَمَّا تَوَاطَل حَرْبُهُ ، وَتَخَاذَلَتْ  
أَنْصَارُهُ ، وَتَقَاصَصَتْ خَطَوَاتُهُ  
رَفَعَتْ لِنُورِ الدِّينِ نَارَ عَزِيمَةٍ  
رَجَعَتْ لَهَا عَنْ طَبْعِهَا ظُلُمَاتُهُ  
مَلِكٌ مَجَالِسُ لَهُوهِ شِدَائَتُهُ  
وَمَشُوقُهُ بَيْنَ الصُّفُوفِ شِدَائَتُهُ (١٣)  
يُغَرِّى بِحِثَّةِ الْبِرَاعِ بَنَائَتُهُ  
إِنْ لَدَّ حِثَّةِ الْكُفُوسِ لِدَائَتُهُ (١٤)  
وَيَرْوِقُهُ نَغْرُ الْعِدَاءِ قَانِ دِمَا  
لَا التَّغْرِ يَعْْبِقُ فِي لِمَاءِ لُثَاتِهِ  
فَصَبُوحُهُ خُمْرُ الطَّلَى ، وَغُبُوقُهُ  
نُطْفُ النَّفُوسِ تَدِيرُهَا نَشَوَاتُهُ  
فَتَحُّ تَعَمَّمَتِ السَّمَاءُ بِفَخْرِهِ  
وَهَفَّتْ عَلَى أَغْصَانِهَا عَذَبَاتُهُ (١٥)

---

(١٢) إصْلَات السيف : تجريده من غمده - الصُّلَات - بكسر الصاد : جمع الصُّلَة وهي العطية والجائزة .  
(١٣) الشَّدَات : الحملات في الحرب - المشوق : جمع مشق ، وهو سرعة الطعن والضرب - الشَّدَا : كسر العود الذي يُتَبَخَّرُ بِهِ ، والواحدة : شِذَاة .  
(١٤) الحِثَّة : التحريك - البراع : القصب ، والبراعة : القلم يتخذ من القصب - اللَّدَات : جمع اللدة وهو التُّزْب أو من ولد معك في وقت واحد .  
(١٥) الصُّبُوح : شراب الصباح - الغُبُوق : شراب العشي - الطَّلَى : الخمر - العَذَبَات : أطراف العمائم .

سَبَقَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ بِيضَ حُجُولِهِ  
وَإِنْهَلَّ فَوْقَ الْأَبْطَحِينَ غَمَامُهُ  
وَسَرَتْ إِلَى سَكِينِهَا نَفْحَاتُهُ  
لِلَّهِ بِلَجَّةٍ لَيْلِيَّةٍ مَحْصَتٌ بِهِ  
وَالْيَوْمَ دَبَّجَ وَشَيْءُ سَاعَاتِهِ  
حَطَّ الْقَوَامِصَ فِيهِ قِمَاصُهَا  
ضَرْبَ يَصْلُصِلَ فِي الطَّلَى صَعْقَاتُهُ (١٦)  
نَبَذُوا السَّلَاحَ لَضَيْغَمٍ ، عَادَاتُهُ  
فَرَسُ الْفَوَارِسِ ، وَالْقَنَا غَابَاتُهُ (١٨)  
لِمَجْرِبٍ « عُمَرِيَّة » غَضَبَاتُهُ  
لِلَّهِ ، « مُعْتَصِمِيَّةٌ » غَزَوَاتُهُ (١٩)  
تَحِيَا لِضَيْقِ صَفَادِهِ أَسْرَاؤُهُ  
وَتَغِيضِ مَاءِ شَوْنِهَا نَقْمَاتُهُ (٢٠)

---

(١٦) الحجول : جمع الحجل ، وهو الخلخال .  
(١٧) البلجة : ضوء الصبح عند انصراف الفجر - محصت بمعنى لمعت - يصلصل : يصوت - انطلى : جمع طلية أو طلاة ، وهو العنق .  
(١٨) الضيغم : الأسد الواسع الشدق - الفرس : القتل .  
(١٩) عمرية : نسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - معتصمية : نسبة إلى المعتصم العباسي وفتح عمورية .  
(٢٠) الصفاد : الوثاق - الشئون : مجارى العين الدمعية .

بين الجبال خواضعاً أعناقها  
 كالذود نابت عن براه حدائنه (٢١)  
 نشرت على « حلب » عقوداً بُودهم  
 خلل الربيع تناسقت زهرائه  
 روض جناه لها مكرجيه  
 واستوارت حماله حملائه (٢٢)  
 متساندين على الرّحال ، كما انتشى  
 شرب أمالت هامه قهوائه  
 لم تُثبت الأجام قبل رماحه  
 شجراً أصول فروعه ثمرائه  
 فليحمد الإسلام ما جدحت له  
 شربات غريس هذه مجنائنه (٢٣)  
 وسقى صدّى ذاك الحيا صوب الحيا  
 خير الثرى ما كنت أنت بنائه  
 نصب السريرومال عنه ، ومهدت  
 لمقر منصبك السرى سرائنه (٢٤)

---

(٢١) الذود : السوق والطرّد - البرى : جمع بُرة ، وهى حلقة فى أنف البعير يقاد منها .

(٢٢) استوارت الإبل : تتابعت على نثار .

(٢٣) جدحت : مُخضت - شربات : نخلات - مجناته : ثماره .

(٢٤) السّراة : جمع السرى وهو الشريف السخى .



ما ضرَّ هذا البدرَ وهو محلَّق  
 أن الكواكبَ في الذُّرَا ضرائه  
 في كلِّ يومٍ تستطيلُ قنائه  
 فوق السَّماءِ ، وتعتلي دَرَجائِه  
 وتظِلُّ ترقمُ في الضُّحَى آثاره  
 مجدًا والسنةُ الزَّمانُ روائِه (٢٥)  
 أين الألى ملأوا الطُّرُوسَ زخارفًا  
 عن نَزَفِ بحرٍ هذه قطرائِه  
 غدقوا بأعناق العواطل ماله  
 من جوهر فأتهم فذائِه (٢٦)  
 لو فصلوا سمطًا ببعض فتوحه  
 سخرت بما افتعلوا لهم فعلائِه (٢٧)  
 يُمسي قنانيه بنات قيونِه  
 فوق القوانس والقنا قينائِه  
 صلتان من دون الملوك تقرِّها  
 حركاته وتُنيها يقظائِه (٢٨)  
 قعدت بهم عن خطوه همتاتهم  
 وسمت به عن قَطْوهم همتائِه (٢٩)

(٢٥) ترقم : تكتب .

(٢٦) أغدق عليه مالاً : أفاضه عليه - العواطل : جمع العاطل ، وهي المرأة خلت من الحلى - الفذات : الفرائد.

(٢٧) السمط : القلادة .

(٢٨) الصلتان : القوى الشديد .

(٢٩) القطو : الثاقل في المشية ، وقطا : ثقل مشيه .

سكنوا مسجفة الحجال ، وأسكنت  
 زحل الرجال مع الشها عزمائه (٣٠)  
 لولاح « للطائي » غرة فتحه  
 بءات بحمل تأو بءائه (٣١)  
 أوهب « للطبري » طيب نسيمه  
 لاخش من تاريخه حشوائه (٣٢)  
 صدم الصليب على صلابة عوده  
 فتفرقت أيدي سبا خشبائه (٣٣)  
 وسقى « البرنس » وقد تبرتس ذلة  
 بالروج مقمر ما جنت غدرائه (٣٤)  
 فانقاد في خطم المنيّة أنفه  
 يوم الخطيم ، وأقصرت نزوائه  
 ومضى يؤنب تحت « إنب » همّة  
 أمست زوافر غيها زفرائه (٣٥)

---

(٣٠) الحجال : جمع حجلة وهي السريضرب للعروس في جوف البيت - المسجفة : التي أرسل عليها السجف وهو الستر - زحل والشها : كوكبان .

(٣١) الطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الشاعر ، وباءاته هي قصيدته التي أولها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

(٣٢) الطبري : هو محمد بن جرير ، مؤلف « تاريخ الرسل والملوك » توفي سنة ٣١٠ هـ .

(٣٣) أيدي سبا : ضرب بهم المثل في التفرق ؛ لأنه لما غرق مكانهم ، وذهبت جناتهم تبددوا في البلاد ، فأخذت كل طائفة منهم طريقا .

(٣٤) كذا .

(٣٥) إنب : حصن من أعمال عزاز من نواحي حلب ، له ذكر .

أسدٌ تبوأ كالغرنف فجأته  
 فتبوّأت طرفَ السّنان شوائه (٣٦)  
 دون النُّجوم مغمضاً ، ولطالما  
 أغضب وقد كرت لها لحظائمه  
 فجلوته تبكى الأصادق تحته  
 بدم إذا ضحكت له شمائمه (٣٧)  
 تمشى القنأة برأسه وهو الذى  
 نظمت مدار النّيرين قنائمه  
 لوعانق العيوق يوم رفعته  
 لأراك شاهداً خفضه إخبائمه (٣٨)  
 ما انقأ قلبك أنفه بخزامه  
 كلاً ، ولا همّت لها هدرائمه (٣٩)  
 طيّان خفّ « السّرح » طال زئيره  
 نطقت سطاك له فطال صمائمه (٤٠)  
 لمّا بدا مُشوّدٌ رايبك ، فوقه  
 مُبيّضٌ نضرك ، نكسّث رايبائمه

---

(٣٦) الغرنف : القصباء والحلفاء والشجر الكثير الملتف - الشواة : جلدة الرأس .  
 (٣٧) الأصادق : جمع الصديق - الشّمائ : الشامتون .  
 (٣٨) العيوق : نجم أحمر مضيء - الإخبات : الخشوع والتواضع .  
 (٣٩) الخزام : جمع خزامة وهى حلقة من شعر تجعل فى أحد جانبي منخري البعير - الهذّر : ترديد البعير صوته فى حنجرتة .  
 (٤٠) السّرح : موضع بالشام عند بُصرى - الصّمائ : الصّمت .

ورأى سيفوك كالصَّوالج طاوحت  
 مثل الكُريينِ تقلَّصت كَرَائُهُ (٤١)  
 ولَّى وقد شربت ظباك كُمَائِهِ  
 تحت العَجاج وأسلمته حُمَائِهِ (٤٢)  
 ترك الكُناس والكناس لناهبٍ  
 بالبيض ينهب ما حواه عُفَائِهِ (٤٣)  
 غَلَّابٌ ، أروع ، لا يُميت عِدَائِهِ  
 داءُ المطال ، ولا تعيش عُدَائُهُ (٤٤)  
 للوحش مُلقًى بالعرا يقتائِهِ  
 ما كان قبلُ بصيده يقتائِهِ (٤٥)  
 اليوم ملكك القِرَاع قِلاع  
 متسنِّمًا ما استشرفت شرفائِهِ (٤٦)  
 وغداً تحلّ لك الحلائل أسهم  
 متوزَّعات بينهن بناتهِ  
 أوطأت أطراف السَّنايك هامهِ  
 فتقاذفت بعتيقها قذفائِهِ (٤٧)

---

(٤١) الصولجان : عصا يُعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب - الكرين : جمع كُرّة .  
 (٤٢) الظبا : جمع الظبة وهي حدّ السيف وغيره - الكماة : لابسو السلاح الشجعان - العجاج : الغبار .  
 (٤٣) الكناس : الموضع يستتر فيه الظبي - العفاه : جمع العافى ، وهو طالب النوال والمعروف .  
 (٤٤) المطال : المماطلة بالحقّ وتأجيل موعد الوفاء به مرة بعد الأخرى .  
 (٤٥) العراء : الفضاء لا يستتر فيه بشيء - يقتاته : يجعله قوتًا وطعامًا .  
 (٤٦) متسنِّمًا : معتليًا .  
 (٤٧) العتيق : الكريم الرائع من كلّ شيء كالفرس وغيره .

لا زال هذا الملك يشمخ شأنه

أبدًا ويكفت في الحضيض شأنه (٤٨)

ما أخطأتك يد الزمان فدونه

من شاء فلتُسرع إليه هنائه (٤٩)

أنت الذي تُحلى الحياةً حيائه

وتهبُّ أرواح القصيد هبائه

\* \* \*

---

(٤٨) يكفته : يصرفه عن وجهه .

(٤٩) هناته : شروره وفساده .



### وقال متغزلًا :

أحلى الهوى ما تُحِلُّهُ التُّهُمُ  
أَغْرَى الْمُحِبِّينَ بِالمَحَبَّةِ فَالـ  
[ وَمُعْرِضٌ صَرَحَ الوُشَاةُ لَهُ  
سَعَوْا بِنَا ، لاسَعَتْ بِهِمْ قَدَمُ  
ضَرُّوا بِهِجْرَانَا وَمَا انتَفَعُوا  
بِاللهِ يَا هَاجِرِي بِلا سَبَبِ  
بِحَقِّ مَنْ زَان بِالذُّجَى فَلَقِيَ الـ  
وقال للماء : قِفْ بِوَجَّتِيهِ  
هَلْ قَلْتَ لِلطَّيْفِ لَا يَمَاوِدُنِي  
[ أَمْ قَلْتَ لِلَّيْلِ : طُلْ ، فَأَفْرَطَ فِي الـ  
مَوْلَايَ إِنَّ الَّذِي قُذِفْتُ بِهِ  
عِنْدِي لَهُمْ مُقْلَةٌ يَحْجُبُهَا الدَّمَغُ  
إِنْ يَحْسَدُونِي فَلَا أَلُومُهُمْ  
رَأَوْكَ لِي جَنَّةٌ مُزَخْرَفَةٌ  
فَاخْتَلَقُوا وَافْتَسَرُوا ، فَلَيْتَهُمْ  
فَأَيْنَ كَانَ الْمُمَوَّهُونَ وَقَدْ  
لِي حُرْمَةٌ الصَّابِرِ الشُّكُورِ وَمَا

بِاحَ بِهِ الْعَاشِقُونَ أَوْ كَتُمُوا  
—عَذْلُ كَلَامٍ أَسْمَاؤُهُ كَلِمُ  
فَعَلَّمُوهُ قَتْلِي وَمَا عَلَّمُوا [  
فَلَا لَنَا أَصْلَحُوا وَلَا لَهُمْ  
وَصَدَّعُوا شَمْلَنَا وَمَا التَّامُوا  
إِلَّا لِقَالَ الوُشَاةُ أَوْ زَعَمُوا  
—صَبَحَ عَلَى الرُّمَحِ إِنَّهُ قَسَمُ  
فَمَازَجَ النَّارَ وَهِيَ تَضْطَّرُّ  
بَعْدَكَ أَمْ قَدْ وَفَى لَكَ الْحُلْمُ  
—طَاعَةٍ حَتَّى إِضْبَاحَهُ ظَلَمُ  
زُورٌ ، فَزُرْ ، لَا يَرُغِكَ قَوْلُهُمْ  
وَأُذُنٌ شِعَارُهَا الصَّمَمُ  
مِثْلَكَ تَسْمُو لِخُسْنِيهِ الْهِمَمُ  
مَا وَجَدُوا مِثْلَهَا وَلَا عَدِمُوا  
حِينَ رَأَوْا مَا رَأَيْتُ فِيكَ عَمُوا  
وَحَدَّ قَلْبِي هَوَاكَ قَبْلَهُمْ (٥٠)  
أَحْدَثْتُ دِينًا تُلْفِي لَهُ الْحُرْمُ

(٥٠) المموهون : الذين يلبسون الحق بالباطل ويزخرفون الحديث .

{خَبِّرْنِي شَاهِدٌ بِزُورِهِمْ  
يَا قَمَرًا أَصْبَحْتَ مُحَاسِنُهُ  
فِيكَ مَعَانٍ لَوْ أَنَّهَا جُمِعَتْ  
تَمْشِي فَتُرْدِي الْقَضِيبَ مِنْ أَسْفِ  
وَتُخْجِلُ الرَّاحَ مِنْكَ أَرْبَعَةً:  
يَا رَبُّ خُذْ لِي مِنَ الْوُشَاةِ إِذَا

وَأَنْتَ خَضَمِي وَحِلْمُكَ الْحَكِيمُ ]  
تَنْهَبُ الْبَابَتَا وَتَقْتَسِمُ  
فِي الشَّمْسِ لَمْ يَغْشَ نُورُهَا الظُّلُمُ  
وَتَكْسِفُ الْبَسْدَ حِينَ تَبْتَسِمُ  
خَدًّا، وَتَغْرُّ، وَمُقْلَةً، وَفَمُ  
قَامُوا وَقُمْنَا لَدَيْكَ نَحْتَكُمُ



وقال معاتبا :

جعل القطيعة سُلْمًا لِعِتَابِهِ  
مَا زَالَ يَضْمُرُ غَدْرَهُ مُتَعَلِّلاً  
حَتَّى تَحْدَثَ نَاطِرَاهُ فَحَلَّلاً  
وَاللَّهِ لَوْ مَا يَقُومُ بِنَصْرِهِ  
لَأَبْخَثُ مَا خَطَرَ الْهَوَى مِنْ هَجْرِهِ  
وَلَكَانَ مِنْ دِينَ الْمَرْوَةِ تَرْكُهُ  
خَتَامَ أَقِيلٍ وَهُوَ ثَانٍ عِطْفُهُ  
وَأَقُولُ : غِرْطَنَ غَيِّ وَشَاتِهِ  
وَإِذَا تَغَيَّرَ لِمَعْنَى بَاطِنِ  
يَا ظَالِمًا أَعْطَى مَوَاقِفَ عَهْدِهِ

مَتَجَرَّمٌ جَانٍ عَلَى أَحْبَابِهِ  
بِوُشَاتِهِ مُتَسَتِّراً بِكُذَّابِهِ  
مَا كَانَ أَوْثَقَ مِنْ عُذَى إِعْتَابِهِ (٥١)  
مِنْ نَارِ وَجْتِهِ وَمَاءِ شِبَابِهِ  
لِيَصِحَّ أَوْ حَرَّمَتْ حِلَّ رِضَابِهِ  
فَالصَّبْرُ أَغْذَبُ مِنَ أَلِيمِ عَذَابِهِ  
وَالْحُبُّ يَحْمِلُنِي عَلَى اسْتِجْذَابِهِ  
رُشْدًا فَأَرْجُو أَنْ يَفِيقَ لِمَابِهِ  
لَا خَوْفَ عَاتِيهِ وَلَا مَغْتَابِهِ  
بِوَفَائِهِ وَالْعُذْرُ مَلَأَ ثِيَابِهِ

(٥١) الإعتاب : الرضا ورجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضى العاتب .

زَيَّنْتَ لِي وَجْهَ الْغُرُورِ بِمَوْعِدٍ  
وَبِذَنْتَنِي تَبْذُلَ الْحَصَاةَ مُضَيِّعًا  
مَا كَانَ وَضْلُكَ غَيْرَ هَجْعَةٍ سَاهِرٍ  
أَهَا لِهَذَا الْقَلْبِ كَيْفَ خَدَعْتَهُ  
وَلِنَظَرٍ كَتَبْتَ إِلَيْكَ جَفْوَتُهُ  
هَذَا هَوَاكَ مُحْكَمًا مَا ضَرَّهُ  
وَمَكَانِكَ الْمَأْمُولُ لَمْ يَخْلُلْ بِهِ  
وَأَنَا الَّذِي جَرَّبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ  
فَإِنْ اسْتَقَمْتُ ، فَأَنْتَ أَنْتَ ، وَإِنْ تَزُغْ

كَذِبَ فَوَاطِمِي لِلْمَنَعِ سَرَابِهِ  
وَدَا بَخَلَّتْ بِهِ عَلَى خُطَابِهِ  
غَضُّ الْجَفْوُونِ فَرِيحٌ فِي أَهْيَابِهِ  
مَتَصَنِّعًا فَسَكَنْتَ سِرَّ حِجَابِهِ  
خَبِيرًا ، فَمَا أَحْسَنْتَ رَدَّ جَوَابِهِ  
مَا قَطَعَ الْحُسَادُ مِنْ أَسْبَابِهِ  
أَحَدٌ سِوَاكَ وَلَا أَقَامَ بِيَابِهِ  
مَاءٌ تَقَرُّ النَّفْسُ بِاسْتِعْذَابِهِ  
فَالْبَغْيُ مَضْرَعُهُ عَلَى أَرْبَابِهِ





## طَلَّاعُ بْنُ رُزَيْكٍ

( ٤٩٥ - ٥٥٦ هـ / ١١٠٢ - ١١٦١ م )

ولد بأرمينية ، وكانت آنذاك تحت حكم السلاجقة الأتراك - من أسرة علم وشرف ، فنشأ منذ صغره محبا للعلم والمعرفة ، ولم يكتف بما تلقاه على أعلام بلده ، بل دفعه شغفه بالعلم إلى أن يرحل في طلبه ، فأتقن الكثير من علوم الدين ، ونمى مواهبه الأدبية بما ثقفه من فنون الأدب ، وذكر بعض من ترجموا له أنه كان دينيا « محافظا على الصلاة : فرائضها ونوافلها ، شديد المغالاة في التشيع » ، محبا لآل البيت وللإمام علي وعترته ، وقد دفعه هذا الحب إلى أن يقصد العراق ليزور مشهد الإمام علي بالنجف ، ثم زين له بعض الناس أن يتوجه إلى الفاطميين في مصر ، فاتصل في القاهرة بديوان الخلافة ، وعمل بالكتابة ، فأبدى همّة وإخلاصا وذكاء وحصافة وحسن سياسة ، ولذلك اختير واليا على قوص وكانت حينئذ عاصمة للصعيد الأعلى ، وقيل إنه ولي على مئة بنى الخصيب ( المنيا الآن ) ، ثم على أسوان ، وهي باب مصر الجنوبي ، وكانت ثقة الخلفاء الفاطميين به كبيرة ، لولائه ومقدرته على تأمين الحدود الجنوبية لمصر ، حتى إنهم ولوه الصعيد كله ، وظل في هذه الولاية زمنا طويلا مكّنه من أن يقوم بإصلاحات شتى وأن يساعد المعوزين والفقراء ، كما مكّنه أيضا من أن يجمع حوله قوة من الجيش اقتدر بها على إنقاذ الخلافة الفاطمية بالقاهرة حين استغاثوا به مستنجدين .

ذلك أن الخليفة الظافر تعرض للقتل في مؤامرة دبّرها عباس الصنهاجى وابنه نصر سنة ٥٤٩ هـ ، وقُتل فيها أخوا الخليفة وابن أخيه ، ولما عرف الناس ذلك ثاروا على عباس وابنه ، وطاردوهما في شوارع القاهرة ، وبعثت سيدات القصر إلى طلائع بالصعيد لنجدتهن وإعادة الاستقرار والنظام في البلاد ، وعلم عباس وابنه بقدومه ، فبادرا إلى الفرار بما معهما من أموال نهبها ، ثم قتلها الصليبيون وهما في طريقهما إلى الشام .



وصار طلائع رجل الدولة المسئول ، وخلعت عليه خلع الوزارة ولقب بالملك الصالح فارس المسلمين نصير الدين، فقد تولى الخلافة ابن للظافر تلقب بالفائز ( ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ ) وكان طفلاً لم يتجاوز سنّه خمسة أعوام ، فضبط طلائع الأمور وقاوم الصليبيين ونازلهم مرارا في البر والبحر ، فضرب المثل في الشجاعة والبطولة ولقبه معاصروه بأبى الغارات .

وكان يدعو نور الدين محمود بن زنكى حاكم دمشق للتعاون على قهر الصليبيين ، ولكن دعوته لم تتحقق ، وقد عرف عنه أنه قام بإصلاحات داخلية كثيرة ، واعتنى بمجالس العلم والشعر في قصره ، فجمع حوله مجموعة من أعلام عصره الأدباء ، مثل عمارة اليمنى والقاضى الرشيد والمهذب ابنى الزبير ، يطارحهم الشعر .

وكانت بينه وبين أسامه بن منقذ صداقة قديمة ، وظلّ يبادلّه الرسائل بعد أن ذهب أسامة إلى الشام ، يشره بانتصاراته على الصليبيين .

وشعره في معظمه جيد رصين ، وقد نظم كثيرا منه فى مديح آل البيت ورثاء الإمام على والإمام الحسن والدعوة إلى التشيع ، كما نظم بعضه فى الفخر والحماسة ووصف المعارك .

وقد قتل سنة ٥٥٦ هـ بعد أن تولى العاضد الخلافة بسنة واحدة ، ويقال إنه هو الذى دبر لمقتله لاستبداده بالأمر ولأنه - كما قيل - كان شيعيا على مذهب الإمامية ولم يكن على مذهب الفاطميين الإسماعيلي .

ولطائع مسجد مشهور مازال قائما بباب زويله .

\*\*\*

قال وقد أشاد يوما في بعض من مجالس أنسه وسهره ونظم الشعر وقريضه بذكر الدار الموسومة - بالوزارة - ومن قطنها قبله من الخلفاء والوزراء ومن حضرها من الأمراء والعلماء وأخيرا تصرف الأحوال بهم وانقراضهم وما في ذلك للعاقل اللبيب من العبرة والموعظة والتفكر:

يا قلبُ كم هذا الغرور	خُدْعُ المنسى كذِبٌ وزورُ
أوما تَرى الأمالُ . . يفضـ	حُ طولُها العمرُ القصيرُ
لو دَامَ ملكٌ لم يكنْ	بعد الملوكِ لنا بصيرُ
انظرْ لهذا الدارِ كم	قد حلَّ ساحتها وزيرُ
ولَكم تَبَخَّرَ آمِنًا	بين الصفوفِ بها أميرُ
ذهبوا فلا والله ما	يَقى الصغيرُ ولا الكبيرُ
حتى ولا أضحت تَرى	بين القبورِ لهم قُبورُ
ما استيقظُوا من غفلةٍ	إلا وأرؤسهم تطيرُ
ولُحومهم مَمضوغة	ومن الورى أَيْضًا نُسورُ
فاصبرْ فلا حُزنَ على الدَّ	نينا يبدؤُ ولا سُرورُ
لا تُكِرَنَّ ما قد جرى	في عصرِنَا فكذا العُصورُ
كلَّا ولا تَجزعْ للرَّيبِ	زمانِنَا فكذا الدهورُ
هذا الحسِينُ بكزِبلَاء	ثوى ولبسَ له نصيرُ
قَبْلَ الخِداعِ وغِـرِّه	من أهلِ دَعْوَتِهِ الغُرورُ
فغدا بفشِيهِه الكسرام	إلى مصارعهم يسيرُ
حتى تَلقاهم بجَنبِ الطـ	سَفَ يومَ قَمَطَرٍ يرُ <sup>(١)</sup>

(١) القمطير من الأيام : الشديد المظلم .

وَعَدَا مُرَاقُ دِمَائِهِمْ  
فَسُقُوا النَّجِيعَ هُنَاكَ  
وَبَنُوا أُمَيَّةَ آمَنَةً  
لَهْفَى لَصْرَعَى فِى رَجَا  
وَطُنَّتْ ظُهُورُهُمْ وَرُضُّوا  
بِالسَّيْفِ مِنْ أَوْلَادِ فَا  
وَسَوَى الْإِمَامِ ثَوَى الصُّلَا  
وَبُنُو عَقِيلِ كُلَّهُمْ  
وَلَجَعَفَرِ الطَّيَّارِ صَرْزَ  
مَا جَدَّهُمْ أَبَدًا عَلَى  
لَكْنَسِهِ لَهُمْ عَلَيْهِ  
إِنْ كَانَ فِيهِمْ مُؤْمِنُو  
أَوْزُخِرَفَتْ عَذْنُ لَهُمْ  
تَبَا لَأَفَّاكِيْنِ عَنْ  
قَتَلُوا الْحُسَيْنَ وَمَا اسْتَبَى  
مَا بَيْنَ مَضْرَعِهِ وَهَلَا  
فَكَأَنَّهُ مَا كَانَ قَدْ  
وَلَمْثَلِ مَا صَارُوا إِلَيْهِ

حَوْضُ الْمِيَاهِ بِهِ يَمُورُ<sup>(٢)</sup>  
لَمَّا أَغْوَزَ الْمَاءُ النَّمِيرَ<sup>(٣)</sup>  
وَنَدَّ وَرُبَيْنَهُمْ الْخُمُورُ  
لَهُمْ وَشِيعَتُهُمْ حُضُورُ  
بِتِ الْخِيُولِ لَهُمْ صُدُورُ  
طَمَّةٍ ضُحَى فِطَمِ الصَّغِيرِ  
بِ أَيْيِهِ أَرْبَعَةٌ ذُكُورُ<sup>(٤)</sup>  
مَا فِيهِمْ إِلَّا عَقِيرُ  
عَى فِى دِمَائِهِمْ كَثِيرُ  
هَذَا لَأُمَيَّةَ بِشِيرُ  
يَطُولُ خَزِيهِمْ نَذِيرُ  
نَ بَزْغَمُهُمْ فَمِنْ الْكُفُورِ  
فَلَمَنْ تَرَى تُذَكَّى السَّعِيرُ  
بِ اللَّهِ ذَنْبُهُمْ كَبِيرُ  
بَغْدَةُ لَهُمْ أُمُورُ  
سَكْ يَزِيدُهُمْ إِلَّا يَسِيرُ  
طُ وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الشُّهُورُ  
مِنْ الْفَنَاءِ غَدًا نَصِيرُ

\*\*\*

(٢) مار الدم على وجه الأرض: انصب فتردد عرضا .

(٣) النجيع من الدم: ما كان مائلا إلى السواد .

(٤) إشارة إلى العباس وعبد الله وعثمان وجعفر .

بعث أسامة بن منقذ قصيدة إلى طلائع بن رزيك الملك الصالح مطلعها قوله :

أَجِيرَةُ قَلْبِي إِنْ تَدَانُوا وَإِنْ شَطُّوا      وَمُنِيَّةَ نَفْسِي أَنْصَفُونِي أَوْ اشْتَطُّوا (٥)

فأجابه طلائع بقصيدة محرّضا فيها على الجهاد :

هِيَ الْبَدْرُ، لَكِنَّ الثُّرَيَّا لَهَا قُرْطُ      وَمِنْ أَنْجُمِ الْجَوَازِ فِي نَخْرِهَا سِمْطُ (٦)  
مَشَتْ وَعَلَيْهَا لِلْغَمَامِ ظِلَالُ      تُظِلُّ، وَمِنْ نَسْجِ الرِّيحِ لَهَا بُسْطُ  
تَوْمٌ صَرِيْعًا فِي الرِّجَالِ، كَأَنَّهُ      مِنْ السُّقْمِ، وَالْأَيْدِي تَقْلِبُهُ، خَطُ  
فَمَا اخْضَرَّ قُرْبُ الْأَرْضِ إِلَّا لَأَنَّهَُا      عَلَيْهِ، إِذَا زَارَتْ، بِأَقْدَامِهَا تَخْطُو  
وَلَا طَابَ نَشْرُ الرُّوْضِ إِلَّا لِأَنَّهُ      يَجْرُ عَلَيْهِ مِنْ جَلَابِيْهَا مِرْطُ (٧)  
وَلَا طَارَ ذِكْرُ الظَّنِّ إِلَّا وَقَدْ غَدَا      يَصْدُكُمَا صَدَّتْ وَيَغْطُو كَمَا تَعْطُو (٨)  
مِنَ الْبَيْضِ مِثْلَ الصَّبْحِ مَا لِلظَّلَامِ فِي      مُحَاسِنِهَا، لَوْلَا ذَوَائِبُهَا، قِسْطُ  
إِلَى الْعَرَبِ الْأَمْحَاضُ يُغْزِي قَبِيلُهَا      وَقَدْ ضَمَّهَا فِي الْحَسَنِ مَعَ يَوْسُفٍ سِبْطُ  
وَلَمَّا غَدَتْ كَالْعَاجِ، زَيْنَ صَدْرِهَا      بِحُقَيْنِ مِنْهُ، قَدْ أَجَادَهُمَا الْخَرْطُ  
وَأَرْسَلَ فَوْقَ الْخَدِّ صِدْغٌ مُكَلَّلُ      كَمَا انْسَابَ فِي الرُّوْضَاتِ حَيَاتُهَا الرُّقْطُ (٩)  
ذَوَائِبُ زَارَ الْخَضِرَ مِنْهُنَّ فَاحِمٌ      تَحَدَّرَ، لَا جَعْدَ النَّبَاتِ، وَلَا سَبْطُ  
يُنَافِي سَنَا الْكَافُورِ، إِنْ مُشْطَتْ بِهِ      وَيُخْفِي سَوَادَ الْمِسْكِ، فَهَوْلَهَا خَلْطُ  
وَلَمَّا نَأَتْ عَنَّا، عَلَى كُلِّ حَالَةٍ      تَسَاوَى الرِّضَا وَالسُّخْطُ وَالْقُرْبُ وَالشَّحْطُ (١٠)

(٥) شَطَّ : بُعِدَ ، وَاشْتَطَّ : جَارَ .

(٦) السِّمْتُ : قِلَادَةُ أَطْوَلِ مِنَ الْمَخْتَقَةِ .

(٧) الْمِرْطُ بِالْكَسْرِ : كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزْ .

(٨) الْعَطْوُ : رَفْعُ الرَّأْسِ وَالْيَدَيْنِ .

(٩) الرُّقْطَةُ : سَوَادٌ يَشُوْبُهُ نَقَطٌ بَيَاضٌ أَوْ عَكْسُهُ .

(١٠) الشَّحْطُ : الْبَعْدُ .

فَأَذْكُرْنَا ذَاكَ الْبَعَادُ ، مَعَاشَا  
وَأَلْقُوا ، وَقَدْ شَطُّوا ، فَؤَادُ مُجِبِّهِمْ  
وَلَيْسَ تَشْقُ السُّفْنُ أَمْوَاجَهُ ، وَلَا  
أَحْبَابُنَا بِالشَّامِ ، عُقْتُكُمْ جِوَارِنَا  
وَمَا كَانَ بَعْدَ النَّيْلِ ، وَالنَّيْلُ زَاخِرٌ  
وَقَدْ عَشْتُمْ فِيهَا زَمَانًا ، فَمَا اعْتَرَى  
وَكُتُّكُمْ لَنَا دُونَ الْأَقَارِبِ أُسْرَةٌ  
وَإِنَّا أَنْوَاسٌ ، لَيْسَ يَبْرُحُ جَارُنَا  
وَيَمْتَاخُنَا زُؤَارُنَا ، فَكَأَنَّمَا  
وَيَصْبَحُ بَسْطُ الْكَفِّ بِالْمَالِ عِنْدَنَا  
وَتَخْرِقُ شَرْقُ الْأَرْضِ وَالْغَرْبُ خَيْلُنَا  
وِظْلَمَاءُ لِلشُّهْبِ الدَّرَارِي إِذَا سَرَتْ  
كَمَا أَوَّلَ الْفَجْرَيْنِ سَقَطَ يَسَلٌ مِنْ  
سَلَلْنَا بِهَا الْبِيضَ السِّيُوفَ فَلَاحَ فِي  
سِيُوفٍ لَهَا فِي كُلِّ دِرْعٍ وَجُنَّةٍ  
ذَخَرْنَا سَطَاهَا لِلْفِرْنَجِ ، لِأَنَّهَُا  
لَهُمْ قِسْطُهُمْ فِي الْحَرْبِ مِنْهَا ، وَمَا لَهَا

نَاوَا ، فَكَأَنَّمَا مَا لَقِينَاهُمْ قَطُّ  
إِلَى بَخْرِ شَوْقٍ مَا لِلْجُنَّةِ شَطُّ (١١)  
بِسَاحِلِهِ لِلْعَيْسِ رَفْعٌ وَلَا حَطُّ  
فَجَاوَزَكُمْ فِي أَرْضِهَا الْخَوْفُ وَالْقَحْطُ  
بِمَصْرِ لِيُغْنِيَ عَنْكُمْ ذَلِكَ الْخُطُّ (١٢)  
رِضَاكُمْ بِهَا ، لَوْلَا تَخَوُّفُكُمْ ، سُخْطُ  
وَنَحْنُ لَكُمْ مِنْ دُونَ رَهْطِكُمْ رَهْطُ  
يُحَكِّمُ فِي الْأَمْوَالِ مِنَّا ، فَيَشْتَطُّ  
غَدَا لَهُمْ شَرْطُ عَلَيْنَا ، وَلَا شَرْطُ  
وَكُلِّ مَلِيكَ عِنْدَهُ الْقَبْضُ وَالْبَسْطُ  
عَلَيْهَا الشَّبَابُ الْمَرْدُ ، وَالْجِلَّةُ الشَّمْطُ (١٣)  
هَنَّاكَ مَعَ السَّارِينَ فِي جُنْحِهَا خَبِطُ  
حَشَاهَا ، كَذَاكَ الْبَرْقُ فِي جَوْفِهَا سَقَطُ  
شَبَابِ الدُّجَى لَمَّا بَدَا لَمْعُهَا وَخُطُ  
إِذَا مَا اعْتَلَتْ قَدْ أَوْاعَتْ رَضَتْ قَطُّ (١٤)  
بِهِمْ دُونَ أَهْلِ الْأَرْضِ أَجْدُرُ أَنْ تَسْطُو  
عَلَيْهِمْ لَدَى الْهَيْجَاءِ عَذْلٌ وَلَا قَسْطُ (١٥)

(١١) اللَّجَّةُ : مَجْمَعُ الْمَاءِ ، وَخَصَّهُ بَعْضُهُمْ بِمَعْظَمِ الْبَحْرِ .

(١٢) الْخُطُّ بِالضَّمِّ : مَوْضِعُ الْحَيِّ .

(١٣) الشَّمْطُ : بَيَاضُ شَعْرِ الرَّأْسِ يَخَالِطُهُ سَوَادُهُ ، وَالشَّمْطُ فِي الرَّجْلِ : بَيَاضُ اللَّحْيَةِ . وَالْجِلَّةُ : جَمْعُ جَلِيلٍ .

(١٤) الْجُنَّةُ : كُلُّ مَا وَقَى - الْقَدَّ : الشَّقَّ طَوْلًا - وَالْقَطُّ : الْقَطْعُ عَرْضًا .

(١٥) الْقَسْطُ بِالْفَتْحِ : الْجَوْرُ وَالْعَدْلُ عَنِ الْحَقِّ .



وقد كاتبوا في الصُّلح ، لكنّ جوابهم  
سُطُورُ خِيُولٍ لَا تُغَيِّبُ دِيَارَهُمْ  
وَحَرْبٌ لَهَا الْأَرْوَاحُ زَاهِقَةٌ لِمَا  
إِذَا أَرْسَلَتْ فَرْعًا مِنَ النَّقْعِ فَاحِمًا  
كَأَنَّ الْقَنَا فِيهَا أَنْامِلٌ حَاسِبٌ  
رَدَدْنَا بِهَا ابْنَ الْفُنْشِ عَنَا ، وَإِنَّمَا  
فَقُولُوا لِنُورِ الدِّينِ : لَيْسَ لِحَائِفِ الْجِرَا  
وَحَسْمُ أَصُولِ الدَّاءِ أَوْلَى لِعَاقِلٍ  
فَدَغْ عَنْكَ مَيْلًا لِلْفَرْنَجِ وَهُذَنَّةٌ  
تَأْمَلُ فَكُمْ شَرْطٍ شَرَطْتَ عَلَيْهِمْ  
وَشَمَّرَ فَإِنَّا قَدْ أَعْنَأَ بِكُلِّ مَا  
وَدُونَكَ مَجْدَ الدِّينِ عِذَاءَ زَفَّهَا  
هُدِيًّا تَهَادَى بَيْنَ حُسْنٍ وَفَائِنَا  
عَلَى أَنَّهَا تَشْتَطُّ إِنْ هِيَ سَاجِلَتْ :

بَحْضَرَتْنَا مَا يَنْبُتُ الْخَطَّ لَا الْخَطَّ (١٦)  
لَهَا بِالْمَوَاضِي وَالْقَنَا الشَّكْلُ وَالنَّقْطُ  
تُعَايِنُ وَالْأَصْوَاتُ مِنْ دَهْشِ لَغَطٍ (١٧)  
أَثِيثًا فَأَسْنَانُ الرِّمَحِ لَهَا مُشْطُ (١٨)  
أَجَدُّ بِهَا فِي الشَّرْعَةِ الْجَمْعُ وَاللَّقْطُ  
يُثَبِّهُ فِي سَرْجِهِ الشَّدُّ وَالرَّبْطُ  
حَاتٍ إِلَّا الْكَيُّ فِي الطَّبِّ وَالْبَطُّ  
لَيْبٍ إِذَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُذْنِفِ الْخَلْطُ (١٩)  
بِهَا بَدَأَ يُخْطِي سِوَاهُمْ ، وَلَمْ يَخْطُوا  
قَدِيمًا ، وَكَمْ غَدْرِبَهُ نِقْضُ الشَّرْطِ  
سَأَلْتُ وَجَّهْنَا الْجِيُوشَ وَلَنْ يُنْطُوا  
إِلَيْكَ الْوَفَاءُ الْمَخْضُ وَالْكَرَمُ السَّبْطُ (٢٠)  
وَإِنْعَامِنَا ، ذَا التَّاجِ زَانَ وَذَا الْقُرْطِ (٢١)  
( أَجِيرَةٌ قَلْبِي ، إِنْ تَدَانُوا إِنْ شَطُوا ) (٢٢)

\* \* \*

(١٦) الخط : سيف البحرين ومرقا السفن بالبحر، وإليه نسبت الرماح . والخط الثانية : المراد بها الكتابة .

(١٧) لَغَطُ الْقَوْمِ : صَاحُوا وَأَجْلَبُوا .

(١٨) أَثَّ النَّبَاتُ : كَثُرَ وَالتَّفُّ ، وَهُوَ أَثِيثٌ : أَي كَثِيرٌ عَظِيمٌ .

(١٩) بَطَّ الْجَرْحُ : شَقَّهُ - الْمَذْنِفُ : الْمَرِيضُ - الْخِلَاطُ بِالْكَسْرِ : أَنْ يَخَالَطَ الرَّجُلُ فِي عَقْلِهِ .

(٢٠) شَمَّرَ الرَّجُلُ : مَرَّ مَسْرَعًا ، وَلِلْأَمْرِ : نَهَضَ وَخَفَّ - الْبَسْطُ - بِالْفَتْحِ : السَّخْيُ .

(٢١) الْهُدَى : الْعُرُوسُ .

(٢٢) الْقَصِيدَةُ فِي دِيْوَانِ أَسَامَةِ بْنِ مَتْقَدٍ .

وأرسل أسامة قصيدة إلى الملك الصالح يمدحه بها ومطلعها :

أَذْكُرُهُمُ الْوَدَّانَ صَدُّوا وَإِنْ صَدُّوا      إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا اسْتَعْظَفْتَهُمْ عَظَفُوا

فأجابه الملك الصالح بقوله :

أَدَا بُكَ الْغُرْبُ بَحْرٌ، مَالَهُ طَرْفٌ      فِي كُلِّ سَمْعٍ بَدَا مِنْ حُسْنِهِ طَرْفٌ  
نَقُولُ، لَمَّا أَتَانَا مَا بَعَثَتْ بِهِ :      هَذَا كِتَابٌ أَتَى، أُمُ رَوْضَةٍ أَنْفٍ (٢٣)  
خَطُّ تَنْزَهَتْ الْأَزْهَارُ حِينَ بَدَا      كَأَنَّهُ الدَّرُّ، عَنْهُ فَتَحَ الصَّدْفُ  
إِنْ نَظَّمَهُ طَرَقَ الْأَسْمَاعُ كَانَ لَهَا      وَإِنْ حَوَتْ عَطَلًا مِنْ حِلْيَةٍ شَنَفٍ (٢٤)  
رَقَّتْ حَوَاشِي كَلَامٍ أَنْتَ نَازِمُهُ      فِيهِ، فَجَاءَ كَزَهْرِ الرُّوضِ، يُقْتَطِفُ  
وَرَدَّتْ بِحَرَ الْقَوَافِي فَاعْتَرَفَتْ كَمَا      قَدْ حَلَّ يَوْمًا بِمَدِّ النِّيلِ مُغْتَرِفُ  
زَهَتْ عَلَى الْبَدْرِ نَوْرًا، إِذْ أَنْتَ بِسَوَادِ      النَّقْسِ يَشْبِهُهُ مِنْ خَدِّهِ كَلْفٍ (٢٥)  
قَرِطَسْتَ رَمِيًّا، وَكَالِرَامِ بِأَسْهَمِهِ      إِذَا تُحَقِّقُ مِنْهُ يَسْلَمُ الْهَدَفُ  
بِنَازِرٍ فَاقَ غَزْوَ الْعِدْلِ، لَا وَشَلِ      وَلَا يَبْرِضُ إِذَا مَا حَلَّ يُتَشَرَّفُ (٢٦)  
إِذَا تَطَلَّعَ فَوْقَ الْأَرْضِ ذَوَادِبِ      فَأَنْتَ مِنْهُ عَلَى الْعِيقِ تَشْتَرِفُ (٢٧)  
وَأَمْ تَعْرِى دَعَى مَنْ فَضَائِلِهِ      فَأَنْتَ مُدْرَعٌ مِنْهَا، وَمُلْتَحِفُ  
إِذَا تَخَفَّى لِفَتْحٍ وَجْهٌ قَافِيَةٌ      فَعَنْ قَوَافِيكَ شِيلَتْ دُونَنَا السُّجُفُ (٢٨)  
لَأَعْيُنِ النَّاسِ نَهَبٌ مِنْ مُحَاسِنِهَا      كَمَا الْقُلُوبُ تُلَاقِيهَا، فَتَخْتَطِفُ

(٢٣) روضة أنف بضميتين : لم ترع .

(٢٤) الشنف بالفتح : القرط .

(٢٥) غرغ الماء : أخذه بيده - النقس : الملاد - الكلف : سواد في صفرة .

(٢٦) قرطس : أصاب القرطاس ، وهو أديم ينصب للنضال - البرض : القليل - الوشل : الماء القليل .

(٢٧) العيوق : نجم - وتشترف : تشرف .

(٢٨) السجف : جمع السجاف وهو الشتر .

إذا ذكرتناك (مجد الدين) عاودنا  
ورمى ما قد وجدناه لفرقتكم  
ولو عرفت الذى فى القلب منك لما  
ولا عجب إذا حاف الزمان على  
فلا تكن جازعا ، إن التجاوز عن  
فإن حصلت على الصبر احتويت على  
يا من جفانا ، ولو قد شاء كان إلى  
وحق من أمه ، وفد الحجيج ، ومن  
إننا لنوفى على حال العباد ، كما  
وتغفر الذنب إن رام المسىء بنا  
وإن جنى من رأى أننا نعاقبه  
نعم ، ونحفظ عند الغيب صاحبنا  
فما لإبعادنا يوم الوغى ميل  
فعندنا جنة تدنو الثمار بها  
هذى مصاحبنا ضوء النهار ، وكم

شوق تجدد منه الوجد والأسف (٢٩)  
يحيط بالقلب من أزجائه التلّف  
أن كنت عنا على الأحوال تختلف (٣٠)  
حرّ ، وكلّ قضاياه بها جف (٣١)  
إنفاقك الصبر فى شزع الهوى سرف  
الأجر الجزيل ، وفى إحرازه سرف  
جنابنا دون أهل الأرض يتعطف (٣٢)  
ظلت إلى بينه الركبان تختلف (٣٣)  
نوفى لمن ضمّه فى قربنا كنف (٣٤)  
عفوا ، ونشّره فى حين ينكشف  
يردنا الصفح أو يعتاقنا الأنف (٣٥)  
وليس يذركنا كبر ، ولا صلف (٣٦)  
ولا لموعدنا يوم الندى خلف  
إذا دنا مجتن منها ومقتطف  
قد ضلّ من فى ظلام الليل يعتسف (٣٧)

(٢٩) الوجد : الحزن . (٣٠) « أن » زائدة بعد « ما » .

(٣١) الحيف : الظلم . والجنف : الميل والجور .

(٣٢) الجناب : الفناء والناحية .

(٣٣) اختلف إليه : تردد . (٣٤) الكنف : الجانب والظل والناحية .

(٣٥) يعتاقنا : يعوقنا . والأنف : الاستنكاف .

(٣٦) الصلف : أن تتمدح بما ليس عندك ، ويقال صلف فلان أى لم يخط عند الناس وأبغضوه .

(٣٧) يعتسف : يخط على غير هداية .

فَمِلْ إِلَيْنَا بِأَمَالٍ مُّحَقَّقَةٍ      وَكُفَّ غَرْبَ دُمُوعٍ لَمْ تَزَلْ تَكِفْ (٣٨)  
كَفَى اغْتِرَابًا ، فَعَجَّلْ بِالْإِيَابِ لَنَا  
وَقَدْ أَجَبْنَا إِلَى مَا أَنْتَ طَالِبُهُ  
فَرَأَيْنَا فِيكَ قَدْ أَضْحَى عِلَانِيَةً  
وَقُدِّمْتَ لَكَ تَمْهِيدَاتُنَا ، وَبِهَا  
كَأَنَّا حِينَ تَجْرَى ذِكْرَةٌ لَكُمْ  
فَإِنْ يِيَالِغُ أَنْاسٌ فِي الثَّنَاءِ عَلَى  
فَخَذَ نَظَامًا عَلَى قَدْرِ الَّذِي كَتَبَتْ

\* \* \*

وذكر العماد في الخريدة فقال : أنشدني زين الدولة الحسين بن الوزير أبي الكرام قال :  
كتب الصالح بن رزيك إلى والدي بعد عودته من مصر إلى الشام سنة إحدى وخمسين  
 وخمسمائة :

أَحْبَابَ قَلْبِي ، إِنَّ شَطَّ الْمَزَارِبِكُمْ      فَإِنَّكُمْ فِي صَمِيمِ الْقَلْبِ سُكَّانُ (٤٠)  
وَإِنْ رَجَعْتُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ إِنَّ لَكُمْ  
جَاوَرَتُمْ غَيْرَنَا ، لِمَانَاتِ بِكُمْ  
فَكَيْفَ نَنسَاكُمْ يَوْمًا لِبُعْدِكُمْ

\* \* \*

(٣٨) الغرب : الحدة والنشاط والنادى .

(٣٩) روى في الأمر : نظروا ففكر .

(٤٠) شط : بعد .



وقال فى الزهد وذم الدنيا وبيان متاعها ومصاعبها :

يا دَهْرُ، حَسْبُكَ ما فعلت بنا  
كَمْ نَتَّقِيكَ بِكُلِّ سَابِغَةٍ  
ما تنفعُ الدَّرْعُ الحصينةُ مَنْ  
كُلًّا، ولا الأَيَّامُ تَقْبَلُ عَنْ  
لِوْبِ الثَّرِيَّا حَلَّ مَعْتَصِمُ  
ولقد يُهَوِّنُ ما أصابكم  
وبنيهمُ، إِذْ طَوَّحَتْ بِهِمْ  
وأرى الأئمةَ جَارَ دَهْرِهِمْ  
لِى أَسْوَأَ بِهِمُ الغداةِ إِذا

أُتْرِكَ تَطْلُبُ عِنْدَنَا إِحْنًا (٤١)  
وَسِهَامُ كَيْدِكَ تَخْرُقُ الْجُنَّةَ (٤٢)  
عَمَّا قَلِيلٍ يَلْبِسُ الْكَفَنَ  
أرواحنا رَشُوا ولا ثَمَنًا  
منها لكان لِه الثَّرَى وَطَنًا  
فقدُ (الحسين) الطَّهْرُ (الحَسَنُ)  
أيدى زمانهمُ هنا وهنا  
فى فِغْلَةٍ بِهِمْ، فكيف أنا  
أَصْبَحْتُ فى الأحداثِ مُرْتَهَنًا

\* \* \*

قال فى بعض الوقائع مفتخرًا :

توالى علينا فى الكتائبِ والكتائبِ  
بِشائِرُ تُهْدِي لِلْمَوالى مَسَرَّةً  
وفى كَيْدٍ مِنْ حَرِّها النارُ تَلْتَظِي  
جَعَلْنَا جبالَ القُدسِ فيها وقد جَرَتْ  
فقد أصبحت أوعارُها وحُزونها  
ولما غَدَتْ لأماءِ فى جَنَباتِها

بشائرُ من شَرْقِ البلادِ ومن غَرْبِ  
وتُخَدِّثُ لِلباغين رُغْبًا على رُغْبِ  
وفى كَيْدٍ أَخْلَى مِنَ البَرْدِ العَذْبِ  
عليها عِناقُ الخيلِ كالنَّفَنِفِ الشَّهْبِ  
سُهولًا تُسَوِّطُا لِلْفِوارسِ والسَّرَكِبِ  
صَبَّنا عليها وإبلاً مِنْ دَمٍ سَكَبِ (٤٣)

(٤١) الأجن ؛ جمع إحنة ، وهى الغضب والعداوة والحقد .  
(٤٢) درع سابغة : تامة طويلة - الجنن : جمع جنة ، وهى كل ما وقى .



وجادت بها سُحْبُ الدُّرُوعِ مِنَ الْعِدا  
 وَأَجْرَتْ بِجَارًا مِنْهُ فَوْقَ جِبَالِهَا  
 فَقَدْ عَمَّهَا خِضْبٌ بِهِ رُءُوسُهُمْ  
 وَقَدْ رَوَّعَتْهَا حَيْلُنَا قَبْلَ هَذِهِ  
 وَأَخْفَى صَهِيلُ الْخَيْلِ أَصْوَاتَ أَهْلِهَا  
 وَأَبْطَالَ حَرْبٍ مِنْ كِتَامَةٍ دَوَّخُوا  
 وَعَادُوا إِلَيْنَا بِالرَّءُوسِ عَلَى الْقَنَا  
 وَإِنَّا بِنُورِ زَيْنِكَ مَا زَالَ جَارُنَا  
 وَنَفْتِكَ بِالْأَمْوَالِ فِي السَّلْمِ دَائِمًا  
 نَجِيعًا فَأَغْتَتَّهَا الْغَدَاةُ عَنِ الشُّخْبِ  
 وَلَكِنْ بِحَارِ لَيْسَ تَعْدُبُ لِلشُّرْبِ  
 بِهَا وَلَكِنْ خِضْبٍ أَضْرَمَ الْجَذْبِ  
 مِرَارًا وَكَانَتْ قَبْلَ أَمْنَةِ السَّرْبِ  
 فَعَاقَتْ نَوَاقِيسَ الْفَرْنَجِ عَنِ الضَّرْبِ  
 بِلَادَ الْأَعَادِي بِالْمَسْوْمَةِ الْقُبِّ (٤٤)  
 وَأَغْنَاهُمْ كَسْبُ الشَّاءِ عَنِ الْكَسْبِ  
 يَحُلْ لَدَيْنَا بِالْكَرَامَةِ وَالْخِضْبِ  
 كَمَا نَحْنُ بِالْأَعْدَاءِ نَفْتِكَ فِي الْحَرْبِ

\*\*\*

---

(٤٣) الننف : المفازة - السهب : المستوى من الأرض - الحزن : ما غلظ من الأرض - الوابل : المتلاحق .  
 (٤٤) كتامة : قبيلة عربية قدمت مع الفاطميين - المسومة : المعلمة - القب : الضوامر من الخيل .

## أبو جعفر بن سعد

( ت ٥٥٩ - هـ / ١١٦٤ م )

أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد ، من سلالة عمار بن ياسر ، نزل أسلافه قلعة في كورة غرناطة حملت اسمهم ، واستقلت بها الأسرة خلال الفتنة التي عمت قرطبة آخر القرن الرابع الهجري وأوائل الخامس ، واستقلت بها مرة أخرى في نهاية عصر المرابطين ، ثم دان زعيمهم عبد الملك بن سعيد للموحدين . وقبل ذلك حاول أن يتخذ من ابنه أبي جعفر وزيرا ولكن الابن ، وكان في ريعان الشباب شاعرا صاحب لهو وطرب اعتذر لأبيه ، وقال إنه لا يصلح للوزارة فأعفاه منها ، ومضى مع رفاقه ، يعيشون للهوهم .

وحين ولي عبد المؤمن بن علي أمير الموحدين أبنائه وقواده على بلدان الأندلس ، كانت غرناطة من نصيب ابنه أبي سعيد عثمان ، وكان محبا للأدب فطلب وزيرا أدبيا من أهلها يستعين به ، فوصفوا له أبا جعفر وحسبه وأدبه فاستوزره ، وحاول هذا أن يستعفى فأبى أبو سعيد ، وقلده الوزارة .

كان أبو جعفر كلما بفتاة شاعرة ذات جمال و ثراء ، هي حفصة الركونية ، لفت ذكاؤها أباها فعنى بتربيتها ، وأتاح لها من الحرية ما جعلها تلقى الأدباء والشعراء وتحاورهم ، وتبادل أبا جعفر حب بحب ، يتلاقيان ، ويتهاديان ، ويتبادلان الرسائل شعرا ، وعرف أبو سعيد والي غرناطة ما كان من جمالها وشعرها فحاول أن يتضرب إليها ، وعرف ما كان بينها وبين أبي جعفر من حب فغار منه ، ووجد عليه ، وزادته الوشايات موجدة وغيظا . نقل إليه أن أبا جعفر قال لحفصة عنه : « ما تحبين في ذلك الأسود ؟ » وكان لون أبي سعيد مائلا للسواد ، وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيرا منه ، فأسرّها في نفسه . ونقلوا إليه أيضا أن أبا جعفر عناه في بيته :

فقل لحريص أن يراني مُقيّدا

بخدمته لا يُجعل الباز في القفص

ووات أبو سعيد الفرصة للانتقام حين تمرّد محمد بن مردنيش شرقى الأندلس ، وانضمّ  
أحد أفراد أسرة بنى سعيد إليه ، فألقى القبض على أفراد الأسرة ، وقتل أبا جعفر صَبْرًا فى  
مدينة مالقة عام ٥٥٩ هـ ، فحزنت حفصة عليه ، ولبست السواد علانية ، وبكته جهرة ، ورثته  
فى أبيات حفظ لنا التاريخ ثلاثة منها ، ثم هجرت غرناطة إلى مراكش ، وعملت هناك معلمة  
لبنات الخليفة الموحدى إلى أن توفيت عام ٥٨٦ هـ .

\* \* \*

لما سقطت دولة المرابطين استقل عبد الملك بن سعيد بأمر قلعة بني سعيد ، اتخذ ابنه أبا جعفر أحمد وزيرا ، واستنابه ، فلم يصبر على ذلك ، واستعفى فلم يعفه ، وقال : « أفي مثل هذا الوقت الشديد تركوه إلى الراحة ؟ ! » ، فكتب إليه أبو جعفر :

مـولـائـي فـي أـيِّ وقـتٍ	أنا ل فـي العـيش راحـة
إن لـم أنلـها وعمـري	ما إن أنـار صـباحـه ؟
ولـمـلـح عـيـون	تـمـلُّ نـحو المـلاحـه
وكـأـس راصـي ما إن	تـمـلُّ مـنـي راحـه
والخـطـب عـنـي أعمـي	لـم يـقـتـرب لـي سـاحـه
وأنت دونـي سـور	مـن العـلا والـرجـاحـه
فأغـفـنـي وأقـلـنـي	مـمـا رأيت صـلاحـه
ما فـي الـوزارـة خـط	لـمـن يـريد اـرتـياحـه
كـلُّ وقـال وقـيل	مـمـن يـطـيل نـُـباحـه (١)
أنـسـي أنـي مُـسـتـغـيـثـا	فـاتـرك - فـديـت - سـراحـه

\* \* \*

وقال في رحلة صيد :

ويـم تـجـلـي الأفتـى فـيـه بعـنـير  
 مـن الغـيـم ، لـذنا فـيـه بالـلهـو والقـنـص  
 وقـد بـقيـت فـينا مـن الأـمـس فـضـلـة  
 مـن الشـكـر تُغـرـينا بـمـتـهـبِ القـرـص (٢)

(١) الكَلّ : الضعف والإعياء - القال والقيـل : كلاهما بمعنى القول ، وقد نهى النبي ﷺ عن القيل والقال ، أي عن فضول القول مما يوقع الخصومة بين الناس .  
 (٢) القنص : الصيد - فضلة : بقية .

رَكِبْنَا لَهُ صُبْحًا وَلَيْلًا وَبَعْضُنَا  
أَصِيلًا ، وَكُلُّ إِن شِدَا جُلُجُلٍ رَقَصُ  
وَشَهَبٍ بُرَاقَةٍ قَدْ رَجَمْنَا بِشَبَهِهَا  
طَيُورًا ، يَسَاغُ اللَّهْوُ إِن شَكَّتِ الْغُصَصُ (٣)  
وَعَنْ شَفَقٍ تَغْرَى الصَّبَاحَ أَو الدَّجَى  
إِذَا أَوْثَقَتْ مَا قَدْ تَحَرَّكَ أَوْ قَمَصُ  
وَمَلْنَا وَقَدْ نَلْنَا مِنَ الصَّيْدِ سُؤْلَنَا  
عَلَى قَنَصِ اللَّذَاتِ وَالْبَرْدُ قَدْ قَرَصُ (٤)  
بِخِيَمَةٍ نَاطُورٍ تَوَسَّطَ عَذْبُهَا  
جَحِيمٌ ، بِهِ مَنْ كَانَ عُذْبٌ قَدْ خُلِصُ (٥)  
أَدْرَنَا عَلَيْهِ مِثْلَهُ ذَهَبِيَّةٌ  
دَعَتْهُ إِلَى الْكِبَرَى فَلَمْ يُجِبِ الرُّخَصُ  
فَقُلْ لِحَرِيصٍ أَنْ يَرَانِي مُقَيَّدًا  
بِخِدْمَتِهِ : لَا يُجْعَلُ الْبَازُ فِي الْقَفَصِ  
وَمَا كُنْتُ إِلَّا طَوْعَ نَفْسِي فَهَلْ أَرَى  
مَطِيعًا لِمَنْ عَنْ شَأْنٍ فُخِرَى قَدْ نَقَصُ

\* \* \*

(٣) الجُلُجُلُ : جرس صغير يُعَلَّقُ فِي أَعْنَاقِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهِ - رَجَمْنَا بِمَعْنَى صَدْنَا أَوْ قَتَلْنَا - الْبُرَاقَةُ : جَمْعُ الْبَازِي وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الصَّقُورِ الصَّغِيرَةِ تَصِيدُ - الْغُصَصُ : جَمْعُ الْغَصَّةِ وَهُوَ مَا اعْتَرَضَ فِي الْحَلْقِ مِنْ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ .  
(٤) قَمَصُ : نَفَرٌ أَوْ جَرَى أَوْ وَثَبَ - سُؤْلُنَا : أَمْنَيْتُنَا - وَقَوْلُهُ « قَرَصَ » لَعَلَّ الشَّاعِرَ أَرَادَ بِهِ « قَرَسَ » يُقَالُ : قَرَسَ الْبَرْدُ أَيِ اشْتَدَّ .  
(٥) النَّاطُورُ : حَافِظُ الزَّرْعِ وَالتَّمْرِ وَالْكَرْمِ .



وطلب الاجتماع بحفصة فمطلته شهرين ، فكتب لها .

لها يا مَنْ أَجَانِبُ ذَكَرَاسِ  
مَا إِنْ أَرَى الْوَعْدَ يُقْضَى  
الْيَوْمَ أَرْجُوكَ لَا أَنْ  
لَوْ قَدْ بَصُرْتَ بِحَالِي  
أَنْسُوحَ وَجَدًا وَشَوْقًا  
صَبُّ أَطَال هَوَاهِ  
لَمَنْ يَتِيَهُ عَلَيْهِ  
إِنْ لَمْ تُنِيلْ أُرِيحِي  
فَأَجَابَتْهُ :

يَا مُدْعَى فِي هَوَى الْحُسْنِ  
أَتَى قَرِيضُكَ لَكِنْ  
أَمْدَعَى الْحَبِّ يَنْشَى  
ضَلَلْتُ كُلَّ ضَلَالٍ  
مَا زِلْتُ تَصْحَبُ مَذْكُنْتَ  
حَتَّى عَشَرْتَ وَأَخْجَلْتِ  
بِاللَّهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ  
وَالزَّهْرُ فِي كُلِّ حِينٍ  
لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ عَذْرَى

مِنْ وَالْفَرَامِ الْإِمَامِ  
لَمْ أَرْضَ مِنْهُ نَظَامِهِ  
يَأْسُ الْحَبِيبِ زَمَامِهِ ؟  
وَلَمْ يُقِذْكَ الزَّعَامِ (٦)  
فِي السِّبَاقِ السَّلَامَةِ  
بِتَافُتْضَاحِ السَّامِ  
يُئِدِي السَّحَابِ انْسِجَامِهِ  
يَشْقُ عَنْهُ كِمَامِهِ (٧)  
كَفَفْتَ غَرْبَ الْمَلَامِ

\* \* \*

(٦) نظامه : تأليفه - يثنى زمامه بمعنى يلوى وجهه ليكفكه عن سرعته ، والزمام : الحبل يزم به البعير وغيره .  
(٧) الكمام : أوعية الزهر والطلع .

وقال وقد استشعر النهاية التى يُبَيِّئُهَا له أبو سعيد :  
من يشتري منى الحياة وطيبها  
ووزارتى وتادبى وتهذبى  
بمحل راع فى ذرا ملمومة  
زويت عن الدنيا بأقصى مرتب (٨)  
لا حكم يأخذه بها إلا لمن  
يعفو ويرأف دائما بالمذنب  
فلقد سئمت من الحياة مع امرئ  
متغصب متغلب مترتب  
الموت يلحظنى إذا لاحظته  
ويقوم فى فكرى أوان تجبى  
لأمتدى مع طول ما حاولته  
لرضاه فى الدنيا ولالمهرب

\* \* \*

---

(٨) الملمومة بمعنى المستديرة المدورة من الصخور وغيرها - زويت بمعنى بعدت أو طويت - المرتبة : المرقبة  
وهى أعلى الجبل ، أو العلم الذى ترتب فيه العيون والرقباء فى الجبل والصحراء أو المضيق فى الوادى .

واتفق أن التقى أبو جعفر مع حفصة ، فى بستان بخور مؤمل ، وذكر تلك الليلة التى  
أمضيها معا ، فقال :

رعى الله ليلاً لم يَرُخْ بمذمم  
عَشِيَّةً وارانسا بخور مؤمل  
وقد خَفَّقَتْ من نَحْوِ نَجْدٍ أَرِيحَةٌ  
إذا نَفَخَتْ هَبَّتْ بِرِيَّا الْقَرْنُفُل (٩)  
وغرَّدَ قُمْرِيٌّ عَلَى الدَّوْحِ وَانْتَشَى  
قَضِيبٌ مِنَ الرِّيحَانِ فَوْقَ جَذُولِ  
تَرَى الرُّوْضَ مَسْرُورًا بِمَا قَدْ بَدَّالَهُ :

عِنَاقٌ وَضَمٌّ وَارْتِشَافٌ مُقَبَّل (١٠)  
فكتبت إليه بقولها :

لعمرك ما شَرَّ الرِّياضِ يَوصِلُنَا  
ولكنه أبدى لنا الغِلَّ والحسَدَ  
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا  
ولا غرَّد القمريُّ إلَّا لما وجد (١١)

---

(٩) نجد و حور مؤمل من أجمل ضواحي غرناطة الإسلامية ، ومسكن الطبقة العالية ، ومؤمل الذى ينسب إليه الحور كان مولى لباديس بن حبوس أمير غرناطة فى عصر الطوائف .  
الأريحة : الريح الطيبة - نفحت : نسمت وبدأت حركتها - رِيًّا القرنفل : رائحته الطيبة .  
(١٠) الدَّوْح : الشجر العظيم المتشعب ذو الفروع الممتدة ، واحده : دوحه - المقَبَّل : موضع التقييل واللثم وهو الثغر .  
(١١) الغِلُّ : العداوة والحقد الكامن - التصفيق : هو الضرب أو التحريك يسمع له صوت ، ويقال : صفقت الريح الماء أى ضربته واختلفت عليه - وجد : أحب أو حزن .

فلا تحسن الظنَّ الذي أنتَ أهلهُ

فما هوفى كلَّ المواطن بالرشد

فما خلثُ هذا الأفقُ أبدى نجومه

لأمرٍ سوى كما يكون لنا رصد (١٢)

\* \* \*

وله هذه الموشحة :

ذَهَبَتْ شمسُ الأصيلِ      فِضَّةُ النهرِ

أَيُّ نهرٍ كالمُدَامَةِ

صَيَّرَ الظِّلَ فِدَامَةِ

نَسَجَتْهُ الرِّيحُ لَامَةً

وَتَتَّ لِلْفُصْنِ لَامَةً

فهو كالعضبِ الصَّقِيلِ      حُفَّ بالسُّمْرِ (١٣)

مُضِحِّكََا ثَغَرَ الْكِمَامِ (١٤)

مُبْكِيَا جَفْنَ الْغَمَامِ

مُنْطَقَا وُزْقِ الْحَمَامِ

دَاعِيَا إِلَى الْمُدَامِ

---

(١٢) رَصَدَ : رَقِيبَ .

(١٣) اللَّامَةُ : أداة الحرب كلها من درع ورمح وسيف وغيرها - العضب : السيف الحاد - الصَّقِيل : المجلوء - السُّمْر : الرماح .

(١٤) الْكِمَام : وعاء الطلع وغطاء النُّزُر والزهر .

فلهذا بالقَبُولِ خُطٌّ كالسَّطْرِ

حَبَّذَا بِالْحَوْرِ مَغْنَى

هِيَ لَفْظٌ وَهُوَ مَعْنَى

مُذْهِبُ الْأَشْجَانِ عَنَّا

كَمْ دَرِينَا حَيْثُ سِرْنَا

ثُمَّ فِي وَقْتِ الْأَصِيلِ لِمَنْ نَكُنْ نَدِيرِ

قَلْتُ وَالْمَرْجُ اسْتَدَارَا

بِذُرَا الْكَأْسِ سِوَارَا

سَالِبٌ مِنْهُ الْوَقَارَا

دَائِرًا مِمَّنْ حَيْثُ دَارَا

صَادَ أَطْيَارَ الْعُقُولِ شِيكَ الْخَمْرِ

وَعَدَ الْحَبُّ فَأَخْلَفَ

وَاشْتَهَى النَّطْلَ فَسَوَّفَ (١٥)

وَرَسُولِي قَدْ تَعَرَّفَ

مِنْهُ مَا أَدْرِي فَحَسِرْتُ :

بِاللَّهِ قُلْ يَا رَسُولِي لَشَّ يَغْسِبُ بِدَرِي

\* \* \*

---

(١٥) الْحَبُّ : المحبُّ أو المحبوب - المَطْل : تأجيل الوفاء بالحقِّ مرة بعد الأخرى - سَوَّفَ : مَطَّلَ .





## المهذب بن الزبير

( ت ٥٦١ هـ / ١١٦٦ م )

أبو محمد الحسن بن علي بن الزبير الغساني ، ولد بأسوان في صعيد مصر في أوائل القرن السادس الهجري ، من أسرة معروفة بالرئاسة مشهورة بالعلم والأدب ، وقد اتصل سنة ٥٢٦ ببني الكنز ، وهم من سراة أسوان ، وله أشعار كثيرة في مدحهم .

رحل إلى القاهرة ، فعاين أحداثها وعایش أعيانها ، ومدح رضوان بن ولخشى وزير الخليفة الحافظ ، ورثاه عندما قتل ، ورحب بقدوم أسامة بن منقذ إلى مصر وأرسل له قصيدة في ذكر الديار من أسوان ، كما مدح الملك العادل سيف الدولة على بن السلار حينما تولى الوزارة للخليفة الظافر ، وقد حفل عصر المهذب بالاضطراب بين الشيعة والسنة ، وبين الفاطميين والأيوبيين ، وكان الوزير شاور مصدرهم ، ويحكى الداودي في طبقات المفسرين أنه لما مات الصالح بن رزيك حدثت عداوة بين القاضي الجليس بن الحباب والمهذب بن الزبير ، فبلغ شاور أن المهذب يمدح شيركوه ويحرضه على قتله فلما سار شيركوه إلى القاهرة قبض شاور على المهذب واعتقله وعزم على قتله ، فدخل عليه القاضي الجليس ، وما زال به حتى أفرج عنه ورد إليه حريته ، وسرعان ما توفي سنة ٥٦١

كان حافظاً للقرآن الكريم والشعر والأمثال والمأثورات عارفاً باللغة والتاريخ والعلوم المتنوعة ، وقد ظهر أثر ذلك كله في شعره .

وكان أخوه القاضي الرشيد أحمد بن الزبير شاعراً أيضاً ، كما كان فقيهاً عارفاً بعلوم النحو واللغة والعروض والمنطق ، ملماً بالهندسة والطب والموسيقى ، وثيق الصلة - كأخيه - بشيركوه وابن أخيه صلاح الدين حين قدما مصر لنجدة الوزير شاور ضد خصومه ، ولكن شاور سرعان ما قلب لهما ظهر المجن ، فهرب الرشيد ثم ظفربه شاور وقتله .

أجاد المهذب في أغراض شعرية شتى ، منها : الاستعطاف ، وله في ذلك قصائد في استعطاف شاور ، أشعار مشهورة أرسلها إلى أحد الدعاة الفاطميين باليمن ليعفو عن أخيه الرشيد ، أما المديح فقد احتفل فيه بوصف بطولات الجيوش المصرية وما حاق بالصليبيين من هزائم وأكثر من الإشادة بطلائع بن رزيك الذي تولى الوزارة سنة ٥٤٩ وكان المهذب أثيراً لديه .

وقد صور في شعره حبه الشديد لمصر، بمثل قوله :

وما لي إلى ماءٍ سوى النيلِ غُلَّةٌ      ولو أنه - أستغفر الله - زَمَزَمُ

وفي بيان منزلته العالية وصفه العماد الأصبهاني بأنه : « محكم الشعر كالبناء المشيد ،  
لم يكن في زمانه أحد أشعر منه ، وله شعر كثير ، ومحل في الفضل أثير » .

\* \* \*

قال المهذب في مدح الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٥٣ هـ ، ووصف أسطوله ونصرته  
في البحر على الروم :

أَعْلِمْتُ حِينَ تَجَاوَزَ الْحَيَّانِ      أَنْ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النَّيِّرَانِ ؟ !  
وَعَرَفْتُ أَنَّ صَدُورَنَا أَصْبَحَتْ      فِي الْقَوْمِ وَهْيَ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ (١)  
وَعِيُونُنَا عِيُونُ أَمْدَهَا      مَا غَادَرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدْرَانِ (٢)  
مَا الْوُخْدُ هَزَقِيَابَهُمْ ، بَلْ هَزَّهَا      قَلْبِي لِمَا فِيهِ مِنَ الْخَفْقَانِ (٣)  
وَنَرَاهُ يَكْرَهُ أَنْ يَرَى إِظْمَانَهُمْ      وَكَأَنَّمَا أَصْبَحْتُ فِي الْأَظْمَانِ (٤)  
وَبِمُتَّجَتِي قَمَرًا إِذَا مَا لَاحَ لِلسَّاءِ      سَارِي تَضَاءَلْ دُونَهُ الْقَمَرَانِ  
قَدْ بَانَ لِلْعُشَّاقِ أَنَّ قَوَامَهُ      سَرَقَتْ شَمَائِلُهُ غُصُونُ الْبَانِ  
وَأَرَاكَ غَضَبًا فِي النَّعِيمِ تَمِيلُ إِذْ      غُضُنُ الْأَرَاكِ يَمِيدُ فِي نَعْمَانِ (٥)  
لِلرُّمَحِ نَصْلٌ وَاحِدٌ ، وَلَقَدَّهُ      مَنْ نَاطَرِيهِ إِذَا رَتْنَا نَضْلَانِ  
وَالسِّيفُ لَيْسَ لَهُ سِوَى جَفْنٍ ، وَقَدْ      أَضْحَى لَصَارِمِ طَرْفِهِ جَفْنَانِ  
وَالسَّهْمُ تَكْفَى الْقَوْسُ فِيهِ ، وَقَدْ غَدَا      مَنْ حَاجِبِيهِ لِلْحَظِيهِ قَوْسَانِ  
وَلَرُبَّ لَيْلٍ خِلْتُ خَاطِفَ بَرْقِهِ      نَارًا تَلْفَعُ لِلدُّجَى بَدْخَانِ  
كَالْمَائِلِ الْوَسْنَانِ مِنْ طُولِ الشَّرَى      جَوْزَاؤُهُ ، وَالرَّاقِصِ السَّكْرَانِ  
مَا بَانَ فِيهِ مِنْ نُرِّيَاءٍ سِوَى      إِعْجَامِهَا ، وَالذَّالُ فِي الدَّبْرَانِ (٦)

(١) المرابض : جمع المربض وهو المأوى .

(٢) العيون : ينابيع الماء - الغدران : قطع المياه يغادرها السيل .

(٣) الوخد للبعير هو الإسراع وسعة الخطو في المشي .

(٤) الإظمان : التسيير - الأظمان : الهودج تكون فيها النساء .

(٥) يميل : يتمايل - نعمان : واد في طريق الطائف يخرج إلى عرفات ، يقال له نعمان الأراك .

(٦) الدبران : خمسة كواكب من الثور ، وهو من منازل العمر ، وقيل : نجم بين الثريا والجوزاء .

وترى المجرة في النجوم كأنها  
لولم يكن نهراً لما عامت به  
نادمت فيه الفرقدين كأننى  
وترفعت - همى فما أرضى سوى  
وأنفت حين فجعت بالأجباب أن  
وأغضت من جود الوزير مواهباً  
يا كسر الأضنام قم فأنهض بنا  
فالشام ملكك قد ورثت ثرائه  
فإذا شككت أنها أوطانهم  
أوزمت أن تلو محاسن ذكرهم  
ما زلزلت أرض العدا ، بل ذاك  
وأقول : إن حصونهم سجدت لما  
والناس أخذوا بالسجود ، إذا غدا  
ولقد بعثت إلى الفرنج كتاباً  
لبسوا الدروع ، ولم نخل من قبلهم  
وتيمموا أرض العدو بقفرة

تسقى الرياض بجدول ملان<sup>(٧)</sup>  
أبدًا نجوم الحوت والسرطان<sup>(٨)</sup>  
- دون الورى - وجذيمة أخوان<sup>(٩)</sup>  
شهب الدجى عوضاً من الخلان  
ألهموعن الإخوان بالخوان  
أسلث عن الأوطار والأوطان<sup>(١٠)</sup>  
حتى تصير مكسر الصلبان  
عن قومك الماضين من غسان  
قذماً ، فسئل عن حارث الجولان  
فاسند روايتها إلى حسان<sup>(١١)</sup>  
بقلوب أهلها من الخفقان  
أتيت من ملك ومن سلطان  
لعلاك يسجد شامخ البنيان  
كالأسد حين تصول في خفان<sup>(١٢)</sup>  
أن البحار تحل في غدران  
جرداء خالية من السكان

(٧) المجرة : مجموعة كبيرة من النجوم تترأى من الأرض كوشاح أبيض يعترض السماء .

(٨) الحوت والسرطان من بروج السماء .

(٩) الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ، وربما قالت العرب لهما الفرقد .

(١٠) أسكتة : جعلته يسب الله أى ينسى - الأوطار : المآرب والحاجات .

(١١) غسان : قبيلة كبيرة من الأزد - حادث لجولان : جبل أوقرية بالشام - حسان هو ابن ثابت وكان في الجاهلية يقد على الفساسة ويمدحهم .

(١٢) خفان : موضع فيه تعيش الأسود .



عشرين يوماً في المغار و ليلة  
حتى إذا قطعوا الجفار بجحفل  
أغريتهم بحمى العدا فجعلته  
عجلت في تل العجول قراهم  
لما أبوا ما في الجفان قربتهم  
وثلثت في يوم العريش غروشهم  
ألجأتهم للبحر لما أن جرى  
مدح الورى بالبأس إذ خضبوا الظبا  
ولأنت تخضب كل بحر زاجر  
حتى ترى دمهم وخضرة ما به  
وكان بحر الروم خلق وجهه  
ولقد أتى الأسطول حين غزا بما  
أخيب إلى بها شوانى أصبحت  
شبهن بالغربان في ألوانها  
أوقرتها عدد القتل فقد غدت

يسرون تحت كواكب الخرصان (١٣)  
هو في العديد ورملخ سيان (١٤)  
سطاك بعد العز دار هوان  
- وهم لك الضيفان - بالذيفان (١٥)  
بصوارم سلت من الأجفان (١٦)  
شبا ضراب صادق وطعان (١٧)  
منه ومن دمهم معا بحران  
في يوم حربهم من الأقران  
ممن تحارب بالنجيع القانى (١٨)  
كشقاتي ثرت على الرئحان  
وطقت عليه منابت المرجان (١٩)  
لم يأت في حين من الأحيان  
من فتكها ولها العداة شوانى (٢٠)  
وفعلن فعل كواسر العقبان  
فيها القنا عوضا من الأشطان (٢١)

(١٣) الخرصان : الرماح أو أسسها .

(١٤) الجفار : أرض بين فلسطين ومصر ، أولها رفح من جهة الشام - الجحفل : الجيش الكثير .

(١٥) القرى : ما يقدم إلى الضيف من طعام - الذيفان : السم الناقع .

(١٦) الجفان : قصاع الطعام - قريتهم : أطعمتهم - الأجفان : أعماد السيوف .

(١٧) ثلثت : أذهبت سلطانهم - الشبا : جمع شباة وهي حد السيف .

(١٨) النجيع القانى : الدم الشديد الحمرة .

(١٩) خلق : طيب بالخلق وهو الزعفران .

(٢٠) الشوانى : السفن الحربية ، والشوانى كلمة مصرية بمعنى المخازن التى تخزن فيها الغلة وغيرها .

(٢١) أوقرتها : حملتها - العدد جمع العدة وهي ما يعد للقتال - الأشطان : الجبال الطويلة .

فَأَتَتْكَ مُوقِرَةٌ بِسَبِيٍّ بَيْنَهُ  
حَرْبٌ عَوَانٌ حَكَمَتْكَ مِنَ الْعَدَا  
وَأَعَدَّتْ رُسُلَ ابْنِ الْقَسِيمِ إِلَيْهِ فِي  
وَالْقَالَ يُشْهَدُ بِأَسْمِهِ أَنْ سَوْفَ يَغْدُو  
وَأَرَاكَ مِنْ بَعْدِ الشَّهِيدِ أَبَا لَهُ  
وَهُوَ الَّذِي مَازَالَ يَفْعَلُ فِي الْعِدَا  
قَتَلَ الْبِرْنَسَ وَمَنْ عَسَاهُ أَعَانَهُ  
وَأَرَى الْبَرِيَّةَ ، حِينَ عَادَ بِرَأْسِهِ  
وَاتَعَجَّبُوا مِنْ زُرْقَةٍ فِي طَرْفِهِ  
فَلْيَهْنِهِ أَنْ فَازَ مِنْكَ بِسَيِّدٍ  
قَدْ صَاغَ مِنْ أَرْمَاحِهِ لِمَسَامِعِ الْـ  
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ فِي الْكَرْيَةِ أَنَّهُ  
عَجَبًا لَجُودِ يَدَيْهِ إِذْ يَنْسِي الْعُلَا  
وَلَنَارُ فِطْنَتِهِ تُرِيكَ لَشَعْرِهِ  
وَعُقُودَ دُرٍّ لَوْ تَحَبَّسَتْ لَفُظْهَا  
وَتَنَزَّهَتْ عَنْ أَنْ تُرَى أَفْرَادُهَا

أَسْرَاهُمْ مَغْلُولَةَ الْأَذْقَانِ  
فِي كُلِّ يَكْرِ عِنْدَهُمْ وَعَوَانٍ (٢٢)  
شُعْبَانٌ كَسَى يَتْلَاءَمَ الشُّعْبَانِ  
سُدُورَ الشَّامِ وَهُوَ عَلَيْكُمَا قِسْمَانِ  
وَجَعَلَتْهُ مِنْ أَقْرَبِ الْإِخْوَانِ (٢٣)  
مَالِمَ يَكُنْ لِيَعْدَ فِي الْإِمْكَانِ  
لَمَّا عَتَا فِي الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ  
مُرَّ الْجَنَى يَنْدُو عَلَى الْمُرَّانِ (٢٤)  
وَكَانَ فَوْقَ الرَّمْحِ نَضْلًا ثَانِي  
أَوْ فِي بَرَقَتِهِ عَلَى كَيَوَانٍ (٢٥)  
سَامِلًا أَقْرَطًا مِنَ الْخُرْصَانِ  
قَدْ حَطَّ هَيْكَلُهَا عَلَى الْفَرَسَانِ  
وَالسَيْلُ يَهْدِمُ ثَابِتَ الْأَرْكَانِ  
عَذْبًا يُرَوَّى غُلَّةَ الظَّنَّانِ  
مَا رُصِّعَتْ إِلَّا عَلَى التَّيْجَانِ  
لِمَوَاضِعِ الْأَقْرَاطِ وَالْأَذَانِ

(٢٢) العوان : الحرب الشديدة التي قوتل فيها مرة بعد أخرى - العوان : المرأة التي كان لها زوج .

(٢٣) الشهيد لقب عماد الدين أتابك زنكي ( ت ٥٤١ هـ ) والد نور الدين محمود .

(٢٤) البرنس : ريمون دي بواتيه صاحب أنطاكية - الجنى : الثمر - المرَّان : الرماح الصلبة اللدنة ، واحدتها :

مُرَّانة ، أو شجر الرماح .

(٢٥) كيوان : هو الكوكب زحل ، يضرب به المثل في العلو وبعد المسافة .

من كل رائقة الجمال زهت بها  
سيارة في الأرض لا يعتاقها  
يا منعمًا ما للثناء ولو غلا  
قلدت أعناق البرية كلها  
حتى تساوى الناس فيك وأصبح الـ  
ورحمت أهل العجز. منهم مثلما  
بين القصائد عزة السلطان  
في سيرها قيد من الأوزان (٢٦)  
يومًا بما تولى يداه يدان  
متنا تحمل ثقلها الثقلان (٢٧)  
قاصي بمنزلة القريب الداني  
أصبحت تغفر للمسيء الجاني  
\* \* \*

وله من قصيدة يمدح فيها الداعي ويستعطفه لإطلاق سراح أخيه الرشيد : (٢٨)  
يا ربيع أين ترى الأجنة يمموا  
نزلوا من العين السواد وإن نأوا  
رحلوا وفي القلب المعنى بعدهم  
وسروا وقد كتموا السر، وإنما  
وتعوضت بالأنس رُوحى وخشة  
لولا هم ما قمت بين ديارهم  
أمنازل الأجاب، أين هم، وأين  
سا ساكنى البلد الحرام وإنما  
هل أنجدوا من بعدنا أم أنهموا ؟ ! (٢٩)  
ومن الفؤاد مكان ما أنا أكنم  
وجد على مر الزمان مخيم  
تسرى إذا جن الظلام الأنجم  
لا أوحش الله المنازل منهم  
حيران أشتاف الديار والثم (٣٠)  
الصبر من بعد التفرق عنهم ؟ !  
في الصدر مع شحط المزار سكتهم (٣١)

(٢٦) سيارة : بمعنى مشعورة تنقل من مكان إلى مكان - لا يعتاقها : لا يعوقها ولا يمنعها .

(٢٧) الثقل : الحمل الثقيل - الثقلان : الإنس والجن .

(٢٨) الداعي : هو المتوج المعظم محمد بن سبا أصحاب عدن ، من دعاة الباطنية الإسماعيلية ( ت ٥٥٠ هـ ) .

(٢٩) يمموا : قصدوا . أنجدوا : دخلوا نجداً - أنهموا : دخلوا تهامة .

(٣٠) أشتاف الديار : أشمها .

(٣١) شحط المزار : بعده .

يَا لَيْتَنِي فِي النَّازِلِينَ عَشِيَّةً  
فَأَفُوزَانِ غَفَلَ الرَّقِيبُ بِنَظَرَةٍ  
إِنِّي لَأَذْكُرْكُمْ إِذَا مَا أَشْرَقَتْ  
لَا تَبْعُثُوا لِي فِي النَّسِيمِ نَحِيَّةً  
إِنِّي أَمْرٌ قَدْ بَعَثْتُ حَظِّي رَاضِيًا  
فَسَلَوْتُ إِلَّا عَنْكُمْ ، وَقَنَعْتُ  
وَرَأَيْتُ كُلَّ الْعَالَمِينَ بِمُقْلَةٍ  
مَا كَانَ بَعْدَ أَخِي الَّذِي فَارَقْتُهُ  
هُوَ ذَاكَ لَمْ يَمْلِكْ عُلاَهُ مَالِكٌ  
أَقْوَتْ مَغَانِيهِ ، وَعُطِّلَ رَيْعُهُ  
وَرَمَتْ بِهِ الْأَهْوَالُ هِمَّةً مَا جِدَ  
يَا رَاحِلًا بِالْمَجْدِ عَنَّا وَالْعُلَا  
يَقْدِيكَ قَوْمٌ كُنْتَ وَاسِطَ عِقْدِهِمْ  
لَكَ فِي رِقَابِهِمْ وَإِنْ هُمْ أَنْكَرُوا  
جَهَلُوا فَظَنُّوا أَنَّ بُعْدَكَ مَغْنَمٌ  
فَلَقَدْ أَقْرَأَ الْعَيْنَ أَنَّ عِدَاكَ قَدْ  
لَمْ يُعْصِمِ اللَّهُ أَبْنَ مَعْصُومٍ مِنَ الْـ  
وَأَعْتَضَتْ بَعْدَهُمْ بِأَمْرٍ مَعْشَرٍ

بِمَنَى ، وَقَدْ جَمَعَ الرَّفَاقَ الْمُؤَسِّمُ  
مِنْكُمْ إِذَا لَبَّى الْحَجِيجُ وَأَخْرُمُوا  
شَمْسُ الضُّحَى مِنْ نَحْوِكُمْ فَأَسْلَمُ  
إِنِّي أَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْكُمْ  
مَنْ هَذِهِ السَّنَا بِحَظِّي مِنْكُمْ  
إِلَّا مِنْكَ ، وَزَهَدْتُ إِلَّا فِيكُمْ  
لَوْ يَنْظُرُ الْحَسَادُ مَا نَظَرْتُ عَمُوا  
لِيُوحَ ، إِلَّا ، بِالشَّكَايَةِ لِي فَمُ  
كَلًّا ، وَلَا وَجْدِي عَلَيْهِ مُتِيَّ  
وَلَرُبَّمَا هَجَرَ الْعَرِينَ الضَّيْفَمُ (٣٢)  
كَالسَيْفِ يُنْضِي عَزْمَهُ وَيُصَمِّمُ (٣٣)  
أَتُرَى يَكُونُ لَكُمْ إِلَيْنَا مَقْدَمٌ ؟ !  
مَا إِنْ لَهُمْ مُذْ غَبَّتْ شَمْلٌ يُنْظَمُ  
مِنْ كَأَطْوَاكِ الْحَمَامِ وَأَنْعَمُ  
لَمَّا رَحَلْتَ ، وَإِنَّمَا هُوَ مَغْرَمُ  
هَلَكُوا بِيَغِيهِمْ ، وَأَنْتَ مُسَلَّمُ  
سَافَاتٍ ، وَأَخْطَرُ اللَّعِينِ الْأَخْرَمُ (٣٤)  
بَدَّوْا لَكَ الْفِعْلَ الْجَمِيلَ وَتَمَّمُوا

(٣٢) أَقْوَتْ مَغَانِيهِ : خَلَّتْ مَنَازِلَهُ - الضَّيْفَمُ : الْأَسَدُ .

(٣٣) يُصَمِّمُ : يَمْضِي إِلَى الْعِظْمِ وَيَقْطَعُ .

(٣٤) أَخْطَرُ : أَخَذَهُ الْمَوْتَ - الْأَخْرَمُ : ضَعِيفُ الرَّأْيِ .



فَلَعَمْرُ مَجْدِكَ إِنْ كَرُمْتَ عَلَيْهِمْ  
أَقْيَالُ بَأْسٍ ، خَيْرُ مَنْ حَمَلُوا الْقَنَا  
مَتَوَاضِعُونَ وَلَوْ تَرَى نَادِيَهُمْ  
وَكِفَاهُمْ شَرْفًا وَمَجْدًا أَنَّهُمْ  
هَوْبِذُوتُمْ فِي سَمَاءِ عُلاهِمْ  
مَلِكُ حِمَاهُ جَنَّةٌ لِعُفَاتِهِ  
أَتْنَى عَلَيْكَ بِمَا مَنَنْتَ ، وَأَنْتَ مِنْ  
فَاغْفِرْ لِي التَّقْصِيرَ فِيهِ ، وَعُدَّةُ  
مَعَ أَتْنَى سَيَّرْتُ فِيكَ شَوَارِدًا  
تَغْدُو وَهُجُ الذَّارِيَاتِ رَوَاكِدُ  
وَإِذَا الْمَائِرُ غُدَّدَتْ فِي مَشْهَدِ  
وَإِذَا تَلَا الرَّأَوْنُ مُحَكَّكُمْ آيَهَا  
وَكَفَى بِرَأْيِ إِمَامٍ عَضْرِكَ نَاقِضًا

إِنْ الْكَرِيمَ عَلَى الْكِرَامِ مُكْرَمُ  
وَمُلُوكُ قَحْطَانِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ (٣٥)  
مَا أَشْطَقْتَ مِنْ إِجْلَالِهِمْ تَتَكَلَّمُ  
قَدْ أَصْبَحَ الدَّاعِي الْمُتَوَجِّعُ مِنْهُمْ  
وَيَسْأَلُ بِهِ بَنُو زُرَيْعٍ أَنْجُمُ  
لَكِنَّهُ لِلْحَاسِدِينَ جَهَنَّمُ  
أَوْصَافِ مَجْدِكَ يَا مَلِيكًا أَعْظَمُ  
مَعَ مَا تَجُودُ بِهِ عَلَى وَتُنْعِمُ  
كَالدُّرِّبَلِ أَبْهَى لَدَى مَنْ يَفْهَمُ  
وَتَبِيْتُ تَسْرَى وَالْكَوَاكِبُ نَوْمُ (٣٦)  
فِي ذِكْرِهَا يُبْدَا الْمَقَالُ وَيُخْتَمُ  
صَلَّى عَلَيْكَ السَّامِعُونَ وَسَدُّوا  
مَا أَحْكَمَ الْأَعْدَاءُ فِيكَ وَأَبْرُمُوا

\* \* \*

وله من قصيدة في مدح الصالح طلائع بن رزّيك بمصر:

وتلقى الدهر منه بليث غاب  
تخال سيوفه إمّا أنتضاها  
غدت سمر الرّماح له عرينا  
جداول الرّماح لها غصونا (٣٧)

(٣٥) الأقيال : جمع القيل وهو الملك من ملوك اليمن .

(٣٦) الشوارد : القصائد السائرة في البلاد - هوج : جمع هوجاء ، وهي الرياح التي لا تستوى في هبوبها وتقلع البيوت - الذاريات : الرياح التي تدرى ما يعترضها في سيرها أي تطيره وتفرقه .

(٣٧) انتضاها : أخرجها من غمدها .



وَتَحَسَّبُ خَيْلَهُ عِقْبَانٌ دَجْسِنِ  
 إِذَا قَدَحَتْ بِجَنَحِ اللَّيْلِ أَوْرَثَ  
 وَإِنْ جَنَحَتْ مَعَ الْإِصْبَاحِ عَذْوًا  
 كَأَنَّ الشَّمْسَ حِينَ تُثِيرُ نَقْعًا  
 وَمَا كُفِّسَتْ بُدُورُ الْأَقْصَى إِلَّا  
 وَمَا أَضْطَرَبَتْ رِمَاحُ الْخَطِّ إِلَّا  
 وَمَا تَنَدَّقُ يَوْمَ الرُّوعِ حَتَّى  
 عَجِبَتْ لَهَا تُصَافِحُ مِنْ يَدَيْهِ  
 وَيُورِدُهَا ، وَلَا يُخْطِئُ بِرَأْيِ  
 وَهَلْ يَشْفَى لَهَا أَبَدًا غَلِيلٌ  
 إِذَا لَقِيَتْ عِوْنَ الرُّومِ زُرْقَا  
 وَقَائِعُ فِي الْعُدَاةِ لَهُ تُبَارَى  
 وَإِزْغَامٌ بِهِ أَبْكِي عِوْنَا

يَرْخُنَ مَعَ الظَّلَامِ وَيُغْتَدِينَا (٣٨)  
 سَنَا يُعْشَى عِوْنَ النَّاطِرِينَا (٣٩)  
 أَثَارَتْ لِلْعَجَاجِ بِهِ دُجُونَا  
 تُحَاذِرُ مَنْ سَطَاهُ أَنْ تَبِينَا (٤٠)  
 أَسَى ؛ إِذْ أَبْصَرَتْ مِنْهُ الْعَبِينَا  
 مَخَافَةً أَنْ يُحَطِّمَهَا مُبِينَا  
 يَدُقُّ بِهَا الْكُوَاهِلَ وَالْمُثُونَا (٤١)  
 وَتُوصَفُ بِالظُّمَا - يَحْرًا مَعِينَا  
 نِطَافًا مِنْ دُرُوعِ الدَّارِعِينَا (٤٢)  
 وَقَدْ شَرِبَتْ دِمَاءَ الْكَافِرِينَا ؟ !  
 حَسِبْتَ نِصَالَهَا تِلْكَ الْعِوْنَا  
 صَنَائِعُ فِي الْعُقَاةِ الْمُجْتَدِينَا (٤٣)  
 وَإِنْعَامٌ أَقْرَبُهُ عُيُونَا (٤٤)

(٣٨) عِقْبَان : جمع عُقَاب وهو طائر قوى المخالب من كواسر الطير .  
 (٣٩) الجَنَح من الليل : الطائفة منه ، أو ظلامه واختلاطه - أَوْرَدَتْ : أوقدت - يُعْشَى أى يجعل بصرها يسوء ليلاً ويضعف .  
 (٤٠) العَجَاج والنَقْع : كلاهما بمعنى الغبار - السُّطَا : البطش والغلبة .  
 (٤١) الخط : أرض يُنسب إليها الرماح الخطية ، ويقال هو مرفأ السفن بالبحرين - الكُوَاهِل : جمع الكاهل وهو من الإنسان ما بين كتفه إلى مؤصل العنق في الصلب - المتون : الظهور .  
 (٤٢) نِطَافًا : بمعنى تقطر دماء .  
 (٤٣) المجتدى طالب الجدوى أى العطية .  
 (٤٤) الإزغام : الإذلال والإكراه .

وقال يمدح العادل بن السَّلَار، ويذكر وقعة عباس :

أبى الله إلا أن تُعانَ وتُنصرا  
وتُصبحَ سيفاً مثلَ نعتك قاطعاً  
يراك حديدُ الهندِ أشرفَ قيمةٍ  
إذا أنت صاحبُ الحُسامِ إلى الوغى  
وقد مارستَ منك الأعدى ممارساً  
تري خلفه من قادة الناس عسكراً  
أخو العزيزِ ينقى الجبنَ عنه مضاًوةً  
وحسبُ الأعدى منك بالأمس وقعةً  
وأقبلتَها نحو الصَّعيدِ فلو تشا  
كتائبُ يوهى جندلَ الأرضِ سيرُها  
وما يومُ مروانَ الحمارِ بنحوها  
غداً أبى مصالٍ للصَّوارمِ حارسُها  
وظنَّ الوغى مُستنزَرةً الصَّيدِ والظُّبا  
فأقدمَ عن جهلٍ بها لاشجاعةٍ  
فإن كان نجم الدين حقاً كما دَعَوْا  
وتظفِرَ حتى لقبوك المظفراً  
مُحلّى بأصنافِ الفَخارِ مُجوهِراً  
وأعظمَ آثاراً ، وأكرمَ عُصراً  
وكلفتهُ فيها مضاك فقصراً  
لها حازماً إن أوردَ الأمرُ أضدراً (٤٥)  
وقدَّامه من صادق البأسِ عسكراً  
وذو الحزمِ يكفيه الثَّباتُ التَّهوراً  
قضى الله أن يُنسى الزَّمانُ وتُذكراً  
هناك منعتَ النيلَ أن يتحدَّراً (٤٦)  
ويذروه حتى يملأَ الأرضَ عثيراً (٤٧)  
بأعظمَ من يومِ الحمارِ وأشهرأ (٤٨)  
وراح ، وقد ألْبَسَتْهُ الدَّمُ مِغْفَراً (٤٩)  
خوائِمَ طيرٍ بالصَّوارمِ نُقْراً  
وعاجَلَهُ المقدورُ أن يتأخراً  
فإنَّك شمسُ الدِّينِ أخفَّته أن يُرى

\* \* \*

(٤٥) مارست : عالجت وزاولت ، والممارس : الشديد فى المعالجة .

(٤٦) أقبلتها : أى سدَّتها ، يعنى بها الرِّماح .

(٤٧) الجندل : الحجارة - العثير : الغبار .

(٤٨) المعروف أن مروان الحمار هو مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

(٤٩) الصوارم : السيوف القاطعة - المغفر : زَرَدٌ أو حِلَقٌ من الدروع على قدر الرأس ، يلبس تحت القلنسوة .

ومما قاله في مدح الخليفة العاضد : (٥٠)

وإنَّ أميرَ المؤمنين وذكره قرينان لآلَى المُنزِلِ في الذِّكرِ  
لِقَوْلِ رسولِ اللهِ تَلَقَّوْنَ عِثْرَتِي  
مَعًا ، وَكِتَابَ اللهِ فِي مَوْرِدِ الحُشْرِ  
إِذَا مَا إِمَامُ الحُشْرِ لَاحَ لِنَظَرِي  
فَوَالْعَصْرِ إِنَّ الجَاحِدِينَ لَفِي خُسْرِ  
وَيَكْفِي الـوَرَى مِنْهُ يَتِيْمَةٌ تَاجِيهِ  
وَمَا قَد حَوْتَهُ مِنْ بَهَاءٍ وَمِنْ فَخْرِ  
وَلَمْ تَرَ عَيْنِي قَبْلَهَا قَطُّ كَوَكْبَا  
يَلُوحُ مَعَ الشَّمْسِ المَنِيرَةِ فِي الظُّهْرِ  
وَمَا هُوَ إِلَّا البَحْرُ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ  
إِذَا مَا تَحَلَّى بِالجَوَاهِرِ وَالذُّرِّ  
عَلَى أَنَّهُ لَا يَفْتَنِيهَا لِحَاجَةٌ  
وَقَدْ قَابَلَتْهَا لِلْمِظَلَّةِ هَالَةٌ  
وَمَا هِيَ إِلَّا بَعْضُ سُخْبٍ يَمِينُهُ  
وَشَمْسُ الضُّحَى تُغْنِي عَنِ الْأَنْجَمِ الزُّهْرِ  
بِهِ أَبَدًا تَسْمُو عَلَى هَالَةِ الْبَذْرِ  
وَمَا زَالَ مَنَشَا السُّحْبِ مِنْ لُجَّةِ الْبَحْرِ (٥١)

\* \* \*

---

(٥٠) الخليفة العاضد هو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ بن محمد بن المستنصر، آخر ملوك مصر من العبيديين (ت ٥٦٧) .  
(٥١) لُجَّةُ الْبَحْرِ: معظمه وتردد أمواجه .

ومن شعره في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب :

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَيْرَ مَلْجَا	يُسَارِ إِلَى جَمَاهُ ، وَخَيْرَ حَامِ
كَأَنِّي إِنْ جَعَلْتُ إِلَيْكَ قَصْدِي	قَصَدْتُ الرُّكْنَ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ
وَحُيِّلَ لِي بِأَنِّي فِي مَقَامِي	لَذِيهِ بَيْنَ زَمْرَمَ وَالْمَقَامِ
أَيَا مَوْلَايَ ذَكَرُكَ فِي قَعُودِي	وَيَا مَوْلَايَ ذَكَرُكَ فِي قِيَامِي
وَأَنْتَ إِذَا أَنْتَبَهْتُ سَمِيرَ فِكْرِي	كَذَلِكَ أَنْتَ أَنْسَى فِي مَنَامِي
وَحُبُّكَ إِنْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ قَلْبِي	فَقِي لِحَمِي أَشْتَكِنَ وَفِي عِظَامِي
فَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتِي	وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُقْبَلْ صِيَامِي
عَسَى أَشْقَى بِكَاسِكَ يَوْمَ حَشْرِي	وَيُرَوَّى حِينَ أَشْرَبُهَا أَوَامِي (٥٢)
وَأَنْعَمُ فِي الْجَنَانِ بِخَيْرِ عَيْشِ	بِفَضْلِ وَلَاكَ وَالنَّعَمِ الْجِسَامِ
صَلَاةُ اللَّهِ لَا تَعْدُوكَ يَوْمًا	وَتَتَّبِعُهَا التَّحِيَّةُ بِالسَّلَامِ

\* \* \*

وكتب - وهو في سجن الخزانة - إلى شجاع بن شاور:

أَيَا صَاحِبِي سَجْنِ الْخِزَانَةِ خَلِيًّا	مَنْ الصَّبْحُ مَا يَيْدُو سَنَاهُ لِنَظَرِي
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرَى : أَطْرَفِي سَاهِرٌ	عَلَى طَوْلِ هَذَا اللَّيْلِ ، أَمْ غَيْرُ سَاهِرٍ ؟ !
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى قَبْلَ سَجْنِكُمَا عَلَى	دَمُوعِي أَنْ يَقْطُرْنَ خَوْفَ الْمُقَاطِرِ (٥٣)
وَمَالِي مَنْ أَشْكُو إِلَيْهِ إِذَا كَمَا	سَوَى مُلِكِ الدُّنْيَا ؛ شَجَاعِ بْنِ شَاوِرِ

\* \* \*

(٥٢) الأوام : حرارة العطش .

(٥٣) المقاطر : جمع مِقطرة ، وهي خشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقال متغزلًا:

وقد أنكروا قتلى بسيف لحاظه

ولو أنصفوني ما استطاعوا له جحدًا

وقالوا: دَعِ الدَّعوى؛ فما صَحَّ شاهدُ

عليها؛ ولسنا نقبلُ الكفَّ والخدًا

ولو كان حقًا ما تقولُ وتدَّعى

على مُقَلَّتَيْهِ، عادَ نَرْجِسُهَا وزدًا

وما علموا أنَّ الحُسامَ بِسُفْكِهِ

دَمَ القِرْنِ يومًا، عُدَّ أمضى الظُّبا حَدًا

\* \* \*



## ابن الكيزاني

( ت : ٥١٢ هـ / ١١٦٦ م )

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ثابت الأنصاري ، الذي لقبه بعضهم بالمصري ، وبعضهم بالكثاني نسبة إلى مصر أيضا .

لم يذكر المؤرخون متى كان مولده ولا أين ، ولكنهم ذكروا أنه توفي في سنة ١١٦٥ / ٥٦٠ . وانفرد ابن خلكان بالقول بأنه « توفي ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ربيع الأول - وقيل : بل توفي في المحرم - سنة ١١٩٦ / ٥٦٢ » . واتفقوا على أنه دفن في أول الأمر بالقرب من قبر الإمام الشافعي ، ولكن نجم الدين محمد بن الموفق الخبوشاني ، من علماء الشافعية ، دفع إلى إخراجه ودفنه في سفح المقطم .

وقد وصفه العماد الأصفهاني فذكر أنه عالم بالأصول والفروع ، والمعقول والمشروع ، ذرواية ودراية بعلم الحديث ، أنه كان عالما بالفقه وأصوله والحديث وعلم الكلام .

واتفق الجميع على أنه كان من العباد الملازمين للمقابر ، غلب عليه التصوف والزهد . فعاش من كسب يده ، إذ كان يصنع كيزان الماء ويبيعها ، وينفق من عائدها على نفسه والمحتاجين من طلبته .

واتفقوا أيضا على أنه كان له طائفة اتبعته في أفكاره ، وسميت ببقية مدة بعد وفاته . ولكنهم اختلفوا في هذه الأفكار :

فذهب العماد الأصفهاني إلى أنه كان يقول بقدوم أفعال العباد وبالتشبيه ، أي أن الله يتصف بصفات تشبه صفات المخلوقين ، أخذا من قوله تعالى : ( يد الله فوق أيديهم ) وقوله ( ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ) وأمثالهما ... وتابع كثيرون العماد .

وأعلن ابن سعيد أنه كان من المعتزلة ، ويتنافى في هذا القول كل التنافي مع القول الأول .

ولا يؤيد ما بقي من شعره آيا من الادعاين ، وإنما يؤيد أنه كان من أصحاب الحب الإلهي . أضيف إلى ذلك أن من كتبوا عنه وصفوه بالشافعي المذهب . وقد ألف كتابين في الوعظ ، عنوان أحدهما « الرقائق » والثاني « ملك الخطب » .

وأثنى العماد الأصفهاني على شعره ونثره ، فقال فى ترجمته : « فقيه واعظ مذكّر ، حين العبارة ، مليح الإشارة ، لكلامه رقة وطلاوة ، ولنظمه عذوبة وحلاوة ... وله ديوان شعر يتهافت الناس على تحصيله وتعظيمه وتبجيله ، لما أودع فيه من المعنى الدقيق ، واللفظ الرشيق ، والوزن الموافق ، والوعظ اللائق ، والتذكير الرائع الرائق ، والقافية القافية آثار الحكّم ، والكلمة الكاشفة أسرار الكرم ... وهو شيخ ذوقبول ، وكلام معسول ، وشعر خال من التصنع مغسول » .

ووافقه أبو محمد يوسف بن قزأوغلى المعروف بسبط ابن الجوزى ، فقال عنه : « ديوانه بمصر مشهور ، وممدوح مشكور . ولقد وقفت عليه فى مصر ، فرأيت مليح العبارة ، صحيح الإشارة ، فيه دقة وحلاوة ، وعليه طلاوة » .

ولكن ابن سعيد المغربى لم يرض عنه ، فهاجمه قائلاً : وقفت على ديوانه ، وهو مشهور عند الناس ، قريب من أفهام العامة ، غير مرضى عند صدور الشعراء وأصحاب غوص الكلام وفرسان النظام . ولم أكتب من ديوانه - وقد ضجرت من اختياره ومطالعتة - شيئاً تهش النفس إليه .

ويتضح من هذه الأقوال أنه كان له ديوان يعجب به المصريون ، ويكثرون من الإقبال عليه فى أسواق القسطاط والقاهرة ، وأنه اتبع طريقة سهلة سلسلة خالية من التصنع فى التعبير مما جلب عليه سخط بعض الأدباء .

وفى العصر الحديث ، جمع د . على صافى حسين : المقطوعات الباقية من شعره ، وصدرها مع دراسة له .

\* \* \*

قال ابن الكيزاني :

والله لولا أن ذكرَكَ مؤنسي  
ولئن بكث عيني عليك صبايةً  
أنظن أن البعد حلّ مودتي  
كيف السلو وقد تمكّن في الحشا  
وإليك قد رَحَلَ الهوى بحشاشتي

ما كان عيشي بالحياة طيبُ  
فلكل جارحةٍ عليك نحيبُ  
إن بَانَ شَخْصُكَ فالخيال قريبُ  
وجَدُّ على ما في الفؤاد رقيبُ  
والسُّقْمُ مُشْتَمِلٌ وأنتَ طيبُ (١)

\* \* \*

وقال :

أصرفوا عني طيبي  
علّلوا قلبي بذكره  
طاب هتكى في هواه  
لا أبالي بفوات النّفـ  
ليس من لأم وإن أطنـ  
جسدي راضٍ بسقمي

ودّعوني وحببي  
فقد زاد لهيبي  
بين وائش ورقيب  
س مادام نصيبي  
ب فيه بمصيبي  
وجفوني بنحيبي

\* \* \*

وقال :

سواء أن تلوما أو تريحا  
أما لو دقمتما صرف الليالي

رأيت القلب لا يهوى نصيحا  
إذن لعذرتما القلب القريح (٢)

(١) الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن - الحشاشة : بقية الروح في المريض .

(٢) صَرَفَ الليالي : نوائبها وحدثانها - القريح : المجروح .

وكانت فُرْقَةُ الْأَحْبَابِ ظَنًّا	فَأَصْبَحَ بَيْنَهُمْ خَبَرًا صَرِيحًا
وَلَوْلَمْ يَنْزِلُوا سَلَمَاتٍ نَجْدٍ	لَمَا اسْتَشْقَتْ لِلْسَلَمَاتِ رِيحًا (٣)
وَلَا أَهْدَيْتُ لِلْأَسْمَاعِ يَوْمًا	غَنَاءً مِنْ حَمَائِمِهَا فِصِيحًا
وَهَأُنَا قَدْ سَمَحْتُ بِدَمْعِ عَيْنِي	وَكُنْتُ بَدَمْعُهَا أَبَدًا شَحِيحًا
وَأَمَكْنْتُ الْمُحِبَّةَ مِنْ قِيَادِي	وَصُنْتُ مَعَ النَّوَى وَدًّا صَحِيحًا
وَقَدْ سَكَنَ الْجَوَى قَلْبًا صَحِيحًا	وَقَدْ تَرَكَ الْهَوَى صَدْرًا قَرِيحًا

\* \* \*

وقال :

قَدْ قُلْتُ فَاتْتَدِي	لَا تُعَذِّبِي كَبْدِي (٤)
وَانْظُرِي جَوَى وَهَوَى	سُلْطَا عَلَى جَسَدِي
لَا تَهْتَدِي بَغْدٍ	فَالْمَمَاتُ بَعْدَ غَدٍ
كَلِمَا طَلَبْتُ رِضًا	بِالْوَصَالِ لَمْ أَجِدِ
مَا أَرَى صَدُودَكُمْ	يَتَهَيَّ إِلَى أَمَدٍ
إِنِّي بِذَلِكَ دَمِي	مَا عَلَيْكَ مِنْ قَوْدٍ (٥)
إِنْ بَخَلْتُ أَنْ تَصْلِي	فَأَسْمَحِي بِأَنْ تَعْدِي
مُنْذُ عَلِقْتُ حُبَّكُمْ	لَمْ أَمِلْ إِلَّا إِلَى أَحَدٍ
مَا جَرَى صَدُودَكُمْ	قَبْلَ ذَاكَ فِي خَلْدِي
فَأَرْحَمِي قَتِيلَ ضُنَّا	فِي هَوَاكِ وَاقْتَصَدِي

\* \* \*

(٣) السلمات : جمع سَلَمَة ، وهي اسم لشجرة يكثر نباتها في بلاد نجد ، وهي في اللغة أيضا اسم لنوع من الحجارة ، ومقصود الشاعر هنا : الأمكنة والبقاع التي تتوافر فيها تلك الحجارة أو نبت بها هاتيك الأشجار .

(٤) اتتدي : تمهلني وتأنني .

(٥) القود : القصاص .

وقال :

قُلْ لِمَنْ وَكَّلْنِي بِالشُّهُدِ  
بِنتَ والشُّوقِ مَقِيمٌ فِي الْحَشَا  
أَنَا فِي أَسْرِكَ فَانْظُرْ وَاحْتَكِمْ  
لَا يَغُرُّنَّكَ بِمَا مَالِكْتَنِي

\* \* \*

وقال :

تَلْدُلِي فِي هَوَى لَيْلِي مَعَاتِبِي  
وَأَشْتَهِي سَقَمِي أَنْ لَا يَفَارِقْنِي  
وَلَيْسَ فِي النَّوْمِ لِي مَا عَشْتُ مِنْ أَرْبٍ  
وَلَوْ تَمَادَتْ عَلَيَّ الْهَجْرَانُ رَاضِيَةً  
فَإِنْ أَمِتَ فِي هَوَاهَا فَهِيَ مَالِكْتِي  
الْلُومُ أَشْبَهَ بِي مِنْهَا وَإِنْ ظَلَمْتَ

\* \* \*

وقال :

لَوْلَا الْمَطَامِعُ بِالتَّلَاقِي  
إِنَّا وَإِنْ نَأَتْ السُّدَا  
تَمْضِي بِنَا الْأَيَّامُ فِي  
وَأَظِلُّ أَمَحُو بِالْتَرَجِّي

لَذَبْتُ مِنْ قَرَطِ اشْتِيَاقِي (٧)  
رُبْنَا عَلَى قُرْبِ الْوَفَاقِ  
صَفَوِ الْهَوَى وَالْوَدَّ بَاقِ  
فِيكُمْ أَثَرُ الْفِرَاقِ

\* \* \*

(٦) الشُّهُد : القليل من النوم - بنت : بَعُدَتْ وَرَحَلَتْ .  
(٧) تقتضي سلامة الوزن أن تمدَّ اللام من كلمة « لذبت » حركتين ، الأمر الذي يحمل على القول بأن البيت قد دخله الخبن أو أن هذا الشعر كان ينشد ويعنى به ، لأن الغناء هو الذي يتأتى معه مثل هذا المد ، والواقع أن أبيات هذه المقطوعة في مجموع ألفاظها وكل كلماتها تساومه طبيعة الغناء .



وقال :

يا كاتمَ الحُبِّ والأجفانُ تهتكُهُ  
شرطَ المحبَّة أن لا يشتكى مَلَلًا  
والصبرُ تحت مذلَّاتِ الهوى أبدا  
دَمُ المحبِّ بأيدي الحِبِّ مبتذلٌ  
من كان في شَرِكِ الأشواقِ مُرتَهَنًا

وطالب العشق والأشواق تملكُهُ  
من قد رأى أن فَرَطَ الحب يُهلكُهُ  
عزُّما منصفٌ في الحب يتركه  
إن شاء يمنعُه أو شاء يَسفِكُهُ  
كانت له عُلُقٌ لا بُدَّ تُمسِكُهُ (٨)

\* \* \*

وقال :

أَيَّ طريقِ أسْلُكُ  
وَأَيَّ صَبْرٍ أبتغى  
أدارننى حَبْكُمُ  
أأنتنى وكلُّ عضو  
أخلصتُ فيكم باطنًا  
جَلَّ فما فى صفوه  
ولاؤكم لى مَذْهَبُ  
ومهجتنى مملوكُهُ  
وإن أردتم فاحقنوا  
ما أنتم ممن يُخلَى

وَأَيَّ قَلْبٍ أملك  
وهو بكم مُستهلكُ  
كما يدور الفلكُ  
فيه منكم شَرِكُ  
فيه هوى لا يُذرك  
شَوْبٌ ولا مُشْتَرِكُ  
وذكركم لى نُسْكُ  
يا حبذا المملُكُ  
وإن أردتم فأسفكوا (٩)  
حُبُّه ويُتركُ

\* \* \*

---

(٨) الشريك : حباله الصيد - العُلُق : جمع العُلقة وهو التعلق أو ما يُمسك به .  
(٩) احقنوا الدماء : أى امنعوها أن تُسفك .

## ابن قلاقس الإسكندري

( ٥٣٢ - ٥٦٧ هـ / ١١٣٧ - ١١٧٢ م )

هو أبو الفتح نصر بن عبد الله بن عبد القوى اللخمي الأزهرى ، نشأ بالإسكندرية ، وفيها ظهرت مواهبه الأدبية ونظم مدائحه فى بعض أعيانها وعلمائها ، ولا سيما شيخه الإمام الحافظ أبو طاهر السلفى ( ت ٥٧٦ ) ، وكان إليه أمر المدرسة الحافظية بالإسكندرية وكان ابن قلاقس من طلابها .

ويظهر من بعض كتاباته التى وصلت إلينا أنه ارتحل إلى القاهرة ، وأقام فيها فترة من الزمن مكثراً من مديح حكامها ووزرائها من كتاب الدواوين ، مثل القاضى الفاضل .

ثم عاد إلى الإسكندرية ، وغادرها بعد ذلك إلى صقلية ، متجولاً فى مدنها ، مثل يلزمو العاصمة ومسينى التى صرح فى شعره بأنه أقام فيها ثلاثة شهور ، وقد استمرت رحلته هذه ستين ( ٥٦٣ - ٥٦٤ ) ، وفى كتابه « الزهر الباسم والعرف الناسم فى مديح الأجل أبى القاسم » وصف لهذه الرحلة ومديح لأبى القاسم بن حَجَر بن حَمُود القرشى ولغيره من أولى الأمر والنهى فى صقلية مثل القاضى على بن أبى الفتح الأموى .

كما ذهب إلى اليمن سنة ٥٦٥ ، وكتب لبعض أمرائها فى عدن ودهلك وغيرهما ، ومدحهم بأشعاره ، وقد توفى وهو فى طريق عودته إلى مصر فى عيذاب ، أحد موانئ البحر الأحمر من جهة الأرض المصرية ، ولم تتجاوز سنه السادسة والثلاثين ، وقد ترجمت له مصادر كثيرة ، منها : الخريدة ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان وحسن المحاضرة وشذرات الذهب ومرآة الجنان ، وقد وُصف فى هذه المصادر بأنه « كثير الحركات والأسفار » وبأنه من المجيدين فى ميدانى النثر والشعر .

\*\*\*

قال ابن قلاقس ، وقد عيب شيء من أفعاله :

أَيُّهَا الْحَاكِمُ بِالظَّنِّ (٢) وَمَا بِالظَّنِّ حُكْمُ  
لَا تُسْمُ خَلَّكَ خَسْفًا فَهُوَ عَمَّا تَسْمُ يَسْمُو  
أَوَلَيْسَ اللَّهُ حَقًّا قَالَ : « بَعْضُ الظَّنِّ إِثْمٌ » (١)

\* \* \*

وقال أيضًا في مثل ذلك :

لَسْتُ مِمَّنْ يُظَنُّ فِيهِ سِوَى مَا  
يَقْتَضِيهِ الْوِدَادُ فِي الْإِفْرَاطِ  
وَلَوْ أَنِّي رَأَيْتُ ذَلِكَ دَاءً  
رُخِثَ مِنْ عَزَمْتِي إِلَى بُقْرَاطِ  
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ أَزِلَّ ضَلَالًا  
بَعْدَ مَا لَاحَ لِي سِوَى الصُّرَاطِ (٢)

\* \* \*

وقال بمدينة صقلية :

مَا رَأَيْنَا مِثَالَ ذَا الْيَوْمِ يَوْمًا  
صَارَ فِيهِ الْغَرْبَالُ يُمَسِّكُ مَاءً  
صَحَّ فِيهِ تَنَاقُضُ الْأَمْثَالِ  
مَنْ رَأَى الْمَاءَ قَسَطًا فِي الْغَرْبَالِ

\* \* \*

---

(١) الخل : الصديق المختص - سامه خسفًا أى أولاه ذلًا - وقوله « تسم » بتسكين السين من حقها أن تكون بكسرهما بمعنى تسمه أى تعيبه أو تنسبه إليه - وقوله « إن بعض الظن إثم » جزء من الآية ١٢ من سورة الحجرات .  
(٢) بقراط : طبيب يوناني قديم ، وهو الذى باسمه القسم الذى يقسم به الأطباء - حاش الله : براءة الله ومعاذ - السوى : المستوى المعتدل .

وقال فى مغنّ :

ينافر إيقاعه صَوْتُهُ      فهذا يزيد وذا ينقصُ  
ويتبعه زامرٌ مثْلُهُ      تليعُ له نَقْسٌ أَوْقَصُ  
فإنّ ما بيننا راقِصاً      فكُلُّ إلى بينه يَرْقُصُ (٣)

\* \* \*

وقال حين أشرف على جزيرة صقلية سنة ثلاث وستين وخمسائة :

بلدٌ أعارتهُ الحَمَامَةُ طَوْقَهَا      وكساهُ حُلَّةَ ريشه الطاووس  
فكأنّما الأنهارُ منه سُلافةٌ      وكأنّ ساحاتِ الرِّياضِ كُؤُوسُ (٤)

\* \* \*

وقال يصف بركة تحت قصر ملك صقلية :

بركةٌ بُورِكَتْ فنحنُ لَدَيْهَا      نستفيدُ الغمارِ من ضَحَضَاحِ (٥)  
نظَرَتْ فى قرارِها بعيونِ      غارَلَتْنا بأشْرَعِ الأتْمَاحِ  
تسرقُ اللحظةَ اختِلاسا وتُغْضِى      نظرةَ الصَّبِّ خاف إنكارَ لَاحِ (٦)  
قد صَفَتْ واعتلى الحَبَابُ عليها      فهى سَيَّانٍ مع كُؤُوسِ الرِّاحِ (٧)  
يا لها أشهُمٌ بواطنُ لولا      زَرَدٌ ظاهراً لأيدى الرِّياحِ (٨)

(٣) ينافر : يخاصم - الإيقاع : اتفاق الأصوات وتوقعها فى الغناء - زامر تليع أى طويل الرقبة - أَوْقَص : قصير الرقبة ، والمراد أن نَقْسَهُ قصير - يرقص بمعنى يخبّ ويسرع .  
(٤) الحلة : الثوب الجيد الجديد غليظاً أورقيقاً - السلافة : أفضل الخمر وأخلصها - الرياض جمع الروضة وهى الأرض ذات الخضرة .

(٥) الغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير - الضحَضَاح : الماء القليل القريب الغور .

(٦) الصَّبّ : المحبّ المشتاق - اللاحى : اللائم العاذل .

(٧) الحباب : طرائق تظهر على وجه الماء ، تصنعها الريح .

(٨) زرد : درع .

أَيُّ دِرْعٍ مَوْضُونَةٍ النَّسِجِ تَمْتَدُّ  
 فِي جَنَانٍ لَهُ حُلَى الْعَذَارَى  
 مِنْ قُدُودٍ نُهَوِّدُهَا عِوَضَ الرُّمِّ  
 وَرُبِّي وَرَدَّتْ خَدُودَ شَقِيقِ  
 وَقِدَاحٍ بِهَا أَفْتَسَمْنَا الْمَسْرَا  
 ظَفِيرَ الْإِغْتِبَاقِ مِنْهَا بِحَظٍّ  
 وَمُغْنٍ تَنَاوَلَتْ يَدُهُ الْعَو  
 جَسَّ أَوْتَارَهُ فَأَفْسَدَ مِنْهَا  
 بَيْنَ رِيحٍ مِنَ الْمَزَامِيرِ أَشْرَى  
 وَصَبَاحٍ قَدْ عَقَّدُوا طُرُزَ اللَّيْلِ  
 يَبْعَثُ الرِّقْصُ مِنْهُمْ حَرَكَاتٍ  
 هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا

السَّوَاقِي عَنْهَا بِمِثْلِ الصُّفَاحِ (٩)  
 وَحِلَاهَا فِي مِعْطَفٍ وَوِشَاحِ (١٠)  
 إِنْ تَزْهَوِ بِنَهْدِ التَّفْصَاحِ  
 وَجَلَسَتْ بِالْحَيَاثُغِ وَأَقْبَحِي (١١)  
 تِ جَزُورًا بِخَضْرَى الْأَقْدَاحِ (١٢)  
 لَمْ يَخْبُ عَنْهُ وَافِدُ الْأَصْطَبَاحِ (١٣)  
 دَفَعَادَتْ لَنَا عَلَى الْاِقْتِرَاحِ (١٤)  
 صَالِحًا صَارَ فِي يَدِ الْإِصْطِلَاحِ  
 بَيْنَ أَجْسَامِنَا مَعَ الْأَزْوَاحِ  
 لِي جَمَالًا عَلَى وَجْهِ الصُّبْحِ (١٥)  
 سَرَقَتْ بَعْضَهَا طَوَالَ الرَّمَّاحِ  
 طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمِرْزَاحِ

\* \* \*

- 
- (٩) الموضونة : الدرع المقاربة النسيج المداخله الخلق بعضها في بعض - الصُّفَاح : جمع الصفيحة ، وهي وجه كل شيء عريض كوجه السيف أو اللوح أو الحجر .
- (١٠) الجنان : جمع الجنّة ، وهي الحديقة ذات النخل والشجر - الوشاح : نسيج عريض يرصع بالجواهر ، وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها .
- (١١) الربى : جمع الربوة ، وهي ما ارتفع من الأرض - الشقيق : هو شقائق النعمان وهونبات أحمر الزهر مبعق بنقط سود الأباحي : جمع الأقحوان ، وهونبت زهره أصفر أو أبيض .
- (١٢) القداح : جمع القدح ، وكان يُستعمل في الميسر - الجزور : ما يصلح لأن يذبح من الإبل .
- (١٣) الاغتباق : شرب الغبوق ، وهو ما يُشرب بالعشى - الاصطباح : شرب الصبوح : وهو ما يشرب في الصباح .
- (١٤) الاقتراح : الاختيار ، ومنه يقال : اقترح عليه صوت كذا وكذا .
- (١٥) الصُّباح : جمع الصُّبوح ، يقال : صَبَحَ الوجه أي أشرق وجُمِلَ .



وقال فيما اقتضى ذلك :

لَا أَشْرَبُ الرَّاحَ إِلَّا  
وإن فَنِيْتُ فَعْنَدِي  
قُمْ يَا نَدِيمِي فَأَنْصِتْ  
غَنِّي وَنَاحَ فَنَزْغُ  
طَاوِغَ عَلَى الْقَضْفِ وَالْعَزْ  
وَانْهَضْ بِطِيشِكَ عَنْ سِمِ  
هَمَاتِ الْكُمَيْتِ وَأَهْلًا  
أَثْوَرُ مَنْ ذِي وَمَنْ ذَا  
وإن رَمْتَنِي اللَّيَالِي

مَا يَنْ شَادٍ شَادٍ وَشَادِنُ (١٦)  
إِلَى مَعَادٍ مَعَادِنُ (١٧)  
وَاللَّيْلُ دَاجٍ لِدَاجِنُ (١٧)  
سَتْ ثَوْبَ خَاشٍ مُخَاشِنُ (١٨)  
فَ كُلِّ حَاسٍ وَحَاشِنُ (١٩)  
سَتْ ذِي وَقَارٍ وَقَارِنُ  
مِنْهَا بَصَافٍ وَصَافِنُ (٢٠)  
بُكُلِّ غَافٍ بَغَافِنُ  
يَوْمًا بِدَاهٍ أَدَاهِنُ (٢١)



وقال أيضًا كأنه يخاطب امرأة :

أَنَا مَنْ عَيْنِكَ نَشْوَانُ  
يَا قُضِيًّا كُلَّ زَاهِرَةٍ  
وَجَنَّةُ كَالْجُلْنَارِ لَهَا

وَمُدَامُ الطَّرْفِ أَلْوَانُ  
وَأَجْهَشْنَا مِنْهُ بَسْتَانُ  
مَنْ ثَمَارِ الصَّدْرِ رُمَانُ (٢٢)

- 
- (١٦) الراح : الخمر - شاد : مغنّ - الشادن : ولد الظبية .  
(١٧) النديم : المسامر المصاحب على الشراب - داج أى عمت ظلمته - الداجن : المقيم الملازم .  
(١٨) خاش : خائف - المخاشن : المحارث ، خلاف الملائن .  
(١٩) القصف : اللهو والافتنان فى الطعام والشراب - الحاسى : الذى يتناول الشارب جرعة بعد جرعة -  
حاسن من المحاسنة وهى المعاملة بالحسن ، أو المباهاة بالحسن .  
(٢٠) الكميت : الخمر ، لما فيها من سواد وحمرة - صافن : من المصافنة وهى موافقة الناس .  
(٢١) الداهى : الذى يصيب لداهية - أذاهن : أدارى وألاين .  
(٢٢) الوجنة : ما ارتفع من الخدين - الجلنار : زهر الرمان .

بأبى أفديك مالكة  
جيشت من حُسنها وبدت  
وسُيوفُ اللحظِ مخبِرة  
حَرَبى يا رمحُ قامتها  
وابلائي من مُخَدِّرة  
وأسودِ خافِ سَطْوَتِها  
ورقيبٍ لوبِلا حظها  
خضتُ بحرَ الهولِ أطلبُها  
فأعان السعدُ وأنفقَت  
فبكفتى أى لؤلؤة  
قل لعدالى فلا خضروا  
كلُّ يومٍ لى بها ولكم

عبدُها فى الخُلدِ رُضوانُ  
وهى - دامَ المُلكُ - سُلطانُ  
إنما الأجفانُ أجفانُ  
ذا سنانٍ منك وسنانُ (٢٣)  
دونها سورٌ وجُذرانُ  
كلما حازتُه خَفَّانُ (٢٤)  
لشئى وفوغيَ غيرانُ  
درةً والبحرُ طُوفانُ  
وسعودُ المرءِ أعوانُ  
مالها فى الدُرِّ أثمانُ  
ولحسادى فلا كانوا  
فى تصارىفِ الردىِ شانُ

\* \* \*

وقال أيضًا فى الغزل :

أصبحتُ أعذُرُ عاشقًا فى حبِّه  
لقبتُ تنزيلاً غرامى فى الهوى  
لولم أكن فيما فعلتُ محمدا  
رَشًا لو أن اللَّيثَ حاولَ صيده  
وأنا البذى تركَ الفؤادَ وراءهُ

ولكم عَشِقتُ فما عَدِمْتُ عَدُولا  
أرايتُ حبًّا قبلَهُ تنزيلا  
ما كان من أحيثُهُ جبريلا  
لرأيتُهُ فى راحتِيه قتيلا (٢٥)  
بالصالحيةِ إذ أرادَ رَحِيلا

(٢٣) يقال « حَرَّبَ السنان ونحوه » أى أجده - الومنان : الآخذ فى النعاس .

(٢٤) خَفَّان : مكان مشهور بكثرة السباع .

(٢٥) الرشأ : ولد الظبية إذا قوى وتحرك ومشى مع أمه .

وقال ارتجالاً وهو جالس بمصر فى مكان يعرف بدار الأنماط ومعه جماعة ، وقد مرت بهم امرأة مشهورة بالجمال تعرف بابنة أمين الملك ، وكانت تمشى ثم تقف فتلفت

لها ناظرٌ فى ذرى ناضِرٍ  
لَوْتُ حِينَ وَلَّتْ لَنَا جِيدَهَا  
كما دَعَرَ الظبىُّ من قانِصٍ  
كما رُكِبَ السِّنُّ فوقَ القنَاةِ  
فَأَيُّ حَيَاةٍ بَدَتْ من وفاةِ  
فَقَرٌّ وَكَرَّرَ فى اللَّتَفَاتِ (٢٦)

\* \* \*

وقال أيضًا ارتجالاً:

ولطيفة الألفاظِ لَكُنْ قَلْبُهَا  
كَمَلْتُ مُحَاسِنُهَا فَوَدَّ الْبَدْرُ لَوْ  
قَدْ قَلْتُ لَمَّا أَعْرَضْتُ وَتَعَرَّضْتُ  
قَالَتْ أَنَا الظبىُّ الْغَرِيرُ وَإِنَّمَا  
يَا قَوْلَةَ فَتَنْتُ بِهَا فى خَاطِرٍ  
لَمْ أَشْكُ فِيهِ لَوْعَةً إِلَّا عَتَا (٢٧)  
يَحْظَى بِيَعِضِ صَفَاتِهَا أَنْ يُنْعَتَا  
مُؤْنِسًا يَا مُطْعَمًا قَلَّ لى مَتَى  
وَلَّى وَأَوْجَسَ نَبَاةً فَتَلَفَّتَا (٢٨)  
من خَاطِرٍ تَرَكَ الْفَوَادَ مُقَتَا (٢٩)

\* \* \*

وقال يتغزل :

الله يعلم أنسى ما خلُتُهُ  
لَا ذَنْبَ لى إِلَّا هَوَاهُ لِأَنْسَى  
أَحِبَابَنَا أَنْفَقْتُ عُمْرَى عِنْدَكُمْ  
وَلَمَنْ أَسِيرُ إِلَى سِوَاكُمْ فى الهوى  
أَأرومُ بَعْدَكُمْ مُحِبًّا صَادِقًا  
يَصْبُو إِلَى الْهَجْرَانِ حِينَ وَصَلْتُهُ  
لَمَّا دَعَانِى لِلْغَرَامِ أَجْبْتُهُ  
وَمَتَى أُعْشَوْضُ بَعْضَ مَا أَنْفَقْتُهُ  
وَالْقَلْبُ فى عَرَصَاتِكُمْ خَلَفْتُهُ (٣٠)  
هِيَهَاتَ ضَاقَ الْعُمْرُ عَمَّا رَمْتُهُ

\* \* \*

(٢٦) الناظر: العين - القنَاة: الرمح - القانص: الصائد .

(٢٧) عتا: استكبر وجاوز الحد .

(٢٨) أوجس: سمع أو أحس - النبَاة: الصوت ليس بالشديد ولا بالمستمرمل .

(٢٩) كلمة « خَاطِر » الأولى بمعنى الفكر، أما الثانية فاسم فاعل من « خَطَرَ » أى مشى متأوذاً متبخترًا ،

يعنى بذلك الفَنَاءَ .

(٣٠) الْعَرَصَات: ساحات الدور .

وقال أيضًا :

يقولُ أناسٌ لَوْنَعَتِ الهَوَى  
بَلَى غَيْرَ أَنى لا أزالُ كأنما  
إذا اشتدَّ ما بى كان أفضلُ حيلتى  
فوالله ما أدرى لَهُم كَيْفَ أَنْتُ  
على من الأحرانِ بَيْتٌ مُبَيَّنٌ  
لَهُم وضعَ كفى تحتَ خَدِّى وأصمُتُ

\* \* \*

وقال أيضًا :

حَمَلَ الخَضَابَ على المَشِيبِ لِكَيْ  
ما كان أسعدَهُ غداةُ يُسرى  
يُضِى الحِسانَ بديعُ حِلْيَةٍ (٣١)  
وَضَمِيرُهُ كَضَمِيرِ لِحْيَتِهِ

\* \* \*

---

(٣١) الخَضَابُ : ما يُخَضَّبُ به من حناء ونحوه .

## عُرْقَلَةُ الْكَلْبِي

( ٤٨٦ - ٥٦٧ هـ / ١٠٩٣ - ١١٧١ م )

أبو الندى حسان بن نمير، اشتهر بلقب عرقلة، وهو عربي من بنى كلب وَبَرَة، نزح إلى دمشق من البادية التي سكنها أهله، وعاش في أحيائها قرب المسجد الأموي الكبير، وتردد في ضواحيها ومنازلها مثل النيرب وجيرون، فعشقها وأحب أهلها وأكثر من ذكرها في شعره. وقد عاصر مرحلة الكفاح ضد الصليبيين، وكانت راية الأيوبيين قد ارتفعت على معظم بلاد الشام بعد أن تمكن صلاح الدين من تطهيرها منهم، سوى بعض الثغور.

عاش في أول أمره متقلبا بين يدي الحاجة، فاضطر إلى السؤال بشعره، كقوله :

كُتِبَتْ إِلَيْكُمْ أَشْكُو سَقَامًا      بِرَى جِشْمِي مِنَ الشُّوقِ الشَّدِيدِ  
وَفِي الْبَلَدِ الْقَرِيبِ عَدِمْتُ صَبْرِي      فَكَيْفَ أَكُونُ فِي الْبَلَدِ الْبَعِيدِ  
نَوَى بَعْدَ الصَّدُودِ ، وَأَيُّ شَيْءٍ      أَمْرُ مَنْ النَوَى بَعْدَ الصَّدُودِ

ومدح أعيان عصره، وعلى رأسهم صلاح الدين وبعض إخوته وقواده، وقربه صلاح الدين واصطفاه وأنقذه من العوز وذل السؤال، وكان عرقلة قد لازمه بدمشق قبل دخوله مصر، ويبدو أنه بشره بفتحها، فوعده بأنه لو تحققت البشرية فسيبعث إليه ألف دينار فلما ملك صلاح الدين مصر ذكره الشاعر بوعده فأرسل إليه ألفي دينار، ويقال إنه حين تلقاها قضى نحبه، ربما لأنه لم يصدق أنه تملك هذا المبلغ الكبير.

توفرت فيه صفات النديم لخفة ظله وسرعة بديهته ونزوعه إلى الدعابة، ووصفه العماد الأصبهاني بأنه كان ربة مائلا إلى القصر، أعور، مطبوعا، حلو المنادمة، لطيف النادرة، معاشرًا للأمرء، شاعرا مستطرف الهجاء.

وموضوعات شعره في المديح والشكوى ووصف مشاهد الطبيعة في دمشق وما حولها، والهجاء الذي لا يخلو من العزل والطرافة والسخرية المُرَّة كقوله :



يقولون لم أرَ خَصَّتْ شِعْرَكَ فِي الْوَرَى      فَقُلْتُ لَهُمْ إِذَا مَاتَ أَهْلُ الْمَكَارِمِ  
أَجَازَى عَلَى الشَّعْرِ الشَّعِيرَ وَإِنِّهِ      كَثِيرٌ إِذَا اسْتَخْلَصَتْهُ مِنْ بَهَائِمِ

وشعره فصيح ، لا تشوبه عامية ، ولا تخالطه عجمة ، كبعض شعر معاصريه ، يقول  
العماد : « قصائده قصار ، وفي النادر أن تزيد قصيدته على خمسة وعشرين بيتاً ، ومقطعته  
على عشرة أبيات ، وكلها نواذر ، وكلام مضحك » .

وكثر مطولاته في المديح أما مقطعاته ففي الهجاء والوصف ، والملحوظ أنه لم يُحسن  
وصف الأعداء ، ولم يسقط تخليد ملاحمهم ، كما خلد المتنبي ملاحم سيف الدولة مع  
الروم . ولكنه كان من الوصافين البارعين والمصورين البارعين ذو الشاعرية السامية حين  
يعرضون لما حولهم من مظاهر الطبيعة ، كقوله :

وناديةٍ ناحَتْ سُحَيْرًا بِأَيْكَةٍ      فَهَيَّجَتْ الْوُشُورَ فِي قَلْبِ نَادٍ  
تَنُوحُ عَلَى غُضَنِ أَنْوَحُ بِمِثْلِهِ      وَهَلْ حَاضِرٌ يَكِي أَسَى مِثْلُ غَائِبِ

\* \* \*

قال عرقلة يمدح الأمير مجير الدين أبق بن محمد بن بوري بن طغتكين : (١)

عَرَّجَ عَلَى نَجْدٍ لَعَلَّكَ مِنْجَدِي	بَنَسِيمِهَا ، وَبَذَكَرُ سُغْدِي ، مُسْعِدِي
بَدْوِيَّةُ الْأَلْفَاظِ دُونَ خِبَائِهَا	خَيْلٌ تَسْرُوحُ إِلَى الطَّعْمَانِ وَتَغْتَسِدِي
قَدْ كَانَ يُغْنِي لِحَظُهَا وَقَوَائِمُهَا	عَنْ كُلِّ خَطِيٍّ ، وَكُلِّ مَهْنَدٍ (٢)
يَا سَائِلِي ، لِمَ دَمَعُ عَيْنِي سَائِلٌ	هَآكَ الْحَدِيثُ عَنْ الْغَزَالِ الْأَغِيدِ (٣)
مَنْ لِي بِمَعْسُولِ الثَّنَايَا عَذِيبُهَا	لَذَنْ كَخُوطِ الْبَانَةِ الْمَتَاوُدِ (٤)
أَبَدًا هَوَاهُ لِي مُقِيمٌ مَقْعِدٌ	رَوْحِي فِدَاهُ ، مِنْ مُقِيمٍ مُقْعِدِ
وَلَقَدْ نِعِمْتُ بِوَصْلِهِ فِي نَيْرِ	أَلْفِ الرِّيحِ بِرَوْضِهِ الْغُصْنِ النَّدَى (٥)
أَزْهَارِهِ مِنْ جَوْهَرٍ ، وَنَسِيمِهِ	مِنْ عَنَبٍ ، وَثَمَارُهُ مِنْ عَسَجِدِ (٦)
وَعَلَى الْفُصُونِ مِنَ الْحَمَائِمِ قَيْنَةٌ	تَغْنِيكَ عَنْ شِدِّ الْغَرِيضِ وَمَعْبِدِ (٧)
وَالْمَاءِ فِي بَرْدِي كَأَنَّ حَبَابَهُ	بَرْدُ جَنَّتِهِ الرِّيحِ غَيْرُ مُجَمَّدِ (٨)
بَيْنَا تَرَاهُ كَالسَّجْنَجَلِ سَاكِنًا	حَتَّى تَرَاهُ أَجْعَدًا كَالْمِبْرَدِ (٩)
وَكَأَنَّمَا أَنْفَاسُ رِيَاءِ ثَنَا	أَبَقِ الْهَمَامِ الْمَاجِدِ بْنِ مُحَمَّدِ (١٠)
مَلِكٍ تَشْرَفَتِ الْمَنَابِرُ بِاسْمِهِ	وَعَلِمْتَ مَنَاقِبَهُ فَوَيْقَ الْفَرْقَدِ (١١)

(١) أمير تركي الأصل ، حكم دمشق قبل أن يملكها نور الدين محمود سنة ٥٦٤ هـ .

(٢) الخطي : الرمح - المهند : السيف .

(٣) الأغيد : المتمايل المشني في نعومة .

(٤) خوط : غصن - البانة : ضرب من الشجر ، يشبه بها الجسان في الطول واللين - المتأود : المشني المتعوج .

(٥) نيرب : قرية مشهورة بدمشق في وسط البساتين .

(٦) عسجد : ذهب .

(٧) قينة : مغنية - الغريضة ومعبار : مغنيان مشهوران عاشا في العصر الأموي .

(٨) بردى : نهر دمشق الأعظم - البرد : ماء جامد ينزل من السحاب قطعا صفارا .

(٩) السجندل : المرأة .

(١٠) أبق : هو الممدوح .

(١١) المناقب : المفاخر والفعال الكريمة - الفرقد : نجم ثابت الموقع يهتدى به .

وعلى الأسيرة من أسيرة وجهه  
ما نُشرت رأياته يوم السوغي  
من قاتل الأفرنج ديننا غيره  
ردّ الأمان بكل نذب باسل  
ومن السيوف بكل غضب أبيض  
حتى لوى الإسلام تحت لوائه  
طلق المحيا واضمح مُتهلّل  
كسد القريض وكان قدما نافقا  
أمجير دين الله ، وابن جماله  
كم حاسد لك في الشجاعة والندی  
أضحت دمشق بحسن وجهك جنة  
لازلت للإسلام عضدا ما سرت به

شمس تجلّت من بروج الأسعد  
إلا انطوى جيش العدو المعتدى  
والخليل مثل السيل عند المشهد  
ومن الجياد بكل نهدي أجرد  
ومن العجاج بكل نقع أسود (١٢)  
وغدا بحمد من شريعة أحمد  
مثل الحميا في الحمى ، طلق اليد  
في ذا الزمان ، وعنده لم يكسد (١٣)  
والسيد بن السيد بن السيد  
والعلم ، لاقرت عيون الحسد  
فيها الذي يشناك غير مُخلد  
سد الكرى شدنية في فذد (١٤)

\* \* \*

وقال يمدح الملك المعظم فخر الدولة ثوران شاه نجم الدين أيوب : (١٥)

دمشق حيت من حي ومن نادى  
ليس الندامى حين تنزله  
وحبذا ، حبذا واديك من واد  
يعلهم شادن كاسا على شاد (١٦)

(١٢) النذب : السريع النجيب الماضي - النهدي : القوي الضخم - الأجرد : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم - الغضب : السيف الحاد القاطع - النقع : الغبار الساطع .

(١٣) القريض : الشعر - نافق : رائج مرغوب فيه .

(١٤) الشدنية : الأبل المنسوبة إلى شذن وهو موضع باليمن - الفرقد : الأرض المستوية الواسعة لاشيء بها .

(١٥) توفي عام ٥٧٤ هـ ، وهو أخو صلاح الدين الأيوبي .

(١٦) الندامى : جمع النديم وهو المصاحب على الشراب - يعلهم : يسقيهم السقية الثانية أو تباعا .

حقًا وللورق فى أوراقه طرب  
يا غاديًا رائحًا عرّج على بردى  
كم قد شربتُ به فى ظل دالية  
فى جنب ساقية من كف ساقية  
سمراء كالصعدة السمراء واضحة  
لها بعينى إذا ماست عواطفها  
وهل أذمّ زمانى فى محبتها  
وقد غدوت بفخر الدين مفتخرًا  
ثوران شاه بن أيوب الذى شرفت  
من ابن مامة والطائي فى كرم  
كالبدر إن غاب حلت بعده ظلم  
وهو الذى لم يزل فى كل منزلة  
من معشر لم تزل نيران حربهم  
تمضى مجالسهم غرًا محجلة

كأن فى كل عود ألف عواد  
وخلنى من حديث الراح الغادى  
من ماء دالية تنيك عن عاد (١٧)  
قامت تشى بقد غير مناد (١٨)  
يشفى لمى شفتيها غلة الصادى  
جمال « مياسة » فى عين « مقداد » (١٩)  
وأهلته عند أعدائى وحسادى  
على البرية من حضرو من بادية (٢٠)  
به دمشق على مصر وبغداد  
وشدة الباس ، عمرو وابن شداد (٢١)  
وإن ألم أتك المؤنس الهادى  
يسير خلف العلى بالماء والزاد  
مشبوبة ، ذات إبراق وإرعاد (٢٢)  
هزل ابن حجاج فى جد ابن عباد (٢٢)



(١٧) الدالية : الأرض تسقى بالدلو ، والدالية أيضا بمعنى الدلو أو الناعورة يديرها الماء والحيوان ( الساقية ) .  
(١٨) القد : القامة أو القوام - غير مناد : غير معوج .  
(١٩) مياسة : اسم معشوقة المقداد بن الأسود الصحابى المعروف كما تروى القصة .  
(٢٠) الحاضر : المقيم فى المدن والقرى - البادى : المقيم فى البادية .  
(٢١) كعب بن مامة الإيادى وحاتم الطائى : كلاهما من أجواد العرب ، وعمرو بن معد يكرب وعترة بن شداد كلاهما من الفرسان ذوى الإقدام .  
(٢٢) غر محجلة بمعنى مشهورة - والحسين بن حجاج شاعر عباسى وهو من شعراء يثمة الدهر ومن معاصرى المتنبى - والصاحب بن عباد من كتاب دولة بنى بويه وكان معاصرا وصديقا لأبى الفضل بن العميد .

وقال يمدح ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه : (٢٣)

أمالى على الأحباب يا سَعْدُ مُسَعِدُ  
عذرت العذارى فى صدودى ولم أقل  
ولا عجبٌ للشيخ إن أَلِفَ القَلَى  
وأسمُرُ كالخطى لونا ولينةً  
تقلد بالعضب الحُسام وما درى  
ووجنته واللحظ وردٌ ونرجسٌ  
وكم شاعرٍ أودت ثعابينُ شعره  
سبانى كما يسبى الأميرُ عُداته  
لناصر دين الله ، نصرٌ على العدى  
تجودُ السحابُ الغُرُ قطرًا إذا همت  
على بيتِ شعرٍ ، بيتُ مالٍ عطاؤه  
هو البدرُ للسارى بكل تنوفةٍ  
فصيحٌ إذا قال ابن عباس عبده  
ولا منجدٌ لَمَّا أغاروا وأنجدوا (٢٤)  
خليلى لِمَ حظى من البيض أسودُ  
وقد كان هذا رسمُهُ وهو أمرُ (٢٥)  
يكاد يُخلُ الخضرُ منه ويُعقدُ  
بأن دُمى من قلبه يتقلدُ  
وفى فمه خمرٌ ودُرٌّ منضدُ  
إذا ما بدا منه نَّ سَبَطٌ وأجعدُ (٢٦)  
فتى الملك المنصورِ والخيل تُرعدُ  
وعزم حكاة المَشرفى المَهْنَدُ (٢٧)  
وما جوده إلا لجينٌ وعسجدُ (٢٨)  
إلى أن خلا منه طريفٌ ومُتَلَدُ (٢٩)  
إليه ، إذا ما طال ليلٌ وفدَقُ (٣٠)  
ويبرد من عىٍ لديه المبردُ (٣١)

(٢٣) هو ابن عم صلاح الدين الأيوبي .

(٢٤) أغاروا : أتوا الغور وهو كل منخفض من الأرض - أنجدوا : أتوا نجدا ، وهو ما ارتفع من الأرض وصلب .

(٢٥) القلى : الهجر والإبغاض - الأمرد : الشاب الصغير .

(٢٦) أودت : هلكت - السبط : المنبسط المسترسل الطويل ، وتقيضه : الجَعْد بمعنى المجتمع المتقبض

القصير .

(٢٧) المشرفى : سيف يُجلب من المشارف وهى قُرَى باليمن .

(٢٨) القطر : المطر - اللجين : الفضة .

(٢٩) الطريف : المستفاد من المال حديثا - المتلد : المال القديم .

(٣٠) السارى : الذى يقطع الليل بالسير - التنوفة : الأرض القفر التى لا ماء بها .

(٣١) عبد الله بن عباس - رضى الله عنه - خَبِرَ الأمة ، وأبو العباس المبرد عالم لغوى معروف ، مؤلف كتاب

« الكامل » .



وملك له بحران ، علمٌ ونائلٌ  
وناران للحرب العوان وللقرى  
هو القَيْلُ وابنُ القَيْلِ والمعشر الألى  
غُيُوثٌ إذا جادوا ليوسن سَطُوا  
أناصِرَ دين الله ، لازلت ناصرى  
لئن جلَّ حَسَّانٌ بمدح محمدٍ  
وإني لفي قومي كريمٌ مُسَوِّدٌ  
أصبح أيها المولى إلى ولا تُقْلُ  
فلو كان هذا الشعر قدما ، رواه في  
على أنه ما زال في كل بلدةٍ  
فلا ملكٌ يُرجى سواك ويُتقى

يفيض بذا صدرٌ ، وتهمى بذا يدُ (٣٢)  
غدت كل نارٍ منهما تتوقدُ (٣٣)  
إذا غاب منهم سيّدٌ قام سيّدُ (٣٤)  
لهم نائلٌ جمٌّ ومجدٌ مُشَيّدُ (٣٥)  
على زمنٍ فيه الأديب مُطَهَّدُ (٣٦)  
فها أنا حَسَّانٌ وأنت مُحَمَّدُ (٣٧)  
وكل عدوٍّ لى لثيمٌ مُسَوِّدُ  
مضى ذلك الفضل الذى كان يُعْهَدُ  
أمية حمادٌ وغنّاه مَعْبَدُ (٣٨)  
يُغْنَى به عند الملوك ويُشَدُ  
ولا شاعرٌ يهوى سواى ويُحْمَدُ

\* \* \*

وقال يمدح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب :

إلام ألام فيك وكم أعادى  
لقد ألف الضنى والشقم جسمى  
وأمرض من جفاك ولن أعادا  
وعيناي المدامع السهادا

(٣٢) نائل : جود وعطية - تهمة : تسيل .

(٣٣) القرى : ما يقدم إلى الضيف .

(٣٤) القَيْل : الملك .

(٣٥) غيوث : جمع غيث ، وهو المطر - سطوا : بطشوا وقهروا .

(٣٦) كذا ، وفي المعاجم : ضَهْدَه واضطهده : ظلمه وقهره ، وأضهد به : جار عليه .

(٣٧) هو حسان بن ثابت شاعر النبی ﷺ ، واسم عرقلة حسان أيضا ، كما أن اسم الممدوح محمد .

(٣٨) هو حماد الراوية المعروف ، أما معبد فمن أشهر المغنين في العصر الأموي .

وها أنا قد وهى صبرى ، وشوقى  
 بقلبى ذات خلخالٍ وقُلُوبٍ  
 مهفهفة كأنَّ قضيبَ بانٍ  
 بوجهٍ لم يزدِ إلاَّ ياضًا  
 تعجب عاذلى من حرِّ حُبى  
 ولا عجبٌ إذا ما أبَّ حرٌّ  
 وقد أنساني الشيبُ الغوانى  
 وهل أخشى من الأنواء بخلاً  
 فتى للدين لم يبرِّح صلاحًا  
 هو المعروف بالمعروف حقًا  
 به الأشعارُ قد عاشت نفاقًا  
 يحسب الخمسة الأشباح دينًا  
 لئن أعطاه نور الدين حصنًا

إذا ما قلتِ الأشواقُ ، زادا (٣٩)  
 تملِّكَ فؤدها منى الفؤادا (٤٠)  
 تشنى فى غلائلها ومادا (٤١)  
 وشعرٍ لم يزدِ إلا سوادا  
 ومن برد السُّلُو وقد تمادى  
 بآبٍ ، ومن جماد فى جمادى  
 فلا سغدى أريدُ ولا سعادا  
 إذا ما يوسفُ بالمال جادا (٤٢)  
 ولأموال لم يبرح فسادا  
 جوادٌ لم يهبِ إلا الجوادا  
 وعند سواه قد ماتت كسادا (٤٣)  
 وما يهوى يزيّدًا أوزيادا (٤٤)  
 فإنَّ الله أعطاه البلادا (٤٥)

\* \* \*

(٣٩) وهى : ضعف .  
 (٤٠) القُلُب : سوار المرأة يكون نظامًا واحدًا - الفؤد : جانب الرأس مما يلي الأذن .  
 (٤١) مهفهفة : ضامرة البطن دقيقة الخصر - الغلائل : الثياب الرقيقة تلبس تحت الدُّثْر - ماد : تمايل وتبختر .  
 (٤٢) الأنواء : جمع النوء وهو المطر الشديد .  
 (٤٣) النِّفاق : الرواج ، ضد الكساد .  
 (٤٤) الخمسة « عند الشيعة » هم : محمد - عليه الصلاة والسلام - وعلى وفاطمة والحسن والحسين - يزيد هو ابن معاوية - وزيد هو ابن أبيه أو ابن أبي سفيان والى العراق .  
 (٤٥) يعنى نور الدين زنكى .

وقال أيضًا :

يا راكب البكرين الشيخ والغار  
أجارك الله من جور ومن عار<sup>(٤٦)</sup>  
عرج على الحى من كلب وناد به  
يا للجلاح ، أصبحابى وأنصارى<sup>(٤٧)</sup>  
لا أوحش الشام من تصهال خيلكم  
ولا أباعركم من دمنة الدار<sup>(٤٨)</sup>  
إلام تغفل عن ثأر ابن عمكم  
فعل الحواضر لا يرجون للشار  
لقد غزته عيون الفرغائرة  
فهل بضرئكم بمقتول بأبصار  
أغصان بان إذا هب النسيم بها  
ترنحت بين كنان وأقمار<sup>(٤٩)</sup>  
من كل أشنب ألمى فى مرافقه  
ماء العذيب على صهباء خمار<sup>(٥٠)</sup>  
يغيثك فى كل حرب قوس حاجبه  
عن قوس حاجب فى أيام ذى قار<sup>(٥١)</sup>

\* \* \*

---

(٤٦) البكر: الفتى من الإبل - الشيخ: نبت له رائحة طيبة قوية ترعاه الماشية - الغار: شجر برى دائم الخضرة يصلح للترتين - أجارك: حماك وأنقذك - جور: ظلم .  
(٤٧) الجلاح: بطن من كلب ، وإليه يتسبب الشاعر .  
(٤٨) التصهال: صوت الخيل - الأباعر: الإبل ، مفردة: بعير - الدمنة: آثار الدار والناس .  
(٤٩) كنان: جمع كئيب وهو الرمل المستطيل المحدودب .  
(٥٠) الأشنب: الثغر الذى رقت أسنانه وابتضت - المرافف موضع الرشف وهو المص بالشفتين - العذيب: ماء معروف لبنى تميم - صهباء: خمر .  
(٥١) هو حاجب بن زرارة وحكاية قوسه معروفة ، وذوقار يوم من أيام الحروب بين العرب والفرس فى الجاهلية .

وقال أيضًا :

ما فَتَّحَ النَّوْرُ إِلَّا أَشْرَقَ النَّوْرُ  
وللريبع ربوعٌ كُلَّا ضحكت  
أما دمشقُ فجناتٌ معجلةٌ  
ما صاح فيها على أوتاره قَمَرٌ  
يا حبذا ودروعُ الماءِ تنسجُها  
ويح اللوائِمُ في لونِ اللَّمَى حسداً  
هم عارضوني على حبي لعارضِهِ

فما اشتغالك ، والمتشور مشور (٥٢)  
بكى على نشواتِ الخمر مخمور  
للطالبين ، بها الولدانُ والخور  
إِلَّا وَغَنَاهُ قَمَرِيٌّ وشحرور (٥٣)  
أنا ملُّ الريحِ لولا أنها زور  
حتى متى أنا محسودٌ ومهجور  
ومن أحبَّ عذاراً فهو معذور (٥٤)



وقال في الربيع ووصف دمشق :

هذا هو الزمن البديع المونقُ  
فعلامَ تصحو والحمام كأنها  
وتلومُ في حُبِّ الدِّيار جَهالةً  
والشامُ شامةٌ وجنة الدنيا كما  
من أسها لك جنةٌ لا تنقضى

والعيشة الرغدُ التي هي تُعشقُ  
سكرى تغنى تارةً وتصفقُ  
هيهات يلوها فؤادٌ شيق  
إنسانٌ مقلتها الغضيضة جَلَقُ (٥٥)  
ومن الشقيق جهنمٌ لا تحرقُ (٥٦)

(٥٢) النَّوْرُ - بفتح النون : الزهر الأبيض .

(٥٣) القَمَرِي : ضرب من الحمام مطوق حسن الصوت - الشحرور : طائر غريد .

(٥٤) العارض : جانب الوجه أو صفحة الخد - العذار : جانب اللحية .

(٥٥) الشامة : علامة في البدن يخالف لونها لون سائره - الوجنة : ما ارتفع من الخدين - الغضيضة : المسترخية

الأجفان - جَلَق : اسم دمشق .

(٥٦) الآس : شجر عطري - الشقيق : نبت أحمر .

سِيمَا وَقَدْ رَقِمَ الرِّبْعَ رِبْعَهَا      وَشِيَابَهُ حَذَقَ الْبَرَايَا تَحْدِيقُ (٥٧)  
فِي نِيرِبٍ ضَحَكَتْ ثَغُورَ أَقَا حِهْ      لَمَّا بَكَاهُ الْعَارِضُ الْمَتَأَلَّقُ (٥٨)

\* \* \*

وقال أيضًا :

بروق الغوادي أم بروق المباسم      أشاقتك وهنًا ، أم هديل الحمام (٥٩)  
كَأَنَّ بَكَ الْوَجْدَ الَّذِي بِي مِنَ الْأَسَى      وَقَدْ عِيلَ صَبْرِي بَيْنَ وَائِشٍ وَلَائِمٍ  
تَوَرَّقُ وَرُقُ الْغَوَاطِينَ لَوَاحِظِي      وَيُنْحَلِ جَسْمِي حَبَّ غَزْلَانٍ جَاسِمٍ (٦٠)  
أَحْبَابِنَا إِنْ كُنْتُمْ قَدْ عَزَمْتُمْ      عَلَى الْبَعْدِ عَنْ أَطْلَالِكُمْ وَالْمَعَالِمِ  
فَلَا تَرْسَلُوا بَرْقًا إِلَى غَيْرِ سَاهِرٍ      وَلَا تَبْعَثُوا طَيْفًا إِلَى غَيْرِ نَائِمٍ  
أَعَاذِلْ فِيمَنْ لَسْتُ أَسْلُو أَذَابِنِي      فُلُوشْتُ مِنْ سُقْمِي تَمْنَقْتُ خَاتَمِي (٦١)  
ذَرِ الْعَذْلَ فِي تَسْكَابِ طَرْفِي ، لَطَرْفِهِ      وَلَا تَدْخُلْنِ مَا بَيْنَ سَاجٍ وَسَاجِمٍ (٦٢)

\* \* \*

وقال أيضًا :

دِعِ اسْتِمَاعَكَ ذَكَرِي دِيرِ سَمْعَانٍ      فَمَا أَمْرَ النَّوَى عَنْ دِيرِ مُرَّانٍ (٦٣)  
فِيهِ شَمَامَسَةٌ مِثْلُ الشَّمُوسِ إِذَا      جَاءَ وَكَ بَيْنَ أَنْسَاجِيلٍ وَصُلْبَانٍ (٦٤)

(٥٧) سِيمَا : بالتخفيف ، والتشديد على الياء ، وبإضافة لا أو حذفها - رَقَمَهُ : نقشه ووشاه وطرزه - الوَشَى : نقش الثوب أو الثياب الموشية : الحَذَقُ : جمع الحَذَقَةِ وهي السود المستدير وسط العين - تَحْدِيقُ : تنظر .  
(٥٨) نِيرِبٍ : قرية - الْعَارِضُ : السحاب المظلل .  
(٥٩) الْغَوَادِي : السحب .  
(٦٠) الْغَوَاطِينَ : مواضع كثيرة المياه والشجر والبساتين حول دمشق - جَاسِمٍ : قرية في حوران ، وفيها ولد الشاعر أبو تمام .  
(٦١) شَدَّ وَسَطَهُ بِالْمَنْطَقَةِ .  
(٦٢) سَاجِي : ساكن - سَاجِمٍ : سائل .  
(٦٣) دِيرِ سَمْعَانٍ : بنواحي دمشق في موضع نزه وبساتين محدقة به وعنده قصور - دِيرِ مُرَّانٍ : يقع إلى الغرب من حلب ، وفي معجم البلدان أنه كان بنواحي دمشق .  
(٦٤) الشَّمَامَسَةُ : من يقومون بالخدمة على الكنيسة ومرتبته دون مرتبة القسيس ، واحد : الشَّمَّاسُ .



وكل قَسٌّ كَقُسٍّ إِنْ تَحَدَّثَ عَنْ  
وَفِي الشَّعَانِينَ مِنْ أَوْلَادِ جَفَنَةَ لِي  
لِلَّهِ لَيْلَةٌ بَتْنَا وَهُوَ ثَالِثُهَا  
وَرَاخَنَا مِنْ ثَلَاثِ أَيْضٍ يَقْقُ  
وَقَالَ هَيَّا فَقَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ وَقَدْ  
مَا بَيْنَ سَطْرًا وَمَقْرًا جَنَّةٌ سَرَحَتْ  
يَظَلُّ مَثُورَهَا الرُّوْضُ مُتَشَرًّا  
وَالطَّيْرُ تُنْشِدُ فِي أَغْصَانِهَا سَحَرًا :

\* \* \*

وَقَالَ أَيْضًا :

نَاوَلَنِي مِنْ أَحَبِّ نَرَجَسَةٍ  
كَأَنَّمَا يَبِضُّهَا مَرَصَعَةٌ

عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَوْ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ (٦٥)  
ظَبْيٌ يَنَاشِدُنِي أَشْعَارُ حَسَانِ (٦٦)  
مِنْ مُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ  
وَأَصْفَرٍ فَاقِعٍ أَوْ أَحْمَرٍ قَانِيٍّ (٦٧)  
طَابَ الصَّبُوحُ عَلَى رُوحٍ وَرِيحَانٍ  
أَنْهَارَهَا فِي ظِلَالِ الْآسِ وَالْبَانِ (٦٨)  
كَأَنَّمَا صَبَغَ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانٍ  
هَذَا هُوَ الْعَيْشُ إِلَّا أَنَّهُ فَانٍ

أَحْسَنَ فِي نَظَرِي مِنَ الْوَرْدِ  
مِنْ ثَغَرِهِ ، وَالصَّفَارِ مِنْ خَدِّي

---

(٦٥) الْقَسُّ :رئيس في الدين من رؤساء النصارى - وقُسَّ بن ساعدة الإيادي هو الخطيب الشهير .  
(٦٦) الشَّعَانِينَ : عيد من أعياد النصارى يحتفل فيه بذكرى دخول السيد المسيح بيت المقدس - وحسان  
ابن ثابت : الشاعر المعروف .  
(٦٧) يَقْقُ : شديد البياض ناصعه .  
(٦٨) سَطْرًا وَمَقْرًا : قريتان في غوطة دمشق .

## عمارة اليمنى

( ٥١٥ - ٥٦٩ هـ / ١١٢١ - ١١٧٤ م )

هو أبو حمزة عمارة بن علي بن زيدان ، ولد بوادى وساع بتهامة باليمن ، من أسرة ذات مكانة وسيادة واهتمام بالعلم والثقافة ، وقد وصف عمارة موطنه بقوله إن به المولد والمربي ، وأهله بقية العرب فى تهامة ، « لأنهم لا يساكنهم حضرى ، ولا يناكحونه ، ولا يجيزون شهادته ، ولذلك سلمت لغتهم من الفساد » ، واهتم والداه بتثقيفه ، فأرسلاه إلى زيد ، وهو فى السادسة عشرة من عمره ، وعن ذلك يقول : « وفى سنة إحدى وثلاثين دفعت لى والدتى مصوغاتها بألف دينار ، ودفع لى أبى أربعمئة دينار وسبعين ، وذهبتُ بالمال إلى زيد » ، ونصحه والداه ألا يرجع إليهما حتى يأخذ حظه من العلم ، قائلين له : « قد احتسبناك عند الله ، وصبرنا عنك » ، فظل أربع سنوات يدرس الفقه الشافعى والأدب ، واتصل بحكام زيد وعَدَن ووزرائهم .

وذهب إلى حج بيت الله الحرام سنة ٥٤٩ ، فالتقى بأمير مكة الذى أعجب بعلمه وأدبه وحمله رسالة إلى الخليفة الفاطمى بالقاهرة ، فوصل إليها سنة ٥٥٠ ، وعن ذلك يقول : « فقد منا إلى الدولة المصرية ، والخليفة بها يومئذ الفائز بن الظافر ، والوزير له الملك الصالح طلائع بن رزىك ، ولما أحضرت للسلام عليهما فى قاعة الذهب بقصر الخليفة أنشدتهما قصيدة ، أولها :

الحمدُ للعيس بعد العزم والهمم      حمداً يقوم بما أولت من النعم

وأعجب طلائع وأمراء الدولة وموظفوها الكبار بهذه القصيدة فتهادوه وأغدقوا عليه ، ورجع إلى مكة ، ثم زيد ، وعاد إلى الحج سنة ٥٥١ فأرسله أمير مكة برسالة ثانية إلى مصر ، ولما قدم إليها استوطنها حتى آخر حياته . وكان طلائع بن رزىك قد دعاه إلى مجالسه بقصره بالفسطاط ، وفيها من الأدباء أمثال : المهذب بن الزبير ، والقاضى الرشيد ، وابن الخلال ، والقاضى الجليس بن الحباب ، وصار عمارة شاعرا من شعراء البلاط تجرى عليه الرواتب

وتفاض عليه الأرزاق ، وقد جرت بينه وبين بعض الشعراء كابن الزبير مهاجاة كان ابن رزيك يغرى بها بعضهم ، مع كره عمارة للهجاء ورغبته فى حفظ ما عهد به والده إليه من العزوف عن الإيذاء والشتم .

وقد سجل فى شعره بعض الأحداث التى مرّت بها مصر فى أثناء حكم ابن رزيك ، منها غارة الصليبيين بقيادة بلدوين صاحب بيت المقدس على حدود مصر الشرقية ودخوله سيناء واقترابه من الشرقية ، وقيام الكتائب المصرية المنتصرة بصدّ المغيرين بالشام .

وتوفى ابن رزيك سنة ٥٥٦ ، فرثاه رثاء دل على شدة تعلقه به ، ثم تعاقب الوزراء ، وقويت صلته بالوزيرين شاور وضرغام ، وحينما سقطت دولة الفاطميين وتمت الغلبة لصالح الدين الأيوبي على مصر ، كان لهذا أثره المؤلم فى نفسه ، فلم يتقبل تولّى الأيوبيين السلطة وتملكهم قصور الفاطميين ، وحاول أن يقنع نفسه بالوضع الجديد ، وأن يمدح صلاح الدين وأسرته ، ولكن حب الفاطميين كان قد ملك عليه نفسه ، فنظم الشعر فى انتقاد الدولة الجديدة ، والتأسف على الدولة التى عاش فى ظلها ونعم بقرب خلفائها ووزرائها ، ومن ذلك قصيدة ، مطلعها :

أيا أذنَ الأيام إن قلتُ فاسمعى      لنقشةٍ مضدورٍ ، وأنة مُوجعٍ  
وأخرى ، أولها :

رَمَيْتَ يا دهرُ كَفَّ المجدِ بالشلل      وجيّدُهُ بَعْدَ حُسْنِ الحَلَى بالعَطَلِ

وقد اتّهم عمارة بالتآمر لإعادة ملك الفاطميين والاستعانة فى ذلك بالصليبيين ، فانتهدت حياته بمقتله هو وشركائه المتآمرين .

ومن مؤلفاته المطبوعة : أخبار اليمن ، ومختصر المفيد فى أخبار صنعاء وزبيد ، والنكت العصرية فى أخبار الوزراء المصرية .

\* \* \*

قال عمارة اليمنى يمدح الفائز الفاطمي وأنشدها إياه في قاعة الذهب :

الحمدُ للعيس بعدَ العزمِ والهَم  
لا أجدُ الحقَّ عندى للركابِ يدُ  
قَرَبَنَ بُغْدَ مَزارِ العِزِّ من نَظَرِي  
ورُحْنٍ من كُعبَةِ البطحاءِ والحَرَمِ  
فهلْ درى البَيْتُ أنى بعدَ فِرْقَتِهِ  
حيثُ الخِلافةُ مضروبٌ سرادِقُها  
ولإمامَةِ أنوارٍ مقدَّسةٍ  
وللنُّبُوَّةِ آياتٌ تُنصِّرُ لَنَا  
وللمكارمِ أعلامٌ تُعلِّمُنَا  
وللعُلا السُّننِ تُثْنِي محامِدِها  
ورايةُ الشرفِ البَدَاخِ ترفعُها  
أقمستُ بالفائزِ المعصومِ مُعْتَقِدًا  
لقد حمى الدينَ والدنيا وأهلَهُما  
اللابسُ الفَخْرَ لم تَمسَحْ غَلائِلُهُ  
وجودُهُ أوجَدَ الأيامَ ما اقترَحَتْ  
قد مَلَكْتُهُ العِوَالِي رِقٌّ مملَكَةٍ  
أرى مقامًا عَظِيمَ الشَّانِ أوهَمَنِي

حَمْدًا يَقُومُ بما أُولِيتُ مِنَ النِّعَمِ  
تَمَنَّيتُ اللَّجْمُ فِيهَا رُتْبَةَ الخُطْمِ  
حتى رأيتُ إِمَامَ العِزِّ من أَقْسَمِ (١)  
وفدًا إلى كُعبَةِ المَعْرُوفِ والكَرَمِ  
ما سِرْتُ من حَرَمٍ إِلَّا إلى حَرَمِ  
بَيْنَ النقيضينِ من عَفْوٍ ومن نِقَمِ  
تَجَلَّو البغيضينِ من ظَلَمٍ ومن ظَلَمِ  
على الخَفِيَّينِ من حُكْمٍ ومن حِجَمِ  
مَدَحَ الجَزِيلينِ من بَأْسٍ ومن كَرَمِ  
على الحميدينِ من فَعْلٍ ومن شِيمِ  
يَدُ الرَفِيعينِ من مَجْدٍ ومن هَمِ  
فوزَ النَّجاةِ وأجرَ البِرِّ في القَسَمِ  
وزيرُهُ الصَّالِحُ الفَرَّاجُ للغَمَمِ  
إِلَّا يَدُ الصَّنِيعينِ السَّيْفِ والقَلَمِ  
وجودُهُ أَعَدَمَ الشَّاكِينِ للعَدَمِ  
تُعِيرُ أَنْفَ الثَّرِيَّا عِزَّةَ الشَّمَمِ (٢)  
فِي يَقْظَتِي أَنَّهَا من جُمْلَةِ الحُلَمِ

(١) العيس : الإبل البيضاء مع شقرة يسيرة - الركاب : الإبل المركوبة - اللجم : جمع لجام وما يتصل بها سيور وغيرها في فم القرس - الخطم : جمع خطوم وهو ما يوضع من حبال على أنف الجمل ليقاد به - من أمم : من قرب .  
(٢) العوالى : جمع العالية ، وهى النصف الذى يلى السنان من الرمح - الشمم : السيادة والترفع والأنفة .



يَوْمَ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يَخْطِرْ عَلَى أَمَلِي  
لَيْتَ الْكَوَاكِبَ تَذُنُّوْلِي فَأَنْظِمَهَا  
تَرَى السَّوَارَةَ فِيهِ وَهِيَ بِإِذْلَةٍ  
عَوَاطِفَ عَلَّمْتَنَا أَنْ بَيْنَهُمَا  
خُلَيْفَةٌ وَوَزِيرٌ مَدَّ عَدْلُهُمَا  
زِيَادَةُ النِّيلِ نَقْصٌ عِنْدَ فَيْضِهِمَا

وَلَا تَرْقُتْ إِلَيْهِ رَغْبَةُ الْهِمَمِ  
عُقُودَ مَذْحٍ فَمَا أَرْضَى لَكُمْ كَلِمِي  
عِنْدَ الْخِلَافَةِ نُصْحًا غَيْرَ مُتَّهِمِ  
قِرَابَةٍ مِنْ جَمِيلِ الرَّأْيِ لَا الرَّحِمِ  
ظِلًّا عَلَى مَفْرِقِ الْإِسْلَامِ وَالْأُمَمِ  
فَمَا عَسَى يَتَعَاطَى مِنْهُ الدَّيْمُ (٣)

\* \* \*

وقال مفتخرًا ومادحًا :

وَنَهَجَ سَعَتْ فِيهِ إِلَيْكَ مَدَائِحُ  
بَذَلْتُ بِهِ الدُّرَّ الْمُضَوَّنَ لِأَرْوَعِ  
تَجَنَّبْتُ مَطْرُوقَ الْكَلَامِ وَهَذِهِ  
وَلَمْ أَرْمَلِ الشَّعْرَ تَرْجُو بَغَائُهُ  
تَوَهَّمُ قَوْمٌ أَنَّهُ الْوِزْنُ وَحْدَهُ  
كَذَلِكَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ  
مَتَى رُمْتُ مِنْهُ رَقَّةٌ وَجَزَالَةٌ  
وغير بهيم الخطُّ شعراً أقولُهُ

فَبَرَزْتُ إِذْ خَافْتُ وَخَابَتْ سُعَائُهُ  
يُصَدِّقُ دَعْوَى الْمَادِحِينَ عُفَائُهُ (٤)  
سُلَافَةٌ مَا أَنْشَأْتُهُ وَابْتِدَائُهُ (٥)  
مُطَارًا بِجَوْ قَدْ حَمَّنُهُ بُزَائُهُ (٦)  
وَقَدْ غَابَ عَنْهُمْ سِرُّهُ وَسَرَائُهُ  
وَمَا يَتَسَاوَى مِلْحُحُهُ وَقُرَائُهُ (٧)  
فَإِنْ كَلَامِي مَاؤُهُ وَصِفَائُهُ  
وَأَوْصَافُكُمْ أَوْصَاحُهُ وَشَيَائُهُ (٨)

\* \* \*

(٣) الدَّيْمُ : الأمكار يطول زمانها في سكون .

(٤) الأروع : الذكي الفؤاد أو المعجب بحسنه وشجاعته - العفأة : طالبو المعروف .

(٥) الكلام المطروق الذي خاض فيه الناس وعرضوا له - السلافة من كل شيء : خالصة .

(٦) البغات : طائر ضعيف الطيران - البزاة : نوع من الصقور الصغيرة .

(٧) المِلْحُ : الماء غير العذب - الفرات : الماء الشديد العذوبة .

(٨) أَوْصَاحُ : جمع وَصَح وهو البياض - الشَّيَات جمع شَيْة ، وهي العلامة أو السواد في بياض أو البياض في سواد .



وقال فى الهرمين :

خَلِيلَى مَا تَحْتَ السَّمَاءِ بَنِيَّةٌ      تُمَائِلُ فِى إِتْقَانِهَا هَرَمَى مَضِرِ  
بَنَاءٌ يَخَافُ الدَّهْرُ مِنْهُ وَكُلُّ مَا      عَلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا يَخَافُ مِنَ الدَّهْرِ  
تَنْزَعُ طَرْفَى فِى بَدِيعِ بَنَائِهِ      وَلَمْ يَتَنَزَّ فِى الْمَرَادِ بِهَا فِكْرِى

\* \* \*

وقال يتنصر للفاطميين ويرد على الشاعر ابن أبى عيينة الذى ذم الفاطميين فى مدحة له بين يدى نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الذى أسكنه قصر اللؤلؤة من قصور الخلفاء الفاطميين :

أَثِمْتَ يَا مَنْ هَجَا السَّادَاتِ وَالْخُلَفَا      وَقُلْتَ مَا قُلْتَهُ فِى سَلْبِهِمْ سَخَفَا  
جَعَلْتَهُمْ صَدَقًا حَلُّوا بِلَوْلُؤَةٍ      وَالْعُرْفُ مَا زَالَ سَكْنَى اللُّوْلُؤِ الصَّدَفَا  
وَإِنَّمَا هِىَ دَارٌ كَحَلٍّ جَوْهَرُهُمْ      فِيهَا وَشَفَّ فَأَسْنَاهَا الَّذِى وَصَفَا  
فَقَالَ لَوْلُؤَةٌ عَجَبًا بِيَهْجَتِهَا      وَكَوْنَهَا حَوَتْ الْأَشْرَافَ وَالشَّرَفَا  
فَهَى بِسَكَانِهَا الْآيَاتُ إِذْ سَكَنُوا      فِيهَا وَمَنْ قَبْلَهَا قَدْ أَسَكِنُوا الصَّحُفَا<sup>(٩)</sup>  
وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ نَوْرٌ لَيْسَ يَعْرِفُهُ      مِنْ الْبَرِيَّةِ إِلَّا كُلُّ مَنْ عَرَفَا  
لَوْلَا تَجَسُّمُهُ فِيهِمْ لَكَانَ عَلَى      ضَعْفِ الْبَصَائِرِ لِلْأَبْصَارِ مَخْطَفَا  
فَالْكَلْبُ يَأْكُلُ أَسْنَى مِنْكَ مَعْرِفَةً      لِأَنِّ فِيهِ حِفَاطًا دَائِمًا وَوَفَا

\* \* \*

(٩) يشير إلى ذكرهم فى القرآن الكريم ، وهم آل البيت .

وكان ابن أبي عيينة يمدح الفاطميين ، فلما زالت دولتهم انقلب عليهم وأنشد صاحب الدولة الأيوبية وذم الفاطميين بالأبيات التي يذكر فيها قصر اللؤلؤة ويقول فيها :

يا مالِك الأرض لا أرضى له طَرْفا      منها وما كان فيه لم يُكن طَرْفا  
قد عَجَّلَ الله هذى الدارَ تسكُنُها      وقد أعدَّ لك الجنَّاتِ والغُرُفا  
تشرَّفت بك عمَّن كان يسكُنُها      فالبس بها العزَّ، وتلبَّس بك الشرفا  
كانوا بها صدفاً والنَّارُ لؤلؤةٌ      وأنتَ لؤلؤةٌ صارت لها صدفاً

\* \* \*

وقال يمدح الصالح وولده وأخاه فارس المسلمين :

أبيضُ مُجرِّدةٌ أم عيونُ      تُسَلُّ وأجفانُهُنَّ الجفون

عجبتُ لها قُضبا باتره (١٠)

تصول بها المُقلُّ الفاتره

فتغدو لأرواحنا واتره

ظباء فتكن بأشد العرين      وغائرة خرجت من كمين

إذا ما هززن رماح القدود

حمين النفوس لذيذ الورود

حياض اللَّمى ورياض الخدود

---

(١٠) الجفن هو غطاء العين أو غمد السيف ، وجمعه : أجفان وجفون - قضب باترة : سيوف قاطعة .

فَلَا تُطِيعَنَّكَ تِلْكَ الْغُصُونُ      فَإِنْ كَثِيبَ نَقَاهَا مَصُونُ

وفيهنَّ فتانةٌ لم تزل  
أوامرُ مقلتها تُمتثلُ  
ومن أجل سلطانها في المقل

تقول لها أعيُنُ الناظرين      إذا ما رنث ما الذي تأمرين

منعمةٌ رذفها مُخَصِبُ  
وما أهنز من خصرها مُجْدِبُ  
مقسمةٌ كلُّها يُعْجِبُ

فجسْمٌ جرى فيه ماءٌ مَعِينُ      وقلبٌ غدا صخرةٌ لا تَلِينُ (١١)

وقال يمدح فارس المسلمين :

يُلاحَ بى عادِلُ	فى أخوَرِ خاذِلُ	حَلَوِ الشَّيْمُ
فى وصله وابلُ	لروضى الذابلُ	لا فى الدَّيْمُ
قد حير الأذهانُ	فكلُّها ولهانُ	يشكو الصَّدَى
للحُسن والإحسانُ	فى وجهه عُنوانُ	إذا بَـدَا
وجوهرُ الألحانُ	أصدافُه الأذانُ	إذا شَـدَا
من لحظه الخاتِلُ	ولفظه القاتِلُ	ذقتُ الأَلَمَ (١٢)
والسحرُ من بابلُ	فى جفنه الذابلُ	أصلُ السَّقَمِ

(١١) ماء مَعِين : ظاهر تراه العين يجرى على وجه الأرض .

(١٢) الخاتِل : المراوغ ، الخادع عن غفلة .

ومنها :

يا مُطْرِبِ الأفهام	ومُتَعِبِ الأجسام	كم تَعْنِفُ
والظُّلْمُ والإِظْلَامُ	بفارس الإسلام	لا يُغْنِيكَ
قد هذب الأيَّام	فالدَّهْرُ والأحكام	لا يَجْنِيكَ (١٣)

\* \* \*

وكتب إلى السلطان الملك الناصر صلاح الدين هذه القصيدة - ولم ينشدها -  
وترجمها ب: « شكايه المتظلم ونكايه المتألم » :

أيا أذنَ الأيَّام إن قلْتُ فاسمِعي	لنَفْسِهِ مَضْدُور، وأتَّهِ مَوْجِع
وعَى كُلَّ صَوْتٍ تسمِيعِنَ نداءهُ	فلا خَيْرَ فِى أذنٍ تَنادَى فلا تَعِى
تَقاصِرُ بى خَطُّ الزمانِ وباعُهُ	فَقَصَّرَ مِن دَرْعِي وَقَصَّرَ أذْرُعِي (١٤)
وأخرجنى من موضعٍ كُنْتُ أَهْلُهُ	وأنزلنى بالجورِ فى غير مَوْضِعٍ
بسيف ابنِ مَهْدَى وأبناءِ فاتِكِ	أَقْضَ من الأوطانِ جنبى ومضجِعى
فَيَمَّمْتُ مِصرًا أَطْلُبُ الجاهَ والغنى	فَنَلْتُهُما فى ظِلِّ عَيْشٍ مُّمنَعٍ
وزرْتُ ملوكَ النِّيلِ أرتادُ نَيْلَهُم	فأحمدُ مُرتدى وأخصبُ مَرَبِعى (١٥)
وفزْتُ بألفٍ من عطيةِ فائِزِ	مواهبُهُ للصنعِ لا للتصنُّعِ (١٦)
وكم طرقتنى من يَدِ عاضِدِيَّةٍ	سَرَتْ بَيْنَ يَقْظَى من عيونِ وَهْجِى (١٧)

(١٣) لا يجنف : لا يمس ولا يجور .

(١٤) الباع : مسافة ما بين الكفين إذا انبسطت الذراعان يمينا وشمالاً - ذرعى : طاقتى ووسعى .

(١٥) أحمَدُ : صار محموداً - المرتاد بمعنى المطلب ، يقال ارتاد لأهله منزلاً وغيره أى تلمسه لهم - أخصب :

كثرفه العشب والكلأ - المربع : الموضع يقام فيه زمن الربيع .

(١٦) فائز : يقصد به الخليفة الفاطمى الفاتر بن الظافر .

(١٧) عاضدية : نسبة إلى العاضد الفاطمى .

وجاد ابنُ رُزَيْكٍ مِنْ الجاه والغنى  
وأوحى إلى سمعى ودائع شعره  
وليست أبادى شاوَرٍ بذيمة  
ملوك رَعَوَالِي حُرْمَةٍ صار نبتُها  
ورَدَّتْ بهم شمسُ العطايا لوفدِهم  
مذاهبهم فى الجود مذهبُ سُنَّةِ  
فَقُلْ لصلاح الدين ، والعدل شأنه  
سكتٌ فقالت ناطقاتٌ ضرورتى :  
فأذلتُ إدلالَ المحبِّ وقلتُ ما  
وعندى من الآداب ما لو شرحته  
أقمتُ لكم ضيفاً ثلاثة أشهرٍ  
أَعْلَلُ غلمانى وخيلى ونشوتى  
ونوابكم للوفد فى كلِّ بلدةٍ  
وكم فى ضيوف الباب مَمَّنْ لسانه  
مشارعُ من نعمائكم زرتها وقد  
فيا راعى الإسلام كيف تركتنا  
دعوناك من قربٍ وبُعْدٍ فهب لنا

بما زاد عن عَزْمَى رجائى ومطمعى (١٨)  
فخَبَرْتُه منى بأكرم مُؤَدِّعٍ  
ولا عهدُها عندى بعهدٍ مُضَيِّعٍ (١٩)  
هشيمًا رعتُه النائباتُ وما رعى  
كما قال قومٌ فى علىٍّ ويوشعٍ  
وإن خالفونى فى اعتقادِ التشيعِ  
مَنْ الحاكم المصغى إلىَّ فأدعى ؟  
إذا خلقاتُ البابَ غُلَّقْنِ فأقرعِ  
أتانى بعفو الطبعِ لا بالتطبيعِ  
تَيَقَّنْتَ أنى قدوةُ ابنِ المقفَّعِ (٢٠)  
أقول لصدري كلما ضاق : وسَّعِ  
بما ضقتُ من ذَرعٍ ضعيفٍ مُرَقَّعِ (٢١)  
تفرَّقْ شَمْلَ السائل المتورِّعِ  
إذا قطعوه لا يقوم بإصبعِ  
تكذِّربا لإسكندريةٍ مشرعى (٢٢)  
فريقى ضياعٍ من عرايا وجُوعٍ ؟  
جوابك فالبارى يجيبُ إذا دُعِى

(١٨) ابن رزَيْك : يقصد الملك الصالح طلائع الوزير .

(١٩) شاوَر : وزير مصر فى عهد العاضد .

(٢٠) ابن المقفَّع : اسمه عبد الله ، الكاتب العباسى البليغ ( ت ١٤٢ هـ ) .

(٢١) أَعْلَل : أشغل وألهى .

(٢٢) مشارع : موارد مياه .



إلى الله أشكو من ليالى ضرورة  
 قنعنا ولم نسألك صبراً وعفةً  
 ولمّا أغصَّ الريقُ مجرى حلوقنا  
 ألم ترعنى للشافعى فإِنَّهُ  
 ونصرى له فى حيثُ لا أنت ناصرى  
 ليالى لا وقتُ العراقِ بسجسجِ  
 كأتى بها من آل فرعون مؤمنٌ  
 أمن حسنات الدهر أم سيئاته  
 ملكتِ عنانَ النصر ثم خذلتنى  
 فما لك لم تُوسّعْ على وتلقيت  
 فإمّا لأنى لستُ دونَ معاشرِ  
 وإمّا لما أوضختُه من زُعازعِ  
 وردى ألوف المال لم ألقت لها  
 وإمّا لفنٌ واحدٍ من معارفى  
 فإن شمتنى نظاماً ظفرت بمفلقِ  
 طباعٍ وفى المطبوع من خطراته  
 سألتك فى دين ليأليك سُقْنُهُ

رجعنا بها نحو الجناحِ المُرجّعِ  
 إلى أن عَدِمْنَا بُلغَةَ المتقن (٢٣)  
 أتيناك نشكو غُصَّةَ المتجرّعِ  
 أجل شفيحٍ عند أعلى مُشْفَعِ  
 بضربِ صقيلاتٍ ولا طعنِ شُرْعِ (٢٤)  
 بمصر ولا ريحِ الشَّامِ برزعزعِ (٢٥)  
 أصارغُ عن دينى وإن خاب مصرعى  
 رِضاك عن الدنيا بما فعلت معى  
 وحالى بمرأى من عُلاك ومسمعِ  
 إلى الثقاتِ المنعمِ المتبَرّعِ  
 فتحت لهم بابَ العطاءِ الموسّعِ  
 عَصَفْنِ على دينى ولم أنزعزعِ (٢٦)  
 بعينى ولم أخفل ولم أطلّعِ  
 هو النظمُ ، إلا أنه نظمٌ مُبدعِ  
 وإن شمتنى ثراً ظفرت بمضقعِ (٢٧)  
 غنى من أفانين الكلام المصنّعِ  
 والزمته كارهها غير طيّعِ

(٢٣) بُلغَة : ما يكفى لسد الحاجة - المتقن : الذى يتكلف القناعة .

(٢٤) صقيلات : سيوف مجلوة - شُرْع : رماح مسددة .

(٢٥) سجسج : معتدل ، لا حر فيه ولا برد - زعزع : ريح شديدة .

(٢٦) الزعازع : الرياح الشديدة ، وزعازع الدهر : شدائده .

(٢٧) المفلق : المجيد الذى يأتى فى شعره بالمعجب - المصقع : الخطيب البليغ المتقن .

وهاجرت أرجومنيك إطلاق راتب  
وليتك فيمن أطلق الشرق مطلعي  
وما أنا إلا قائم السيف لم يعن  
وياقوتة في سلك عقد مُدارة  
وكم مات نضاض اللسان من الظما  
فياواصل الأرزاق كيف تركتني  
أعبدك أني كلما عطس امرؤ  
ظلامه مصدوع الفؤاد فهل لها  
وأقسمت لو قالت لياليك للدجى :  
غدا الأمر في إيصال رزقي وقطعه  
كذلك أقدار الرجال وإن غدت  
فيا زارع الإحسان في كل تربة  
فعندي إذا ما العرف ضاع غريبه  
وقد صدرت في طي ذا النظم رقعة

تقرر من أزمان كسرى وتبّع (٢٨)  
لتعلم تبني إن عجمت وخروعي (٢٩)  
بكف ، ودّر لم يجذ من برصع (٣٠)  
على خرازي من عقيق مجزّع  
وكم شربت بالماء أشداق الكع (٣١)  
أمد إلى نيل المنى كف أقطع (٣٢)  
بذي شمم أقي عطشت بأجدع (٣٣)  
سيّل إلى جبر الفؤاد المصدّع ؟  
أعد غارب الجوزاء قال لها : أطلعي  
بحكمك فابذل كيفما شئت واصنع  
بأمرك فاحفظ كيف شئت وضيع  
ظفرت بأرض تُنبت الشكر فأزرع  
ثناء كعرف المسكة المتضوّع (٣٤)  
عدا طمعي فيها إلى غير مطمع

(٢٨) كسرى : اسم ملك الفرس - تبّع : لقب أعظم ملوك اليمن .  
(٢٩) النبع : شجر ينبت في قلة الجبل تتخذ منه السهام والقسي - الخروج : كل نبت ضعيف يتنى .  
(٣٠) الياقوتة : مفرد ياقوت ، وهو حجر صلب من الأحجار الكريمة - العقيق : حجر أحمر كريم .  
(٣١) نضاض : مضوت يتحرك - الأشداق : جمع الشدق ، وهو جانب الفم مما تحت الخد - الكع : لثيم .  
(٣٢) أقطع : مقطوع اليد .  
(٣٣) الشمم : ارتفاع قصبة الأنف في استواء - الأقي : الأنف الذي ارتفع وسط قصبته وضاق منخراه -  
الأجدع : الذي قطع أنفه أو طرف من أطرافه .  
(٣٤) العرف - بضم العين : المعروف ، وبالفتح : الرائحة الطيبة - المسكة : القطعة من المسك ، وهو الطيب المعروف - المتضوّع : الذي اشتد انتشار رائحته .

أريدُ بها إطلاقَ ديني وراتبي  
 فيني وبين الجاه والعز والغنى  
 وما هي إلا مدةٌ تستمدّها  
 إلى هاهنا أنهي حديثي وأنهي  
 فإنك أهلُ الجود والبر والتقوى  
 فأطلقهما ، والأمرُ منك فوقَّع (٣٥)

\* \* \*

وعلق الصَّفدي على هذه القصيدة بقوله : « قلتُ : الذي أظنُّه وتقضى به المعنى أن هذه القصيدة كانت أحدَ أسبابِ شنقه - والله أعلم - لأنَّ الملوك لا يخاطبون بمثل هذا الخطاب ، ولا يواجهون بهذه الألفاظ وهذا الإذلال الذي يؤدي إلى الإذلال . وأظنُّ أن هذه القصيدة ما أجدت شيئاً ، فمال عمارة حيثنَّ وانحرف » .

رَمَيْتَ يَا دَهْرُ كَفَّ الْمَجْدِ بِالشَّلَلِ  
 سَعَيْتَ فِي مِنْهَجِ الرَّأْيِ الْعَثُورِ فَإِنْ  
 جَدَعْتَ مَارِنَكَ الْأَقْنَى ، فَأَنْفَكَ لَا  
 هَدَمْتَ قَاعِدَةَ الْمَعْرُوفِ عَنْ عَجَلِ  
 لَهْفِي وَلَهْفِ بَنِي الْأَمَالِ قَاطِبَةً  
 قَدِمْتُ مَصْرَفًا وَلَانِي خِلَافَتَهَا  
 قَوْمَ عَرَفْتُ بِهِمْ كَسْبَ الْأَلُوفِ وَمَنْ  
 وجيده بعد حُسنِ الحَلْيِ بِالْعَطَلِ (٣٦)  
 قَدَرْتُ مِنْ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ فَاسْتَقِلِ (٣٧)  
 يُنْفَكُ بَيْنَ أَمْرِ الشَّيْنِ وَالْخَجَلِ (٣٨)  
 سُقِيتَ مُهَلًّا ، أَمَا تَمْشِي عَلَى مَهَلٍ (٣٩)  
 عَلَى فَجِيعَتِهَا فِي أَكْرَمِ الدُّوَلِ  
 مِنَ الْمَكَارِمِ مَا أَرْنَى عَلَى أَمَلِي  
 كَمَالَهَا أَنَهَا جَاءَتْ وَلَمْ أَسَلِ

(٣٥) وقَّع أي اكتب توقيعك ، والتوقيع هو العبارة التي يعلق بها الرئيس على ما يعرض عليه مكتوباً ليدلى برأيه فيه .

(٣٦) العطل : الخلو من الحلي .

(٣٧) استقال : طلب الإقالة أي الصفح والتجاوز عن العثرة .

(٣٨) المارن : الأنف أو ما لان منه - الشين : العيب والقبح .

(٣٩) المهل : المعدن المذاب أو القطران .

وكنْتُ من وزراء الدَّسْتِ حينَ سَمَا  
ونلستُ من عظماء الجيشِ تَكْرِيمَةً  
يا عاذِلِي في هَوَى أبناءِ فاطمةِ  
بالله زُرْ ساحةَ القصرينِ وابكِ معي  
وقل لأهليهما : والله ما التحمستُ  
ماذا تُرى كانت الإفرنجُ فاعلةُ  
هل كان في الأمر شيءٌ غيرَ قسمةِ ما  
وقد حُصِّلْتُمْ عليها واسمُ جدِّكم  
مَرَرْتُ بالقُصْرِ ، والأركانُ خالية  
فملتُ عنها بوجهٍ ، خوفَ مُتَقَدِّ  
أسبلتُ من أسفِ دمعِي غداةَ خلَّتْ  
أبكى على مآثراتٍ من مكارمِكُم  
دارُ الضيافةِ كانت أنسَ وإفدَكُم  
وفطرة الصَّوم إن أضغثَ مكارمِكُم  
وكسوةَ النَّاسِ في الفصلينِ قد دَرَسَتْ  
وموسمٌ كان في يومِ الخليجِ لَكُم

رأسُ الحصانِ بهاديهِ على الكفلِ (٤٠)  
وخُلَّةٌ حُرِسَتْ من عارضِ الخَليلِ  
لَكَ الملامَّةُ إن قصَّرتَ في عَذَلِي  
عليهما ، لا على صِفَيْنِ والجَمَلِ (٤١)  
فيكم جُرُوحِي ، ولا قَرَحِي بِمُنْدَمِلِ  
في نَسْلِ آلِ أمير المؤمنينَ عَلِيٍّ ؟  
ملكتمو بينَ حُكْمِ السَّبْيِ والنَّفْلِ (٤٢)  
مُحَمَّدٌ ، وأبوكم خيرُ مُتَعَمِّلِ  
من الوفودِ ، وكانت قبلةُ القَبَلِ  
من الأعداى ، ووجهُ الوُدِّ لم يَمِلِ  
رَحَابِكُم ، وغدت مهجُورةُ السُّبُلِ  
جالَ الزَّمانَ عليها وهى لم تَحُلِ (٤٣)  
واليومَ أوحشُ من رشمٍ ومن طَلَلِ  
تشكُّومِ الدَّهرِ ضيفًا غيرَ مُحْتَمِلِ  
ورثَ منها جديداً بعدَهُم وبَلَى  
يأتى تَجَمُّلُكُم فيه على الجُمَلِ

(٤٠) الدَّسْتُ : منصب الوزارة أو صدر المجلس - هادى الحصان : عنقه - الكفل : العَجْرُ .  
(٤١) صِفَيْنِ : موضع كانت به وقعة بين على ومعاوية رضى الله عنهما - الجمل : موقعة انتصر فيها على ابن أبى طالب على المعارضين لبيعتة .  
(٤٢) النَّفْلُ : الغنيمة أو الهبة .  
(٤٣) لم تَحُلِ : لم تتغير .



وأول العام والعبيدين كم لكم  
والأرض تهتز في يوم الغدير كما  
والخيل تُعرض في وشي وفي شية  
وما حملتم قري الأضياف من سعة  
وما خصصتم بير أهل ملتكم  
كانت رواتبكم للوافدين وللضين  
ثم الطراز بتيس الذي عظم  
وللجوامع من إخباركم نعم  
وربما عادت الدنيا فمقلها  
والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم  
ولا سقى الماء من حر ومن ظم  
ولا رأى جنّة الله التي خلقت  
أئمتي وهذاتي ، والذخيرة لي  
تا الله لم أوفهم في المذح حقهم  
ولو تضاعفت الأقوال واستبقت

فيهن من وبيل جود ليس بالوشل (٤٤)  
يهتز ما بين قصر يكم من الأسل (٤٥)  
مثل العرائس في حلى وفي حليل  
الأطباق إلا على الأكتاف والعجل  
حتى عممتم به الأقصى من الملل  
ف المقيم ، واللطاري من الرسل  
منه الصلات لأهل الأرض والدول (٤٦)  
لمن تصدر في علم وفي عمل (٤٧)  
منكم ، وأضحت بكم محلولة العقل (٤٨)  
ولانجا من عذاب النار غير ولي  
من كف خير البرايا خاتم الرسل  
من خان عهد الإمام العاصد بن علي  
إذا ارتهنت بما قدمت من عمل  
لأن فضلهم كالوابل الهطل  
ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل

(٤٤) وبيل : مطر شديد - الوشل : الماء القليل لا يتصل قطره .

(٤٥) يوم الغدير : اتخذته الشيعة منذ أوائل العصر الفاطمي عيداً لهم ، ويوافق الثامن عشر من ذي الحجة ، وهو غدير ختم : موضع بين مكة والمدينة - الأسل : الرماح .

(٤٦) الطراز : ما ينسج من الثياب للسلطان أو الموضع تنسج فيه الثياب الجيدة - تنيس : مدينة قريبة من دمياط تنسب إليها الثياب الفاخرة .

(٤٧) الإحباس : هو وقف الأشياء وفقاً محرماً ، لا تورث ولا تباع ولا توهب وإنما تسبل ثمراتها في سبيل الخير تقريباً إلى الله .

(٤٨) العقلة : ما يُعقل به كالقيد أو العقال .



ومن شعر عمارة أيضًا :

أيُّها النَّاسُ ، والخطابُ إلى مَنْ  
هذه خطبة إلى غير شخص  
لم أخصص بها فلانًا لأنِّي  
مَنْ يَكُنْ عنده مَزِيَّةٌ فهم  
لم يميِّز بين البرِّيَّةِ إلَّا  
والخطايا مستورةٌ بالعطايا  
لا يَغُرَّتْكُمْ زيادةُ حالٍ  
وإذا الدُّوْحُ لم يُظِلَّ من الشمـ  
وأحقُّ الأنام بالذَّمِّ جيلٌ  
طُرِقَ الجودُ غيرُ ما نحن فيه  
أصبح الجودُ قصةً عند قومٍ  
وعَدِمْنَا شرًّا يدلُّ عليه  
كذبونى بواحدٍ يهب الألبـ

هو مِنْ حيثُ فضله إنسانُ  
نَظَمْتُ نثر عقدها الأوزانُ  
فى زمانٍ ما فى بنيه فلانُ  
فليكن سامعًا فعندى لسانُ  
حسناتٌ يَزِينُها الإحسانُ  
كم جميلٍ به المساوى تصانُ  
فالزياداتُ بعدها نقصانُ  
سِ فلأوراقَتْ له أغصانُ  
بين أبنائه كريمٌ بهانُ  
قد سمعنا الدعوى فأين البيانُ ؟  
مستحيلٌ فى حقِّها الإمكانُ  
إنَّما النارُ حيثُ نَمَّ الدخانُ (٤٩)  
سف وأنى من السَّماعِ العيانُ ؟

\* \* \*

وقال أيضا على لسان بعض من حصل فى اعتقال السلطان :

هذى مناجاةٌ عبد رَقَّ حاسدُهُ  
لا يَطْرُقُ النومُ أجفانا لمقلته  
من البلاء الذى أمسى يكابدهُ  
ومقلة الموت من قُرْبٍ تراصدهُ (٥٠)

(٤٩) نَمَّ : انتشرت رائحته .

(٥٠) تراصده : تراقبه .

ومنها :

أما الرجاء فقد جهزت مركبه  
الكامل ابن أبي الفتح الذي اعتصمت  
حاشا كمالك من نقص تقدمه  
فتش تجد لي نظيرا في الذين هفوا  
وما أقيم لنفسي حُسن معذرة  
بعثت عنكم وكانت زلة وخطا  
إني شقيت وهل من فضل عاطفة  
لست الجليل على ما قد بليت به  
إن ابن سبعين قد أشفى على طَرف

وقال أيضا :

هم الأحبة إن جاروا وإن عدلوا  
فليعلموا أن ودي ما يغيره  
وليقبض اللوم عن قلبي تبسطه  
أجلهم أن يزور العيب ساحتهم  
فكلما لاح ضوء البرق قلت له  
فما ألام على شيء سوى كلفى

وفدا إلى ملك ما خاب وافده  
به الخلافة لما غاب والدة  
والبدر يُعرف بعد النقص زائده  
وما نظيرك ممن أنت واجده  
أنا المسيء الذي ضلت مقاصده  
فأغفر وذلك ذنب لا أعاوده  
على تسعد جدي أو تساعده  
فأرحم فلو كنت صخرا ذاب جامده (٥١)  
من المنيّة واختلت قواعده

والملكون لقلبي كيف ما فعلوا  
تغير من سجاياهم ولا مكل  
فقد طويئت بساطا مده العذل  
وأن أقول لهم يا قاطعين صلوا  
أقصر فقلبي يبرق النبل مشتغل (٥٢)  
بحب من ليس في الدنيا له بدل

(٥١) الجليلد : القوي الصابر.

(٥٢) أقصر: كُفّ.

أَحَبَّةٌ لَهُمْ فِي الْقَلْبِ مَنْزِلَةٌ      أَضْحَتْ وَفِرْدَوْسُ أَخْلَاقِي لَهَا نُزْلُ (٥٣)  
يَقُومُ بِالْعُذْرِ عَنِّي فِي مَحَبَّتِهِمْ      عُذْرٌ يَقْدِسُهُ التَّشْيِيبُ وَالْغَزْلُ

\* \* \*

وقال من قصيدة :

يَا دَهْرُ قَدْ أَكْثَرْتَ فِي التَّلْوِينِ      فإِلَى مَتَى بِمَطَالِبِي تَلْوِينِي (٥٤)  
أَتَنَظَّنِّي أَرْضِي بِمَا مَلَأَ الثَّرَى      نَوءُ الثَّرِيَّا دُونَ مَا يُرْضِينِي (٥٥)  
خَلَقْتُ يُخَافِقُنِي مُنَايَ إِلَى السَّهَى      فَالِدُّونُ لَا يَرْضَاهُ غَيْرُ الدُّونِ  
سَلَّ بِي وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ فَسَوَائِبُ الـ      أَيَّامُ أَدْرِيهَا كَمَا تَدْرِينِي  
مَنْ لِي بِطَالَةِ السَّعُودِ وَقَدْ غَدَا      قَطَعُ الْفِرَاقُ مُلَازِمِي وَقَرِينِي  
خَذَلَ النَّصِيرُ عَلَى الزَّمَانِ وَصَرَفَهُ      وَجَفَا مُعِينِي حِينَ جَفَا مُعِينِي (٥٦)  
حَسْبِي إِذَا خَذَلَ الزَّمَانُ وَاهْلُكَهُ      عَوْنَا عَلَى الدُّنْيَا بِنَجْمِ الدِّينِ  
كَمْ قَلْتُ أَضْبِي فِكْرَهُ بِغَرَائِبِي      فَسَمِعْتُ مِنْهُ غَرَائِبًا تُضِيئِينِي (٥٧)  
مَلِكٌ إِذَا قَابَلْتُ بِشَرَجِينِهِ      فَارَقْتُهُ وَالْبَشْرُ فَوْقَ جَبِينِي  
وَإِذَا لَثَمْتُ يَمِينَهُ وَخَرَجْتُ مِنْ      أَبْوَابِهِ لَثَمَ الرِّجَالُ يَمِينِي  
وَإِذَا نَظَمْتُ لَهُ النُّجُومَ فَإِنَّمَا      أَجْزِي عَلَى الْمَفْرُوضِ بِالْمَسْنُونِ  
أَمَّا الْوَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي وَصَلُّهَا      وَأُرِيدُ وَصَلَ نَجَازِهَا يَأْتِينِي

\* \* \*

(٥٣) نُزْلُ : مَنَزَلٌ .

(٥٤) التَّلْوِينُ بِمَعْنَى التَّغْيِيرِ وَالتَّحْوِيلِ - تَلْوِينِي أَيَّ تَمَاطَلَنِي وَتَتَأَخَّرَ عَنِّي .

(٥٥) الثَّرَى : الْأَرْضُ - النَّوْءُ : النُّجُومُ إِذَا مَالَ لِلْغُرُوبِ - الثَّرِيَّا : مَجْمُوعَةٌ مِنَ النُّجُومِ فِي صُورَةِ الثَّوْرِ .

(٥٦) مُعِينِي - بَضْمُ الْمِيمِ : مُسَاعَدِي ، وَبِالْفَتْحِ : الْمَاءُ الظَّاهِرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

(٥٧) أَصْبِي : أَسْتَمِيلُ .

وقال وكتب بها إلى تقي الدين :

فردًا لِسِتِّ الْأَغَانِي (٥٨)	قَدْ كَانَ حُبِّي مَحْضًا
مَنْ الْحَسَنَ الْغَوَانِي	فَزَا حَمَتُهَا أُخِيرِي
مَا يَبْنِي حَادٍ وَثَانٍ	تَقْسَمُ الْحُوبُ مَنْسِي
فِي قَبْضَتِي وَبَنَانِي	جَمَعْتُ عَشْرِينَ ظَنِيَا
مَنْ الْوَجْوهَ الْحَسَنَانِ	وَسَوْفَ أَمْلَأُ بَيْتِي
مَجْدُولَةً كَالْعِنَانِ (٥٩)	مَنْ كُلِّ ذَاتِ قَوَامِ
وَالْقَصَارِ السَّمَانِ	لَا بِأَطْوَالَ الْعَوَالِي
مَنْ الظُّبَاءِ الرُّوَانِي	يَسْلُبُنْ جِيدًا وَلِحْظَا
مَقِيَّةً الْخَطْوِ عَوَانِ	يَمْشِيْنَ مَشْيَ حَمَامِ
وَهَذِهِ غَصْنُ بَنَانِ (٦٠)	فَهَذِهِ بِدْرُتِي مَمِّ

\* \* \*

---

(٥٨) محض : خالص .

(٥٩) مجدولة : حسنة الخلق - العنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة .

(٦٠) بدرت أوتام : أي ليلة أربع عشرة من الشهر القمري حين يستوى القمر ويصير بدرًا .

## محمد بن غالب الرصافي

( ت ٥٧٢ هـ / ١١٧٧ م )

كنيته أبو عبد الله ، ولد في رصافة بلنسية ، المعروفة بأنهارها الجارية وبساتينها الغناء ومناظرها الساحرة وطبيعتها الجميلة ، رحلت أسرته - وهو طفل صغير - إلى مالقة ، وكان أبوه يتعيش بصناعة الرّفو.

ومما يدل على شاعريته المبكرة أنه شارك في مديح عبد المؤمن أمير الموحدين حين قدم لزيارة الأندلس سنة ٥٥٦ ، ولم يكن الرصافي قد تجاوز عشرين عاما ، ولكنه لم يلق ما كان يتوقّعه من التقدير والمكافأة اللائقة .

سكن غرناطة مدة ، وزار مكناسة والمسيلة في المغرب ، ثم عاد إلى مالقة ، وقد آلى على نفسه ألا يمدح أحداً أو يتملق حاكماً ، أو يتذل نفسه في خدمة ، راضياً بعمله في صناعة رفو الملابس ، منصرفاً في شعره إلى وصف الطبيعة ومجالس اللهو ، وقد توفي وهو في نحو السادسة والثلاثين من عمره .

وصفه القدماء بجودة الشعر والركانة وطول الصمت ، فقالوا بأنه « كان فحلاً من فحول الشعراء ، ورئيساً في الأدباء ، عفيفاً ساكناً وقوراً ذا سمت وعقل » ، و « كان رقيق الغزل ، سلس الطبع ، بارع التشبيهات ، بديع الاستعارات ، نبيل المقاصد والأغراض ، كاتباً بليغاً ديناً متفقهاً عالي الهمة ، حسن الخلق والخلق والسمت ، تام العقل ... وشعره لانهاية فوقه رونقاً ومائية وحلاوة وطلاوة ، ورقة ديباجة ، وتمكن ألفاظ ، وتأصل معنى » .

ومن نماذج نثره قوله من مقامة يصف القلم :

قصيرُ الأنسابِ لكنّه	يطولُ مضاءً طسوال الرماح
إذا عابَ للنّفسِ فسى دامس	ودبّ من الطّرسِ فوق الصّفاح
تجلّت به مشكلاتُ الأمور	ولأنّ له الصعبُ بعد الجِماح



فلولاه لغدت أغصان الاكتساب ذاوية ، وبيوت الأموال خاوية ، وأسرعت إليها  
البُوسى ، وأصبحت كفؤاد أم موسى ، فهو لا محالة تجرّها الأزبح ، وميزانها الأرجح ، به تدرّ  
ألبانها ، وتثمر أفنانها ، ويستمرّ إفصالها وإحسانها ، فهو رأس مالها ، وقُطب عمّالها  
وأعمالها ، وصاحب القلم قد حوى المملكة بأسرها ، وتحكّم فى طيّها ونشرها ، فهو قُطب  
مدارها ، وجُهيّنة أخبارها ، وسِرّ اختيارها واختبارها ، ومَظهر مجدها وفخارها ، يَغقد الرّيات  
لكّ وال ، ويَمُنّحهم من المبرّة كلّ صافية المَقيل ضافية السُّربال ، يُطفى جَمرة الحرب  
العَوان ، ويكابد العدو بلا صارم ولا سنان ، يقدّ المفاصل ، ويتحلّل الأباطح والمعازل ،  
ويقمع الحواسد والعواذل .

\* \* \*

خرج محمد بن غالب صغيراً من وطنه ، فأكثر الحنين إليه ، وقصر معظم منظومه عليه ،  
قال فى التشوق إلى بلنسية :

خليلى ما للبيد قد عبقث نَشْراً  
هل المسك مفتوتاً بمذرجة الصبا  
خليلى عوجاً بى قليلاً فإنه  
قفا غير ما مورين ولتصدىباها  
بجسر معان والرُصافة إنه  
بلادى التى ريشث قويدمتى بها  
فبادى أنيق العيش فى ريق الصبا  
أكل مكانٍ راح فى الأرض مسقطاً  
ولا مثل مذخوٍ من المشك تربة  
نبات كأن الخد يخمل نوره  
وماء كتر صبع المجرة جللت  
أنيق كريان الحياة التى حلت  
وقالوا : هل الفردوس ما قد وصفتَه ؟  
وما لرءوس الركب قد رنحت سُكْراً (١)  
أم القوم أجروا من بلنسية ذكراً (٢)  
حديث كبرد الماء فى الكبد الحرى  
على ثقة للمزن ، فاستسقى القطراً (٣)  
على القطر أن يسقى الرُصافة والجسراً  
فريخاً وأوتنى قرارتها وكراً (٤)  
أبى الله أن أنسى اغترارى بها غراً (٥)  
لرأس الفتى يهواه ما عاش مضطراً  
تملى الصبا فيه رحيقتها عطراً (٦)  
تخال لجيناً فى أعاليه أوتيراً  
نواحيه الأزهار فاشتبكت زهراً  
طليق كريمان الشباب الذى مرّاً  
فقلت : وما الفردوس فى الجنة الأخرى

(١) اليب : الفلوات ، جمع يباء - عبقث : ظهرت راثحتها الطيبة - رنحت : رنحها الشارب فتمايلت .

(٢) مفتوت وفتيت بمعنى دقاق ، وفتته أى دقه أو كسره .

(٣) تصدى : يشتد عطشها .

(٤) ريشث : أى قويت ونبت ريشها - القويدمة : تصغير القادمة وهى إحدى الريشات فى مقدم الجناح -

الفريخ : تصغير الفرخ ، وهو ولد الطائر .

(٥) ريق : أول .

(٦) مدخو : مبسوط موشع - تملى : تمهل وتطول .

بَلَنْسِيَّةٌ تَلِكُ الزُّمُرْدَةُ الَّتِي  
كَأَنَّ عَرُوسًا أَبْدَعَ اللَّهُ حُسْنَهَا  
تُزَاجِمُ أَنْفَاسُ الرِّيحِ بِزَهْرِهَا  
تُؤَيِّدُ فِيهَا شَعْشَعَانِيَّةُ الضُّحَى  
وَإِنْ كَانَ قَدْ مَدَّتْ يَدُ الْبَيْنِ بَيْنَهَا  
هِيَ الدَّرَّةُ الْبِيضَاءُ مِنْ حَيْثُ جِئَتْهَا  
خَلِيلِي إِنْ أَصْدَرَ إِلَيْهَا فَإِنَّهَا  
وَلَمْ أَطْوِعِ عَنْهَا الْخَطُوهَ جَرًّا لَهَا إِذَنْ  
وَلَكِنْ إِجْلَالًا لُتَزِيَّتْهَا الَّتِي  
أَكَارُمُ عَاثُ الدَّهْرِ مَا شَاءَ فِيهِمْ  
هُجُوعٌ بِيْطُنِ الْأَرْضِ قَدْ ضَرَبَ الرَّدَى  
مَعَاهِدُ قَدْ وَلَّتْ إِذَا مَا اعْتَبَرْتَهَا  
وَقَالَ :

دَعَاكَ خَلِيلٌ وَالْأَصِيلُ كَأَنَّهُ  
إِلَى شَطِّ مُنْسَابٍ كَأَنَّكَ مَاؤُهُ

تَسِيلُ عَلَيْهَا كُلُّ لُؤْلُؤَةٍ نَهْرًا (٧)  
فَصَيَّرَ مِنْ شَرْخِ الشَّبَابِ لَهَا عُمْرًا  
نَجُومًا فَلَا شَيْطَانَ يَقْرَبُهَا دُغْرًا  
إِذَا ضَاخَكَ الشَّمْسُ الْبَحِيرَةُ وَالنَّهْرُ (٨)  
مِنْ الْأَرْضِ مَا يَهْوَى الْمَجْدَ بِهِ شَهْرًا  
أَضَاءَتْ وَمِنْ اللَّدَّرِ أَنْ يُشْبِهَ الدَّرَا (٩)  
هِيَ الْوَطْنُ الْمَحْبُوبُ أَوْ كَلْتُهُ الصَّدْرُ (١٠)  
فَلَا لَثَمَتْ نَعْلِي مَسَاكِنَهَا الْخُضْرَا  
تَضُمُّ فَتَاهَا النَّذْبَ أَوْ كَهْلَهَا الْحُرَا  
فَبَادَتْ لِيَالِيهِمْ فَهَلْ اشْتَكَى الدَّهْرُ (١١)  
عَلَيْهِمْ قُبَيْبَاتٍ فَوَيْقَ الثَّرَى غُبْرًا (١٢)  
وَجَذَتْ الذِّي يَخْلُو مِنَ الْعَيْشِ قَدْ مَرَّا

عَلِيلٌ يَقْضِي مُدَّةَ الزَّمَنِ الْبَاقِي  
صَفَاءَ صَمِيرٍ أَوْ عَذُوبَةَ أَخْلَاقِ

(٧) الزمردة : حجر كريم شفاف أخضر اللون .

(٨) تؤيد : تقيم أبدًا ولا تبرح - الشعشعانية أى الأنوار الشعشعانية - البحيرة : إشارة إلى بحيرة معروفة فى بلنسية تزيد صحوة الشمس فى ضيائها .

(٩) وصف بلنسية بأنها درة بيضاء تضيئ من جميع النواحي ، وكان يقال : ضوء بلنسية يزيد على ضوء سائر بلاد الأندلس .

(١٠) صدر إلى المكان أى انتهى إليه .

(١١) عاث : أفسد وأتلف .

(١٢) القُبَيْبَةُ : تصغير القُبَّة ، وهى البناء المستدير المجوف المقوس ، ويريد بها القبر .

وَمَهْوَى جَنَاحٍ لِلضَّبَا يَمْسَحُ الرُّبَا  
وَفِثْيَانِ صِدْقٍ كَالنَّجْمِ تَأَلَّفُوا  
عَلَى حِينَ رَاحَ الْبَرْقُ فِي الْجَوِّ مُغْمِداً  
وَجَالَتْ بَعَيْنِي عَلَى الرِّيَاضِ التِّفَاتِ  
عَلَى سَطَرٍ خَيْرِي ذَكَرْتُكَ فَانْتَشَى  
وَقَفْتُ وَقْفَةً الْمَحْبُوبِ فِيهَا فَإِنَّهَا  
وَصِلَ زَهْرَاتٍ مِنْهُ صُفُفَا كَأَنَّهَا

خَفِيَ الْخَوَافِي وَالْقَوَادِمُ خَفَّاقٌ (١٣)  
عَلَى النَّأْيِ مِنْ شَتَّى بُرُوجٍ وَأَفَاقٍ  
ظُبَاهُ ، وَدَمَعُ الْمَزْنِ فِي جَفْنِهِ رَاقِي  
حَبَسْتُ بِهَا كَأْسِي قَلِيلاً عَنِ السَّاقِي  
يَمِيلُ بِأَغْنَاكِ وَيَزْنُو بِأَخْذَاكِ (١٤)  
شَمَائِلُ مَشْغُوفٍ بِمَرَاكِ مَشْتَاكِ  
وَقَدْ خَضَلْتُ قَطْرًا مَحَاجِرَ عُشَاكِ (١٥)

\* \* \*

وقال في مغلنّ مُخْسَن :

وَمُطَارِحٍ مِمَّا تَحْنُ بَنَائِهِ  
يَنْشِي الْحَمَامَ فَلَا يَرْوِحُ لَوْكِرِهِ

صَوْتًا أَفَاضَ عَلَيْهِ مَاءَ وَقَارِهِ (١٦)  
طَرَبًا ، وَرَزَقُ بَيْتِهِ فِي مَنَقَارِهِ

---

(١٣) الخوافي : ريشات صغار تخفي إذا ضم الطائر جناحيه ، ضد القوادم .  
(١٤) السطر : الصف من كل شيء - الخيري : نبات له زهر ، ويقال للخزامى خيري البر لأنه أركى نبات البادية .  
(١٥) خضلت : نديت وابتلت - محاجر : جمع محجر ، وهي في العين ما يحيط بها .  
(١٦) تحن : تصوت ، ويقال : حنّ العود أي صوت عند النقر .





## تاج الملوك بورى

( ٥٥٦ - ٥٧٩ هـ / ١٦٦١ - ١١٨٣ م )

هو أبو سعيد بورى ابن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شادى الأخ الأصغر للسلطان صلاح الدين الأيوبي . ولد بدمشق ، وكان والده فى خدمة عماد الدين زنكى وابنه نور الدين محمود ، ونشأ بورى فى بيت الإمارة يرعاه والده ويحوطه إخوته النجب القادة الفرسان : صلاح الدين ، والعاذل ، وتوران شاه .

تلقى تعليمه الأولى فى دمشق ، فحفظ القرآن الكريم وبعض الحديث وتعلّم اللغة واستظهر الكثير من الشعر وعاش بين الرياض ومشاهد الطبيعة الغناء فتفتحت بين أرجاء دمشق مواهبه الشعرية .

وكانت المناوشات والمعارك دائرة بين نور الدين والصليبيين ، فكثر الغارات على قلاعهم وحصونهم وأسر فرسانهم وأمرائهم ، وكانت الحرب سجالات بين الفريقين ، فأحيانا يغير الصليبيون ويناوشون ، ولكن النصر والغلبة غالباً لنور الدين .

وشارك نجم الدين وأبناءؤه فى هذه الحروب ، فنشأ بورى نشأة عسكرية ودرب على الفروسية والقتال ، وتولّى بعض الأعمال والمهام ، أظهر فيها مواهب مبكرة وشجاعة فائقة واقتدارا على النجاح .

ثم ارتحل مع أبيه وإخوته إلى القاهرة ، وأقاموا فى قصر من قصور الفاطميين التى آلت إلى صلاح الدين بعد أن انتهت خلافتهم وتولّى السلطنة .

ولما مات أبوه رعاه أخوه صلاح الدين ، وكان بورى يميل إلى اللهو والشراب والاستماع إلى الغناء ، وقد عوتب على ذلك ، ولكن طبعه كان غلابا ، وفى ديوان بورى أشعار يعاتب فيها صلاح الدين ويشكر أخاه العادل وكان أكثر عطفاً عليه ومسامحة .

ويدور معظم شعره حول حياته الخاصة وأسرتة وغرامياته وأحاسيسه بالغربة عن أحبته وعن مصر عند مفارقتها لها فى معاركه مع أخيه صلاح الدين بالشام .

وفى وصف إقدامه والفخر بشجاعته ، يقول :

يا صاحبي دعني أكرُّ على العدا      فليس كرمُ القوم من يتهَيَّبُ  
ولا تبغ لي طيبَ الحياةِ مُسَالِمًا      فللموتُ في يوم الكريهةِ أعذبُ  
ودعني أنلُ بالطعنِ حظًّا من العلا      فإنَّ العلا بالطَّعنِ تكسى وتُسَلَّبُ  
وقضى بوري نحيبه بعد أن أصيب بطعنة في حصار حلب ، ولم يزد عمره على اثنين  
وعشرين عامًا إلا قليلا .

\* \* \*

### قال تاج الملوك بوري متغزلًا:

خُلِقَ الهَوَى داءً بغير دواءٍ  
ولأجل ذاك أنا الشقيُّ بمن له  
يهوى سِوَايَ ، ولستُ أهوى غيره  
كالصَّعدة<sup>(١)</sup> السَّمرَاءِ أَسْمَرُ لحظِهِ  
وكانَ بهجةً وجهِهِ في شعرِهِ  
وكانَ عَقْرَبَ صُدْغِهِ في خَدِّهِ  
قمرٌ رجوتُ من الزمانِ وصالَهُ  
إنى لأملُ بعد طولِ فراقِهِ  
ويعودُ من بعد القطيعةِ وإِصْلًا  
وكذاك طبع الدَّهرِ حينَ عرفته  
والعيشُ بين حلاوةٍ وقسرةٍ

فعليُّه أبداً بغير شفاءٍ  
قد جدَّ بى وجدي وعزَّ عزائي  
والناسُ يختلفونَ في الأهواءِ  
يحكى سِنانُ الصَّعدةِ السَّمرَاءِ  
قمرٌ بدا في ليلةٍ ظمَاءِ  
وقضتُ مخافةَ نارِهِ والماءِ  
يومًا ، فأخلفَ بالصُّدودِ رجائي  
أن سوفَ يعقبُهُ يومَ لقاءِ  
فيرقُّ لى من بعد طولِ جفاءِ  
يمضى على السَّراءِ والضَّراءِ  
والناسُ بين مَعادةٍ وشقاءِ

### وقال يمدح أخاه السلطان الناصر صلاح الدين :

هل ما نأى من حَيِّبِ النَّفْسِ مُقْتَرِبُ  
صَبْرًا ، فكم مُذْركَ بالصَّبْرِ بُغْيَةً  
ما دام خَيْرٌ ولا شَرٌّ على أَحَدٍ  
أحبَّابَ قَلْبِي ، وفي قَلْبِي لِفِرْقَتِكُم  
بُعْدُكُمْ ، فسرورى كُلُّهُ أَسْفُ

أم هل يُسرُّ بجمع الشُّمْلِ مُكْتَسِبُ  
من حيث لم يحتسب ، أو حيث يحتسبُ  
للدهرِ صَرْفٌ وللحالاتِ مُنْقَلَبُ<sup>(٢)</sup>  
نارٌ على مدى الأيامِ تلتهبُ  
وراحتى كُلُّها من بعدكم تعبُ

(١) الصَّعدة : الرمح أو القنَّاة التي يركب عليها سن الرمح .

(٢) صرف الدهر : نوائبه وحدثاته .

ولوبكيت دما من بعد فرقتكم  
 وليس موتى عجيبا بعد فرقتكم  
 وقائل : كيف طعم العيش بعدهم ؟!  
 يا سائلى عن لذيق العيش منذ نأى  
 أعطى الزمان نفيسا ، ثم عاد به  
 يا مالكا عمت الدنيا مواهبه  
 جُونٌ وليست بغير الماء سافحة  
 اجبر بضعك قلبى ، فهو منكسر  
 لا تتركن صروف الدهر تلعب بى  
 يا مالك الرق خذها نقشة صدرت  
 إذا رأى بعده عن باب مالكة  
 وحالتى لورأها حاسدا لرتى  
 كل يفوز بعز منكم أبدا  
 وما عجب لدهرى : كيف يظلمنى  
 يا خير من سمح الدهر الضنين به  
 لأنت أكرم من لاذا الأنام به  
 لولاك ما كان لا مجد ، ولا كرم

قضيت ، قبل قضائى ، بعض ما يجب  
 وإنما فى حياتى بعدكم عجب  
 أجبت ، وضلوعى لوعة تجب (٣)  
 سل : من له فى حياة بعدهم أرب ؟  
 وهكذا يسترده الدهر ما يهب  
 كما تعم إذا ما سحت الشحب (٤)  
 يوما ، وأدنى عطايا كفه الذهب (٥)  
 مثل الزجاج كسرا ليس ينشعب (٦)  
 فعند مثلك لا يستحسن اللعب  
 عن نازح ، قلبه بالود مقترب  
 يصيح : واحربا ، لو ينفخ الحرب ! (٧)  
 وكان من رحمة ييكى ويتحب  
 وما نصيبى إلا الدل والنصب  
 وإنما ظلمكم أنتم هو العجب ؟ !  
 وخير من يمتنه العجم والعرب (٨)  
 نفسا ، وأعظم من تسمويه الرتب  
 ولا وفاء ، ولا فضل ، ولا حسب

(٣) تجب : تخفق .

(٤) سحت : صب الماء صببا متتابعا كثيرا .

(٥) جُون : جمع جَوْن ، وهو الأسود .

(٦) ينشعب بمعنى يلتئم .

(٧) واحربا : يا مصيبتاه ، يشكو فقدا لمال أو مصيبة حلت به - الحرب : الهلاك .

(٨) الضنين : شديد البخل بالشئ النفيس - يمتنه : قصده .

لولاك ما انتصر الإسلام يوم وغى  
يا مَنْ تَوَقَّدَ مِنْ عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ  
لَأَنْتَ كَالشَّمْسِ تَنْأَى رَفْعَةً وَعُلا  
كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلذَّانِي جَوَاهِرَهُ  
لَوْلَمْ يَكُنْ أَثُّهَا الْمَوْلَى ، أَبُوكَ أَبِي  
وَفَرَطُ حُبِّكَ فِيمَا بَيْنَنَا نَسَبٌ  
يَا أَكْثَرَ النَّاسِ بِي عِلْمًا وَمَعْرِفَةً  
أَحَالَ رَأْيَكَ عَنْ مَا كُنْتُ أَعْهَدُهُ  
يَا مَنْ أُمُورِي وَأَحْوَالِي بِأَجْمَعِهَا  
عَطْفًا عَلَيَّ ، وَإِنْعَامًا ؛ فَقَدْ عَلِقْتُ  
إِذَا حُرِمْتُ مُرَادِي فِي زَمَانِكُمْ  
إِنْ تَظْلَمُوا ، فَعَلَيْكُمْ مَا أَسْتَغِيثُ بِكُمْ  
رَأَيْتُ مِنْ فَعْلِكُمْ مَا أَسْتَرِيبُ بِهِ  
حَاشَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا عَوْنَ حَادِثَةٍ  
أَفْدِيكَ مِنْ مَلِكٍ ، جَمُّ الصِّفَاتِ بِهِ  
مَوْلَايَ لَا خَلَّتِ الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا  
فَمَا بَقِيْتُمْ فَأَيَّامِي بِجُودِكُمْ

ولادهى الشُّركَ لا وَيْلٌ ولا حَرْبٌ  
كما تَوَقَّدَ فِي ظُلُمَاتِهَا الشُّهُبُ  
وَنُورُهَا فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ مُقْتَرِبُ  
جُودًا ، وَتَبَعْتُ لِلنَّائِي بِهِ الشُّحْبُ  
لَقَلْتُ : إِنَّكَ لِي فِي الْحَالَتَيْنِ أَبُ  
ثَانٍ ، وَلَوْلَمْ يَكُنْ مَا بَيْنَنَا نَسَبٌ  
مَتَى تُعْبَرُ عَنْ أَعْرَاقِهِ الذَّهَبُ ؟ (٩)  
حَتَّى بَدَا لَكَ أَنَّ الدُّرَّ مَخْشَلِبٌ ؟ ! (١٠)  
إِلَيْهِ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ تَنْتَسِبُ  
يَدَايَ مِنْكَ بِجَبَلٍ لَيْسَ يَنْقُضُ (١١)  
فَمَا الَّذِي بَعْدَهُ أَرْجُو وَأَرْتَقِبُ ؟ !  
مُسْتَعْدِيًا ، وَإِلَيْكُمْ مِنْكُمْ الْهَرَبُ (١٢)  
وَكَانَ أَوْلَى بِكُمْ أَنْ تَذْهَبَ الرِّيبُ (١٣)  
أَوْ تَرْتَمِيَ بِي عَلَى أَيْدِيكُمْ النُّوبُ  
تُطَوِّى الْخُطُوبُ ، وَفِيهِ تُنْشَرُ الْخُطَبُ  
مَنْ ظَلَّ دَوْلَتَكُمْ مَا دَارَتِ الْحَقَبُ  
كَمَا أَحَبُّ ، وَأَحْوَالِي كَمَا يَجِبُ

\* \* \*

(٩) أعراقه يعنى أصوله الكريمة .

(١٠) المخشَلِبُ : قطع الزجاج .

(١١) ينقض : ينقطع .

(١٢) المستعدى المستعين المستنصر .

(١٣) أستيريب به : أرى فيه ما يرينى ، ويجعلنى شاكًا .



وقال يمدح الملك العادل أخاه ، ويتشوّقه ، ويصف منذ خرج من مصر إلى أن وصل إلى دمشق ، [ وبعثها إليه من دمشق إلى مصر رحمه الله تعالى ] :

اليوم جاوزنى مقدارهُ الكَمَدُ      شوقًا ، فلا وَجَدَ إلا دون ما أَجَدُ  
قل للمقيمين فى مصرٍ ، وإن نَزَحُوا :      إننى مُقيمٌ على العهد الذى عهدوا  
فما يُغَيِّرُنّى يومًا بَعَادُهُمْ      بئس الهوى ما يُسَلِّى أهْلَهُ البُعْدُ  
أحبَّائنا ، غيرُ بَدْعٍ بعد فُرْقَتِكُمْ      ممّا أَكَابِدُهُ ، أن ذابَتِ الكِبْدُ  
إنّا رحلنا ، وفى الأحشاء بعدكم      حُبٌّ لكم ، لم يُبْذَأْ شِجَانُهُ الأَبْدُ (١٤)  
جُزْنَا البيوتَ ، وعِيسُ القومِ صَادِرَةٌ      عن بِرْكََةِ الجُبِّ نَزْحًا ، بعد وَرْدُوا (١٥)  
جاءت مراكعَ موسى ، فأستمرَّ بها      ثم استجدَّ لها فى سيرها الجَدُّ (١٦)  
حتى إذا وردتْ ، والشمسُ مُصْحِيَةٌ      عيونَ موسى ، أحسَّتْ بالذى تجدُ (١٧)  
واستقبلتْ بصدورٍ غيرِ مُخْرِجَةٍ      صَدْرًا ؛ لتَصُدَّرَ عنها بعدما تردُ  
ثم أستقامتْ على سِرٍّ وطولِ سَرَى      إذ لاح للركب فى حصبائه الثَّمَدُ (١٨)  
ثم انتحاهما من بعد المُقامِ بها      بفوت أَيْلَةٍ ، والرمضاءُ تَتَّقِدُ (١٩)  
وفوَزَ القومُ ، والظلماءُ دَاجِيَةٌ      عن نقب أَيْلَةٍ ليلاً بعدما هجدوا (٢٠)  
أمّوا شنارًا ، وعينُ الشمسِ قد طلعتْ      مقدارِ باعٍ ، فلَمّا صَوَّبَتْ صعدوا (٢١)

(١٤) لم يُبْد : لم يهلك - الأبد : الدهر .

(١٥) بركة الجب : مكان قرب القاهرة .

(١٦) مراكع موسى أو عيون موسى : مكان بسياء شرقى السويس - الجدد : الأرض المستوية .

(١٧) يقال : أصحت السماء فهى مُصْحِيَةٌ : انقشع عنها الغيم .

(١٨) السرى : السير ليلاً - الحصباء : صغار الحجارة - الثمد : الماء القليل .

(١٩) أَيْلَة : هى إيلات الحالية على رأس خليج العقبة ( إيلات ) - الرمضاء : شدة الحر .

(٢٠) فوز : دخل المفازة وهى الصحراء المهلكة - داجنة بمعنى سائرة مغطيّة - نقيب أَيْلَة هى الصحراء الممتدة

شمالاً والمعروفة الآن بهذا الاسم ( صحراء النقب ) - هجدوا : ناموا أو صلوا بالليل .

(٢١) شنار : من أودية الصحراء .

واستقبلوا أصلاً أرض السَّراة على الـ ( م ) جُرَد الجيادِ ، وعُدَّت للوغى العُدَّة  
 وأَسْتَلَّموها حين حَلُّو القريتين ضُحَى  
 فكان يوماً اشتدَّ الظلامُ به  
 ويوم غارتنا لم أنسَ أبداً  
 وأقبل الشَّوبَكُ الممنوعُ جانبُهُ  
 ثم اجتئنا ببيض الهندِ ما غرسوا  
 ثم أرتحلنا ، وخلقنا ديارهم  
 حتى إذا سمع الإفرنجُ غارتنا  
 وأمَّت العيسُ حورائنا ، وقد وردت  
 وأستقبلت أن بصرى غير وانية  
 فحين هبَّت نسيمٌ من دمشق بها  
 تباشر القسومُ ، وأنجابت غياهمُ  
 جناتُ خلدٍ مع الدُّنيا مُعجَلةً  
 سُكَّانُها مثلُ سُكَّانِ الجنانِ بها  
 أمّا دمشقُ فلا أرضُ تُقاسُ بها  
 فإنَّ وجَدَتْ لها شَبَّها يُقَارِبُها

(٢٢) استلَّموها : لبسوا ما عندهم من عُدَّة - واللَّامة : أداة الحرب كلها من رمح وبيضة ومغفر ودرع - الجيد : طول العنق ، دلالة على الكرم والإباء .

(٢٣) البيض : جمع بيضة وهي الخوذة توضع على الرأس لحمايتها - الزرد : شبك الدرع .

(٢٤) الشوبك : قلعة من قلاع الصليبيين جنوبي الشام .

(٢٥) بلاقع : خالية من كل شيء - الوند : ما أثبت في الأرض أو الحائط من خشب .

(٢٦) الصَّرَد : البرد .

(٢٧) بصرى : بلد بالشام - الوخد والإعناق والجيد : ضروب من سير المعلى .

(٢٨) الغياهب : جمع الغيب وهو الظلمة .

هو الذي عمّت الدنيا مواهبه  
أفديه من ملك في دشته ملك  
ملك إذا منع الأملاك رقدتهم  
ويبذل المال إن صانوا ، ويقدم إن  
أضحث دمشق عليه وهي حاسدة  
سؤلى من الدهر لو قبّلت منه يدا  
ولو جلوت القذى عن ناظري به  
فإن شوقى إليك شوق ذى ظمأ  
يا من أقر بنعمائه ، وأشكرها  
شكري لنعمائك لم أنهض بأيسره

فلا خلا من عطايا كفه أحد  
في تاجه قمر ، في درعه أسد  
أعطى ، ورغب في المعروف إن زهدوا  
خاموا ، وينهض بالأثقال إن قعدوا (٢٩)  
مضرا ، وما كان لولا النعمة الحسد  
لها على كل من فوق الأنعام يد  
فإن طلعتة يشفى بها الرمد  
بكل ماء يمئى ، وهو لا يرد  
إذا أناس بنعمى ربهم جحدوا  
وهل يقوم بشكر الوالد الولد ؟

\*\*\*

وقال عند موته وهو مجروح بظاهر حلب بعد رجوعه عن آمد ، وهي آخر شعر قاله :  
أسكنان مصر لعل الزمان  
أما تذكرون فتى شوقه ،  
جريحاً ، مريضاً ، يمل الطبيب  
محباً لكم ، كان يرجوكم  
فلما تهيا لقطع الفرات  
وأصبح فى حلب راجياً  
رماه الزمان بسهم المنون

على بقرىكم جائد  
إلى وصلكم أبداً ، زائد  
ويسأم من فقده العائد  
بآمد ، لا سقيت آمد (٣٠)  
وعاوده قلبه الشارد  
زماناً بكم ؛ ليت عائد  
كان الزمان له قاصد

\*\*\*

(٢٩) خاموا جبنوا وتراجعوا عن القتال .

(٣٠) الجائد بمعنى السخى المواتى - العائد : من يزور المريض - آمد : بلد بالعراق .

وقال أيضًا وهو فى الشام :

إنى ، وإن نرَحْتُ عن داركم دارى  
لا أستحلُّ مالاَ عن عهدِكُم  
يا ساكنى مصرَ ، هل ركبٌ يُعلِّنى  
فارقتكُم ، فقرعتُ السَّنَّ عن ندمِ  
أقولُ إذ حالَ ما بينى وبينكُم  
أجعلُ الشامَ لى دارًا أحلُّ بها  
هيهات . لا وطنٌ فيه ، ولا طربُ  
أحبَّ قلبى ! وقلبى بعد فرقتكم  
يا حسرةً ، أين أيامى بقربكُم  
أيامَ الهوى بها بيضاء ، ناهدةً  
صغيرةُ السَّنِّ ، لى منها إذا خطرث  
هواك ، يا غايةَ الآمالِ ، أبردةً  
لم يندُ وجهُك ، جلَّ اللهُ خالقُهُ  
كأنه البدرُ ، لكنى ضللتُ به  
يا هذه ، لات وما بينى وبينك من  
ما اخترتُ يوم رحيلى عن دياركم

على الوفاء مُقيمٌ غيرُ غدارِ  
ولا يحلُّ سواكم بيتَ إضمارى (٣١)  
عنكم بطيب أحاديثٍ وأخبارٍ ؟  
إذ كنتُ للبين عنكم غيرَ مختارِ  
دهرٌ خئونٌ ويَّيدا ذاتُ أخطارِ (٣٢)  
ولى بمصرَ حبيبٌ نازحُ الدَّارِ ؟ !  
من بعد غايةِ أوطانى وأوطارى !!  
ماوى لواعجٍ من همى وأفكارى (٣٣)  
إذ أنتمُ الجارُ ، واشوقى إلى الجارِ ؟ !  
ترنوبطرفٍ مريضِ اللَّحظِ سَحَّارِ  
بمجلسٍ طيِّبٍ ، رنَّاتُ أطيَّارِ  
أحرُّ ما بين أخشائى من النَّارِ  
إلا تبيَّنتُ فيه قُدرةَ البارى  
والبدرُ شيمتهُ أن يَهْدِيَ السَّارى  
عهدٍ ، وحفظٍ ، وميثاقٍ ، وأسرارِ  
لكنَّهنَّ اللَّيالى ذاتُ أقدارِ

(٣١) الملal : الفتور - إضمارى : إخفائى .

(٣٢) البيداء : الفلاة .

(٣٣) اللواعج : الهوى المحرق .

(٣٤) ضمن الشاعر بعض شطرات من قصيدة المتنبى على الوزن والقافية « ليالى بعد الظاعنين شكول » .



وقال أيضًا مُفتخرًا مُوازنًا لأبيات السَّمِوعِ بن عادِياء اليهودي ، التي أولها :

( إذا المرء لم يذنس من اللّوم عِرضُهُ  
طِلابُ المعالي ما إليه سبيلُ  
ويُبدلُ ما يُخوى من المال دُونها  
وما يُذكرُ العلياء إلا مُمَجَّدُ  
تُدافعني الأيامُ عن كلِّ مطلبٍ  
ولَونيلتِ الدنيا بفضلٍ لِنلتُها  
سأمنحُها صبرَ الكرامِ تجملاً  
إذا ما دعانا للكريهة صارحُ  
( وخيلُ كأمثال السَّعالي شوازِبُ )  
سوابقُ تكبُّو الرِّيحُ قبل لحاقها  
( وإنّا لنلقى الحادثاتِ بأنفسٍ  
يهونُ علينا أن تُصابِ جِسمُنا  
نجودُ ، فيَغْنِي مَنْ يُرَجِّي نَوالنا  
وإن نحنُ قلنا ، فالوفاءُ شعارُنا  
تُفلُّ قرعُ الدَّارعين سيوفُنا  
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ )  
بغير العوالي ، والنَّفوسُ تسيلُ  
إذا ضنَّ يوماً بالنَّوالِ بخيلُ  
( قَولُ لما قال الكرامُ فَعولُ )  
فيا هِلْ لآيامي على دُخولٍ ؟ !  
ولكنَّ حظَّ الأكرمين قليلُ  
وصبرُ الفتى عند الخطوبِ جميلُ  
( من القومِ لبَّثْهُ قَنّا ونُصولُ ) ( ٣٥ )  
تكادُ بنا قبل المجال تجولُ  
( لها مرخٌ من تحتنا وصهيلُ ) ( ٣٦ )  
كثيرُ الرزايا عندهن قليلُ  
وتسلمُ أعراضُ لنا وعقولُ )  
ونشطو ، فيَغْنِي مَنْ عليه نصولُ  
وكم مُخْلِيفٌ للقول حين يقولُ  
ففيهنَّ من طول القراعِ قُلولُ ( ٣٧ )



( ٣٥ ) الكريهة : الحرب الشديدة - القنا : الرماح - النصول : جمع النصل وهو حديدة الرمح والسهم وغيرهما .  
( ٣٦ ) السَّعالي : الغيلان - شوازِب : ضواير - مرخ : نشاط .  
( ٣٧ ) تفلُّ بمعنى تثلهم وتضعفهم - الدارع الذي يلبس الدرع - القرع : الضرب أو الرمي - القراع : المضاربة بالسيوف في الحرب .



وقال - وقد عوتب على شرب الخمر والإدمان عليه - يمدح أخاه السلطان  
صلاح الدين:

حَيٌّ مِنْ أَسْمَاءَ بِالْخَيْفِ خِيَامَا      وَأَقْرَهَا عَنِّي وَمَنْ فِيهَا السَّلَامَا (٣٨)  
وَإِذَا مَا جِئْتَ بَانَاتِ الْجِمَى      فَأَذْغُ لِلْإِسْعَادِ هَاتِيكَ الْحَمَامَا  
قُلْ : كَلَانَا يَا حَمَامَاتِ اللَّوَى      يَشْتَكِي وَجَدًا قَدِيمَا وَغَرَامَا  
يَا أَعَادَ اللَّهُ أَيَّامًا مَضَتْ      لَمْ تَكُنْ إِلَّا خِيَالًا أَوْ مَنَامَا  
زَمَنْ ، نَلْتُ الْمَنَى فِي ظِلِّهِ      حَبَا عَيْشِي بِهِ ، لَوْ كَانَ دَامَا !  
بِفَتَاةِ السُّنَنِ ، رُودٍ ، غَادَةٍ      كَقَضِيبِ الْبَانِ لَيْنًا وَقَوَامَا  
هِيَ فِي إِقْبَالِهَا جَارِيَةٌ      وَإِذَا مَا أَدْبَرَتْ كَانَتْ غَلَامَا  
أَطْلَعْتُ مِنْ وَجْهِهَا شَمْسَ الضُّحَى      حَمَلْتُهَا مِنْ دُجَى الْفَرَعِ ظَلَامَا  
زُخْرِفْتُ مِنْ وَجْهِهَا لِي جَنَّةٌ      كَانَتْ الرِّيقَةُ لِي فِيهَا مُدَامَا  
قِيلَ : فِي الْجَنَّةِ خَمْرٌ خُلِّلَتْ      فَلَمَّاذَا رِيقُهَا أَضْحَى حَرَامَا ؟ !  
هَجَرْتُ عَيْنِي الْكَرَى فِي حُبِّهَا      وَقَبِيحٌ مِنْ مُجِبِّ أَنْ يَنَامَا  
مَلَأْتُ جِسْمِي سَقَامًا ، مِثْلَ مَا      مُلِئْتُ أَجْفَانُ عَيْنَيْهَا سَقَامَا  
لَمْ تَدْغْ لِلصَّبِّ إِلَّا كَبْدًا      بَعْدَهَا حَرَّى ، وَقَلْبًا مُسْتَهَامَا (٣٩)  
وَدَمَوْعًا أَشْبَهْتَ فِي فِضْهِهَا      جُودَ مَوْلَانَا ، هَمُولًا وَأَنْسَجَامَا  
أَوْضَحَ الْحَقُّ ، وَسَنَّ الْعَدْلَ مِنْ      بَعْدَ مَيْلٍ وَأَعْوَجَاجٍ ، فَاسْتَقَامَا  
سَبَقَ الْخَلْقَ إِلَى شَأْوِ الْعُلَا      فَسَمَا فِي مَجْدِهِ عَنْ أَنْ يُسَامَا (٤٠)

(٣٨) الخيف : جانب الجبل ، أو ما انحدر ، واشهره خيف منى من مشاعر الحج وتكرر ذكره في شعر الحجاز  
يبين ، ومن بينهم عمر بن أبي ربيعة .  
(٣٩) المستهام : المشفوف حبًا .  
(٤٠) يسامي : يبارى .

قام بالأعباء بها ضامنها  
 فاق هذا الناس بأسا ، ونذا  
 ما صلاح الدين إلا نعمة  
 عمّت الدنيا عطايا كفه  
 نعم ، أصغرهما أكبرهما  
 ملك ، لم يندو إلا عاينت  
 وكان البرق . يبدو لامعا  
 يا مليكا علقت منه يدي  
 لا تلثم في شربها مغرى بها  
 غلب الهم على قلبي ، فلم  
 لم يكن في شربها مستوجبا  
 أرى من لم قد يذقها منكم  
 إن لي ربّا كريما غافرا  
 أنا لا أياس من رحمته  
 وكذا عفوك لا أياسه  
 أنت لي حزن ، وسيف ، ويد  
 أنت لي معقل عز مانع  
 فأفيض من بحر إنعامك لي  
 لا تلثم في طلبى منك النسد  
 وأما ، والله ، لا خباب فتى

خيرة العالم بالأمر ، قياما  
 وعلى الأملاك عزما وأهتاما  
 بسطت للخلق شرقا وشاما  
 كعموم الغيث هطالا ركاما (٤١)  
 وأباد ، لم تزل فينا جساما  
 عين من يندوله البدر التماما  
 في السحاب الجون ، إن هز حساما  
 عروّة ، لا أبتغى منها أنفصاما  
 إن طبع النفس أن تهوى الحراما  
 أرما يذفعه إلا المداما  
 منكم التّعنيف فيها والملاما  
 يتخذة حيث ما كان إماما  
 يغفر الذنب عظيمًا والأثاما  
 بعد إقرارى ، وإن زدت أجتراما  
 يا مليكا عم بالعدل الأناما  
 كلما جدّد لي الدهر خصاما  
 لست أخشى فيه يوما أن أضاما (٤٢)  
 نائلا ، أسقى به هذا الأواما  
 إن من أمحل يستقى الغماما (٤٣)  
 أبدا لا يرتجى إلا الكراما

(٤١) ركام : مجتمع متراكم .

(٤٢) ضامه : ظلمه وأذله .

(٤٣) أمحل : أجذب واحتبس عنه المطر - يستقى : يطلب السقيا .

## سبط ابن التعاويذى

( ٥١٩ - ٥٨٣ هـ / ١١٢٤ - ١١٨٧ م )

هو أبو الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله الكاتب البغدادي كان أبوه مولى لأحد الأعيان العراقيين من بنى المظفر، أما أمه فكانت ابنة أحد الزهاد وهو أبو محمد المبارك المشهور بابن التعاويذى، وقد كفله هذا الجدّ صغيراً واعتنى بتربيته وتعليمه.

عمل سبط ابن التعاويذى فى دواوين الخلافة ببغداد، وكان كاتباً فى ديوان الإقطاع، له راتب يتقاضاه، وعطايا ينالها من الخلفاء وغيرهم، وذكر العماد الأصبهاني أنه لقيه ببغداد ووصفه مثنياً عليه، فقال: « هو شاب فيه فضل وآداب، ورياسة وكياسة، ومروءة وفتوة، جمعنى وإياه صدق العقيدة فى عقد الصداقة، وقد كملت فيه أسباب الظرف واللفظ واللياقة ».

وله ديوان شعرى جمعه بنفسه، وعمل له خطبة طريفة ورتبه فى أربعة فصول، كل ما جدّده بعد ذلك سمّاه الزيادات، الفصل الأول فى مدائح الخلفاء، والثانى فى مدائح جماعة من الوزراء والأكابر والصدور الأماثل وغيرهم ممن تتفاوت منازلهم وحالاتهم، والثالث فى مدائح أولياء نعمته ممن تربى فى رعايتهم من بنى المظفر، قال: « لأننى نشأت فيهم، وكنت متّصلاً بهم، وصحبتهم أنا وجدّى لأمى... وكنت منقطعاً إليهم، لا أتعرّض إلاّ لنفحات عطاياهم رغبة ورهبة، وتشية منهم ومحبة، فنظمت فيهم جلّ شعرى، وأنفقت معهم طائفة من عمرى »، أما الفصل الرابع فاشتمل على مراثى وزهد وغزل لله وعتاب وهجاء.

وقد مدح من الخلفاء: المستجد (٥٥٥ - ٥٦٦)، وأكثر من مدح المستضىء (٥٦٦ - ٥٧٥) وابنة الناصر (٥٧٥ - ٦٢٢)، ومدح من العظماء والأعيان: صلاح الدين الأيوبي ونور الدين محمود، وعماد الدين زنكى والقاضى الفاضل، ووصف بعض ما أحرزوه من فتوح وانتصارات فى مقاومة الصليبيين.

وقد عمى فى آخر عمره سنة ٥٧٩، وله فى عماء أشعار كثيرة يرثى بها عينيه، ويندب زمان شبابه وانقضاه، ويلتمس من الخليفة الناصر أن ينقل راتبه بالديوان إلى أبنائه.

ويظهر من ديوانه أن معظم شعره فى المديح ، وأنه لم يغفل النظم فى أغراض أخرى كهجاء بعض من أساءوا إليه ، وشكوى الزمن ووصف الاحتياج والعوز .

ويقول ابن خلكان فى بيان منزلته : « كان أبو الفتح المذكور شاعراً وقته ، لم يكن فيه مثله ، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ، ورقّة المعانى ودقتها ، وهو فى غاية الحسن والحلاوة ، وفيما اعتقده لم يكن بمائى سنة من يضاهيه ... وأما قصائده المشتملة على النسب والمدح فإنها فى نهاية الحسن » .

\* \* \*

وقال يمدح صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب وبعاتبه على تسويته بغيره من الشعراء في العطاء وأنفذها إليه بمصر سنة ٥٧٤ :

سِرْبُ مَهَا أَمْ دُمَى مَحَارِيبِ      أَمْ فَتَيَاتُ الْحَيِّ الْأَعَارِيبِ  
 هَيْهَاتَ أَيْنَ الْمَهَا إِذَا اتَّصَفَ الْـ      حُسْنُ الْخُرْدِ الرَّعَايِبِ (١)  
 إِنْ شَابَهَتْهَا فِي الْبَدَاوَةِ وَعَالَاخِـ      سَلَاقٍ لَا فِي الْجَمَالِ وَالطِّيبِ  
 هُنَّ اللَّوَاتِي وَإِنْ أَرْقَنَ دُمَى      يَغْدُبُ فِي حُبِّهِنَّ تَغْذِيْبِي  
 مَا لِي وَالْفَانِيَاتِ أَخْذُ مِنْـ      هُنَّ بِوَضَلٍ فِي الطَّيْفِ مَكْذُوبِ  
 لَا وَهْوَى غَالِبٍ بِهِنَّ أَعَانِيهِ      وَعَزَمَ فِيهِنَّ مَغْلُوبِ  
 وَكَأَلَسَارِيحٍ مِنْ بَنَانٍ يَدِـ      بِالدَّمِ لَا بِالْحِنَاءِ مَخْضُوبِ (٢)  
 لَقَدْ حَمَلْنَ الْوِزَرَ الثَّقِيلَ عَلَى      لَيْنٍ قُدُودٍ وَضَعْفٍ تَرْكِيبِ  
 وَعَاذِلٍ لَا يُنِيبُ عَنْ عَذَلِـ      يُهْدِيهِ فِي الْحُبِّ لِي وَتَأْنِيْبِ (٣)  
 لَوْ مَلَكَ لِلصَّبِّ فِي مُعَذِّبِهِ      سَوَاطُ عَذَابٍ عَلَيْهِ مَضْبُوبِ  
 يَا سَفْدُ إِمَامَةٍ عَلَى إِضْمِـ      فَالْهَضْبِ مِنْ رَاكِسٍ فَمَلْحُوبِ (٤)  
 وَأَسْأَلُ كَثِيْبِي رِمَالٍ عَنْ رَشَاِـ      عَنَّا بِسُمْرِ الرِّمَاحِ مَخْجُوبِ  
 وَأَعْجَبَ لِجِسْمٍ فِي جَنْبٍ كَاظِمَةٍ      ثَاوٍ وَقَلْبٍ فِي الرُّكْبِ مَجْنُوبِ (٥)  
 رِيْمٌ نَقًّا لَا يَرِيْمُ ذَا شَرْكِـ      مِنْ لَحْظِهِ لِأَسْوَدٍ مَنصُوبِ (٦)

(١) الخُرد : جمع الخُرود وهي الحية أو الفتاة البكر - الرعايب : جمع رُعيوب وهي الغضة الطويلة الممتلئة الجسم.

(٢) الأساريع بمعنى الأصابع .

(٣) يُنِيبُ : يمتنع .

(٤) إضم : جبل - والهضب ولاكس ومحلوب : أسماء أماكن ترددت في الشعر القديم .

(٥) كاظمة مكان بالمجاز .

(٦) الريم : الظباء الخالصة البيضاء .



يَجُولُ مَاءُ الشَّبَابِ فِي ضَرَمٍ  
لَا تَطْلُلُوا عَنْدَهُ دَمِي قَدَمٌ  
أَهْ لِيَضَاءَ كَالنَّهَارِ بَدَتْ  
وَفَارِطٍ مِنْ صَبِي حَتَّتْ إِلَى  
يَا شَيْبُ إِنَّ تُودِ بِالشَّبَابِ فَقَدْ  
أَغْرَيْتَ بِالصَّدِّ مَنْ أَحَبُّ فَلَا  
هَبْ لِي بَقَايَا شَبِيَّتِي وَأَرْتَجِعْ  
فَالشَّيْبُ لَوْلَمْ يُعَدَّ مَنَقَصَةً  
يَا دَهْرُ خُذْنِي فِي غَيْرِ مَسْلِكَكَ أَلْ  
فِي كُلِّ يَوْمٍ يُجِدُّ لِي عَجَبًا  
مَا أَنَا رَاضٍ عَمَّا سَلَبْتَ بِمَا  
كَمْ أَتَلَقَّى الْمَكْرُوهَ مِنْكَ أَمَا  
قَدْ هَذَّبْتَنِي أَيْدِي الْخُطُوبِ عَلَى  
فَلَيْتَهَا هَذَّبْتَ خَلَاتِقَهَا

مِنْ خَلْدِهِ فِي الْقُلُوبِ مَشْبُوبٌ (٧)  
أَرَأَيْتَهُ الْحَبُّ غَيْرُ مَطْلُوبِ  
غَرِيبَةً فِي أَحْمَ غَرِيبِ (٨)  
أَيَّامِهِ الْغَيْدِ حَنَّةَ النَّيْبِ (٩)  
أَوْدَيْتَ مِنْهُ بِخَيْرِ مَضْحُوبِ  
غَرَوْ إِذَا كُنْتَ غَيْرَ مَحْبُوبِ  
مَا أَكْسَبْتَنِي أَيْدِي التَّجَارِيِبِ  
مَا زَهْدَ الْبَيْضِ فِي هَوَى الشَّيْبِ  
سَوْغَرِ وَعَذْنِي سَوْى الْأَكَاذِبِ  
صَرَفُكَ وَالْدَّهْرُ ذُو أَعَاجِبِ  
أَفَدْتَ مِنْ حُنْكَةٍ وَتَجَرِيِبِ  
تَغْلَطُ لِي مَرَّةً بِمَحْبُوبِ  
شِمَاسٍ عِطْفَى أَى تَهْذِيبِ (١٠)  
وَأَخَذْتَ نَفْسَهَا بِتَأْدِيبِ

أَوْلَقْنِي مُسْتَفِيدَةً كَرَمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ يُوسُفَ ابْنِ أَيُّوبِ  
الْمَلِكِ الْعَادِلِ الَّذِي كَشَفَ اللَّهُ بِهِ هَمَّ كُلِّ مَكْرُوبِ  
حَامِي نُغُورِ الْأَسْلَامِ بِالْهِنْدُوَانِيَّاتِ وَالضُّمَرِ السَّرَاحِيبِ (١١)

(٧) ضرم : اشتعال وانقاد ، ومنه : أضرم النار أى أوقدها .  
(٨) أحمر غريب : أسود ، من لون الغراب الأسود ، ويقصد به الشعر .  
(٩) فارط : ماض ومنقضى - النيب : النوق .  
(١٠) الشماس : الإباء والاستعصاء .  
(١١) السراحيب جمع مرحوب الفرس الطويلة المتناسبة الأعضاء .

بِكُلِّ مَاضِي الْغَرَارِ مُنْصَلِتِ  
 رَبِّ الْمَذَاكِي الْجِيَادِ مُقَرَّبَةً  
 خَوَاضِ مَوْجِ الْوَعْيِ وَقَدْ أَخَذَتْ  
 تُنْكِرُ أَغْمَادَهَا مَنَاصِلُهُ  
 تُسَلُّ فِي الْحَرْبِ لِلْمَفَارِقِ وَالْهَامِ  
 سُلْطَانِ أَرْضِ اللَّهِ الَّذِي ضَمِنَتْ  
 مَدًّا عَلَى الْأَرْضِ ظِلًّا مَغْدِلَةً  
 صَوَّبَ نَدَى يُرْتَجَى مَوَاطِرُهُ  
 فَالنَّاسُ مَا يَبْنِي أَمِلَ جَذِلِ  
 الطَّاهِرُ الْخِيَمِ وَالشَّمَائِلِ وَالْأَغْ  
 نَحْلُ أَسْوَدِ الشَّرَى الضَّرَاغِمِ وَالنَّجْدِ  
 مِنْ كُلِّ طَلْقِ الْجَبِينِ مُبْتَسِمِ  
 لَهُمْ حُلُومٌ إِذَا أَنْتَدَوْا رَجَحُوا  
 وَأَوْجُهُ يَسْجُدُ الْجَمَّالُ لَهَا  
 يُخَصِّبُ وَجْهَ الثَّرَى وَيَسْتَعِرُّ  
 إِذَا دَجَّ اللَّيْلُ مَا زَقِ رَفَعُوا  
 كَمْ سَلَبُوا أَنْفُسَ الْفَوَارِسِ فِي

وَكُلِّ سَامِي التَّلِيلِ يَغْبُوبِ (١٢)  
 وَالنَّضْلُ عَزِيَّانُ غَيْرُ مَقْرُبِ (١٣)  
 أَبْطَالُهَا الْخُمْسُ بِالتَّلَايِبِ  
 فِي يَوْمِ حَلٍ وَيَوْمِ تَأْوِيلِ (١٤)  
 وَفِي السِّلَسِمِ لِلْعَرَاقِبِ  
 رِمَاحُهُ نَضَرَ كُلِّ مَخْرُوبِ (١٥)  
 تَجْمَعُ بَيْنَ الْمَهَاةِ وَالذُّبِ  
 وَحَدَّ بَأْسِ كَالْمَوْتِ مَرْهُوبِ  
 وَخَائِفِ مِنْ سَطَاهُ مَرْغُوبِ  
 رَاقٍ وَالْخَيْبِ وَالْجَلَايِبِ (١٦)  
 سِبُّ يُنْمِي إِلَى الْمَنَاجِبِ  
 بِالتَّلَاجِ يَوْمَ السَّلَامِ مَغْضُوبِ  
 يَهَا عَلَى الشُّمُخِ الشَّنَاخِبِ (١٧)  
 هِيَ الْقَنَادِيلُ فِي الْمَحَارِبِ  
 الْحَرْبُ لِشَرِّ مِنْهُمْ وَتَقْطِيبِ  
 لَهُ ذُبَالًا عَلَى الْأَنْسَابِ  
 الرُّوعِ وَعَفُّوا عَنِ الْأَسَالِبِ

(١٢) غرار السيف حذّه - تليل الفرس : عنقه المتصب - واليغبوب : الفرس السريع .

(١٣) المذاكي من الخيل : النجيب - المقرية : المطرودة - المقروب : في القرب وهو جفن السيف وغمده .

(١٤) تأويل : رجوع وامتناع ويقصد يوم سلام وامتناع عن القتال .

(١٥) المحروب : المنكوب .

(١٦) الخيم : الأصل أو السجية .

(١٧) الشناخيب : عليه القوم .

وَأَرْتَجِعُوا بِالْقَنَا الذَّوَابِلِ مِنْ  
فَكَمِ جَمِيلٍ لَهُمْ وَصُنْعِ يَدٍ  
عَلِفَتْ مِنْهُمْ بِذِمَّةِ حَبْلُهَا  
يَا مَلِكًا ذَلَّلَ الْمُلُوكَ بُّنَزْ  
رَأَيْتَ شَعْبَ الدُّنْيَا وَكَانَ ثَأْي  
رَوَيْتَ أَمَانَنَا الْعِطَاشَ بِشَوْ  
وَكَانَ يَا يُوسُفَ السَّمَاحِ بِنَا  
أَحْشَاكَ أَنْ تُرْسِلَ الصَّلَاتِ عَلَى  
سَوَيْتَ بِي فِي الْعَطَاءِ مَنْ لَا يُجَا  
وَعَبْرُ بَدْعٍ فَالشُّخْبُ مَا بَرِحَتْ  
وَالْحَذَقُ فِي مَا عَلِمْتُ مُكْتَسَبٌ  
وَلِي عَلَيْهِمْ فَضِيلَةٌ السَّبْقِ فِي  
شَأْوَتُهُمْ سَابِقًا وَصَلُّوا فَمَنْ  
وَلَسْتُ مِمَّنْ بِأَسَى لِمَافَاتٍ مِنْ  
لَكِنَّهَا خُطَّةٌ يُضَامُ بِهَا  
شِعْرِي رَبُّ الْأَشْعَارِ قَاطِبَةً  
بِخَاطِرِ كَالشَّهَابِ مُتَّقِدٍ

حَقِّ لَالِ الْأَعْيَاسِ مَغْضُوبٍ  
عَلَى جَبَاهِ الْأَنَامِ مَكْتُوبٍ  
غَيْرُ سَحِيلٍ بِالْفَذْرِ مَقْضُوبٍ (١٨)  
غَيْبٍ يَدٍ تَارَةً وَتَرْهِيْبٍ  
الْإِسْلَامِ لَوْلَاكَ غَيْرَ مَشْغُوبٍ (١٩)  
بُوبٍ عَطَاءٍ فِي إِثْرِ شَوْبُوبٍ (٢٠)  
إِلَى عَطَايَاكَ شَوْقُ يَغْقُوبٍ  
غَيْرِ نَظَامٍ وَغَيْرِ تَرْتِيْبٍ  
رَيْنِي فِي مَذْهَبِي وَأَسْلُوبِي  
يَقُلُّ مِنْهَا حَظُّ الْأَهَاضِيْبِ  
وَأِنَّمَا الْحَظُّ غَيْرُ مَكْشُوبٍ  
مَذْحِكَ فَأَعْرِفْ سَيْفِي وَتَعْقِيْبِي  
أُولَى يِيْرٍ مِّنِي وَتَقْرِيبِ (٢١)  
رَفِيدٍ سَرِيْعِ النَّفَادِ مَوْهُوبٍ  
فَضْلِي وَالضَّيْمُ شَرُّ مَرْكُوبٍ  
وَهَلْ يُسَوَّى رَبُّ بِمَرْبُوبٍ  
وَمَقُولٍ كَالْحُسَامِ مَذْرُوبٍ (٢٢)

(١٨) سَحِيل : الحبل الذي قتل قتلاً واحداً ، وهو أضعف من المبرم .

(١٩) ثَأْي : فتق - مشعوب : مُفَرَّق أو مجموع ومكسور أو موصول من الأضداد - وهو هنا بمعنى مجموع ومجبور .

(٢٠) الشَّوْبُوب : الدَّفْعَةُ من المطر .

(٢١) شَأْوَتُهُمْ : سبقتهم ، والسابق الذي يأتي أولاً والمصلَّى الثاني في السباق .

(٢٢) مذروب : جاد قوَّى .

أَمْسَتْ مُلُوكُ الْأَفَاقِ تَخْطُبُهُ  
إِلَى صَلَاحِ الدِّينِ أَرْتَمَتْ بَيْنِي  
تَضْرِبُ أَكْبَادُهَا إِلَى مَشْرِفِ  
تَوْؤُمٍ بَخْرًا يَلْقَى مَوَارِدُهُ  
تَرْتَعُ مِنْ ظِلِّهِ وَتَائِلُهُ  
تَسِيرُ مِنْ مَذْجِهِ خَوَاطِرُنَا  
تَكْسُوهُ حَمْدًا تَبْقَى مَلَابِسُهُ  
سَحَابُ جُودٍ شَمْنَا بِوَارِقِهِ  
ذُو هَيْدَبٍ لِلْوَلَى مِنْهُمْ سِرٌّ  
لَبَّى دُعَائِي مِنَ الْعِرَاقِ وَقَدْ  
فَقَرَبَ النَّازِحَ الْبَعِيدَ وَلَمْ  
يَقْرَعْ بَابِي عَفْوًا نَدَاهُ وَلَمْ  
فَلَا عَدِمْنَا جَدُّكَ مِنْ هَتَنِ  
وَلَا خَلَا جُودُكَ الْمُؤَمَّلُ مِنْ

وَأَنْتَ دُونَ الْأَنْسَامِ مَخْطُوبِي  
الْأَمَالِ كَوْمُ الْبُزْلِ الْمَصَاعِيبِ (٢٣)  
رَحِبٍ بِأَعْلَى الْقُسْطَاطِ مَضْرُوبِ  
الْوَفْدِ بِأَهْلِ مِنْهَا وَتَرْحِيبِ  
الْعُقَاةِ فِي وَارِفٍ وَمَسْكُوبِ  
فِي وَاضِحٍ بِالشَّاءِ مَلْحُوبِ (٢٤)  
وَالْحَمْدُ كَأَسِيهِ غَيْرُ مَسْلُوبِ  
فَأَنْهَلَ مُثْعَنَجِرَ الشَّائِبِ (٢٥)  
وَبَارِقِ فِي الْعَدْوِ الْهَوْبِ (٢٦)  
أَسْمِعُهُ بِالصَّعِيدِ تَثْوِيِي (٢٧)  
أَعْمِلْ إِلَيْهِ شِدَى وَتَقْرِيبِي  
أَقْرَعْ إِلَى بَابِهِ ظَنَائِيِي (٢٨)  
مُجَلِّجِلٍ بِالنَّوَالِ أَسْكُوبِ (٢٩)  
وَقَدْ تَنَاءَ إِلَيْهِ مَجْلُوبِ

(٢٣) كَوْمُ : القطعة أو الجماعة من الإبل ، البُزْل جمع بازل ، وهو الفحل من الإبل ، والمصاعيب : جمع مُصْعَب وهو الفحل القوي .

(٢٤) ملحوب : ظاهر .

(٢٥) مُثْعَنَجِر : المثعنجرة من الجفان التي يفيض ما بها من الطعام ، وهي هنا بمعنى الفياض - الشائب : دفعات المطر ورخاته .

(٢٦) الهيدب : السحاب المنخفض الوالى : المطر بعد المطر الأول « الوسمى » - الألهوب : اجتهد الفرس في عدوه حتى يشير الغبار .

(٢٧) تثويي : دُعائي .

(٢٨) الظنبوب : عظم الساق ، وقرع ظنايه : أتعب ساقه في السير .

(٢٩) هَتِن : مطال متابع المطر - أسكوب مطر دائم السكوب .



وقال يمدح القاضي الفاضل أبا علي عبد الرحيم وزير المملكة الصلاحية وأنفذها إليه

بدمشق سنة ٥٧٢ :

عَسَى قَاعِدُ الْحِظِّ يَوْمًا يَثْبُ  
وَيَفْرِجَ لِي عَنْ طَرِيقِ الْعُلَى  
فَأُذِرِكَ أَبْعَدَ مَا يَرْتَمِي  
وَيُنْصِفَ جَائِرُ دَهْرِ يُيَاغُ  
زَمَانٍ نَفَاقٍ يُهَابُ الثَّرَاءِ  
فَكَمْ لِي مِنْ بَتْرَةٍ عِنْدَهُ  
وَقَدْ غَرَّ أَبْنَاءَهُ أَنْبَى  
فَظَنُّوا خُشُوعِي لَهُمْ ذَلَّةً  
وَإِنَّ وَرَاءَ أَيْتَسَامِي لَهُمْ  
وَقَدْ يُرْعَدُ السَّيْفُ لَا خِيفَةَ  
فَلِلَّهِ دَرُّ أَخِي عَزْمَةٌ  
فَمَا لِي رَضِيْتُ بِدَارِ الْهَوَانِ  
وَقَدْ حَدَّثَنِي مَعَالِي الْأُمُورِ  
وَأَنْبَى أَنْأَلُ إِذَا كُنْتُ جَارَ  
فَكَيْفَ وَأَخْبَيْتُهُ أَصْحَابُ الْمَـ  
هُوَ الْمَرْءُ تَهْرَأُ أَقْلَامُهُ

فَيَسْفِرُ عَنْ وَجْهِهِ الْمُتَقَبِّ  
زِحَامَ الْخُطُوبِ وَخَشْدَ الثُّوبِ  
إِلَيْهِ مَرَامٌ وَيَسْمُو طَلَبُ  
فِي سُوقِهِ الدُّرُّ بِالْمَخْشَلَبِ (٣٠)  
فِي أَهْلِهِ وَيُهَانَ الْحَسَبِ  
وَمِنْ طَيِّ أَيَّامِهِ مِنْ أَرْبِ  
صَحَكْتُ وَمَا ضَحِكِي مِنْ عَجَبِ  
وَتَخْتُ سَكُونِي صَلُّ يَثْبُ (٣١)  
فَوَادًا بِأَشْجَانِهِ يَتَّحِبُ  
وَقَدْ يَتَنَبَّى الرُّمْحُ لَا عَنْ طَرَبِ  
رَأَى الضَّيِّمَ فِي مَوْطِنٍ فَاغْتَرَبِ  
كَأَنَّ لَيْسَ قَى الْأَرْضِ لِي مُضْطَرَبِ  
بِأَنْبَى سَأَذِرُكُهَا عَنْ كَثَبِ  
عَبْدِ الرَّحِيمِ أَعَالِي الرُّتَبِ  
سَدَلَةٌ وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبِ  
بِسْمَرِ الْعَوَالِي وَيَبِضُ الْقُضْبُ

(٣٠) بِالْمَخْشَلَبِ : نوع من الخرز كان يصنع بالعراق .

(٣١) صَلُّ : الصَّل من خيبت الحيات .



كَتَائِبُهُ فِي الْوَعَى كُتِبَهُ  
كَرِيمُ الْمَنَاسِبِ مُسْتَضْرَحُ  
مِنَ الْقَوْمِ لَا جَارُهُمْ مُسْلِمُ  
تَذِلُّ لَهُمْ سَطَوَاتُ الْأُسُودِ  
بِهِمْ سَارِدُ كَرِي يَنْ الْأَنَامِ  
وَلَمْ تَغْلِقْ حِينَ أَعْلَقَتْهَا  
وَصُلْتُ الدَّهْرِ مِنْ بَأْسِهِمْ  
وَعَوْلْتُ مِنْهُمْ عَلَى مَا جَدِ  
كَرِيمَ الشَّمَائِلِ طَلِقَ الْيَدَيْنِ  
هُوَ الْغَيْثُ إِنْ عَمَّ جَذْبُ أَثَابِ  
فَمُنْصُلُهُ مِنْ دِمَاءِ الْعِشَارِ  
جَوَادُ تُزَمُّ مَطَايَا الرَّجَاءِ  
فَلَا ظِلُّ إِخْسَانِهِ قَالِصُ  
إِذَا قَالَ أَبْدَعُ فِيمَا يَقُولُ  
نَدَى يَسْتَمِيلُ فُؤَادَ الْحَشُودِ  
وَقَى عَرْضَهُ وَحَمَى جَارَهُ  
عَلَى ثِقَةٍ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْمُحَا  
وَلَوْلَا الْأَجَلُ تَفَانِي الْكِرَامِ

وَأَرَاؤُهُ يَنْضُفُهُ وَالْيَلْبُ (٣٢)  
لِسَنَرِ الْعَوَارِ وَكَشَفِ الْكُرْبِ  
وَلَا حَبْلُ مِيثَاقِهِمْ مُنْقَضِيبُ  
وَتَشَقَّى الْبُدُورُ بِهِمْ وَالشُّحْبُ  
وَفَضْلِي إِلَى جُودِهِمْ مُتَسِيبُ  
يَدِي مِنْهُمْ بِضَعِيفِ السَّبَبِ  
بِعَضْبٍ إِذَا مَسَّ شَيْئًا قَضَبُ (٣٣)  
إِذَا غَالَبَتْهُ اللَّيَالِي غَلَبُ  
خُلُوفِ الْفَكَاهَةِ مُرِّ الْغَضَبِ  
وَاللَّيْثُ إِنْ عَنَّ خَطْبُ وَثَبُ  
أَوْ مِنْ دِمَاءِ الْعِدَى مُخْتَضِبُ (٣٤)  
إِلَى بَابِهِ وَرَكَابُ الطَّلَبِ (٣٥)  
وَلَا شَمْسُ مَعْرُوفِهِ تَحْتَجِبُ  
وَإِنْ جَادَ أَجْزَلَ فِيمَا يَهَبُ  
وَبِأَسَا يَرُدُّ الْخَمِيسَ اللَّجِبُ (٣٦)  
وَأَمْوَالُهُ عُرْضَةٌ تُتْهَبُ  
صَلِّ مِنْهَا سِوَى مَا ذَهَبُ  
وَعِضُّ السَّمَاخِ وَضِيمُ الْأَدَبِ

(٣٢) اليب : الدروع .

(٣٣) قضب : قطع .

(٣٤) منصله سيفه - العشار : الإبل .

(٣٥) تزم : تشد بالزمام .

(٣٦) الخميس : الجيش - اللجب : الذي ارتفعت فيه أصوات الأبطال واختلطت .

وَلَمَّا تَقَلَّصَ ظِلُّ الرِّجَالِ  
فَأَنْضَبَ مَاءَ الْوُجُوهِ الشُّوَالُ  
إِذَا الْفَاضِلُ الْمَاجِدُ الْأَزِيحِيُّ  
سَقَتْنِي يَدَاهُ فَقُلْ لِلنَّمَامِ  
كَفَانِي نَدَاهُ سُورَى الْيَعْمَلَاتِ  
وَرَاضَتْ عَطَايَاهُ حَظِي الْحَرُونَ  
وَرَفَّتْ غُصُونِي بَعْدَ الدُّبُولِ  
فَبَانَجَمَ سَعْدِي الَّذِي لَا يَغِيبُ  
فَذَاكَ بِحِيلٍ عَلَى مَالِهِ  
بَطِيءُ الْمَسَاعِي عَنِ الْمَكْرُمَاتِ  
إِذَا عَقَدَتْ كَفُّهُ مَوْعِدًا  
يَرُدُّ مُؤَمَّلَهُ خَائِبًا  
يُسِرُّ الْعِدَاوَةَ فِي نَفْسِهِ  
يَبْرَأُ فَتَبَرُّ، أَعْضَاوُهُ  
فَخُذْ مِنْ ثَنَائِكَ مَا أَسْتَطِيعُ  
وَدُونَكَ مِنِّي ثَنَاءُ الْوَلِيِّ  
عَرَائِسَ مَا كُنْتُ فِي نَظْمِهَا

لَجَأْتُ إِلَى عَيْصِهِ الْمُؤْتَشِبِ (٣٧)  
وَوَجَّهِي بِجَمَّتِهِ مَا نَضَبِ (٣٨)  
وَجَلَّتْ مَنَاقِبُهُ عَنْ لَقَبِ (٣٩)  
مَتَى شِئْتَ فَأَقْلِعْ وَإِنْ شِئْتَ صُبِ  
وَوَخَدَ الْقِلَاصِ الْمَهَارِي النُّجُبِ (٤٠)  
فَأَصْحَبَ فِي كَفِّهِ وَأَنْجَذَ  
بِهِ وَانْتَسَى الْعُودُ بَعْدَ السَّلْبِ  
وَيَا غَيْثَ أَرْضِي الَّذِي لَا يَغِيبُ  
يَعْدُ الْمَنَاقِبَ جَمْعَ الذَّهَبِ  
سَرِيقُ إِلَيَّ مُوَبِّقَاتِ الرُّتَبِ  
لَوَاهُ وَإِنْ قَالَ قَوْلًا كَذَبُ  
يُرَدِّدُ « وَاسْوَاةَ الْمُتَقَلِّبِ »  
وَشَرُّ الْحَقِيقَةِ مَا يَخْتَقِبُ  
وَفِي صَدْرِهِ جَذْوَةٌ تَلْتَهِبُ  
فَنُطْقِي يُقْصِرُ عَمَّا يَجِبُ  
يُخَلِّصُهُ وَدُعَاءُ الْمُجِيبِ  
يُخَاطِبُ لَيْلٍ وَلَا مُخْتَطِبِ (٤١)

(٣٧) العيص : الشجر الكثير الملتف - المؤتشب : المتجمع المختلط .

(٣٨) جمّة البثرونحوها : ما تراجع من مائها بعد الأخذ منه .

(٣٩) الأريحي : واسع الخلق النشيط إلى المعروف والندى .

(٤٠) اليعملات : جمع يعمله وهي الناقة السريعة - القلوص : جمع القلوص وهي الناقة - المهاري : نوق كريمة تنسب إلى قبيلة مهرة .

(٤١) خاطب ليل أي يسير على غير هدى ، وحاطب ليل أي يتكلم بالغث والسمين أو يعجنى على نفسه لعدم تفقد أمره وكلامه .

مِنَ الْعَرِيَّاتِ لَمَّا يُزَنُّ      وَالِدُهُنَّ وَلَمَّا يَخُصِبُ  
 فَأُضْحَتْ بِهِنَّ صُدُورُ الرُّوَاةِ      مَمْلُوءَةً وَيُطُونُ الْكُتُوبُ  
 وَسِيرَتُهَا فِيكَ تَطْوِي الْبِلَادَ      فَأَيُّ حُزُونٍ فَلَا لَمْ تَجُوبُ (٤٢)  
 وَجَوْدَهَا فِيكَ أَنِّي بِهَا      مُوَالٍ لِمَجْدِكَ لَا مُكْتَسِبُ  
 فَلَا زِلْتَ وَارِثَ عُمَرِ الزَّمَانِ      تُبْلِي نِيَابَ الْبَقَاءِ الْقُشْبُ (٤٣)  
 تُبَشِّرُ مُلْكَكَ أَغْشَاةُ      يَكْثُرُ السِّنِينَ وَمِزَ الْحَقْبُ

\* \* \*

وقال في ذم الزمان :

وَاعْجَبِي وَحَادِثُ الدَّهْرِ كَثِيرُ الْعَجَبِ  
 لَمْ يَتَقِ لِي صُرُوفُهُ فِي لَذَّةٍ مِنْ أَرْبِ  
 قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُ الشَّبَابِ الْمَذْهَبِ  
 وَأَخْلَقْتَ جِدَّةً أَثْوَابِ الشَّبَابِ الْقُشْبِ  
 وَنَفَرَ الْبَيْضُ الدَّمَى بَيَاضُ فَوْدِي الْأَشْيَبِ  
 وَنَجَمَتْ فِي لِمَتِي طَوَالِغُ كَالشُّهْبِ (٤٤)  
 مُؤَذِّنَةٌ أَنْ أَتَوَلَّى بَعْدَهَا عَنْ كَثَبِ  
 وَالطَّالِغُ الشَّارِقُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَغْرِبِ (٤٥)

(٤٢) حُزُونٌ : جمع حَزَنٌ وهو ما غلظ من الأرض - فلا : جمع فلاة ، وهي الصحراء الواسعة .

(٤٣) القُشْبُ : جمع القشيب وهو الجديد النظيف .

(٤٤) اللِّمَّةُ : شعر الرأس المجاور شحمة الأذن .

(٤٥) الشَّارِقُ : الشمس .

آهِ لِعُمْرِي مِنْ يَدَي مُخْتَطِفٍ مُتَّهِبٍ  
 يَنْهَبُهُ كَرُّ اللَّيَالِي وَاخْتِلَافُ الْحَقَبِ  
 هَذَّبَتْنِي دَهْرِي وَمَا دَهْرِي بِأَلْمُهَذَّبِ  
 وَأَطْلَقْتَ الْأَيَّامَ حِدَ مَضْرِبِي  
 يَا سَعَةَ الْأَيَّامِ مَا أَضَيَّقَ فِيكَ مَذْهَبِي  
 وَيَا لَيَالِي أَسْفِرِي بِالْحَظِّ أَوْ فَانْتَقِبِي  
 فَمَا يَلِينُ لِوُثُوقِ الْحَادِثَاتِ مَنْكِبِي  
 وَصَاحِبِ مُضْطَرِبِ الرَّأْيِ غَرِيبِ الْمَذْهَبِ  
 يَتْرُكْنِي مُرَدِّدًا بَيْنَ الرِّضَا وَالْغَضَبِ  
 لَا أَنَا بِالْمُبْعَدِ الْأَقْصَى وَلَا الْمُقْتَرِبِ  
 أَخْدِمُهُ بِالْعُرْيِ وَالْجُوعِ وَطُولِ التَّعَبِ  
 فَيَا لَهَا بَلِيَّةً أَعْدُّهَا فِي النُّوبِ  
 لِي عِنْدَهُ وَرَدٌ ظِمٍ ظَامٍ وَمَرْغَى سَغَبٍ (٤٦)  
 فَلَيْتَهُ إِذْ كَانَ لَا يَسْمَعُ لِي يَسْمَعُ بِي

\* \* \*

وقال أيضا في سنة ٥٥٣ :

أَتَجَزَعُ لِلْفِرَاقِ وَهُمْ جَوَارُ	فَكَيْفَ إِذَا نَأَتْ بِهِمُ السِّدَّيَارُ
وَرُخْتَ وَفِي الْهَوَاجِ مِنْكَ قَلْبٌ	يَسِيرُ مَعَ الرِّكَائِبِ حَيْثُ سَارُوات
وَقُطِّعَتْ الْمَوَائِثُ مِنْ سُلَيْمَى	وَشَطَّ بِهَا وَجِيرَتَهَا الْمَزَارُ

---

(٤٦) الورد : الماء الذي يورد - ظمىء وظامىء : عطشان - سغب : جائع .



وَأَضْحَثْ لَا يَزُورُ لَهَا خِيَالٌ  
فِيَا اللَّهَ مَا تَنَفَّكَ صَبًّا  
تَحِنُّ إِذَا بَدَا بِالْغُورِ وَهَنَا  
سَقَى اللَّهُ الْعَقِيْقَ وَإِنْ شَجْتَنِي  
فِي عُقْدَاتِ ذَاكَ الرَّمْلِ ظَبْيٌ  
يَصِيدُ وَلَا يَصَادُ وَمُقَلَّتْ سَاهُ  
لَهُ خَضِرٌ يَجُولُ الْحَقْبُ فِيهِ  
فَلَا عَظْفٌ لَدَيْهِ وَلَا وَصَالٌ  
فِيَا لَمَيَّاءَ مَنْ لِقَتِيْلٍ شَوْقٍ  
وَدَاءٍ لَا يَصَابُ لَهُ دَوَاءٌ  
أَمِيلُ إِذَا أَذْكَرْتُ هَوَى وَشَوْقًا  
وَأَطْرَبُ وَالْمَشُوقُ لَهُ أَنْشَاءٌ  
وَلَا تَمَّةٌ تَعِيبُ عَلَى فَقْرِي  
وَمَا أَنَا مَنْ يُرَوِّعُهُ اغْتِرَابٌ  
وَلَكِنِّي أَعْدُ لَهَا اللَّيَالِي  
وَلَسْتُ عَلَى الْخَصَاصَةِ مُسْتَكِينًا

عَلَى نَهْيِ الْمُحِبِّ وَلَا يُزَارُ  
يَشُوقُكَ مَنْزِلُ أَقْوَى وَدَارُ (٤٧)  
وَمِيْضُ أَوْ أَضَاءَتْ مِنْهُ نَارُ (٤٨)  
صَبَابَاتٌ إِلَيْهِ وَأَدْكَارُ  
نَقُورٌ مَا أَنْسَتْ بِهِ نَوَارُ (٤٩)  
تُصِيبُ وَلَا يُصَابُ لَدَيْهِ نَارُ  
وَأَزْدَافٌ يَضِيْقُ بِهَا الْإِزَارُ (٥٠)  
وَلَا جَلَدٌ لَدَيَّ وَلَا أَضْطِجَارُ  
مُطَاحٍ فِي الْهَوَى دَمُهُ جَبَّارُ (٥١)  
وَعَانٍ لَا يُفَكُّ لَهُ إِسَارُ  
كَمَا مَالَتْ بِشَارِبِهَا الْعُقَارُ  
إِذَا ذُكِرْتَ لِيَالِيهِ الْقِصَارُ  
إِلَيْكَ فَمَا لِيَّاسُ الْفَقْرِ عَارُ  
وَلَا يَغْتَنِّاقُهُ وَطْنٌ وَدَارُ  
وَعِنْدَ بُلُوغِهَا تَخْلُو الثَّمَارُ  
فَيُعْطِنِي لَدَى الْيُسْرِ الْيَسَارُ (٥٢)

(٤٧) أقوى : خلا .

(٤٨) وهنا أى نحو نصف الليل .

(٤٩) عقدا ت الرمل : المتراكم منه .

(٥٠) الحقب : الحزام .

(٥١) دمه جبار أى هدر ، لا قصاص فيه ولا غرم .

(٥٢) الخصاصة : الفقر والحاجة - يعطينى : يهلكنى .



عَرَفْتُ الدَّهْرَ عَرَفَانَا تَسَاوَى  
أَمَّا لِحَوَامِلِ الْأَمَالِ عِنْدِي  
أَمَّا لِلْبَذْرِ مَا يَنْبُذُ وَلِعَيْنِي  
وَأَمَّا مَلَتْ مَرَابِطُهَا الْمَذَاكِي  
أَمَّا ظَمِئْتُ فَتَشْتَقِي بَنَانِي  
إِذَا لَمْ تَبْغِ مَجْدًا فِي شَبَابٍ  
عَلَامَ تَأْشَفِي إِذْ حُمَّ يَتْنُ  
عَلَى أُنَى وَإِنْ جَرَدْتُ عَزْمًا  
وَجُبْتُ الْأَرْضَ تَلْفُظُنِي الْمَرَامِي  
أَحَاوِلُ مِثْلَ مَجْدِ الدِّينِ جَارًا  
وَأُنْدِي رَاخَةً مِنْهُ وَكَفًّا  
وَأَمْضِي مُقَدَّمًا فِي الرُّوْعِ مِنْهُ  
وَأَرْحَبُ سَاخَةً مِنْهُ وَدَارًا  
تَكْفُلُ أَنْ يُرَى لِلْأَرْضِ جُودًا  
وَأَقْسَمُ أَنْ يُدَمَّ مِنَ اللَّيَالِي  
إِذَا اكْتَحَلْتُ بِهِ الْأَبْصَارُ أَغْضَتْ

بِهِ عِنْدِي ثَرَاءٌ وَافْتِقَارُ  
تَشَاجٍ وَهِيَ مُثْقَلَةٌ عِشَارُ  
مَطَالِغُهُ لَقَدْ طَالَ السِّرَارُ (٥٣)  
أَمَّا سَمِئْتُ حَمَائِلُهَا الشِّفَارُ (٥٤)  
رِقَاقُ الْبَيْضِ وَالْأَسْلُ الْحِرَارُ (٥٥)  
أَتَطْلُبُهُ وَقَدْ شَابَ الْعِذَاوُ  
وَلَا قُزْبُ يُسْرُّ وَلَا جِوَارُ  
وَقَلْبًا لَا يُرَاعُ فَيَسْتَطَارُ  
وَتُنْكِرُنِي السَّبَاسِبُ وَالْقِفَارُ (٥٦)  
بِهِ عِنْدَ الْحَوَادِثِ يُسْتَجَارُ  
وَقَدْ جَمَدَتْ مِنَ السَّنَةِ الْقِطَارُ (٥٧)  
إِذَا الْأَبْطَالُ أَعْجَلَهَا الْفِرَارُ  
إِذَا ضَاقَتْ بِسَاكِنِهَا الدِّيَارُ  
وَمَا كَفَلْتُ بِهِ الشُّحْبُ الْفِرَارُ  
فَمَا يَخْشَى الْخُطُوبَ لَدَيْهِ جَارُ  
وَفِيهَا مِنْ مَهَائِيهِ أَنْكَسَارُ

(٥٣) السراز: آخر الشهر أو ان اختفاء القمر معظم الليل .  
(٥٤) المذاكي: الخيل النجيية - الشفار: جمع شفرة وهي حد السيف .  
(٥٥) الأسل الحرار: الرماح العطشى .  
(٥٦) السباسب: الصحراوات الشاسعة .  
(٥٧) القطار: المطر .

فَيَرْجِعُهَا عَلَى الْأَعْقَابِ حَسْرَى  
يَلِينُ تَوَاضَعًا وَبِهِ اغْتِلَاءٌ  
إِذَا أَمْسَى يُقَاخِرُهُ بِمَجْدٍ  
تَذُبُّ ذَخَائِرُ الْأَمْوَالِ عَنْهُ  
يُسَمِّي ضَلَّةً بِالْمُلْكِ قَوْمٌ  
أَكْفُهُمْ وَإِنْ بَذَلُوا جُمُودٌ  
وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ أَمْسَوْا مُلُوكًا  
جَبِينٌ لَا يُضِيءُ عَلَيْهِ تَاجٌ  
وَكَمْ مِنْ غَارَةٍ شَعْوَاءٍ تُنْسَى  
تَجِيشٌ بِهَا صُدُورُ الْقَوْمِ حَتَّى  
إِذَا حَسَرَ الْكَمَى بِهَا لِشَامَا  
تَكَادُ تَطِيرُ مِنْ دَهْشِ قُلُوبٍ  
تَلْقَاهَا بِرَأْيٍ غَيْرِ نَابٍ  
فَقَادَ صَعَابَهَا وَبِهَا جَمَاحٌ  
أَقَانِدَهَا مُسَوِّمَةٌ عَرَابَا  
أَلَسْتَ مِنَ الَّذِينَ لَهُمْ مَضَاءٌ  
إِذَا شَهِدُوا الْوَعَى فَهُمْ لِيُوثٌ

بِهَذَا ابِ الْجُنُونِ لَهَا عِشَارُ  
وَيُعْرِضُ صَافِحًا وَلَهُ أَقْدَارُ  
طَرِيفُ الْمَجْدِ لَيْسَ لَهُ أَفْتِحَارُ  
وَيَخْذُلُهُ الْخَلِيقَةُ وَالنَّجَارُ (٥٨)  
سِوَاكَ وَذَلِكَ أَسْمٌ مُسْتَعَارُ  
وَأَنْفُسُهُمْ وَإِنْ كَرُّوا صَغَارُ  
وَهُمْ أَهْلُ الْبُضَائِعِ وَالنَّجَارُ  
وَكَفٌّ لَا يَلِيْقُ بِهِ السَّوَارُ  
لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ أَوَارُ (٥٩)  
تَكَادُ تَطِيرُ بَيْنَهُمُ الشَّرَارُ  
غَدَا وَلِشَامَةِ النَّقْعِ الْمُثَارُ  
الْفَوَارِسُ لَوْ يَكُونُ لَهَا مَطَارُ  
وَعَزَمٌ لَا يَقْلُ لَهُ غَرَارُ  
وَأَخْمَدَ نَارَهَا وَلَهَا اسْتِعَارُ  
شَوَارِدَ لَا يُشَقُّ لَهَا غُبَارُ  
إِذَا نَبَتِ الصَّوَارِمُ وَالشِّفَارُ  
وَإِنْ سُلُّوا النَّدَى فَهُمْ بِحَارُ

(٥٨) النجار: الأصل والحسب .

(٥٩) الأوار: حر الشمس والنار .

وَإِنْ ضَنْتَ غَوَادِي الْمُزْنِ صَابُوا  
وَإِنْ أَوْمَوْا إِلَيَّ غَرَضٍ يَعِيدُ  
وَتَبُّتُ فِي أَكْفِهِمُ الْعَوَالِي  
لَهُمْ لُطْفٌ عَلَى الْجَانِي رَحِيبٌ  
وُجُوهٌ كَالشُّمُوسِ لَهَا ضِيَاءٌ  
وَأَخْلَامٌ إِذَا الْأَطْوَادُ طَاشَتْ  
هُمْ النَّجْمُ الَّذِي إِنْ ضَلَّ سَارِ  
يَدُلُّ عَلَيْهِمْ بِبُضِّ السَّجَايَا  
أَبَا الْفَرَجِ اسْتَمِعْ مِنِّي ثَنَاءً  
لَكُمْ نُظِمْتُ قَلَائِدُهُ وَفِيهِ  
يَظَلُّ لَدَى بُيُوتِكُمْ وَيُمَسِّي  
يَسِيرُ إِلَيَّ نَوَالِكُمْ وَفِيهِ  
قَوَافٍ تَسَحَّرُ الْأَلْبَابَ حَتَّى  
هِيَ الْبِكْرُ الْخَصَّانُ يَقْلُ مَهْرًا  
بَقِيَتْ عَلَى الزَّمَانِ بَقَاءً مَلِكٍ  
تَطِيعُكَ فِي تَصَرُّفِهَا اللَّيَالِي  
لَكَ الْعُمُرُ الْمَدِيدُ وَلِلْأَعَادِي

حَيًّا وَإِذَا دَجَى خَطْبُ أَنْارُوا (٦٠)  
أَصَابُوهُ وَإِنْ شَهِدُوا أَغَارُوا  
وَنَزَلْتُ فَوْقَهَا الْبِدْرُ النَّضَارُ (٦١)  
لَهُمْ عُرْفٌ وَفِي الْخَمْرِ الْخُمَارُ  
وَأَخْسَابٌ كَمَا اتَّضَحَ النَّهَارُ  
رَسَتْ وَلَهَا السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ  
هَدَاهُ بُشُورُهُ وَهُمْ الْمَنَارُ  
إِذَا دَلَّتْ عَلَى الْكُرْمَاءِ نَارُ  
لِغَيْرِكَ لَا يُبَاعُ وَلَا يُعَارُ  
عَلَى أَجْيَادٍ غَيْرِكُمْ نَفَارُ  
بِهَا وَلَهُ طَوَافٌ وَأَعْتِمَارُ  
عُدُولٌ عَنْ سِوَاكُمْ وَأَزْوَارُ  
يُخَالُ بِهَا فُتُورٌ وَأَخْوَارُ  
لَهَا غُرُرُ الْمَطَافِيلِ الْبِكَارُ (٦٢)  
يَدُورُ بِأَمْرِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ  
إِلَيْكَ الْحُكْمُ فِيهَا وَالْخِيَارُ  
وَإِنْ رَغِمَتْ أَنْفُسُهُمْ الْبَوَارُ

\* \* \*

(٦٠) غوادي المزن : السحاب يحمل الماء ويمطر غدوة - صابوا : جادوا .  
(٦١) العوالي : الرماح - البدر : أكياس المال تقدم في العطايا - النضار : وهو الذهب .  
(٦٢) الحصان : العفيفة - المطافيل : جمع المطفل ذات الطفل من النوق ، القرية العهد بالتاج .

وقال في عدة فنون مختلفة منها رمي البندق :

حَيَّتْ يَا دَارَ الْهَوَى مِنْ دَارِ  
مُنْقَلَةٍ كَالْإِبِلِ الْعِشَارِ  
عَلَى ثَرَى رُسُومِكَ الْقِفَارِ  
تَصَرَّمَتْ فِيكَ عَلَى إِثَارِ  
أَغْفَرُ فِيهَا اللَّهُمَّ بِالْعُقَارِ  
تَرْمِي مِنَ الْحَبَابِ بِالشَّرَارِ  
كَأَنَّهَا ذَوْبُ النَّضَارِ الْجَارِ  
تَخَالُهَا فِي كَأْسِهَا الْمُدَارِ  
بَاتَ بِهَا الْأَسْمَرُ مِنْ سُمِّارِ  
يُدِيرُ لِحْظًا مُرْهَفَ الْغَرَارِ  
وَهَيْفَ فِي الْخَضِرِ وَاخْتِصَارِ  
رِيقْتُهُ كَالْعَسَلِ الْمُشَارِ  
يَقُلُّ مِنْ حِمَالِهِ أَصْطَبَارِ  
مُشَبَّعَةِ الْخُلُخَالِ وَالسَّوَارِ  
جَلَّتْ عَنِ الْمُحَاقِ وَالسَّرَارِ  
عَلِقَتْهَا فِي حَائَةِ الْخَمَارِ  
مَا لِأَخَى الصَّبَوَةِ وَالْوَقَارِ  
أَقُولُ بِالسُّلَامِ وَالْخِمَارِ

وَلَا عَدَّتْكَ الشُّخْبُ السَّوَارِ (٦٣)  
بَاكِئَةً بِأَذْمُجِ غِزَارِ  
قَرُبَ لَيْلَاتِ هَوَى قِصَارِ  
نِلْتُ بِهَا مَا شِئْتُ مِنْ أَوْطَارِ  
أَشْرَبْتُهَا بِجَذْوَةٍ مِنْ نَارِ  
حَمَرَاءَ أَوْ صَفَرَاءَ كَالدِّينَارِ  
رَقْتُ فَمَا تُذَرُّ بِالْإِبْصَارِ  
إِيْمَاضَ بَرْقٍ فِي الظَّلَامِ سَارِ  
مُطَرِّزَ الْخَدَّيْنِ بِالْعِدَارِ  
ذَا كُحِّلَ فِي الطَّرْفِ وَآخِمْرَارِ  
وَقَامَةٍ قَامَتْ بِهَا أَغْذَارِ  
وَرَدَفُهُ أَثْقَلُ مِنْ أَوْزَارِ (٦٤)  
وَدُمِيَّةٍ قَصِيرَةٍ الزُّنَارِ  
كَأَنَّهَا بَذَرُ السَّمَاءِ السَّارِ  
تُشْرِقُ مِنْ مَطَالِيعِ الْأَزَارِ  
خَلَعْتُ فِي الْحُبِّ بِهَا عِذَارِ  
وَلَمْ أَزَلْ مُنْهَتِكَ الْأَسْتَارِ  
وَالشُّرْبِ فِي الْحَانَاتِ وَالْقِمَارِ

(٦٣) السواري : التي تجيء ليلاً .

(٦٤) المشار : من شار العسل استخرجه من الخلية .



وَأَعَشْتُ الْغُلَمَانَ وَالْجَوَارِي  
مِنْ قَبْلِ أَنْ يُرْتَجَعَ الْعَوَارِي  
أَوْ خِفْتُ مِنْ غَوَائِلِ الْخُمَارِ  
وَكَانَ عَيْنُ الرِّيحِ فِي الْخَسَارِ

\* \* \*

مُسْكِيَّةً أَنْفَاسُهَا مِعْطَارِ  
مِنْ الرِّيَاضِ الْأَنْفِ الْأَبْكَارِ  
بِالسُّنَنِ الْحَوَذَانِ وَالْعَرَارِ  
مِنْ نَرْجِسٍ غَضٍ وَجُلَنَارِ  
فَأَضْبَحَتْ مَوْشِيَّةً الْأَقْطَارِ  
كَأَنَّهَا لَطِيمَةٌ الْعَطَّارِ  
يَسْبِقُهَا جَذُولُ مَاءٍ جَارِ  
صَافٍ مِنَ الْأَقْدَاءِ وَالْأَكْدَارِ  
يُؤْوِجُ لِلنَّوَارِدِ بِالنَّشَرَارِ  
بَاكَرَتْهَا وَلِلْعُلَى أَيْتَكَارِ  
وَجَيْشُهُ قَدْ هَمَّ بِالْفَرَارِ  
وَالطَّيْرُ مَا بَانَ عَنْ الْأَوْكَارِ

أَعِشْ فِي الدُّنْيَا عَلَى اخْتِبَارِ  
وَقَلَّمَا فَكَّرْتُ فِي الْإِغْسَارِ  
أَجُودُ فِي عُسْرِ وَفِي يَسَارِ (٦٥)  
وَرَوْضَةٍ مُؤَنِّقَةٍ الْأَزْهَارِ

وَرِيقَةٍ الْأَغْصَانِ وَالْأَشْجَارِ  
تُنْشِئُ عَلَى صَوْبِ الْحَيَا الْمِذْرَارِ (٦٦)  
نَضْحَكَ عَنْ مَبَاسِمِ النَّوَارِ (٦٧)  
بَاتَ بِهَا جَوْدٌ مِنَ الْأَمْطَارِ  
فِي حُلَلِ الشَّقِيقِ وَالْبَهَارِ  
تَنَفَّسَتْ مِنْ مَنَدَلٍ وَغَارِ (٦٨)  
عَذْبٌ قَرِيبُ الْعَهْدِ بِالْقَطَارِ  
أَرْقُ مِنْ دَمْعِي وَمِنْ أَشْعَارِ  
حَتَّى يَرَى مَا سَاخَ فِي الْقَرَارِ  
وَاللَّيْلُ قَدْ وَلَّى عَلَى الْأَذْبَارِ  
فَعَرَّتْنَا بِالْكَوَاكِبِ الْغَرَارِ  
وَالصُّبْحُ قَدْ آذَنَ بِالْإِنْفَارِ

(٦٥) الخُمار: ما يصيب الشارب من ألم وصداع .

(٦٦) الأنف: التي لم ترع من قبل - الحيا المذرار: المطر الغزير المنصب .

(٦٧) الحواذن والعرار من ريحان البادية .

(٦٨) اللطيمة: وعاء المسك - الندل: عود طيب الرائحة - الغار: شجر برى دائم الخضرة .



بِفَتْيَةٍ غَرِزَوِي أَخْطَارِ  
 قَدْ عُرِفُوا بِالصِّدْقِ فِي الْأَخْبَارِ  
 أَغْلَبَ مَشَاءٍ عَلَى الْأَخْطَارِ  
 أَرْوَعَ لَا يَرْهَبُ غَيْرَ الْعَارِ  
 مُهَذَّبٌ مِنْ كُلِّ عَارٍ عَارِ  
 فَجَلَّلَ الْأَفَاقَ بِالْأَنْوَارِ  
 فِي جَحْفَلٍ مِنْ جَيْشِهَا جَرَّارِ  
 مَلَوْنَاتِ الْقَمِيصِ وَالْأَطْمَارِ  
 مُشْتَهَرٍ كَالْفَارِسِ الْمَغْوَارِ  
 مِنْ أَيْضَاضٍ مِنْهُ وَأَخْمِرَارِ  
 وَأَبْلَقَ مُشَمِّرٍ الْإِزَارِ  
 فِي يَلَمَقٍ مُحَلَّلِ الْأَزَارِ  
 وَنَازِحِ الْأَهْلِ يَعِيدِ الْبَدَارِ  
 كَأَنَّهُ الدِّمَى فِي الْغِيَارِ  
 كَأَنَّمَا شِفَارُهُ مِنْ قَارِ  
 فَخَرَجَتْ لِلرَّغْيِ وَالْإِضْحَارِ  
 عَلَى شَفَا مِنْ جُرْفٍ مِنْهَا

أَمَّا جِدِ أَكْبَارِ أَخْرَارِ  
 وَكُلِّ رَامٍ بَطْلٍ كَرَّارِ  
 كَأَنَّهُ لَيْتُ عَرِيْنِ ضَارِ  
 زَاكِي الْقُرُوعِ طَاهِرِ النَّجَارِ  
 حَتَّى وَرَى زَيْدُ النَّهَارِ السَّوَارِ  
 وَأَقْبَلَتْ عَصَائِبُ الْأَطْيَارِ  
 مُخْتَلِفَاتِ السَّمَاتِ وَالْمَطَارِ  
 مِنْ أَيْضِ كَرْزِمِ الْقَصَّارِ (٦٩)  
 تَخَالُّهُ مِنْ وَضَحِ النَّهَارِ  
 مُؤَلَّفَا مِنْ بَرْدٍ وَتَارِ  
 مِرْزَةُ الْأَخْمَرِ كَالْعُقَارِ (٧٠)  
 أَلْفَ مِنْ لَيْلٍ وَمِنْ نَهَارِ (٧١)  
 جِبْهَتُهُ صَفَرَاءُ كَالدِّينَارِ  
 صَلَّتِ الْجَبِينِ أَسْوَدَ الْعِذَارِ (٧٢)  
 فَسَاقَهُ الْحَيْنُ إِلَى الْمَقْدَارِ  
 مُوقِنَةً يَقْصُرِ الْأَعْمَارِ  
 وَهَاجَنَا شَوْقٌ إِلَى الْبِدَارِ (٧٣)

(٦٩) الأطمار بمعنى الثياب - الرِّزْمُ : جمع الرِّزْمَةِ وهي ما جمع في شيء واحد كرزمة الثياب - الْقَصَّار : الذي يبيض الثياب ويدقها .

(٧٠) الأبلق : ما كان فيه سواد وبياض .

(٧١) اليلمق : القباء وهو ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص ويتمنطق عليه .

(٧٢) صلت : واضح في سعة وبريق .

(٧٣) الجُرْف : شق الوادي إذا حفر الماء في أسفله .

مِلْنَا إِلَى سُخْمٍ كَلَوْنِ الْقَارِ  
 تُحَلُّ عَنْهَا عُقْدُ الْأَسْتَارِ  
 كَأَنَّهَا الْأَسَاوِدُ الضُّوَارِ  
 تُغْزَى إِلَى نَارٍ وَأَى نَارِ  
 نَيْضُهَا فِي ظَلَمِ الْأَسْحَارِ  
 نَعْمَ اخْتِيَارُ الْحَاذِقِ الْمُخْتَارِ  
 لِكِنَّهَا قَبِيحَةُ الْأَنْسَارِ  
 فَإِنَّهَا أَمْضَى مِنَ الشِّفَارِ  
 مُشْتَبِهَاتِ الْقَيْدِ وَالْمَقْدَارِ  
 صِغَارُهَا أَذْهَى مِنَ الْكِبَارِ  
 أَسْرَعُ مِنْ نَوَازِلِ الْأَقْدَارِ  
 هَيْضُ جَنَاحِ النَّاطِرِ الطَّيَّارِ  
 تَغُورُ مِنْ جَوْجُوهٍ فِي غَارِ  
 بَرْحٍ أَلِكُلِّ مُخَصَّدٍ مُغَارِ  
 أَصْفَرُ لَا يُعَابُ بِأَصْفَرَارِ  
 قَدْ عَضِدَتْ يُمْنَاهُ بِالْيَسَارِ  
 يُعْجِلُهَا رَمِيًّا عَنِ الْغَرَارِ

قَدْ ظَهَرَتْ بِالذَّهَبِ النُّضَارِ (٧٤)  
 يُطْلِقُهَا مِنْ رِبْقَةِ الْإِسَارِ  
 مَنُشُوبَةً إِلَى الْقَنَا الْخَطَّارِ (٧٥)  
 لَيْسَ لَهُ فِي الْحَذَقِ مِنْ مُبَارِ  
 أَلَذُّ لِي مِنْ نَعَمِ الْأَوْتَارِ  
 يَرُوقُ حُسْنًا أَعْيُنَ النَّظَّارِ  
 حَذَارٍ مِنْ أَشْهُمِهَا حَذَارِ  
 وَمِنْ صُدُورِ الْأَسَلِ الْجَرَارِ  
 كَأَنَّهَا قُذْفٌ مِنَ الْأَحْجَارِ  
 صَاعِدَةٌ فِي الرَّهَجِ الْمُتَارِ  
 بِمِثْلِهَا مِنْ أَشْهُمِ عَوَارِ  
 تُصْمِيهِ قَبْلَ النَّزْعِ وَالْإِبْدَارِ (٧٦)  
 تَوَلَّجَ الثَّغْلَبِ فِي الْوَجَارِ (٧٧)  
 أَحْكَمَ بِالْإِخْصَافِ وَالْإِمْرَارِ (٧٨)  
 فِي كَفِّ نَفَّاعٍ بِهِ ضَرَارِ  
 فَلَمْ يَزَلْ فِي لُجَجِ الْغَمَارِ  
 رَمِيًّا دَرَاكًا كُلَّهَيْبِ النَّارِ (٧٩)

(٧٤) سُخْمٌ : جمع أسحم وهو الأسود .

(٧٥) الخطار : أى الطعان .

(٧٦) تصميه : تصيبه .

(٧٧) الجؤجؤ : مجتمع رؤوس عظام الصدر - تولَّج : دخول - الوجار : الجحر .

(٧٨) محصد ومغار بمعنى مفتول فتلا محكمًا شديدًا - الإحصاف والإمرار : الإحكام .

(٧٩) دراك : متلاحق متواصل .

أَخْفَى مِنَ الْإِيْمَاءِ بِالْأَشْرَارِ  
 حَوْلَ الرُّمَاءِ أَيْمًا أَنْتَشَارِ  
 فَلَوْ تَرَاهَا فِي السِّدِّ الْمُمَارِ  
 تَفَحَّصُ فِي الْوَعْثِ وَفِي الْخَبَارِ  
 قَدْ رُمِيَتْ بِالذِّلِّ وَالصَّفَارِ  
 حَسِبْتَهَا نَحَائِرَ الْجَزَارِ  
 لَيْسَ لَهُ مِنْ طَالِبٍ بِشَارِ  
 وَبِرْزَةِ نَسَمٍ بِهَا فِخَارِ  
 قَضَيْتُ فِي الرَّمِي بِهَا أَوْطَارِ  
 خَفَرْتُ فِي الطَّيْرِ بِهَا ذِمَارِ  
 وَكُنْتُ لَا أَخْفِرُ حَقَّ الْجَارِ  
 عَلَى خِلَافِ عَادَةِ الزُّوَارِ  
 وَلَا رَعْنَهَا حُرْمَةَ الْجَوَارِ

فَأَنْتَشَرَتْ بِقُذْرَةِ الْجَبَّارِ  
 كَوَقْعَةِ الْكُلَابِ أَوْ ذِي قَارِ (٨٠)  
 خَوَاضِعَ الْأَغْنَاكِ وَالْأَبْصَارِ  
 دَوَامِسِي الْأَطْرَافِ وَالْأَغْشَارِ (٨١)  
 قَلِيلَةَ الْأَغْوَانِ وَالْأَنْصَارِ  
 فَكَمْ أَرْقَنَّا مِنْ دَمِ جُبَّارِ  
 يَا سَفَرَةَ وَافَتْ عَنِ الْأَسْفَارِ  
 مُبَارَكَ الْإِيْرَادِ وَالْإِضْدَارِ  
 وَفُقْتُ بِالْحِذْقِ عَلَى التُّظَارِ  
 وَدَارَهَا قَرِيْبَةً مِنْ دَارِي (٨٢)  
 قَرَّرْتُهَا بِالْحَنْفِ وَالْبَوَارِ  
 فَمَا بَكَتْهَا أَعْيُنُ الْأَوْتَارِ  
 وَعُدْتُ عَالِي الْجَدِّ وَالْمَنَارِ

بِرَنْدِ إِقْبَالِ وَسَعْدِ وَارِي (٨٣)

\* \* \*

(٨٠) الكلاب موضع أوماء كانت عنده وقعة ، وللعرب به يومان مشهوران - يوم ذى قار : من أعظم أيام العرب ، وهولبني شيان انتصروا فيه من العجم .

(٨١) الوعث : المكان السهل تغيب فيه الأقدام أو الطريق العسير - الخبرار : ما لان واسترخى من الأرض وساخت فيه قوائم الدواب .

(٨٢) خفرت ذمارى : نقضته وغدرت ، والذمار : ما ينبغي حياطته والذود عنه .

(٨٣) وارى : متقد ، قد خرجت ناره .

وقال أيضًا :

يَا زَمَنَ الشُّوءِ الَّذِي مَسَّنِي  
صَحْبُهُ قَدْ مَافَمَا سَرَرَنِي  
إِذَا كُلُّوْمُ الْهَمِّ دَاوَيْتُهَا  
وَكُلَّمَا أَغْضَيْتُ عَنْ زَلَّةٍ  
يَخْضَعُ مِنْهُ لِلدَّنَايَا عَلَى  
مَا لَكَ لَا يَنْفَقُ فِي سُوقِ آبْنَا  
فَكَمْ أَدَاجِيهِمْ عَلَى أَنْنِي  
وَرُبَّ مَشَاءٍ عَلَى عِلَّةٍ  
يَحْضُدُنِي النَّاسُ عَلَى مَوْرِدٍ  
وَصَاحِبِ هَمٍّ مَا سَرَّهُ  
إِذَا بَدَتْ مِنْنِي لَهُ هَفْوَةٌ  
لَا بُدْرِكَ الْعَلِيَاءِ إِلَّا قَتْنِي  
وَلَا يَنَالُ الْعِزَّ حَتَّى يُرَى  
فَارْخَلْ مَتْنِي أَنْسَتَ ذُلًّا وَلَا  
فَمَا يَسُومُ الْخَسْفَ إِلَّا هَوَى  
لَا سَلَمَ ثَدَارٌ وَلَا خُلَّةٌ  
يَا دَوْلَةَ مَا نَالَنِي خَيْرُهَا

بِغَمْرَةٍ لَيْسَ لَهَا كَاشِفُ (٨٤)  
سَالِفُ أَيَّامِي وَلَا آلَانِفُ  
عَادَ لَهَا مِنْ جَوْرِه قَارِفُ  
أَغْرَاهُ عَفْوِي بِسِي فَيَسْتَانِفُ  
غُرَّتَهَا الْجَبْهَةُ وَالسَّالِفُ (٨٥)  
نِكَ إِلَّا الْبَهْرَجُ السَّرَائِفُ  
طَبُّ بِأَذْوَانِهِمْ عَارِفُ (٨٦)  
وَهَسُوا إِذَا اسْتَبَيَّتُهُ وَاقِفُ  
مُكَدِّرٍ يَنْزَحُهُ الرَّاشِفُ  
وَهُوَ عَلَى مَا سَاءَنِي عَاكِفُ  
أَغْرَضَ لَا يَغْطِفُهُ عَاطِفُ  
أَبِ عَلَى جَمَلِ الْإِسَى عَارِفُ  
خَابِطٌ لَيْلِ نَوُوءُهُ وَاكِفُ  
يَغْتَاكُكَ التَّالِدُ وَالطَّارِفُ  
أَوْ مَنْزِلُ أَنْتَ بِهِ آلِفُ  
أَنْتَ عَلَى آثَارِهَا تَالِفُ  
وَإِنِّي مِنْ شَرِّهَا خَائِفُ

(٨٤) غمرة : شدة .

(٨٥) السالفة : جانب العنق .

(٨٦) أداجي : أساتر بالعداوة ولا أبديةا .



يَطُوفُ لِلذُّغْرِ بِهَا طَائِفُ  
نَكْبَاءٍ شَرُّ رِيحِهَا عَاصِيفُ (٨٧)

نَاءَتْ صُرُوفُ الدَّغْرِ عَنْهَا فَمَا  
فَأَزُقُوبَ لَهَا إِنْ رَقَدَتْ فِتْنَةً

\* \* \*

وقال يهجو:

تَمَلَّكَ نِسِي جَوْرُهُ وَأَسْتَرْقُ (٨٨)  
وَيْثَسَ الْمَعِيشَةُ وَالْمُرْتَزَقُ  
بَذِيَّ اللِّسَانِ إِذَا مَا نَطَقُ  
إِذَا أَخَذَ اللَّحْمَ يَوْمًا عَرَقُ (٨٩)  
بِرُوحِ نَسِيمِ الصَّبَا الْمُتَشَقُّ  
حَمَى الطَّيْرَ أَنْ يَسْتَظِلَّ الْوَرَقُ  
لِبَاسًا جَدِيدًا وَعِزًّا خَلَقُ (٩٠)  
فَتَقْسِمُ أَنْ حِمَارًا نَهَقُ (٩١)  
وَلَا عِظْفُهُ بِالْمَعَالِي عِيقُ  
غَيْرُ اللَّجَاجِ وَسُوءِ الْخُلُقِ  
وَطَبَّاخُهُ بِكِسَارِ الطَّبَّاقِ  
لِأَمْرِ عَرَى أَوْ مِهْمٍ طَرَقِ  
بِحِفْظِ الْقُدُورِ وَكَيْلِ الْمَرْقِ

أَلَا مُنْصِيفٌ لِي مِنْ ظَالِمٍ  
وَأُضْبِخْتُ مُرْتَزَقًا رَاحَتِيهِ  
قَلِيلُ الصَّوَابِ إِذَا مَا أَزْتَأَى  
كَثِيرُ التَّخَيُّفِ فِي ظَلَمِيهِ  
يَضُنُّ عَلَى النَّاسِ مِنْ بُخْلِهِ  
وَلَوْ كَانَ يَقْدِرُ مِنْ لُؤْمِيهِ  
يُظَاهِرُ لِلنَّاسِ يَوْمَ السَّلَامِ  
وَيَنْعَرُ فِي دَسْتِهِ مُجْلِبًا  
فَلَا عِزُّهُ قَابِلٌ لِلشَّاءِ  
وَلَيْسَ لَهُ مِنْ سَجَايَا الْمُلُوكِ  
يُحَاسِبُ ذَبَاحَهُ بِالْكُبُودِ  
وَإِنْ جِئْتَ يَوْمًا إِلَيَّ بِإِيهِ  
يَقُولُونَ فِي شُغْلٍ شَاغِلٍ

(٨٧) النكباء : ريح .

(٨٨) استرقه : ملكه .

(٨٩) عرق أى أكل ما على العظم من اللحم نهشًا بأسنانه .

(٩٠) الخلق : البالى .

(٩١) ينعر : يصوت ويصيح - دسته : مجلسه - مجلب : يحدث حوله جلبة وهى الصياح والصخب .



لَهُ مَنْظَرٌ هَائِلٌ شَخْصُهُ  
وَوَجْهُهُ إِذَا أَنَا عَايَتْهُ  
تَجِيَّشٌ إِذَا ذَكَرْتُهُ النَّفْسُوسُ  
وَيُكْسِبُهُ ظَلْمُهُ ظُلْمَةً  
فَلَيْتَ دُجَى وَجْهِهِ الْمُدْلَهَمُ  
يُمَدُّ يَدًا قَطُّ مَا أَسْلَفَتْ  
يَدًا أَغْلَقَتْ بَابَ آمَالِنَا

\* \* \*

وقال عقيب الحادثة التي نزلت ببصره :

أُتْرِى تَعُودُ لَنَا كَمَا  
فَتَكُرُّ عَاطِفَةٌ بِوَضْـ  
وَتَضُمُّنَا بَعْدَ النَّوَى  
هَيْهَاتَ صَاحٍ بِشَمَلٍ جِي—  
شَغَبٌ تَصَدَّعَ فَاسْتَطَا  
يَا دِينَ قَلْبِكَ مِنْ ظَبَا  
الْمُخْلِقاتُ كَأَنَّهِنَّ  
صَرَخْنَ بِالْإِعْرَاضِ حِي—  
مَهْلًا فَمَا شَيْئِي بِأَ

تُعَرُّ الْوُجُوهُ بِهِ وَالْخَلْقُ  
تَعَوَّذْتُ مِنْهُ بِرَبِّ الْفَلَسُ  
وَتَبَيُّرًا إِذَا نَظَرْتُهُ الْحَدَقُ  
تُعِيرُ النَّهَارَ سَوَادَ الْغَسَقِ (٩٢)  
مِنْ دَمٍ أَوْدَاجِهِ فِي شَفَقِ (٩٣)  
يَدًا وَفَمَا دَهْرُهُ مَا صَدَقُ  
بِوَدَى لَوْ أَنَّهَا فِي غَلَقِ

سَلَفَتْ لِيَالِي الْأَبْرَقَيْنِ  
لِي وَأَجْنَمَاعٍ مِنْ لُبَيْنِ  
دَارَ لَهُمْ بِالْرَقْمَتَيْنِ  
رَتَكَ الْجَمِيعِ غُرَابُ يَنْ  
رَلَهُ فَوَادُكَ شُغْبَتَيْنِ  
لَا يَرَيْنَ قَضَاءَ دَيْنِ  
خُلِقْنَ مِنْ وَغْدٍ وَمَيْنِ  
نَ رَأَيْنَ وَخَطَ الْعَارِضَيْنِ  
وَلِ غَادِرٍ بَغْدِيدِ رَيْنِ

(٩٢) الغسق : ظلمة الليل .

(٩٣) المدلهم : شديد الظلام - الأوداج : عروق فى العنق .

وَأَغْنَنِي مَغْسُولِ الرُّضَا  
أَمْسِي يُحْيِينِي وَقَدْ  
وَالْأَهْمَامَا مِنْ خَمَرٍ  
فَمُدَامَةً سِخْرِيَّةً  
وَمُدَامَةً كَالْتَّبَرِ تَضَحَّ  
فَالْيَوْمَ يَفْرُقُ إِنْ رَأَى  
أَنَا مِنْ هَوَى لُبِّي وَمِنْ  
وَلَقَدْ نَضَا صَبْغُ الشَّبَابِ  
فَسَقَى الْحَيَا عَهْدَ الصَّبَا  
إِنْ خَالَتْ الْأَيَّامُ يَتَى  
وَتَنَتْ صُدُورَ كَائِبِي  
وَمَضَتْ بِوَفْرِ كَانٍ مِنْ  
أَوْفَلٍ مِنِّي الدَّهْرُ ذَا  
وَرَمَى عَذَائِرَ لَمْتِي أَلَا  
وَأَصْبَحْتُ فِي عَيْنِي أَلْتِي  
عَيْنِ جَنِيَّتْ بِوَرَهَا  
حَالًا مَسْتَشْنِي الْحَا  
إِظْلَامُ عَيْنٍ فِي ضِيَا  
صُبْحٍ وَإِمْسَاءٍ مَعَا  
أَوْرُخْتُ فِي الدُّنْيَا مِنْ

بِجَنِي وَزِدِ الْوَجْتِي  
غَفَلَ الرَّقِيبُ بِقَهْوَتَيْنِ  
عَيْنِي وَخَمَرَةَ رَأْسِ عَيْنِ  
تَزِمِي الْعُقُولَ بِسُكْرَتَيْنِ  
كَفِي قَوَارِيرِ اللَّجْنِ  
مِنِّي يَبَاضُ الْمَفْرِقَيْنِ  
فَوْدَى أَسِيرُ لُبَّاسَتَيْنِ  
وَكَانَ خَيْرَ الصَّبْغَتَيْنِ  
وَعُهُودُهُنَّ بِرَامَتَيْنِ  
مَنْ مَارِي مِنْهَا وَيَتِي  
وَلَوْثَ عَلَى الْعَلِيَاءِ دِينِي  
أَرَبِ الْحَسَانِ وَوَفَرَتَيْنِ  
شُطْبِ رَقِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ  
سَوْدَاءٍ مِنْ شَيْبِ بِشَيْنِ  
كَانَتْ هِيَ الدُّنْيَا بِعَيْنِ  
نُورِ الْعُلُومِ وَأَيَّ عَيْنِ  
دَتْ مِنْهُمَا بِفَجِيعَتَيْنِ  
مَشِيْبِ رَأْسِ مَسْرَمَدَيْنِ  
لَا خَلْفَةَ فَاغْجَبْ لَدَيْنِ  
السَّرَاءِ صَفَرِ الرَّاحَتَيْنِ

فِي بَرْزَخٍ مِنْهَا أَخَا  
 أَشْوَانُ لَا حَاشِيَ وَلَا  
 فَكَأَنِّي لَمْ أَسْعَ مِنْهَا  
 وَكَأَنِّي مُتَعَثٌّ مِنْهَا  
 وَلَيْتَ فَمَا لِي طَالِيَا  
 أَوْ بَيْتٌ شَلُّوا اللَّهَ  
 وَالْأَمْرُ بِالْأَزْزَاءِ وَالنَّكَ  
 أَرْسَى عَلَى غَمْدَانِ وَأَ  
 وَأَبْأَدًا يَبْزَنَ وَأَزْ  
 أَزْدَاهُمْ بِرِمَاحِ خَطْ  
 وَسَطًا عَلَى بَهْرَامِ جُ  
 لَمْ يَذْفَعِ الْخَدَّانَ مَا  
 وَأَنَّاخَ فِي آلِ النَّبِ  
 قَبْدًا بِرُزْءٍ فِي أَبِي  
 الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ  
 الْمُذَلِّينَ إِلَى النَّبِ  
 وَلَرُبَّ أَغْلَبٍ مِنْ أَسْوَ

كَمَدٍ حَلِيفَ كَأَبِي  
 مَيْتٌ كَهَمْزَةٍ بَيْنَ بَيْنِ  
 فِي طَرِيقِي مَرَّتَيْنِ  
 نَظْرَةً أَوْ نَظْرَتَيْنِ  
 أَثَرًا لَهَا مِنْ بَعْدِ عَيْنِ  
 تَمُضُّنِي الْخُطُوبُ بِمَاضِيَيْنِ  
 سَبَاتٍ مَبْسُوطٍ أَلَيْدَيْنِ  
 لِأَبْوَانٍ مِنْهُ بِكَلْكَلَيْنِ  
 دَى ذَا الْكُتْلَا وَذَا رُحَيْنِ (٩٤)  
 بِمَا تُسَبِّنَ إِلَى رُدَيْنِ (٩٥)  
 رَوَّادِ شِيرِ الْعَادِلَيْنِ (٩٦)  
 جَمْعُهُ مِنْ وَرَقٍ وَعَيْنِ  
 فِي مُجَاهِرًا بِرَزِيَّتَيْنِ  
 حَسَنِ وَتَنَّى بِالْحُسَيْنِ  
 مِنَ الْخَيْرَيْنِ الْفَاضِلَيْنِ  
 فِي مُحَمَّدٍ بِقَرَابَتَيْنِ  
 دِخْفِيَّةٍ ذِي لَيْدَتَيْنِ

(٩٤) ذورعين : مَلِكٌ حميري ، ورعيني : حصن باليمن .

(٩٥) تنسب إليه الرماح الدينية .

(٩٦) بهرام جور وأردشير من ملوك الفرس .

غَيْرَانَ جَهَمَ الْوَجْهِ شَنْ (٩٧)  
 طَرَقَتْ حَوَادِثُهُ وَأَيُّ  
 وَلَكُم رَمَى حَيًّا جَمِيعًا  
 وَلَسَوْفَ يَرْقَى كَبْدُهُ  
 وَلَرُبَّمَا نَالَتْ دَوَا  
 وَلَيَذْهَبَنَّ بِسَوْفَةِ الشِّبْ  
 وَلَيَنْسِفَنَّ حَرَّى وَهَضْ  
 وَلَيُلْقِيَنَّ عَلَى أَبَانِ (١٠٠)  
 فَأَخِمِلْ شِدَائِدَهُ عَلَى  
 وَأَطْرَحْ هُمُومًا أَنْتَ مِنْ  
 فَالنَّاسُ فِي كَفِّ الْحَوَا  
 وَأَضْرِلْ مَا طَرَقَتْ بِهِ أ  
 وَأَعْلَمَ بِأَنَّكَ تَسْتَجِدُّ

الْكَفِّ عَنِ السَّاعِدَيْنِ  
 عَ غَايَةِ نُزْدَى وَحَيْنِ  
 شَمْلُهُ بَنَوَى وَيَتْنِ  
 فَيَشِثُ شَمْلَ الْفَرْقَدَيْنِ  
 نُرُهُ مَدَارَ النَّيِّرَيْنِ  
 حَرَّى وَوَذْقِ الْمِرْزَمَيْنِ (٩٨)  
 مَتَالِيعِ الْأَخْشَبَيْنِ (٩٩)  
 رُكْنَهُ وَعَلَى حُيْنِ (١٠١)  
 ظَهَرَ شِدِيدِ الْمَنْكَبَيْنِ  
 هَا الدَّهْرُ فِي تَعَبٍ وَأَيْنِ  
 دِثْ زُبْرَةٍ فِي كَفِّ قَيْنِ  
 لِأَخْدَاتٍ مِنْ صَغَبٍ وَهَيْنِ  
 غَدًا خِلَافَ الْحَالَتَيْنِ



(٩٧) شَنْ : غليظ .

(٩٨) المرزمين : نوءان .

(٩٩) حرَّى وهضب، متالع والأخشبان : أسماء أماكن ببلاد العرب .

(١٠٠) أبان اسم جبل بنجد - وهما أبانان أحمر وأسود .

(١٠١) اسم جبل كانت به غزوة نبوية مشهورة .





## ابن زهر الحفيد

( ٥٠٧ - ٥٩٥ هـ / ١١١٣ - ١١٩٩ م )

هو أبوبكر محمد بن عبد الملك بن زهر الإياديّ الإشبيليّ ، ينتمي إلى أسرة إشبيلية عريقة ، تردّدت فيها المراتب العالية ، واشتهر معظم أفرادها بالطبّ ، وإن كانت لهم مشاركة في كثير من العلوم الأخرى ، وأخذ ابن زهر الحفيد صناعة الطب عن أبيه وعن جده زهر أبي العلاء بن عبد الملك ، فتفوق منذ شبابه في هذه الصناعة ، وانفرد فيها بالإمامة ، ولم يقاربه أحد من أهل زمانه .

وكان وافر الحظ من الأدب واللغة وحفظ أشعار الجاهليين والمولّدين ، وذكر تلميذه ابن دحية أنه حفظ شعر ذي الرّمة ، وهو ثلث لغة العرب ، وحدّث بمقامات الحريري عن أبيه عن مؤلفها ، وحفظ القرآن الكريم وصحيح البخاري بأسانيده ومتونه ، ودرس مدوّنة سحنون في الفقه ووعى مسائلها .

وخدم ابن زهر بالطبّ دولة الملتئمين في آخر عهدهم ، ثم دولة الموحدّين بنى عبد المؤمن ، وكان يعقوب المنصور بن يوسف سلطان الموحدّين يقربه ويحظيه ، ومن تصانيفه الطبية : « الترياق الخمسيني » ورسالة في طبّ العيون .

وكان ابن زهر أيضاً شاعراً مجيداً ، له موشحات مشهورة ، انفرد بإجادتها ، وفاق بها أهل المغرب على أهل المشرق ، فاحتذاه الأدباء النبهاء وتبعوه ، وقد طار في الآفاق موشحته : « أيها الساقى إليك المشتكى » ، وقد نسبها بعض المصنّفين خطأ إلى ابن المعتزّ .

ومن المصادر التي تحدّثت عنه وعن موشحاته : زاد المسافر لصفوان بن إدريس ، والمعجب لعبد الواحد المراكشي ، والتكملة لابن الأبار ، والمغرب لابن سعيد ، ومعجم الأدباء لياقوت ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، والذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، والوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي ، والعبر للذهبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، ونفح الطيب للمقري .

\*\*\*

قال ابن زهر في تذكارات الأجابة :

يا من يذكّرني بعهد أحبّتي  
أعدّ الحديث علىّ من جنّاته  
ملاً الضلوعَ وفاض عن أحنائها  
ما زال يضرب خافقاً بجناحه

\* \* \*

طاب الحديث بذكرهم ويطيبُ  
إنّ الحديث عن الحبيب حبيب  
قلبٌ إذا ذكر الحبيب يذوبُ  
باليّت شعري ، هل تطير قلوب ؟

في الغزل :

لله ما صنع الغرام بقلبه  
لباه لما أن دعاه وهكذا  
بأبى الذي لا يستطيع لعجبه  
ظبي من الأتراك ما ترك الضنى  
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه  
إما أميلحه وأعذب ريقه  
أو ما أليطف ورده في خده  
كم من خمار دون خمرة ريقه

\* \* \*

أودى به لما ألّم بلبه  
من يدعه داعي الغرام يلبه  
رد السلام وإن شكت فعج به  
ألحاظه من سلوة لمحبه  
في سلبه يوم الغوير فسل به  
وأعزّه وأذلني في حبه  
وأرقه وأشد قسوة قلبه  
وعذاب قلب دون رائق عذبه

يتشوق إلى ولد صغير له تخلفه ياشيلية وهو في مراکش :

ولسى واحداً مثلُ فَرْخ القطا  
نأت عنه داري فيا وخشتي

صغير تخلفت قلبي لديّه (١)  
لذاك الشخِص وذاك الوجِيه

(١) القطا : جمع القطا ، وهي نوع من اليمام .

تَشَوَّقَنِي وَتَشَوَّقْتُهُ      فَيَكِي عَلَيَّ وَأَبْكِي عَلَيْهِ  
وَقَدْ تَعَبَ الشَّوْقُ مَا يَبْتَا      فَمِنْهُ إِلَيَّ وَمَنْ ي إِلَيْهِ

\* \* \*

في طيب العيش :

مَغْنَى خَصِيبٍ وَبَابٌ مُزْبَحٌ أَبَدًا      وَالسَّذْنُ وَالزَّقُّ وَالْإِبْرِيْقُ وَالطَّاسُ  
هَذِي الْخَلَاعَةُ لَا شَيْءَ سَمِعْتُ بِهِ      فَاسْتَغْنِمِ اللَّهْوَانَ الْعَمْرَ أَنْفَاسُ  
وَلِي حَبِيبٌ مَلِيحٌ الدَّلُّ ذُو غَنْجٍ      حَلَوُ الشَّمَائِلِ مَا فِي لَثْمِهِ بَاسُ  
فَإِنْ تَعَذَّرَ أَوْ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ      فَالْكَأْسُ وَالْكَيْسُ وَسَوَاسُ وَخَنَاسُ

\* \* \*

في الخمر :

وَمُوسِدِينَ عَلَى الْأَكْفِ خَدُودَهُمْ      قَدْ غَالَهُمْ نَوْمُ الصَّبَاحِ وَغَالَنِي  
مَا زِلْتُ أَسْقِيهِمْ وَأَشْرَبُ فَضْلَهُمْ      حَتَّى سَكِرْتُ وَنَالَهُمْ مَا نَالَنِي  
وَالْخَمْرُ تَعْرِفُ كَيْفَ تَطْلُبُ ثَارَهَا      إِنِّي أَمَلْتُ إِنَْاءَهَا فَأَمَالَنِي

\* \* \*

وقحط فصل الشتاء عام أربعة وتسعين وخمسمائة ، ثم توالى المطر في فصل الصيف ،  
فكثر الوباء في الناس فقال :

أَيَقْحَطُ مَشْتَانَا وَيَمْطُرُ صَيْقُنَا      لَقَدْ صَارَتِ الْبُؤْسَى بَدِيلًا مِنَ النِّعْمَى  
أَرَى دِيمَةً فِي جَمْرَةِ الْقَيْظِ أَغْدَقَتْ      كَمَا يَعْزِقُ الْمَحْمُومُ مِنْ صَالِبِ الْحُمَى (٢)

(٢) الديمة : المطر يطول زمانه - أغدق : كثر قطره .

لقد جاد صوب المزن فى غير وقته  
وما القطر إلا للصدى إذا انشئ  
كذا تقتضى أعمالنا السوء إننى  
فيا أيها الناس اتقوا الله وافزعوا  
وتوبوا له واستغفروه وأخلصوا  
وأكثر تائبى لنفسى لأننى  
فيا ربنا صفحاً وعفواً ورحمة  
رجوناك لا نرجو سواك وحسبنا

حرمناه درياقاً ونمنحه سما (٣)  
عدوا فلا بقاء ليدى ولا رضى  
لأخشى عقاباً شره يشمل الدُّهما (٤)  
إليه وإلا فاحذروا النعمة العظمى  
لما كان من تفريطكم توبة عزما  
قتلت الذى قد كان من شرها علما  
فقد طالما عودتنا المرفق والحلما  
رجاء وإخلاص نفز بهما قسما

\* \* \*

وقال يندب نفسه حين بلغ التسع والثمانين سنة :

عمر قصير ودنيا كلها غرر  
وكل نفس لها من حتفها رص  
والموت لا بد منه فاستعد له  
فاختر لنفسك ما ترجو النجاة به  
دغ فانيًا والتمس ما لا فناء له  
ولا تغرتك الدنيا وزخرفها  
وهذه الدار دار لا خلاق لها  
والناس منها على خوف وفى غرر

والعيش فى مكد والموت منتظر (٥)  
ليس الفرار بمنجها ولا الحذر (٦)  
وبعده جنة الفردوس أو سقر  
وانظر لها قبل أن يفوتك النظر  
إن كنت تعلم ما تأتى وما تذر  
عن المعاد هناك الشأن والخبر  
وجودها عدم وصفوها كدر  
محبب الناس ذاك الخوف والحذر

(٣) صوب المزن : مطر السحاب - الدرايق : دواء السموم أو الخمر .

(٤) الدُّهم : عامة الناس وسوادهم .

(٥) غرر : خطر وتعريض للهلكة .

(٦) رصد : رقيب .

وهم على غفلة مما له خلقوا  
عموا وصموا عن الأمر المراد بهم  
وما أبرئ نفسي إذ ألومهم  
إنني لأعظمهم جرمًا وأثقلهم  
لكن رجوت وأرجو عفو ذي كرم  
والعمر في كل يوم قطع مَرَحَلَة  
تحدو بنا سائقات غير وانية  
وكلّ ذنب فإن الله يغفره  
جزت الثمانين زادت تسعة كَمَلًا  
يا ويلنا من ذنوب جرّها قدر  
يا ويلنا من ذنوب إن تكن كثرت  
سبحان من هو لا تُحصى محامده

مثل البهائم إلا أنهم بشر  
حتى كأن ما لهم سمع ولا بصر  
فكلّنا وازرّ وساء ما نزر<sup>(٧)</sup>  
حملًا، وما لي من عذر فأعذر  
ورحمة في يديه النفع والضرر  
في إثر مرحلة كأنه سفر  
إلى مصارعنا الأصال والبكر<sup>(٨)</sup>  
إن شاء والشرك ذنب ليس يغفر  
يا ليت شعري ماذا بعد أنتظر<sup>(٩)</sup>  
فلم أطق جرّ شيء جرّه القدر  
فإنها عند ربّ العرش تحتقر  
ولا تُحيط به الأوهام والفكر

في وصف حاله إبان شيخوخته :

إذا ما شاخ إنسان  
وذاك لأنسه أبدا  
ويعزب عقله عنه

فإن وجوده عديم  
زمين ما به سقم<sup>(١٠)</sup>  
ولم يلئم به لمم<sup>(١١)</sup>

(٧) الوازر: الأثيم.

(٨) غير وانية: غير ضعيفة.

(٩) كَمَلًا: كاملة وافية.

(١٠) زمين: مريض.

(١١) يعزب: يبعد ويخفى - يلئم: يأتي ويتزل - اللمم: الجنون أو طرف منه يلئم بالإنسان.



وتصفف أصم تصفف عم  
وترعرعش كَفَّه فيزَلْ  
وتعجزر جلسه عن حمـ  
على المنساة عمدته  
فلا سمع ولا بصر  
ولا عقل يعيش به  
ألا يا معشر الشبـ  
ولكن نال منها الدهـ  
فإن عشتكم كما عشنا  
ويا شبان من لكم  
على هذا مضت في سبـ  
فيا أسفا على عمر

وليس عمى ولا صمـ  
عنها السيف والقلـ  
له فقيامه أـ  
يلوذ بها ويعتصم (١٢)  
ولا كصف ولا قدم  
كذلك يفعل الهرم  
ن كننا أمسين مثلكم  
رما يقيه عندكم  
سينزل ما بنا بكم  
بسبب من لكم  
لها الأيام والأـ  
مضى وكأنه حلم



قال حين شاخ وغلب عليه الشيب :  
إنى نظرت إلى المرأة إذ جُلِيت  
رايتُ فيها شخصاً لستُ أعرفه  
فقلت : « أين الذى بالأمس كان هنا ؟  
فاستضحكت ثم قالت وهى معجبة :  
هوّن عليك فهذا لا بقاء له  
كانت سُلَيْمى تنادى : « يا أخى » فقد

فأنكرت مُقْلَنائى كل ما رأتنا (١٣)  
وكنْتُ أعهدُه من قبل ذاك فتى  
منى تَرَحَّل عن هذا المكان ؟ متى ؟  
« إن الذى أنكرته مُقْلَتَاكَ أنى »  
أما ترى العشب يفتى بعدما نبنا  
صارت سُلَيْمى تنادى اليوم : « يا أبنا !

(١٢) المنساة : العصا الغليظة .

(١٣) جُلِيت : صُفِّيت وكُشِف صدورها - المقلة : العين .

قال وأوصى أن تكتب على قبره :

تأمل بحقك يا واقفا  
تراب الضريح على وجتي  
أداوى الأنسام حذار الحمام  
ولا حظ مكاننا دفننا إليه  
كأننى لم أمش يوماً عليه  
فها أنا قد صرْتُ رهناً لديه

\* \* \*

ومن موشحات ابن زهر:

أيها الساقى إليك المشتكى  
قد دعوناك وإن لم تسمع

\* \* \*

ونديم همت فى غرته  
وبشرب الراح من راحته  
كلما استيقظ من سكرته

جذب الرق إليه واتكأ  
وسقانى أربعا فى أربع

\* \* \*

ما لعينى عشيث بالنظر؟ (١٤)  
أنكرت بعدك ضوء القمر  
وإذا ما شئت فاسمع خبرى

عشيث عيناى من طول البكا  
وبكا بعضى على بعضى معى !

\* \* \*

---

(١٤) عشيث : ماء بصرها .

غُضِنُ بَانٍ مَالٍ مِنْ حَيْثُ اسْتَوَى  
بَاتَ مَنْ يَهْوَاهُ مِنْ فَرَطِ الْجَوَى (١٥)  
خَفِقَ الْأَحْشَاءُ مَوْهُونِ الْقَوَى

كَلَّمَا فَكَّرَ بِالْيَيْنِ بَكَى وَنَحَّه ، يَتَكَى لِمَا لَمْ يَقَعِ !

\* \* \*

لَيْسَ لِي صَبْرٌ وَلَا لِي جَلَدُ  
يَا لَقَوْنِي عَذَلُوا واجْتَهَدُوا  
أَنْكُرُوا شَكْوَايَ مِمَّا أَجِدُ

مِثْلُ حَالِي حَقُّهُ أَنْ يُشْتَكَى كَمَدُ الْيَأْسِ وَذُلُّ الطَّمَعِ

\* \* \*

كَبِدِي حَرَّى وَدَمْعِي يَكْفُ (١٦)  
يَعْرِفُ الذَّنْبَ وَلَا يَعْتَرِفُ  
أَيُّهَا الْمُعْرِضُ عَمَّا أَصِفُ

قَدْ نَمَا حُبُّكَ عِنْدِي وَزَكَا لَا تَقُلْ فِي الْحَبِّ إِنِّي مُدَّعٍ (١٧)

\* \* \*

---

(١٥) استوى : استقام - الجوى : الحزن الشديد .  
(١٦) كبِد حَرَّى : يابسة من الحزن - يكف : يسيل .  
(١٧) زكا : نما .

وله أيضًا هذه الموشحة :

ما للموَلِّه مِن سُكره لا      يُقيِّقُ بِإِلهه سُكرانُ (١٨)  
مِن غيرِ خمرٍ ما للكثير      المشوقُ يندب الأوطانُ

\* \* \*

هل تستعاذُ أيامُنَا بالخليجِ وليالينا  
أويستفادُ مِنَ النسيمِ الأريجِ مسكُ دارينا (١٩)  
أوهل يكادُ حسنُ المكانِ البهيجِ أن يُحيِّنا  
روضُ أظْلَمَ دوحٍ عليه أنيقُ مورقُ الأفنانِ  
والماءُ يجري وعائمٌ وغريقٌ مِن جَنَى الرياحانِ

\* \* \*

أوهل أديب	يُحيى لنا بالفُروس	ما كانَ أخلَى
مع الحبيب	وصافياتِ الكؤوس	فاسقنى وأملا
عيشٌ بطيب	ومَنزَلةٌ كالعروس	عندما تُجَلَى
عيشٌ لعلَّه	يعودُ منه فريقُ	كالذى قد كانَ
أضغاثُ فِكْرٍ	تحدُّوبه وتسوقُ	هذه الألحانُ (٢٠)

\* \* \*

---

(١٨) الموَلِّه : الذى حيَّره الوجد أو الحزن وأذهب عقله .  
(١٩) الأريج : الذى انتشرت رائحته الطيبة - دارين : بلد بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند ، ويباع بها ؛  
فصار ينسب إليها .  
(٢٠) الأضغاث من الفكر : الملتبس المضطرب .

يا صاحبيِّا	إلى متى تعذلانى	أقصرأ شيئا (٢١)
قدِمتُ حيَّا	والمبتلى بالغوانى	ميتُ حيَّا
جنسى عليَّا	عذبُ اللَّمى والمعانى	عاطرُ رِيَّا
هلالُ كلِّه	غزالُ أنيسٍ يفوق	سائر الغزلان
يا ليت شعرى	هل لى إليه طريق	أوالى السلوان ؟

\* \* \*

ومن موشحاته :

سَلِّمِ الأَمْرَ للقضا      فهو للنفس أنفعُ  
واغتنم حين أقبلا \* وجهه بـدِرِ تهَلِّلا \* لا تُثْقِلْ بالهموم لا (٢٢)  
كُلُّ ما فات وانقضى      ليس بالحُزْنِ يرجعُ  
واصطبغ بـابِيتَةِ الكُروم \* من يَدَى شادِنِ رَخيِم \* حين يفتَرُّ عن نَظِيم  
فيه برقٌ قد أومضا      ورحيقٌ مشعشع (٢٣)  
أنا أفديه من رشا \* أهيفُ القَدَّ والحشا \* سُقى الحسنَ فانتشى  
مذ تولى وأعرضا      فـقـوَادى يُقَطِّعُ  
من لصبِّ غدا مشوق \* ظلٌّ فى دمعهِ فـريق \* حين أموا حمى العقيق  
واستقلُّوا بـذى الغضا      أسفى يوم ودّعوا (٢٤)  
ما ترى حين أظعنا \* وسرى الركبُ مَوْهِنَا \* واكتسى الليل بالسَّنا  
نورهم ذا الذى أضأ      أم مع الركبِ يُوشعُ (٢٥)

\* \* \*

(٢١) تعذل : تلوم - أقصر عن الشيء : كفّ ونزع عنه .  
(٢٢) تهَلَّل : تَلَّأ .  
(٢٣) يفتَرُّ عن نظيم : يتسم فيظهر ثغره الذى يشبه اللؤلؤ المنظوم - رحيق : خمر - مشعشع : ممزوج بالماء .  
(٢٤) أموا : قصدوا - استقلوا : مضوا وارتحلوا .  
(٢٥) قوله « أظعن » لعله يريد به « ظعن » بمعنى سار وارتحل ، وأظعته : سَيرَه - الموهن : نحو من نصف الليل ، أو بعد ساعة منه - يوشع بن نون : هو النبی الذى أمر الشمس ألا تغيب حتى يتمكن من هزيمة أعدائه .



ومن موشحاته :

يا صاحِبِيَّ - نداءً مغتبطٍ - بصاحب  
لله ما يلقاه من فقدِ الحباب  
قلبٌ أحاط به الهوى من كل جانب  
أَيَّ - قلبٍ - هائمٍ لا يستفيق من اللّواح

أنحى على رشدى وأعدمنى صلاحى (٢٦)  
نفرّثنى الأبصارَ عن نُّورِ الأقاح  
يُسْقَى بمختلطين - من مسكٍ وراح  
كالجَبَابِ - العائمِ فى صفحةِ الماءِ القَرّاح (٢٧)

من لى به - بدرًا تجلّى فى الظلام  
عُلِقْتُ من وَجَنَاتِه بدرَ التمام  
وعِلِقْتُ من أعطافه لَدُنَ القوام (٢٨)

كالقُضيبِ - الناعمِ - لم يستطع حَمْلُ الوِشاح  
يا من أعانقه - بأحناء الضلوع  
وأقيمُه بدلًا منَ القلبِ الصَّديع (٢٩)  
أنا للغرامِ وأنتَ للحسنِ البديع

---

(٢٦) اللواحي : اللائمون - أنحى عليه : أقبل ، يقال : أنحى عليه بالضرب أو باللوم .  
(٢٧) الجباب : الفقايع على وجه الماء ، يشبه بها الثغر - القراح : الخالص .  
(٢٨) يقال : علقها أى تمكّن حبها من قلبه ، ويقال أيضا : علقَ بالتشديد والبناء للمجهول « فلان امرأة  
أى أحبها .  
(٢٩) الصديع : المكسور أو المشقوق .

وكلام السلائم - شىء يمر مع الرياح  
حملتنى فى الحب ما لا يستطيع  
وَجَدَا يُرَاعُ بِذِكْرِهِ مَنْ لَا يُرَاعُ  
ولأنت أجورُ من له أمر مطاع  
ومع أنك ظالم - أنته مناي واقتراحى  
\* \* \*

وقال :

حَيَّ الوجوه الملاحا وحى نُجَلَّ العيون (٣٠)  
هل فى الهوى كم جناح  
أوفى نديهم وراح  
رام النصيحُ صلاحى  
وكيف أرجو صلاحا بين الهوى والمجون  
أبكى العيون البواكى  
تَذَكَرُ أخت السَّمَاءِ (٣١)  
حتى حمام الأراك  
بكى شجونى وناحا على فروع الغصون  
ألقى إليها زمامه  
صبَّ يدارى غرامه  
ولا يطيقُ اكتبامه  
غدا بشوقٍ وراحا ما بين شتى الفنون

---

(٣٠) نجل : جمع نجلاء وهى المتسعة العين .

(٣١) السماء : نجم فى السماء ، وصفها بهذا لرفعتها وسموها وبعدها .

يا غائباً لا يغيبُ  
 أنت البعيدُ القريبُ  
 كم تشكيكُ القلوب  
 أنختهن جراحاً      فاترك سهام الجفون (٣٢)  
 يا راحلاً لم يُودَّع  
 رحلت بالأنيس أجمع  
 والفجر يُعطى ويمنع  
 مرّت عيناك الملاحا      سحراً فما ودَّعوني

\* \* \*

وقال :

شمسٌ قارنت بدرا      راحٌ ونديم  
 أذراً كـؤُس الخمير  
 عبقريّة النشـر  
 إن الكـون ذو بشر  
 وقد درّع النهرا      هبوبُ النسيم  
 وسلّـت على الأفق  
 يدُ الغرب والشرق  
 سيوفاً من البرق

---

(٣٢) أنخن في الأمرأى بالغ فيه ، وأنختهن جراحا بمعنى جرحتهن حتى ضعفن من أثر الجروح .

وقد أضحك الزهرا بكاء الغيوم

ألا إن لى مولى

تحكم واستولى

أما أنه لولا

دمع يفضح السرا لكنك كتموم

أنى لى كتمان

ودمعى طوفان

شبت فيه نيران

فمن أبصرا الجمرا فى لى يعوم

إذا لامنى فيه

من رأى تجنيه

شدوت أغنيه

لعل له عذرا وأنت تلوم

## العماد الأصبهاني

( ٥١٩ - ٥٩٧ هـ / ١١٢٥ - ١٢٠١ م )

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله بن علي ، ولد بأصبهان ، وقدم بغداد وهو في العشرين من عمره ، والتحق بالمدرسة النظامية ، وتلقى الحديث والفقه وغيرهما من معارف عصره عن أساتذتها ، مثل : سعيد بن محمد الرزاز وأبي بكر الأشقر وعلي ابن عبد السلام وابن خيرون .

عاد إلى أصبهان سنة ٥٥٢ ، وأخذ العلم عن بعض علمائها ، ثم غادرها مرة أخرى إلى بغداد ، حيث اشتغل بصناعة الكتابة ، وقد مكّنه ذلك من أن يتّصل بالوزير ابن هبيرة ، فولّاه النظر بالبصرة ثم . واسط ، وتوفّي هذا الوزير سنة ٥٦٠ ، فترك العماد بغداد ورحل إلى دمشق سنة ٥٦٢ ، واستقبله قاضي قضاتها محمد بن الشهرزوري أحسن استقبال ، وأوصله إلى السلطان نور الدين الذي أعجب بعلمه وأدبه ، فبعث به رسولا إلى الخليفة المستنجد ببغداد ، وفوّض إليه سنة ٥٦٧ التدريس في المدرسة النورية ، وسماها من أجله تكريماً له « المدرسة العمادية » ، وولّاه رئاسة ديوان الإنشاء .

وتوفّي نور الدين سنة ٥٦٩ ، فخلفه ابنه الملك الصالح ، ولم تكن علاقته بالعماد طيبة ، فرحل حين دخلها صلاح الدين الأيوبي فاتحاً ، ومدحه بأشعار كثيرة أشاد فيها بشجاعته وبلائه في الجهاد المقدّس ضدّ الصليبيين وأثنى على نبلة وعدالته وحسن معاملته لرعيته .

وتوفّي صلاح الدين سنة ٥٨٩ فكتب من بعده لابنه نور الدين حاكم دمشق ، وأعفى من عمله حين استوزر ضياء الدين بن الأثير ، فلزم بيته وتفرّغ للتأليف والتصنيف ، إلى أن توفّي .

ومن مؤلفاته : « خريدة القصر وجريدة العصر » في عشرة مجلدات ، ويشتمل على تراجم لشعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس في الفترة ما بين ٥٠٠ - ٥٧٠ وكتاب « البرق الشامى » في سبعة مجلدات تحدّث فيه عن حياته منذ انتقاله من العراق إلى دمشق ، وفي أثناء خدمته لنور الدين وصلاح الدين وفتوحاتهما ، وكتاب « الفتح القسى



فى الفتح القدسى « ويقع فى مجلّد كبير ومعظم موادّه تاريخيّة يصف فيها فتح صلاح الدين لبيت المقدس ، وكتاب « السيل على الذيل » فى ثلاث مجلدات ، جعله ذيلًا على ذيل ابن السمعانى على تاريخ بغداد للخطيب البغدادى ، وكتاب « نصرة الفترة وعصرة الفطرة » وهو فى أخبار الدولة السلجوقية ووزرائها ، وقد اختصره الفتح بن على البندارى فى جزء سمّاه : « تاريخ دولة آل سلجوق » ، وكتاب « نحلة الرحلة » وصف فيه رحلته إلى مصر واختلال الأحوال بعد وفاة صلاح الدين .

وللعماد ديوان شعرىّ ورسائل ديوانيّة كثيرة ، أجاد فيها ، كما أجاد الكتابة بالفارسيّة ، فصار نداءً للقاضى الفاضل أشهر كاتب فى عصره .

\* \* \*

قال العماد الأصفهاني في مدح صلاح الدين الأيوبي ، وقد استهل هذه المدحة بالتعبير  
عن شوقه إلى دمشق وأهلها حين تركهم ورحل إلى مصر :

هَجَرْتُكُمْ لَا عَنْ مَلَالٍ وَلَا غَدِرٍ      وَلَكِنْ لِمَقْدُورٍ أُتِيحَ مِنَ الْأَمْرِ  
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي أَنْ يُتَاحَ فِرَاقُكُمْ      وَمَنْ يَعْلَمُ الْأَمْرَ الْمَقْدَرُ أَوْ يَذَرِي ؟  
وَأَعْلَمُ أَنِّي مُخْطِئٌ فِي فِرَاقِكُمْ      وَعُذْرِي فِي ذَنْبِي ، وَذَنْبِي فِي عُذْرِي  
أَرَى نُوبًا لِلدَّهْرِ تُخَصِّي وَمَا أَرَى      أَشَدَّ مِنَ الْهَجْرَانِ فِي نُوبِ الدَّهْرِ  
بَعِثْنِي إِلَى لُقْيَا سِوَاكُمْ غِشَاوَةٌ      وَسَمْعِي إِلَى نَجْوَى سِوَاكُمْ لَذُوقَرٍ<sup>(١)</sup>  
وَقَلْبِي وَصَدْرِي فَارْقَانِي لِبُعْدِكُمْ      فَلَا صَدْرَ فِي قَلْبِي ، وَلَا قَلْبَ فِي صَدْرِي  
وَإِنِّي عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي تَعَاهَدُونَهُ      وَسِرِّي لَكُمْ سِرِّي ، وَجَهْرِي لَكُمْ جَهْرِي  
تَجَرَّعْتُ صِرْفَ الْهَمِّ مِنْ كَأْسِ شَوْقِكُمْ      فَهَا أَنَا فِي صَخْوَى نَزِيفٍ مِنَ الشُّكْرِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِنَّ زَمَانًا لَيْسَ يَغْمُرُ مَوْطِنِي      بِسُكْنَاكُمْ فِيهِ فَلَيْسَ مِنَ الْعُمَرِ  
وَأُقْسِمُ لَوْ يَقْسِمُ الْبَيْنُ بَيْنَنَا      جَوَى الْهَمِّ مَا أَمْسَيْتُ مُنْقَسِمَ الْفِكْرِ  
أَسِيرٌ عَلَى مِضَرٍ وَقَلْبِي أَسِيرُكُمْ      وَمِنْ عَجَبِ أَسْرِي ، وَقَلْبِي فِي أَسْرِ  
أَخْلَايَ قَدْ شَطَّ الْمَزَارُ فَأَرْسَلُوا      الْخِيَالَ ، وَزُورُوا فِي الْكَرَى ، وَارْبَحُوا أَجْرِي  
تَذَكَّرْتُ أَخْبَابِي بِجُلُوقِ بَعْدِ مَا      تَرَحَّلْتُ ، وَالْمَشْتَاقُ يَأْنِسُ بِالذِّكْرِ  
أَخْلَايَ فَقَرَى فِي التَّنَائِي إِلَيْكُمْ      بِحَقِّ غِنَاكُمْ بِالتَّدَانِي أَرْحَمُوا فَقَرَى

(١) الوقر: الثقل في الأذن أو الصمم .

(٢) نزيف : ذاهب العقل .

### ومنها فى وصف المنازل :

ولما قَصَدْنَا مِنْ دِمَشْقٍ غِبَاغِبًا  
نَزَلْنَا بِصَحْرَاءِ الْفَقِيعِ وَغُودِرَتْ  
وَنَهْنَهَتْ بِالْفُؤَارِ فَوْرَ مَدَامَعِ  
سَرَيْنَا إِلَى الزَّرْقَاءِ مِنْهَا وَمَنْ يُصِيبُ  
أَعَادَتْكَ يَا زَرْقَاءَ حَمْرَاءَ أَذْمَعِ  
وَسُودُ هُمُومِ سَوْدَتْ بِيضَ أَرْمَنِ  
أَيَا لَيْلُ زِدْ مَا شِئْتَ طُولًا وَظُلْمَةً  
تَذَكَّرْتُ حَمَامَ الْقَصِيرِ وَأَهْلَهُ  
وَرَدْنَا مِنَ الزَّيْتُونِ حَسْمَى وَأَيْلَةَ  
عَشِينَا الْغَوَاشَى وَهَى يَابِسَةُ الثَّرَى  
وَضَنَّ عَلَيْنَا بِالنَّدَى ثَمْدُ الْحَصَى  
فَقُلْتُ اشْرَحِ بِالْخَمْسِ صَدْرًا مَطِيئِي

وَبِثْنَا مِنَ الشُّوقِ الْمِمِضُّ عَلَى الْجَمْرِ (٣)  
فَوَاقِعُ مِنَ قَيْضِ الْمَدَامِعِ فِي الْغُدْرِ (٤)  
فَقَاضَتْ وَبَاحَتْ بِالْمَكْتَمِ مِنْ سِرِّي (٥)  
أَوْمَأَ يَسْرَحَتِي الْوَرْدَ أَوْ يَسْرَ (٦)  
فَقَدْ مَزَجَتْ زُرْقَ الْمَوَارِدِ بِالْحُمْرِ  
فِيَوْمِ بِلَانُورٍ، وَلَيْلَى بِلَا فَجْرِ  
فَقَدْ أَذْهَبَتْ مِنْكَ السَّنَا ظُلْمَةُ الْهَجْرِ  
وَقَدْ جُرْتُ بِالْحَمَامِ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ (٧)  
وَلَمْ نَسْتَرْخِ حَتَّى صَدَرْنَا إِلَى صَدْرِ (٨)  
بَعِيدَةٍ عَهْدِ الْقَطْرِ بِالْعَهْدِ وَالْقَطْرِ (٩)  
وَمَنْ يَرْتَجِي رِيًّا مِنَ الثَّمَدِ النَّزْرِ (١٠)  
بَصَدْرٍ وَإِلَّا جَادَكَ النِّيلُ لِلْعَشْرِ

(٣) غباغب : قرية فى نواحي دمشق بينهما ستة فراسخ - الممض : المؤلم المحزن .  
(٤) لم نجد لهذه الصحراء ذكر فيما بين أيدينا من مراجع وواضح من الشعر أنها فى الطريق إلى شرق الأردن -  
الغدر : جمع غدير ، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل .  
(٥) نهنت : كفت وزجرت - الفوار : اسم ماء .  
(٦) الزرقاء : نهر بشرق الأردن - أوام : عطش .  
(٧) القصير : غيضة بالقرب من دمشق .  
(٨) الزيتون : جبل بالقدس - حسمى : موضع بين منازل عذرة والعقبة - أيلة : العقبة الآن - صدر : قلعة  
فى الطريق من العقبة إلى مصر .  
(٩) الغواشى : بعض منازل لعذرة - العهد : الزمان ، والعهد : المطر الأول - القطر ، بضم القاف : الناحية ،  
وبالفتح : المطر .  
(١٠) الثمد : أرض قريبة من مدائن صالح .

رَأَيْنَا بِهَا عَيْنَ الْمَوَاسَاةِ أَتْنَا  
وَمَا جَسَرَتْ عَيْنِي عَلَى قَيْضِ عَبْرَةٍ  
وَمِلْتُ إِلَى أَرْضِ السَّادِيرِ وَجَنَّةِ  
وَجُبْنَا الْفَلَاحِ حَتَّى أَتَيْنَا مَبَارِكَا  
وَلَمَّا بَدَا الْفُسْطَاطُ بَشَّرَتْ نَاقَتِي  
وَلَمْ أَنْسَ يَوْمَ الْبَيْنِ بِالْمَرْجِ نَشْرَنَا  
وَقَدْ أَقْبَلْتُ نَعْمًا وَأَتْرَابَهَا كَمَا  
وَقَفْنَا وَحَادِينَا يَحُكُّ وَنَاقَتِي  
وَكُلُّ بَنَانٍ فَوْقَ سَنٍّ لِنَادُو  
وَبِيعَ فَوَادِي فِي مُنَادَاةِ شَوْقِهِمْ  
بَكَتْ أُمُّ عَمْرٍو مِنْ وَشِيكِ تَرَحُّلِي  
تَقُولُ إِلَى مَصْرِ تَسِيرُ! تَعَجَّبْنَا  
تُبَدُّ فِي سَهْلٍ مِنَ الْعَيْشِ شَمْلَنَا  
فَقُلْ أَيَّمَا عُزْفٍ حَدَاكَ عَلَى النَّوَى؟  
وَمَنْ فَارَقَ الْأَحْبَابَ مُسْتَبَدِّلًا بِهِمْ

إِلَى عَيْنِ مُوسَى تَبْدُلُ الزَّادَ لِلسَّفَرِ (١١)  
أَكْفَكِفْهَا حَتَّى عَبَرْنَا عَلَى الْجَسْرِ (١٢)  
هَنَالِكَ مِنْ طَلْحٍ نَضِيدٍ وَمِنْ سِذْرِ (١٣)  
عَلَى بَرَكَةِ الْجَبِّ الْمَبْشَرِ بِالْقَصْرِ (١٤)  
بِمَنْ يَتَلَقَّى الْوَفْدَ بِالْوَفْرِ وَالْبِشْرِ  
مَطَاوِي سِرْفَى الْهَوَى أَرْجَ النَّشْرِ  
تَطْلُعُ بِذُرِّ الثَّمِّ فِي الْأَنْجُمِ الزُّهْرِ  
تَزُمُّ وَلَا حِينًا لِمَغْرَمِنَا مُغْرِ (١٥)  
وَكُلُّ يَدٍ فَوْقَ الثَّرِيَّةِ وَالنَّخْرِ (١٦)  
فُسْمَتُهُمْ أَنْ يَأْخُذُوا الرُّوحَ بِالسَّعْرِ  
فِيَا خَجَلْتَا مِنْ أُمِّ عَمْرٍو وَمِنْ عَمْرٍو  
وَمَا الَّذِي تَبْغَى وَمَنْ لَكَ فِي مَصْرِ؟  
وَتَنْظِمُ سَلَكَ الْعَيْشِ فِي الْمَسَلِكِ الْوَعْرِ؟  
وَمِنْ ضَلَّةٍ أَنْ تَطْلُبَ الْعُرْفَ بِالنُّكْرِ  
سِوَاهُمْ فَقَدْ بَاعَ الْمَرَابِيعَ بِالْخُسْرِ

(١١) عين موسى : عين بواد كثير الزيتون بالقرب من بتراء .

(١٢) الجسر : مدينة القلزم وكانت تقع بالقرب من السويس الآن .

(١٣) السدير : أول ما يلقى القادم من الشام إلى مصر من جنات وزروع - الطلح : شجر الموز - السدر : شجر النبق .

(١٤) بركة الجب : هي الآن قرية في مديرية القليوبية تسمى البركة ، وهي شرقي المرج - القصر : قصر السلطان صلاح الدين وكان قصر الفاطميين قبله .

(١٥) حاديننا : الحادي الذي يسوق الإبل بالحذاء - تزم : ترفع رأسها لتهم بالسير - لا حينا : لا ثمنا .

(١٦) يقال : قرع فلان سته ندماً أي صكها - الثرية : موضع القلادة في الصدر .

فقلتُ : مَلَاذَى الناصرُ الملكُ الذى  
 فقالت : أقيم لا تَعْدَمِ الخيرَ عندنا  
 فقالت : صلاح الدين ؟ قلت : هو الذى  
 يُقِى بِرجوعِ يَضْمَنُ الله نُجْحَهُ  
 وإنَّ صلاح الدين إن راح مُعَدَمٌ  
 نَعَزُّ بِأفضالِ العزيزِ وَفَضْلِهِ  
 عَظِيمُهُ قد ضاعفت مُنَّةَ الرَّجَا  
 وماذا يَحُدُّ المَذْحُ منه فإنما

حصلتُ بِجَذَواه على المُلْكِ والنصرِ (١٧)  
 فقلت : وهل تُغْنِى السَّوَاقِى عن البَحرِ  
 به صارَ فَضْلِي عَالِىَ الحِظِّ والقَدْرِ  
 ولا تَقْنَطِى أن تُبَدِّلَ العسرَ بِاليُسْرِ  
 إليه غَدًا من قَيْضِ نَائِلِهِ مُشْرِى  
 ونَحْسِبُ نَفْعًا كُلَّ ما مَسَّ من ضُرٍّ  
 وَمِنْهُ قد أَضَعَفَتْ مُنَّةَ الشُّكْرِ (١٨)  
 مناقِبُهُ جَلَّتْ عن الحَدِّ والحَصْرِ

وقال فى مدح الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي سنة خمس وستين وخمسمائة ،  
 واستهلها بالغزل :

يَروُقُنِى فى المَها مُهَفِّهَها  
 ومن عُيونِ الظِّباءِ أَفْتَرُها  
 ما سَقَمِى غيرُ سُقَمِ أَعْيَها  
 يُسَكِّرُنِى قَرَقَفٌ يُشَغِّعُها  
 يا ضَعْفَ قلبى من أَعْيَنِ نُجَلِ  
 ومن عِذارِ كَأَنَّهُ حَلَقُ

وَمِنْ قُدُودِ الحِسانِ أَهْيُها (١٩)  
 ومن خُصُورِ المِلاحِ أَنحَفُها  
 ثُمَّ شِفائِى الشِّفاءُ أَرشُفُها  
 لحِظُّ الطَّلَا لا الطَّلَا وَقَرَقَها (٢٠)  
 أَقْتَلُها بِالْقُلُوبِ أَضَعَفُها  
 أَحْكَمَ فى سَرْدِهِ مَضَعُها (٢١)

(١٧) جدواه : عطيته .

(١٨) المُنَّة ، بالضم : القوة ، وبالكسر : النعمة .

(١٩) المها : جمع المهاة ، وهى البقرة الوحشية ، تشبه بها المرأة فى سعة العينين - المهفّف والأهيف : كلاهما بمعنى دقيق الخصر ضامر البطن .

(٢٠) القرقف : الخمر - الطلا ، بكسر الطاء : الخمر ، وبفتحها : ولد الظبية .

(٢١) السرد : الخرز فى أديم وهو هنا يشبه العذار بحلق أحكم خرزها .



وَمِنْ خُذُودِ حُمُرٍ مُورَدَةٍ  
 فِي سَلْبِ لُبَى تَلَطَّفَتْ فَأَتَى  
 بِمَا مُنْكَرًا مِنْ هَوَى بُلَيْثُ بِهِ  
 دَغِ سِرٍّ وَجَدَى فَمَا أَبْجَحَ بِهِ  
 وَاصْرَفَ كُؤُوسَ الْمَلَامِ عَنْ فِتْنَةٍ  
 مِنْ شَرَفِ الْحَبِّ حَلٌّ فِي مُهْجٍ  
 لَا يَسْتَطِيبُ السُّلُوءَ مُغْرَمُهَا  
 فَالْقَلْبُ فِي لَوْعَةٍ أَعَالِجُهَا  
 كَأَنَّ قَلْبِي وَحُبَّ مَالِكُةٍ  
 هَذَا بَسَلِبِ الْفُؤَادِ يَظْلِمُنِي  
 الْمَلِكُ النَّاصِرُ الَّذِي أَبَدًا  
 بَعْدَ ذَلِكَ وَالصَّلَاحِ يَعْمُرُهَا  
 وَإِنَّ مِضْرًا بِمَلِكٍ يَوْسُفُهَا  
 وَإِنَّهُ فِي السَّمَاحِ حَاتِمُهَا  
 كَمْ أَمَلٍ بِالنَّدَى يُحَقِّقُهُ  
 وَلَيْسَ يُؤَلِّيكَ وَغَدَ عَارِفَةٍ

أَذَوَمَهَا لِلْحِيَاءِ أَطْرَفُهَا  
 نَخْوَى بِخَطِّ الصَّبَا مُلَطَّفُهَا (٢٢)  
 عَاقِلَةٌ مَا يَكَادُ يَغْرِفُهَا  
 وَخَلَّ حَالِي فَلَسْتُ أَكْشِفُهَا  
 عَنْ شِرْعَةِ الْحَبِّ لَسْتُ تَضْرِفُهَا  
 أَقْبَلُهَا لِلْعَرَامِ أَشْرَفُهَا (٢٣)  
 وَلَا يَلْذُ الشَّفَاءُ مُدْنِفُهَا  
 وَالْعَيْنُ فِي عَبْرَةٍ أَكْفَكِفُهَا (٢٤)  
 مِضْرُوفُهَا الْمَلِكُ يُوسُفُهَا  
 وَهُوَ يَقْتُلُ الْأَعْدَاءَ يُنْصِفُهَا  
 بِعِزِّ سُلْطَانِهِ يُشَرِّفُهَا  
 وَبِالنَّدَى وَالْجَمِيلِ يَكْتَفُهَا  
 جَنَّةُ خُلْدٍ يَرُوقُ زُخْرُفُهَا  
 وَإِنَّهُ فِي الْوَقَارِ أَحْتَفُهَا (٢٥)  
 وَمُنِيَّةٍ بِالنَّجَاحِ يُسَعِفُهَا  
 إِلَّا وَعِنْدَ النَّجَازِ يُضْعِفُهَا (٢٦)

(٢٢) الصبا : الصبوة إلى الحبيب والغرام .

(٢٣) شرف البناء : أعاليه ، وقد عاد يتحدث عن هواه .

(٢٤) المدنف : الذي يراه المرضى حتى أشرف على الموت - إكفكف الدمع : أمسحه مرة بعد مرة ليجف .

(٢٥) حاتمها : إشارة إلى حاتم طيء جواد العرب المشهور - أحنفها : هو الأحنف بن قيس زعيم تميم في

الإسلام وأحملها وأحكمها .

(٢٦) العارقة : الصنعة والمعروف .

حَكَمَ فِي مَالِهِ الْعُقَاةَ فَمَا  
وإنَّ شَمْلَ اللَّهِائِ يُقَرِّقُهُ  
ذو شَرَفٍ مَكْرُمَاتُهُ سَرَفٌ  
وَعَزْمَةٌ بِالْهَدَى تَكْفُلُهَا  
يوسفُ مصرَ التي مَلاحِمِهَا  
كُتِبَ التَّوَارِيخُ لَا يُزَيِّنُهَا  
وَمَنْ يَمِيرُ الْعُقَاةَ فِي سَنَةٍ  
آيَاتُ دِينِ الْإِلَهِ ظَاهِرَةٌ

يَنْقُذُ فِيهِ إِلَّا تَصَرَّفُهَا  
لَمَكْرُمَاتٍ لَهُ يُؤَلِّفُهَا (٢٧)  
وَيَسْتَحِقُّ الثَّنَاءَ مُسَرِّفُهَا  
وَهِمَّةٌ لِلْعُلَى تَكْلِفُهَا  
جَاءَتْ بِأَوْصَافِهِ تُعَرِّفُهَا  
إِلَّا بِأَوْصَافِهِ مُصَنِّفُهَا  
أَسْمَنُهَا لِلجَّذُوبِ أَغْجَفُهَا (٢٨)  
فِيكَ وَيُثْنِي عَلَيْكَ مُصَحِّفُهَا

ومنها قوله مشيداً بشجاعته في الجهاد ضد الصليبيين :

كَمْ جَحْفَلٍ بِالْعَرَاءِ ذِي لَجَبٍ  
كَالْبَحْرِ طَامَى الْعُبَابِ لَاعِبَةٌ  
كَتِيَّةٌ مُتَضَيِّئٌ مُهَنَّدُهَا  
غَادَرَتْهَا لِلنُّسُورِ مَأْكَلَةٌ  
مُتَّصِفًا مِنْ رَعْوٍ طَاعَتِيَّةٍ  
وَحُطَّتْ دِمِيَاطٌ إِذْ أَحَاطَ بِهَا  
لَاقَتْ غَوَاةَ الْفِرْنَجِ خَيْتُهَا

بِالصَّفِّ مِنْهُ يَضِيقُ صَفْصَفُهَا  
بِمَوْجِهِ لِلرَّيَّاحِ أَغْصَفُهَا  
إِلَى الرَّدَى مُشْرِعٌ مُثَقَّفُهَا (٢٩)  
حَيْثُ بِأَشْلَانِهَا تُضَيِّقُهَا  
بِيَاتِرَاتِ الظُّبَا تُنْصَفُهَا  
مَنْ بِسَرْجُومِ الْبَلَاءِ يَقْذِفُهَا (٣٠)  
فَزَادَ مِنْ حَسْرَةٍ تَأْسَفُهَا

(٢٧) اللها : جمع لهوة وهي العطية .

(٢٨) يميز : يأتي بالميرة وهي الطعام - سنة : جذب وقحط .

(٢٩) الصفصف : المستوى من الأرض - طامى العباب : مرتفع الموج غزير الماء - المهند : السيف المثقف :

الرمح .

(٣٠) يشير إلى نزول الفرنج دمياط سنة خمس وستين وخمسائة ومقاومة صلاح الدين لهم حتى رحلوا عنها بعد

خمسین يوماً - الرجوم : جمع الرجم ، وهو ما يرمم به من حجارة وغيرها .

فَرَّ فَرِيرُهَا وَأَزْعَجَهَا  
 يُمَطِّرُ مَطَرَانُهَا الْعَذَابَ كَمَا  
 تَكْسِرُ صُلْبَانَهَا وَتَنْكِسُهَا  
 أَوْرَدَتْ قُلُوبَ الْقُلُوبِ أَزْشِيَةً  
 وَلَيْتَهَا سَفَكَهَا ، فَعَامِلُهَا  
 تَعَسَّفَتْ نَحْوَكَ الطَّرِيقَ فَمَا  
 وَحَسِبُهَا فِي الْعَمَى تَهَاوَتْهَا  
 يُمَضِّي لَكَ اللَّهُ فِي قِتَالِهِمْ  
 إِنْ أَظْلَمْتَ سُذْفَةً أَنْزَلْتَ لَهَا  
 بِشَائِرُ السَّيِّئِينَ فِي إِزَالَتِهِ  
 أَدْرَكْتَ مَا أَغْجَزَ الْمُلُوكَ وَقَدْ  
 جَاوَزْتَ غَايَاتِ كُلِّ مَنَقِبَةٍ  
 وَإِنَّ طُرُقَ الْعَلَاءِ وَاضِحَةٌ  
 صَلَاحُ دِينِ الْهُدَى لَقَدْ سَعِدَتْ  
 عِنْدِي بِشُكْرِ النُّعْمَى ثِمَارُ يَدٍ  
 فَاقْبَلْ نُقُودًا مِنْ الْفَضَائِلِ لَا

نَدَاءَ دَاوِيَهَا تَلَهْفُهَا (٣١)  
 يُزْدِي بِهِدُ السُّقُوفِ أَشَقُّهَا  
 لِقَضْمِ أَضْلَابِهَا وَتَقْصِفُهَا  
 مِنْ الْقَنَا لِلدَّمَاءِ تَنْزِفُهَا (٣٢)  
 عَامِلُهَا وَالسَّنَانُ مُشْرِفُهَا (٣٣)  
 أَجْدَى سِوَى هُلَاكِهَا تَعَسَّفُهَا  
 بَلْ لِسِهَامِ الرَّدَى تَهْدِفُهَا  
 عَزِيمَةٌ لِلْجَهَادِ تُزْهِفُهَا  
 أَبْهَى لِيَالِي الْبُذُورِ مُسَدِّفُهَا (٣٤)  
 مَوَاعِدُ اللَّهِ لَيْسَ يُخْلِفُهَا  
 بَاتَ إِلَى بَعْضِهِ تَشَوُّفُهَا (٣٥)  
 يِعْزِزُ إِلَّا عَلَيْكَ مَوْقِفُهَا  
 آمِنُهَا فِي السُّلُوكِ أَخْوَفُهَا  
 مَمْلُوكَةٌ بِالصَّلَاحِ تُنْحَفُهَا  
 زَاكِيَةُ الْفَرَسِ أَنْتَ تَقْطِفُهَا  
 يُصَابُ إِلَّا لَدَيْكَ مَضْرِفُهَا

(٣١) الداوية : فرقة من فرسان الصليبيين ، وتسمى أيضًا باسم الهيكلين Templars وهي جمعية تأسست سنة ١١١٨ م من بضعة أشراف من الفرنسيين الذين صحبوا جودفري إلى القدس ، وكانت جمعية أخوية رهبانية عسكرية . وكذلك الفريرية جمعية أخوية رهبانية من جمعيات الصليبيين ، وهي تطلق على فرق كثيرة .  
 (٣٢) القلب : جمع قلب ، وهو البئر - والأرشية : الجبال ، جمع رشاء .  
 (٣٣) عامل الرمح : صدره ، والعامل : الوالي - مشرف الشيء : الذي يعلوه ، والمشرف أيضًا : القائم على الأمر .  
 (٣٤) السدقة : الظلمة .  
 (٣٥) التشوف : التناول والتطلع .

أَصْدَافُ دُرِّي إِلَيْكَ أَخْمِلُهَا  
 إِنْ لَمْ تُصِخْ لِي فَهَذِهِ دُرِّي  
 وَهَلْ لَأَمَالِنَا سِوَى مَلِكٍ  
 دُنْيَا مِنَ الْفَضْلِ قَدْ خَلَتْ وَبَدَا  
 وَكُلَّ سُوقٍ لِلْفَضْلِ كَاسِدَةٌ  
 وَهَلْ يَزُوجُ الرَّجَاءُ فِي نَفْسٍ  
 قَدْ عَطَفَتْ لِي فَضَائِلِي وَوَفَّتْ  
 وَفَضْلِي الشَّمْسُ فِي مَطَالِعِهَا  
 قَدْ أَغْرَبَتْ فِيكَ بِالثَّنَا كَلِمِي  
 أَسَدِي لَنَا شِيرْكُوهُ عَارِفَةٌ  
 أَنْتَ قَمِينٌ بِكُلِّ تَالِدَةٍ  
 وَعَنْ جَمِيعِ الْمُلُوكِ أَصْدِفُهَا (٣٦)  
 لَأَيُّ مَلِكٍ سِوَاكَ أَرْصَفُهَا  
 يَنْقُذُهَا بِسَرَّةٍ وَيُسَلِّفُهَا (٣٧)  
 لِلنَّقْصِ فِي أَهْلِكِ تَعِيقُهَا (٣٨)  
 بِإِنْ لَأَغْدَائِهِ تَحِيقُهَا (٣٩)  
 كُلُّهُمْ فِي الْعُلَا مُزَيَّفُهَا  
 لَكِنْ حُظُوظِي أَغْيَا تَعَطُّفُهَا  
 لَكِنْ جَهْلُ الزَّمَانِ يَكْسِفُهَا  
 وَحَاسِدِي ضَلَّةٌ يُخَرِّفُهَا (٤٠)  
 يَوْسُفُ مِنْ بَعْدِهَا سَيَخْلُفُهَا (٤١)  
 إِنَّكَ يَا ابْنَ الْكِرَامِ تُطْرِفُهَا (٤٢)

ومن مدائحه في صلاح الدين التي استهلها بالحديث عن مجونه مقلداً في ذلك  
 أبا نواس نواس إلى حد بعيد :

سَكَارِنَ بِاللُّخْظِ صَاحِ  
 نَشْوَانٌ مِنْ غَيْرِ رَاحِ  
 بِوَجَنَةِ الْوَرْدِ يَفْتَرِّ  
 عَنْ ثَنَائِهَا الْأَقْاحِ

- 
- (٣٦) أصدافها : أصرفها ، يريد أنه يخص صلاح الدين بها .  
 (٣٧) يسلفها : يعطيها يلفاً ، وهي عكس ينقذها أي يعطيها تَوْأً .  
 (٣٨) تعيقها : من عافت الإبل الماء أي لم تشربه .  
 (٣٩) تحيقها : تنقصها من حافاتنا ونواحيها .  
 (٤٠) أعربت : أفصحت - صلة : من ضلَّ عن الطريق وعن القصد .  
 (٤١) هو أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الذي أرسله نور الدين صاحب الشام إلى مصر حين استعجد به شاور سنة تسع وخمسين وكذلك سنة اثنتين وستين ، ولما استغاثه العاضد آخر الخلفاء الفاطميين بنور الدين ضد الصليبيين أرسله إليه واستمر بمصر وقتل شاور وولى الوزارة للعاضد من بعده سنة أربع وستين ، ولم تطل مدته فقد توفي بعد شهرين ، وخلفه ابن أخيه صلاح الدين ولم يلبث أن أزال الخلافة الفاطمية .  
 (٤٢) قمين : جدير - التاليد : القديم الأصلي الموروث - تطرفها أي تأتيها بكل عجيب مستحدث طريف .



وقامة الغُصْنِ يَهْتَزُّ  
 وعارضِ المِسْكِ مثل الـ  
 نَمِّ العِذارُ عليه  
 وَرْدُ الحَيَاءِ جَنِيٌّ  
 والريق كالراح شَجَّتْ  
 مِنْ كَأْسٍ فِيهِ اغْتَبَاقِي  
 وفي الأمورِ اختِسامِي  
 أَهْوَى طُلُوعَ صَبَاحِي  
 وَلِثَمِ أَخْوَزِ أَخْوَى  
 ورى قلبى الصَّدى من  
 وَفَشَتْنِي مِنْ عِيُونِ  
 يا صاحِ إِنِّي نَزِيفٌ  
 وَبَرْحُ وَجْدِي مُقِيمٌ  
 دَغْنِي فَمَا أَنْتَ يَوْمًا  
 وَمَا أَطَفْتُ غِرَامِي  
 وَفِي الحَيْبِ وَتَمَثَّ

فِي مَرَّاحِ المُرَّاحِ  
 مساءً فَوْقَ الصَّبَاحِ (٤٣)  
 فَتَمَّ فِيهِ افْتِضَاحِي  
 فِي ذَلِكَ التَّفَاحِ  
 بِعَذْبِ مَاءِ قَرَّاحِ (٤٤)  
 مُنْعَمًا وَاصْطَبَاحِي  
 عَلَى اسْمِهِ وَافْتِاحِي  
 عَلَى وَجْهِهِ صَبَاحِ  
 وَضَمَّ رُودِ رَدَّاحِ  
 عِنَاقِ ظَامِي الْوَشَاحِ (٤٥)  
 حُورِ مِرَاضِ صِحَّاحِ  
 سُكْرًا وَإِنْكَ صَاحِ  
 فَمَالَهُ مِنْ بَرَّاحِ  
 مُؤَاخَذُ بَعْجَنَاحِ  
 حَتَّى عَصَيْتُ اللَّوَّاحِي (٤٦)  
 بِوَضْلِهِ أَفْرَاحِي

(٤٣) المراح ، بالفتح : شدة الفرح أو النشاط ، وبالضم : مكان السرور - العراض : صفحة الخد .  
 (٤٤) الجنى : على وزن فعيل الناضج - الماء القراح : الماء الصافي الخالي من كل شائبة .  
 (٤٥) الأحوى : ذو الشفة الحمراء إلى السواد ، والأحوي أيضًا : الأسود - الرود : الشابة الحسنة - رداح : ضخمة كينة - ضلنى الوشاح : ناكل الوشاح .  
 (٤٦) اللواحي : اللاحي ، وهو اللائم .



وزاد قذحى ودارث	بمُنْتِى أَقْداحى (٤٧)
أَعْطَى الْكُؤُوسَ مَلَاءً	عَلَى أَكْفِ الْمَلَحِ
وَرُضْتُ بِالصَّبْرِ دَهْرِي	وَكُنَّ صَغَبَ الْجَمَاحِ
قَدْ اسْتَقَرَّتْ أُمُورِي	فِيهِ بِحَسْبِ اقْتِرَاحِي
كَمَا اسْتَقَرَّ صِلَاحُ الْـ	دُنْيَا بِمُلْكِ الصَّلَاحِ
تُنِيرُ شَمْسُ مَسَاعِيـ	بِهِ مِنْ سَمَاءِ الصَّبَاحِ
وَأَمْرُهُ مُسْتَفْصَادُ	مِنْ الْقَضَاءِ الْمَتَاحِ
ذُو الْمَفْخَرِ الْمُتَعَالِي	وَالنَّائِلِ الْمُشْتَمَاحِ (٤٨)
وَلِلْحَقِيقَةِ حَاسِمِ	وَاللَّذْنِيَّةِ مَاحِ
غَيْثُ السَّمَاحَةِ طُودِ الْـ	وَقَارِ لَيْثِ الْكِفَاحِ
ضِدْرُ بَجْدَوَاهِ صَدْرِي	مُذْ لَمْ يَزَلْ فِي انْشِرَاحِ
مَنْ قَذَحَ زَنْدَ الْأَمَانِي	بِهِ وَقُودُ الْقِدَاحِ
أَمَلْتُهُ لِمُلَمَّسِي	فَلَاحَ وَجْهَ فَلَاحِي
أَمَّا نَابِلُهُاءُ الْـ	أَجْسَامِ بِالْأَزْوَاحِ
نَدَى كَرِيمِ حَيٍّ	وَبِأَسْ ذِمْرِ وَقَاحِ
يَقْدِيكَ أَهْلُ اجْتِرَاءِ	عَلَى رُكُوبِ اجْتِرَاحِ (٤٩)
بِالْمَالِ غَيْرِ كِرَامِ	بِالْعَرَضِ غَيْرِ شَحَاحِ
رَأَيْتَ صَوْنَ الْمَعَالِي	فِي بَذْلِ مَالِ مُبَاحِ
إِنْ طَالَ لَيْلُ مُلَمِّ	وَاقَيْتُ بِالْإِضْبَاحِ

(٤٧) القذح : السهم ،

(٤٩) الذمر : الشجاع - يقال هو وقَّاح الذَّنْبِ بمعنى صبور على الركوب - الاجترع : الاكتساب .

ومنها :

جِدًّا بَغْيَرِ مَزَاحٍ (٥٠)	مُلَيْتَ يَوْسُفَ مَصْرَا
عِزًّا بَغْيَرِ انْتِزَاحٍ	مُلْكَا بَغْيَرِ انْتِزَاحٍ
بِالْخَصْرِ عِيَّ الْفِصَاحِ	يَا مَنْ أَيَادِيهِ تُبْدِي
مُبَشِّرِ النَّجَاحِ	وَمَنْ مُرَجَّيْ نِدَاةِ
وَمَجْدُهُ فِي انْتِضَاحِ	عَدُوِّهِ فِي انْتِضَاحِ

ومنها :

كَ عَنْ وَلَاءِ ضُحْرَاحِ	صَرِيحُ مَذْحِي لَعَلِّيَا
كَ مُطْلَقَاتِ السَّرَاحِ	يَقْنِدُ شُكْرِي عَطَايَا

(٥٠) ملّيت : متعت .



## أبو حفص السلمي

( ٥٣٠ - ٦٠٣ هـ / ١١٣٦ - ١٢٠٦ م )

هو القاضي أبو حفص عمر بن القاضى أبى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله ابن عمر السلمي . أصله من جزيرة شقر ، وولد بأغمات ، وسكن مدينة فاس .

روى عن جده لأمه أبى محمد بن عبد الله اللخمي ، وعن أبى مروان بن مرة ، وأخذ عن أبى بكر بن طاهر كتاب سيويه ، وكان من أهل المعرفة واليقين ، أديبا شاعرا مجيدا ، غلب عليه الأدب ، حتى عرف به وشهر ، مع جودة الخط ، وبراعة الأدوات .

دولى قضاء تلمسان . ثم نقل إلى قضاء فاس ، ونال قضاء إشبيلية وغيرها ، ونال دنيا عريضة .

توفى بإشبيلية فجأة فى الخامس من ربيع الأول سنة ثلاث وستمائة ، ومولده فى حدود الثلاثين وخمسمائة ، وفى تاريخ مولده ووفاته خلاف .

\* \* \*

قال أبو حفص السلمى يمدح أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الموحدى :

اللهُ حُسْبُكَ والسَّبْعُ الحَوَامِيمُ	تغزو بها سبعة وهى الأقاليمُ (١)
سَبْعُ المَثَانِي التى لله قمت بها	عليك من نصرها نصٌّ وتقديم (٢)
وأنت بالسور السبع الطَّوال على	كل الوَزَى حاكم بالله محكوم (٣)
والدَّهر سَبْعَتُهُ وسبعة جعلت	جواد مالك والمنصور مخدوم
وسبعة الشَّهب لم تخفل بها ثقة	بوعد ربك هيهات التناجيمُ (٤)
تسمو بنفس على السَّبْع الشَّداد سمث	فينا وثمَّ لها زُلْفَى وتكريم (٥)
أنوار عدلك فى الآفاق داعية	هل فى البسيطة ظلام ومظلوم (٦)
أعلى بك الله أعلاما هديت بها	فأنت فيهنَّ إكمال وتتميم
عليك أهل الهدى والحق متفق	وحبل من فارق الإجماع مصروم (٧)

ومنها أيضا :

فؤاده بضياء العلم منشرح	ووجهه بجمال النور موسوم
وكفُّه بالخير منهم مر	وظهرها لعهود الله ملثوم

---

(١) السبع الحواميم : يريد السور ذوات « حم » فى القرآن الكريم - كان أهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم .  
(٢) سبع المثاني : قيل هى الفاتحة لأنها سبع آيات .  
(٣) السور الطوال : من البقرة إلى التوبة ، على أن تحسب التوبة والأنفال سورة واحدة .  
(٤) سبعة الشهب هى النجوم المعروفة بالدرارى .  
(٥) قال تعالى : « وبيننا فوقكم سبعا شدادا » - سورة النبأ ١٢  
(٦) البسيطة : الأرض .  
(٧) مصروم : مقطوع .



العلم قيمته والحلم شيمته  
لطالبي العلم ما شاءوا بخدمته  
سُحب العلوم عليهم من سماحته  
العَيْنُ مَنْ نَظَرَ والأذن مَنْ خَبَرَ  
يُغْضِي أناءةً وحلماً علماله  
تشتد فيمن عصى أو خان وطأته  
إرادةٌ فوق إدراك العقول لها  
حتى إذا ما بدا منها النجاح بدت  
انظر خواتمها تفهم مبادئها  
والحظ سماء غلاها عبرةً وكفى  
إنَّ الخليفة سِرُّ الله ظاهراً  
فسلّموا واخلموا الآراء واتبعوا  
الشرق والغرب من عُرب ومن عَجَم  
والبحر والبر من سهل ومن جبَل

طابت أرومته والنفس والخيم<sup>(٨)</sup>  
غَنَى وعز وإرشاد وتعليم  
تَهْمِي فقى بحرهما هِم شُرْع هِيم<sup>(٩)</sup>  
لا تشبّعان وباغى العلم منهوم<sup>(١٠)</sup>  
فى موضع الحق إقدام وتصميم  
وفى الثّقاف لذات الزيف تقويم<sup>(١١)</sup>  
فحسبها منه إيماء وتسليم  
كالشمس ما دونها فى الجوتغيم  
بالشرح ما ليس بالمفهوم مفهوم  
من يشرق سمعها بالشهب مرجوم<sup>(١٢)</sup>  
آبائه وهو عند الله معلوم  
حكم الإمام فما فى الدين تحكيم  
فى كفه عُودهم بالقبض معجوم  
جميعها بزمام الراي مخطوم<sup>(١٣)</sup>

(٨) شيمته : خلقه - أرومته : أصله .  
(٩) شُرْع : يتناولون الماء بأفواههم - هيم : جمع أهيم وهو العطشان أشد العطش .  
(١٠) باغى : طالب - منهوم : مولع مفرط فى الرغبة فيه .  
(١١) الثّقاف : المخاصمة والمجادلة .  
(١٢) قال تعالى : « إِنْ آمَنَ امْتَرَقَ السَّمْعُ فَاتَّبِعْهُ شَهِابٌ مُبِينٌ » - سورة الحجر ١٨  
(١٣) معجوم : ممتحن مختبر - مخطوم : عليه الخطام أو الزمام .

ومنها أيضا :

وكل جَدٍ مُفَادٍ من علائكَ مِنْ  
للمسلمين أمير المؤمنين حمى  
الدهرُ في أنفه من حكمه بُرَّةُ  
العلم والدين والدنيا وساكنها  
جزاء سعيك عند الله مُدْخَرُ  
عظما على حُسن أمداحي وإن عجزت  
ما علقوا الورأوا هذا قفا وألا  
إذا لقال لرواية عليقمة :  
يا سامعين أماديح الإمام ألا  
خذ كأس لفظي دهاقا من مدائحه  
ندعوله بدلا من مدحه لقصور  
عز الإمام فلا تضرب به مثلا  
أعطى الورى فضل ما أعطاه خالقه  
صل بالصلاة عليه صدق مدحته

نسيمه نفس العلياء مشموم  
يُحله من صروف الدهر تحريم  
بها الزمان على الأبرار مخزوم (١٤)  
فى سلك رأيك يا وُسطاه منظوم  
هذا كتابك فى الأبرار مرقوم (١٥)  
إن الجمال على العلات مرحوم  
هَبى ولوجاءهم حُجروكلثوم (١٦)  
«هل ما علمت وما استودعت مكتوم»؟ (١٧)  
فاجثوا على الركب الإعظام أوقوموا  
فيها الحقائق لا لغو وتأثيم (١٨)  
المدح عنه وفيه العذر معلوم  
من ذا يُقاس به والمثل معدوم  
عليه من ربّه بُشرى وتسليم  
ذاك الرحيق بهذا المسك مختوم (١٩)

(١٤) البرّة : الحلقة فى أنف البعير - مخزوم أى فى جانب منخره الخزامة وهى حلقة من شعر توضع فى ثقب أنف البعير يشد به الزمام .

(١٥) مرقوم : مكتوب مبيّن .

(١٦) قوله « قفا » إشارة إلى معلقة امرئ القيس بن حجر ، الشاعر الجاهلى ، أما « الأهْبى » فهو مطلع معلقة عمرو بن كلثوم .

(١٧) الشطر الثانى مطلع قصيدة لعليقة بن عبدة ، وهى فى المفضليات .

(١٨) دهاق : مترعة ممثلة .

(١٩) الرحيق : الخمر أو الخالص الصافى منها .

ومن غزلياته قوله :

همُ نظروا لواحظها فهاموا  
يخاف الناس مُقلتها يسواها  
سما طرفى إليها وهو بأك  
وأذكر قدها فأنوح شوقا  
وأعقب بينُها فى الصدر غمًا  
وقوله أيضا :

مها القفر لادمية المرمر  
بنفسى يعافيرُ تلك الخيام  
ملاعب يصبو إليها الحكيم  
وفيهما الظباء بنات الأسود  
فخيسُ الهزبر كناسُ الغزال  
تخالسُها نظرا تحته  
وباللحظ يُقدح زئدُ الهوى  
وفى العُرب لافى بنى الأصفر (٢١)  
ومسرحُها فى النقا الأعفر (٢٢)  
ويُسَلِّب فيها فؤادُ الجرى  
غيارى متى بغمست تزار (٢٣)  
به الشبل ناشٍ مع الجؤذر (٢٤)  
غرامٌ به الحى لم يشعر  
فطرفٌ غرٍ وفؤادٌ برى

(٢٠) بينُها : بُغدها وانفصالها - ذكاء : الشمس .

(٢١) الدُمى : جمع الدُمىة وهى الصورة المثلّة ، يضرب بها المثل فى الحسن ، ويكنى بها عن المرأة .

(٢٢) اليعافير : الظباء أو أولاد البقر الوحشى سبق عند ظافر .

(٢٣) بعث الظبية : صوّتت إلى ولدها بألين صوتها .

(٢٤) خيس الهزبر : موضع الأسد - كناس الغزال : مستتر فى الشجر - ناش أى ناشئ - الجؤذر : ولد البقرة الوحشية .

وكفرها بقوله :

بقلبك يا غافلاً فانظر  
إذا أرسل الطرف هام الفؤاد  
وأفة قلب الفتى عينه  
وعينيك غمّضهما تبصر  
وبعض المرائي عمى المبصر  
فإن تزع قلبك لا تنظر

ومن قوله :

أغار على الصّب من أنبه  
نأى القلب عني وشوقي معي  
يحن فؤادي إلى قاتلي  
ترق شمالك من ذاقه  
يجود لمسخطه بالرضا  
إذا شف قلبى غرام الهوى  
هو الحب من يطفئه الهبة  
فلله أمري ما أعجبه !  
كذاك الهوى عند من جربه  
وتلطف شمائل من هدبه (٢٥)  
ويطلب راحة من اتعبه  
دعا بالنعيم لمن عذبه

\* \* \*

---

(٢٥) شمائل : خلق شمال : التي تهب من جهة الشمال .

## أبو الفضل الجلياني الأندلسي

( ٥٣١ - ٦٠٣ هـ / ١١٣٦ - ١٠٢٦ م )

هو عبد المنعم بن عمر الغساني ، ويعرف بالجلياني ، نسبة إلى جليانة ، وهي من أعمال وادي آش ، رحل من الأندلس إلى المشرق ومدح الملك صلاح الدين أبا المظفر يوسف بن أيوب .

ومن قصائده في مدحه : « القدسية الكبرى » في فتح القدس سنة ٥٨٣ ، وهي في ١٥٢ بيتاً ، لم يحتفظ منها أبو شامة في « الروضتين » إلا على ٢٥ بيتاً :

\* \* \*

تَصَارِيفُ دَهْرٍ أَغْرَبَتْ لِمَنِ اهْتَدَى	وَبَسْطَةُ أَمْرِ أَغْرَبَتْ مِنْ تَمَرَّدَا (١)
لِسُرْعَةِ فَتْحِ الْقُدْسِ سِرٌّ مُغْتَبَّبٌ	وَفِي صَرْعَةِ الْإِفْرَنْجِ مُغْتَبَّرَبَدَا
أَتَوْا بِجِبَالِ أُبْرَمَتْ لِإِسَارِنَا	فُسُقْنَاهُمْ فِيهَا قَطِينًا مُجَدَّدَا (٢)
وَسَامُوا تَجَارًا تَشْتَرِينَا غَوَالِيَا	فَبَغْنَاهُمْ بِالرَّخْصِ جَهْرًا عَلَى النَّدَا
وَجَرُّوا جُيُوشًا كَالسُّيُولِ عَلَى الصَّوَى	فَآضَتْ غُثَاءٌ فِي الْبِطَاحِ مُمَدَّدَا (٣)
وَقَالُوا : مَلُوكُ الْأَرْضِ طَوَّعَ قِيَادِنَا	إِذَا الْكُلُّ مِنْهُمْ فِي الْقِيُودِ مَعْبَدَا
وَقَدْ أَقْطَعَ الْكُنَّةُ الْعِرَاقَ مَوْقَعَا	فَأُودِعَ مِجَنَّا وَشَطَّ جَلَّقَ مُؤَصَّدَا (٤)
وَأُقْسِمُ أَنْ يَسْقَى بِدَجْلَةٍ خَيْلَهُ	فَمَا وَرَدَ الْأُرْدُنَ إِلَّا مُصَفَّدَا (٥)

(١) أعربت : أبانت وأفصحت - أغربت : نَحَثٌ وأبعدت .

(٢) أُبْرَمَتْ : فُتِلَتْ - قَطِين : خدام وأتباع .

(٣) الصوى : جمع صُوَّة ، وهي ما ارتفع وغلظ من الأرض - آضت : تحولت إلى - الغشاء : الزبد أو الوسخ والقذر .

(٤) جَلَّقَ : اسم دمشق - مؤصد : مغلق .

(٥) مُصَفَّد : مُقَيَّد .



فكم واثق خجلان قهقهة خضمه  
أتى الكند من إسبان تخمي قمامة  
فما عقد الرايات إلا محللا  
ووقعه يوم التل إذ قبضت به  
عليهم من التلوى سرادق ذلّة  
تري المنسر الديوى يلقى سلام  
يُباعون أسرابا شرائح أخبل  
فتلقى نصارى جلق في ماتم  
ألم تر للسلطان صدق نذره  
وباشره بالقتل وسط جنابه  
وضافت بنفس القمص الأرض مهربا  
وما طرق الأسماع من عهد آدم  
أتوا واديا ما زال ينفي خباثتا  
به جثمت أصحاب الأيك وهى فى  
أرى الله فيه معجز النصر مخلصا  
وأعدى جنود الرعب يردى عداته

ولم سائق عجلان قهقر مقعدا  
فكان تقضى ملكه قبل يُتدا  
ولا حلل الرايات إلا مُعقدا  
جبابرة الإفرنج خيرى وشردا  
ومن زل ماتت نفسه فتقيدا  
وينساق ما بين السبايا ملهدا (٦)  
كشلة عصفور من الريش جردا  
يسرونها إلا شجن وتهدا  
دم الغادر الإبرنس فاقيد أريدا (٧)  
وعاينه الكند المليك فأريدا (٨)  
فأدركه الموت المفاجئ مكمد  
كملة التل التى تلت العدى (٩)  
ويُضفى يعقبي الدار طائفة الهدى (١٠)  
ذراه وذافيه شعيب تأيدا (١١)  
لأمر صلاح الدين فى الناس مخلدا  
وسلم جمع المسلمين مجندا

(٦) ملهد : مستضعف ذليل مدفع عن الأبواب .

(٧) أريد بمعنى محبوب .

(٨) أريد : أصابته رعدة من الفزع .

(٩) تلت : صرعت .

(١٠) يضيف بكذا : يختصه ويؤثره به .

(١١) تأيد : تقوى .

وَمِنْ عَجَبِ خَمْسُونَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ  
عَجَبْتُ مِنَ الْأَيَّامِ تَطْوِي كَمَاثِنَا  
وَكُنْتُ أَرَى ذَا الْفَتْحِ مِنْ قَسَمِ يَوْسُفَ  
وَاللَّهُ يَوْمَ هَلَّ فِيهِهِ وَلَادَهُ  
كَفَى مَطْهَرًا مِنْ طَهْرِ الْقُدُسِ وَاحْتَوَى  
هُوَ الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى وَهُمْ شَوْكَةُ الْوُغَى  
هَنِيئًا لِبَيْتِ الْمُقَدَّسِ الْآنَ طَهَّرَهُ  
فِي خَيْرِ مَمْدُوحٍ وَأَطْهَرَ مُجْتَبَى  
مَدِيحِكَ أَخْلَى فِي فَمِي مِنْ صَبَى الْمَنَى  
وَأَشْهَى سَمَاعًا مِنْ حَدِيثِ حَبَائِبِ  
أَسَامِرِ فَيْكِ الشَّغَرِ مُسْتَمْتَعًا بِهِ  
أَوْدُ لَوْ أَنَّ الْبَيْتَ أَلْفُ قَصِيدَةٍ  
وَكَيْفَ اقْتِصَادٌ فِي مَدَائِحِ يَوْسُفَ  
سَرَى وَهُوَ نَوْرٌ قَاهِرٌ بِلَطَافِهِ  
وَلَوْلَمْ يَلْحَ لِلنَّاسِ مَا عَلِمُوا فَتَى  
فَكُلُّ ابْتِدَاءٍ فِي مَسَاعِيهِ مَتْنَهَى

سَبَّهَمُ جِيوشٌ لَيْسَ فِيهَا مَنْ ارْتَدَى  
إِذَا انْتَشَرَتْ أَغْيَتْ نَجِيئًا وَمُنْجِدًا  
فَلِلَّهِ ذَاكَ الْقَسَمِ مَا كَانَ أَشْعَدَا  
لَقَدْ طَابَ مَوْلُودًا وَبُورِكَ مَوْلِدَا  
بَنَى أَصْفَرَ سَيِّئًا وَقَتْلًا تَعَمَّدَا  
فَمَا كَانَ لَوْلَا اللَّهُ يَخْلُصُ مَعْبِدَا  
وَلِلنَّاصِرِ الْمَنْصُورِ غِبْطُهُ غَدَا  
وَأَسْعَدَ مَمْنُوحٍ وَأَبْهَرَ مُجْتَدَى (١٢)  
وَمِنْ طَعْمِ بَرْدِ الْمَاءِ عَذْبًا عَلَى الصَّدَى (١٣)  
يَذْكُرُهَا عَهْدَ الصَّبَا مُتَجَدِّدَا  
فَأَبْسَطُهُ بَسْطَ الْخَمِيلَةِ فِي النَّدَى  
وَكُلُّ قَصِيدِ أَلْفِ حَزْبٍ تَرَدَّدَا  
وَقَدْ بَدَّ غَايَاتِ السَّوَابِقِ فِي الْمَدَى (١٤)  
وَحَلَّ بِنَا صَوْتُ الْعُلَا فَتَجَسَّدَا  
سَمَا كُلُّ عَالٍ وَهُوَ يَرْتَادُ مَصْعَدَا  
وَكُلُّ انْتِهَاءٍ فِي مَعَالِيهِ مُبْتَدَا

\* \* \*

(١٢) مجتبى : مختار مصطفى - المجتدى : مَنْ يطلب منه الجدوى أى العطية .  
(١٣) الجنى : العسل وكل ما يجنى من الشجر - الصدى العطش الشديد .  
(١٤) بدَّ : غلب وفاق .

ومن شعره :

فأُبَخِّسُ شَيْءَ حِكْمَةٍ عِنْدَ جَاهِلٍ      وَأَهْوَنُ شَخِصٍ فَاضِلٌ عِنْدَ ظَالِمٍ  
فلَوْ زُفَّتِ الحَسَنَاءُ لِلذَّيْبِ كَمْ يَكُنْ      يَرَى قُرْبَهَا إِلَّا لِأَكْلِ المَعَاصِمِ

\* \* \*

وله :

عَجَبًا مِنْ أَخْبَانِنَا وَانْقِيَادِي      طَوْعَهُمْ إِنْ شَفَوْا وَإِنْ أَمَرْتُوْنِي  
مَا رِضَاهُمْ إِلَّا لِسُخْطِ سَوَاهِمِ      فِي هَوَاهِمِ وَحُبِّذَا إِنْ رَضُّوْنِي

\* \* \*

وله :

وَلَهُ أَوْمِلْ لُقْيَاكُمْ وَإِنْ شَطَبَتِ النَّوَى      وَإِنْ جَرَّ قُرْبًا فِي مُرُورِ السَّوَانِحِ  
وَيُذَكِّي اشْتِيَاقِي زَنْدَ تَذَكُّارِ عَهْدِكُمْ      وَمَا الشَّقُّ إِلَّا بَعْضُ نَارِ الْجَوَانِحِ

\* \* \*

## ابن سناء الملك

( ٥٥٠ - ٦٠٨ هـ / ١١٥٥ - ١٢١٢ م )

أبو القاسم القاضي السعيد هبة الله بن القاضي الرشيد جعفر بن المعتمد سناء الملك السعدى .

تضاربت أقوال المؤرخين فى تاريخ ميلاده . فجعله ابن خلكان سنة ٥٥٠ / ١١٥٥ ، والصفدى ٥٤٥ / ١١٥٠ ، ومحمد عبد الحق الهندى ٥٥١ / ١١٥٦ . وتابع أكثر المؤرخين قول ابن خلكان .

أما وفاته فلم يقع خلاف ، وكانت فى يوم الأربعاء ٤ رمضان ٦٠٨ / ١٢١٢ ولما كان من أسرة موسرة ، رفيعة الشأن كما تدل الألقاب التى أغدقت على رجالها ، فقد أتيح له أمران :

أولهما : أن يتلقى علوم الحديث والفقه واللغة والفلك على كبار علماء عصره . بل يدل أحد موشحاته على أنه كان على معرفة باللغة الفارسية أيضا .

الأمر الثانى : أن يعمل - منذ وقت مبكر - مع أبيه ، فى دواوين القاضى الفاضل ، فيجد فيه الراعى الأدبى ، الذى ينقد أعماله ويقومها ، ويشيد بذكره ، ويذيع صيته فى كل مكان ، ويصله بالسلطان صلاح الدين الأيوبى .

فكان - كما علق ابن خلكان - سعيد الحظ ، كما يدل لقبه .

وجمع ابن سناء الملك بين التأليف والكتابة والشعر .

فخلف لنا الآثار التالية :

- روح الحيوان : لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ ، الكاتب الذى كان يعجب به إعجابا شديدا .

- مختارات من شعر ابن رشيق القيروانى مع التعليق عليها . وقد بلغ من إعجاب القاضى الفاضل بها أن طلب إليه يقدم مختارات مماثلة من شعر ابن الرومى ، غير أنه - فيما يبدو - لم يفعل .

- فصوص الفصول وعقود العقول : جعله قسمين :

الأول : لرسائل المؤلف إلى الفاضل وردوده عليها .

والثاني : لرسائل القاضي الفاضل التي كتبها عن الشاعر وأرسلها إلى والده .

- مصايد الشوارد : وضع فيه بعض رسائله .

- دار الطراز : أهم كتب المؤلف ، لأنه كان أول كتاب يسجل قواعد فن التوشيح ، وما

زال إلى اليوم من أهم الكتب في هذا الفن .

- وأعطانا ديوانه الذي حشاه بالمدح والغزل والرثاء والهجاء والوصف ، وتطرق فيه

للفخر والزهد والاعتذار والاستعطاف والحكمة . وقد بالغ في مدائحه ، واغترف من الشعر

الفاطمي صفات خلعها على ممدوحيه دون أن يأبه لمدلولها الشيعي ، مما جعل ابن سعيد

المغربي يصفه بالتشيع . والحق أن أكثر ما أجاد في الغزل والوصف .

وقد لقي في حياته بعض خصومات ، أدارت حوله معارك أدبية ، ولكن هذه الخصومات

لا تعد شيئاً إذا ما وضعت إلى جوار الثناء الذي أغدقه عليه الكتاب القدماء والمحدثون .

فمما أغدقه عليه القاضي الفاضل : لو أن البلاغة حلة لكان لابسها ، ولو أن الشعراء

حلبة لكان فارسها .

وعلق ابن حجة الحموي على قصيدته التي مطلعها :

سواي يخاف الدهر أو يهرب الردي      وغيرى يهوى أن يعيش مخلدا

فقال : وممن افتن في قصيدة كاملة وتفنن ، وخلص من تفخيم الحماسة والفخر إلى

رقة الغزل وأحسن ، القاضي السعيد . . . فإنه قسم القصيدة شطرين ، وتلاعب في ميدان

البلاغة بالفنين . وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ، ويكبو الجواد من فحولها ،

ويتشنى من لطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها .

وفي العصر الحديث جعله محققو « خريدة القصر » أكبر شعراء مصر وأبرعهم في

العصر الأيوبي ، ووصفه د . محمد زغلول سلام بالشاعر الرقيق المفتن ، وقال عنه : « شعره

رقيق تغلب عليه الصنعة ، ولكنها صنعة قد تروق أحيانا ، فتكون حفيفة مقبولة حسنة الوقع

في النفس . وقد تثقل بعض الأحيان فتبدو سمجة متكلفة » .



ومن أجل هذه الصنعة هاجمه بعض النقاد . فذكر الأستاذ عمر الدسوقي أن الشعر العربي كان قد تحول عن قوته وروعته القديمة ، وأصبح تكرارا مملا لمعان محفوظة . ولم يعد الشاعر الكبير - مثل ابن سناء الملك - إلا أن يخرج هذه المعانى والصور إخراجا جديداً فإذا هولا يصل إلا إلى ضروب من التكلف الواضح .  
وجعله د . عبد العزيز الأهوانى نموذجا للعقم الذى أصاب الشعر العربى فى تلك العصور .

\* \* \*

قال يمدح الملك الناصر، ويهتته بكسر الفرنج وملك بلاد الشام: (١)

لست أدري بأي فتحة تُهَنَّا  
كل فتحة يقول إنني أولى  
أنهنيك إذ تملك شامًا  
قد ملك الجنان قصرًا فقصرًا  
إن دين الإسلام من على الخلد  
أنت أحييته وقد كان ميتًا  
شكر الله ما صنعت على العر  
لك مدح فوق السموات يُنشا  
شاق جبريل بيته بيت جبريل  
تخرج الساكنين منه ورب  
شهد الناس أنهم شاهدوا جب  
فلكم ضربة ولم تر ضربا  
ملك جنده ملائكة  
كم تأني النصر العزيز عن الشا  
قد تعينت حين أحييت وجه

يا مُنِيلَ الإسلام ما قد تمنى  
وهو أولى لأنه كان أهنّا  
أم نهنيك إذ تملك عذنا  
إذ فتحت الشام حصنا فحطنا  
حق وأنت الذي على الدين منا  
ثم اعتقته وقد كان قنا (٢)  
ش وفي عرصة الملائك أثنى  
ومحل فوق الأسنة يُنسى  
ل فوافي إليه شوقًا وحنًا (٣)  
البيت في بيته أحق بسكنى  
جبريل رد الأقران قرنا فقرنا  
ولكم طعنة ولم تر طعنا  
الله فرادى جاءت إليه ومثني  
م ولما نهضت لم يتأن  
الله بالحرب والمحارب مُعنى

(١) قال ابن سناء هذه القصيدة سنة ٥٨٣ هـ قبل فتح المقدس، وقد أشار فيها إلى الانتصارات العظيمة التي أحرزها السلطان صلاح الدين كإتصاره العظيم في حطين، واستيلائه على كثير من المعاقل والحصون كفتح طبرية. ونابلس وحصون عسقلان، وبيت جبريل، وتبين، والنطرون وغيرها من مدن الشام وقلاعها.

(٢) القن: العبد.

(٣) بيت جبريل: هو بيت جبريل ببلد بين بيت المقدس وغزة، بينه وبين القدس مرحلتان وبين غزة أقل من ذلك، وكانت فيه قلعة حصينة ضربها صلاح الدين لما استنقذها من الفرنج.

وَلَعَمْرِي مِنْ حَازٍ فَتَحًا جَلِيلًا  
 قَمَتَ فِي ظُلْمَةِ الْكَرْيَةِ كَالْبَدِ  
 لَمْ تَقِفْ قَطُّ فِي الْمَعَارِكِ إِلَّا  
 تَجَتَّى النَّصْرَ مِنْ ظُبَاكَ كَأَنَّكَ  
 قَصَدْتَ نَحْوَكَ الْأَعَادَى فَرَدَّ اللَّهُ  
 حَمَلُوا كَالْجِبَالِ عِظْمًا وَلَكِنْ  
 جَمَعُوا كَيْدَهُمْ وَجَاءُوكَ أَرْكَا  
 لَمْ تُلَاقِ الْجِيُوشَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ  
 كُلُّ مَنْ يَجْعَلُ الْحَدِيدَ لَهُ ثَوًى  
 يَدْعُونَ الْغَنَى مِنَ النَّاسِ لَكِنْ  
 خَانَهُمْ ذَلِكَ السَّلَاحُ فَلَا الرُّمُ  
 وَتَوَلَّتْ تِلْكَ الْخِيُولُ فَكَمْ يُثْنَى  
 وَاشْتَحَالَتْ شَقَاشِقُ الْكُفْرِ صَمْتًا  
 أَشْجَعُ الْقَوْمِ فِيهِمْ جَاعِلُ الدُّرِّ  
 لَمْ يُطِيقُوا الْهُرُوبَ ضَعْفًا وَعَجْزًا  
 وَتَصَيَّدَاتُهُمْ بِحَلْقَةِ صَيْدٍ

وَتَعَنَّى فَإِنَّهُ مَا تَعَنَّى  
 رَسْنَا وَالْبَدْرُ يَطْلُعُ وَهَنًا (٤)  
 كُنْتَ يَا يَوْسُفُ كَيُوسُفَ حُسْنًا  
 غَضِبَ قَدْ صَحَّفُوهُ أَوْ صَارَ غُصْنًا (٥)  
 مَا أَمْلُوه عَنْكَ وَعَنَّا  
 جَعَلَتْهَا حَمَلَاتُ خَيْلِكَ عِنْدَنَا (٦)  
 نَا فَمَنْ قَدْ فَارَسًا هَدَّرُكْنَا  
 سَنَّا لَا قِيَتَهُمْ بِلَادًا وَمُذْنًا  
 بَا وَتَاجًا وَطَيْلَسَانًا وَرُذْنًا (٧)  
 أَنْتَ بِالنَّصْرِ كُنْتَ أَغْنَى وَأَقْنَى (٨)  
 سَحَّ تَشْنَى وَلَا الْمَهْنُ طَنْنَا  
 سَنَى عَلَيْهَا بِأَنْهَا لَيْسَ تُشْنَى  
 حِينَ عَادَتْ تِلْكَ الشَّجَاعَةُ جُبْنًا (٩)  
 عِ هُرُوبًا أَوْ الْفَرَارِ مَجْنُنًا  
 هَلْ يُطِيقُوا الْهُرُوبَ عَقْرَى وَزَمْنَى (١٠)  
 تَجْمَعُ اللَّيْثُ وَالْغَزَالُ الْأَغْنَى (١١)

(٤) الكريهة : الحرب - الوهن : نحونصف الليل أو بعد ساعة منه .

(٥) الظبا : جمع الظبة وهي حد السيف - العضب : السيف القاطع .

(٦) في البيت اقتباس من قوله تعالى : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » ، والعهن : الصوف .

(٧) الرذن بالضم أصل الكم والجمع أردان والمعنى : أن هؤلاء المحاربين ارتدوا الحديد فاخفوا فيه تماما .

(٨) أقنى بمعنى أغنى وأرضى .

(٩) الشقاشق : جمع الشقشقة وهي شيء كالرثة يخرجها البعير من فمه إذا هاج وثار .

(١٠) عقرى : جرحى - زمنى : مرضى .

(١١) الأغن : له غنة أى صوت يخرج من الخيشوم .

وَجَرَتْ مِنْهُمْ الدُّمَاءُ بِحَارَا  
صُنِّعَتْ مِنْهُمْ وَلِيْمَةٌ وَحَشْ  
ظَلَّ مَعْبُودُهُمْ لَدَيْكَ أَسِيرًا  
صَلَبُوا رَبَّهُمْ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ  
وَحَوَى الْأَشْرُكُ كُلَّ مَلِكٍ يَظُنُّ الدَّ  
وَالْمَلِيكَ الْعَظِيمَ فِيهِمْ أَسِيرٌ  
يَخْسِبُ النَّوْمَ يَقْظَةً وَيَظُنُّ  
كَمْ تَمْنَى اللَّقَاءَ حَتَّى رَأَهُ  
ظَنَّ ظَنًّا وَكُنْتَ أَصْدَقَ فِي اللَّهِ  
رَقٍّ مِنْ رَحْمَةٍ لَهُ الْقَيْدُ وَالْغُلُّ  
وَاللَّعِينُ وَالْإِبْرَنْسُ أَصْبَحَ مَذْبُوحًا  
أَنْتَ ذَكَّيْتَهُ فَوْقَيْتَ نَذْرًا  
وَتَهَادَتْ عَرَائِصُ الْمَذْنِ تُجَلِّسِي  
لَا تُخَسُّ الشَّامَ فِيكَ التَّهَانِي  
قَدْ مَلَكْتَ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا  
وَتَفَرَّدْتَ بِالَّذِي هُوَ أَسْمَى

فَجَرَتْ فَوْقَهَا الْخَزَائِرُ سُفْنَا (١٢)  
رَقَصَ الْمَشْرِفِيُّ فِيهَا وَغَنَّى  
مُسْتَضَامًا فَاجْعَلْ لَهُ النَّارَ سِجْنًا (١٣)  
مَنْ رَأَى بَعْدَ صَلْبِهِ قَطُّ أَغْنَى ؟  
هَرَّ يَفْنَى وَمَلَكُهُ لَيْسَ يَفْنَى  
يَسْتَنَّى فِي أَدْهَمٍ يَتَنَّى  
الشَّخْصَ طُودًا وَيُبْصِرُ الشَّمْسَ دَجْنًا (١٤)  
فَتَمْنَى لَوْ أَنَّه مَا تَمْنَى  
يَقِينًا وَكَانَ أَكْذَبَ ظَنًّا  
عَلَيْهِ فَكَلَّمَا أَنَّ أَنَا  
حَا تَمْنَى لَمْ يَغْدِمَ الْيَوْمَ يُمْنًا (١٥)  
كَنتَ قَدَّمْتَهُ فَجُوزَيْتَ حُسْنًا  
وَتَمَارُ الْأَمْوَالِ مِنْهُنَّ تُجْنَى  
كُلُّ صُقْعٍ وَكُلُّ قُطْرِ مَهْنَى  
وَحَوَيْتَ الْأَفَاقَ سَهْلًا وَحَزْنًا  
وَتَوَحَّدْتَ بِالَّذِي هُوَ أَسْنَى

(١٢) الخريبر والخريرة : شبه عصيدة بلحم وبلا لحم عصيدة ، والمراد أنه طحنهم حتى اختلطت عظامهم بلحومهم .

(١٣) قد أشار إلى صليب الصليبوت الذي سلب بعد كسرة حطين ، وأسر الملك والإبرنس صاحب الكرك وغيرهما من أعظم الفرنج وأما اسم الإبرنس فهو (Renaud - disherillon) .

(١٤) الأدهم : القيد - الدجن : إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء .

(١٥) أما البرنس أرناط فكان من ملوك الفرنج الذين غدروا بالمعاهدة ، وقتل بعض المسلمين في الهدنة . وسب الدين الإسلامي ، فنذر صلاح الدين إن ظفربه ليقطعن عنقه . وقد ظفربه وقتله .

وَاعْتَدَى الْوَصْفُ فِي عُلاكَ حَسِيرًا      أَيْ لَفِظٍ يُقَالُ أَوْ أَيْ مَغْنَى  
وَسَمِعْنَا إِلَّا لَهُ قَالِ أَطِيعُوا      هُ سَمِعْنَا لِرَبِّنَا وَأَطَعْنَا

\* \* \*

وقال أيضًا :

يَا وَيْحَ نَفْسٍ عَشِقَتْ      مَصْرِبَةً تَدْمَشَقَتْ (١٦)  
سَادَجَةً لَكْنَهَا      بِالْحُسْنِ قَدْ تَزَوَّقَتْ  
كَالشَّمْسِ الْغَنَاءِ حِينَ      وَالشَّمْسِ حِينَ أَشْرَقَتْ  
وَالرَّوَضَةِ الْغَنَاءِ      حِينَ أَزْهَرَتْ وَأُورِقَتْ  
وَتَبَعَتْ بِدَرِّ الدُّجَى      فَلَحَقَتْ وَسَبَقَتْ  
كَأَنَّهَا مِنْ جَنَّةِ الْـ      خُلِدَ إِلَيْنَا طَرَقَتْ  
أَوْ غَفِلَ الْحَارِسُ فِي الْـ      جَنَّةٍ حَتَّى مُرَقَّتْ  
كَمْ وَعَدَتْ وَكَذَّبَتْ      وَأَوْعَدَتْ وَصَدَّقَتْ  
وَعَاقَبَتْ وَمَا اِزْعَوَتْ      وَقَتَلَتْ وَمَا انْتَقَتْ  
وَسَوَّفَتْ وَمَا وَفَتْ      وَأَعْطَشَتْ وَمَا سَقَتْ  
وَسَدَّدَتْ أَنَّهُمْ عَثِبَتْ      بِبِ التَّجَنَّى فَوَقَّتْ (١٧)  
وَأَمَطَتْ دَمْرُوحَ لَالٍ      كَاللَّالِى نُسَقَتْ  
فَبِالْعَتَابِ اِزْعَدَتْ      وَبِالنَّايَا أَبْرَقَتْ  
فَكَمْ لَهَا مِنْ نَائِبٍ      تَوَيْتُ لَهُ قَدْ أَبَقَتْ

(١٦) تدمشقت ، أى سكنت بدمشق .  
(١٧) يقال : فوق السهم أى عمل له الفوق الذى يثبت الوتر منه .



وَكَم لَهَا مِنْ مُقْلَةٍ  
وَكَم لَهَا مِنْ مُهْجَةٍ  
وَكَم لَهَا مِنْ عَاشِقٍ  
هَوِيَتْ مِنْهَا عُلُقَةٌ  
تَقْنَعَتْ تَعَمَّمَتْ  
ظَبِيٍّ إِذَا مَا سَكَّتْ  
وَزَوَّدَتْ لِحِيَّةً مَسَّةً  
وَمَا اكْتَفَتْ بِكَنْتِبِ نُورٍ  
قَدْ عَلِقَتْ نَفْسِي بِهَا  
وَلَمْ تَدْعُ لِي رَمَقًا  
قَدْ خُلِقَتْ لِمِخْتَلِي

بِدَمْعِهَا قَدْ شَرِقَتْ  
بِنَارِهَا قَدْ حُرِقَتْ  
لِحْيَتُهُ قَدْ خُلِقَتْ  
مِنْ نَظْرَةٍ تَعَلَّقَتْ  
تَسْوَرَتْ تَمَنُّطَتْ  
وَضِيَّةٌ إِنْ نَطَقَتْ  
بِكَ نَفَخَتْ وَعَبَّاتْ  
نَ الصَّدْعِ حَتَّى مَشَقَّتْ (١٨)  
وَهِيَ بِنَفْسِي عَلِقَتْ  
بِالطَّرْفِ حِينَ رَمَقَتْ  
بِالْيَتِّهَا مَا خُلِقَتْ

\* \* \*

وقال يرثى أمه :

صَحَّ مِنْ دَهْرِنَا وَفَاةُ الْحَيَاءِ  
وَلَيْسَ مَا عَقْدْتُمَاهُ مِنَ الصَّبْرِ  
وَأَهْيَا الدُّمُوعَ سَكَبَا وَهَطَلَا  
وَأَمْنَحَا النَّوْمَ مَلَّ صَبٌّ يَنَادِي  
لَيْسَتْ الْعَيْنُ مِنْكُمْ مَالِي بَعَيْنِ

فَلَيْطُلْ مِنْكُمْ بُكَاءُ الْوَفَاءِ  
بِأَنْ تَخُلُّا وَكَأَاءُ الْبُكَاءِ (١٩)  
وَهَبَا أَنَّهُنَّ مِثْلُ الْهَبَاءِ (٢٠)  
مَنْ يُعِيرُ الْكَرَى وَلَوْ بِالْكَرَاءِ  
أَوْ تَعَانِي حَمَلًا لِبَغْضِ عَنَائِي

(١٨) المشق في الكتابة : مد حروفها أي أنها حسنت نون الصدغ أي جعلت شعر العذار مزخرفاً .

(١٩) الوكاء : رباط القرية ونحوها وكل ما شد رأسه من وعاء ونحوه والجمع أوكية .

(٢٠) الهباء : التراب الذي تطيره الريح ويلزق بالأشياء .

قد رمانى الزمانُ منه بخطبٍ  
 ودهاننى بما أعزى فيه  
 صار منه يرى الغناء نواحا  
 وأرانى خالى الأنيقة قد قل  
 وقضى لى بطول عُمري نحى  
 وأناخت ركائبُ الهم فى قلـ  
 ثم آلت الأتفارق ريعى  
 صادفتُ منهلا يصبُّ من  
 وألوفنا لوفارقه لأزوى  
 وإذا كان يشتكى فُرقة البلـ  
 أى عذر لدهرنا إذ دهانى  
 وأرانى البلاء قد حلَّ منه  
 والتى بعضُ جودهالى وجودى  
 قد تيقنتُ مُدْعَدَتِ لى أصلا  
 يعذرُ الناس من تكونُ له أمّا  
 ويروُن الصواب أن تنسب الأو  
 هى من قدّمت لها حسناتٍ  
 أتعبتُ كاتبَ اليمينِ فكم أغـ

أفتحمتُ عنه السُنُ الخطباءِ  
 عن ثباتى له وحسن عزائى  
 مسمعى والنواح مثل الغناء  
 بعينى ما بهما من بهاء  
 مذ قضى نخبه لدى رجائى  
 بلى ولم تختشم لطول الثواء  
 وفنائى إلا عقيب فنائى  
 العين ونارا تُشبُّ فى الأخشاء  
 جفنه الأرض من سماء الدماء  
 وى فماذا يقول فى النعماء  
 بمصائب ألم فيه دهائى  
 بالتى لم تزل تُزِيلُ بلائى  
 والتى من جبايتها حوْبائى (٢١)  
 أننى مُمرُّ قُتُونِ الملا  
 إذا ما ازدهى على الأباء  
 لادلال للرجال بل للنساء  
 تقتضى غرسها رجاء الجباء  
 فقل إنباتهما من الإغواء

(٢١) الجباء : العطاء والإكرام - الحوباء : النفس .

تُنْفِقُ العُمْرَ فِي اكْتِسَابِ ثَوَابٍ  
وَتَتَرَى مُشْتَرَى الْعِلَاءِ رَخِيصًا  
وَلَقَدْ خَلَقْتَ أَحَادِيثَ تُغْنِي الْأَ  
خْفَرُ مَعَ دِيَانَةٍ وَذِكَاءٍ  
كَمْ تَمْنَتْ قُرْبَ الْمَنِيَةِ دَهْرًا  
وَأَرَادَتْ حَبَبَ الصَّوْرى لَيْتَ شِعْرِي  
إِنْ عَلِمَى بِمَا حَوَتْهُ مِنَ الْمَجْدِ  
غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْتَقِيلُ مِنَ الْوَجْدِ  
وَإِذَا أَغْرَضَ التَّصَبُّرُ لِلْقَلْبِ  
وَإِذَا أَبْطَأَتْ رِكَائِبُ دُمُعَى  
لَيْتَهَا بِالْوَفَاةِ أَغْدَتْ حَيَاتِي  
كُنْتُ أَرْجُو إِنْفَاقَ مَالِي عَلَيْهَا  
لَهْفَ نَفْسِي عَلَيْكَ يَا مَا بَقَلْبِي  
لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَعْلَمِينَ بَأَنَّ ابْنَ  
ذُو نَحِيبٍ قَاضٍ وَخُزْنٍ غَرِيمٍ  
وَفُؤَادٍ مَا بَيْنَ هَاءٍ وَمِيمٍ  
شَغَلْتَ قَلْبَهُ هَمُّومٌ عَظَامُ  
لَيْسَ يَنْفُكُ سَاكِبًا عِبْرَةً حَمَامُ

لَمَلَّابٍ لَا لَأَقْتِنَاءٍ ثَنَاءٍ  
وَلَوْ أَنَّ الْعُلَا بِأَعْلَى الْغَلَاءِ  
أَنْفَ عَنْ تَشْرِيرِ رَوْضَةِ غَنَاءٍ  
فِي زَكَاةٍ وَعَفَّةٍ مَعَ سَخَاءٍ  
رَغْبَةٍ فِي الْخَبَاءِ وَالْإِخْتِبَاءِ  
مَنْ دَعَا لِلثَّرَى بِهَذَا الثَّرَاءِ  
لِدِ قَضَى لِي يَسْطِ عُذْرُ الْقَضَاءِ (٢٢)  
لِدِ وَلَا أَسْتَقِيلُ مِنْ بُرَحَائِي (٢٣)  
لَبَّ أَبَى مَنَّةٍ عَلَى إِبَائِي  
فَأَنِينِي فِي حَثِّهَا كَالْحُدَاءِ (٢٤)  
حِينَ لَمْ أَغْدِهَا بِنَزْرَبَقَائِي  
فَقَدْتُ أَذْمُعِي لَهَا كَالْفِدَاءِ  
مَنْكَ يَا طَوَّلَ حَشَرَتِي وَعَنَائِي  
مَنْكَ بَيْنَ الْوَرَى قَلِيلُ الرُّوَاءِ  
وَسَقَامِ عَذْلِ وَبِشْرِ مُرَائِي  
لَمْ يَكُفَّا عَنْهُ بِمِيمٍ وَهَاءِ  
وَحَلَا سِرُّهُ مِنْ السَّرَاءِ  
سَرَاءٍ فِي ذِكْرِ مَنَّةٍ بِنَضَاءِ

(٢٢) بسط عذر القضاء : أى قبوله .

(٢٣) البرحاء : الشدة والأذى والشر .

(٢٤) الحداء : صوت الحادى وهو الذى يتبع الإبل يستنهضها على السير .

فَهَوَّ فِي الْمِيَّينِ يُخَسِّبُ حَقًّا  
حَلَفَ الصَّيْرُ لِلْفَوَادِ يَمِينًا  
فَتَحَقَّقْتُ أَنَّ أَضْدَا الصَّـ  
وَتَعَذَّبْتُ بَيْنَ يَأْسٍ فَسِيحٍ  
فَمَسَائِي مِنَ الشُّهَادِ صَبَاحِي  
وَصَدِيقِي لِعَذْلِهِ كَعَدْوِي  
كُلُّ مَنْ فَارَقَ النَّعِيمَ عَلَيْهِمُ  
كَنْتُ فِي جَنَّةٍ فَأُخْرِجْتُ مِنْهَا  
أَتُرَانِي أَطْعَمْتُ إِبْلِيسَ فِي الْأَكْـ  
لَيْسَ إِلَّا السَّكُوتُ وَالصَّبْرُ كُرْهًا  
إِنَّ غَيْظِي عَلَى الزَّمَانِ لَجَهْلٌ  
قَدْ دَهَاهُ مِنْ فَقْدِهَا مَا غَدَا  
أَنْتِ عِنْدِي أَجَلٌ مِنْ كُلِّ تَأْيِيـ  
فِي ضَمِيرِي مَا لَيْسَ يُنْزِزُ شَفْرِي  
إِنِّي عُذِرْتُ فِي تَرْكِ نَفْسِي وَقَدْ عَيَّـ  
وَإِذَا مَا دَعَا قَبْرُكَ شَوْقًا  
هَلْ دَرَى الْقَبْرُ مَا حَوَاهُ وَمَا أَخـ  
فَلَكُمْ شَفٌّ بِأَهْرِ النُّورِ مِنْهُ  
فَاحْتَفِظْ أَتْيَهَا الضَّرِيحُ يَسْدِرُ  
وَتَرْفُقْ بِهِ فَإِنَّكَ تُسَدِّي

وَمَجَازًا يُعَدُّ فِي الْأَخْيَاءِ  
أَنَّه لَا لِقَاءَ حَتَّى اللَّقَاءِ  
عَدَّ مِنَ الْقَلْبِ مَالَهُ مِنْ جِلَاءِ  
وَرَجَاءِ مُضِيِّكَ الْأَرْجَاءِ  
وَصَبَاحِي مِنَ السَّوَادِ مَسَائِي  
وَعَدْوِي قَدْ صَارَ مِنْ أَصْدِقَائِي  
أَنْ لَا بُدَّ مِنْ لِقَاءِ الشَّقَاءِ  
وَاسْتَعَادَ الْعَطَاءَ رَبُّ الْعَطَاءِ  
سَلَّةَ مَنَعِ آدَمَ وَمَنَعِ حَوَاءِ  
فِي أُمُورٍ أَعْيَتْ عَلَى الْعُقَلَاءِ  
هُوَ مِثْلِي يُصَابُ بِالْأَرْزَاءِ  
مِنْهُ قَلِيلٌ الْبَهَا قَلِيلُ الضِّيَاءِ  
مِنْ وَلَوْ صُنِفَتْ بِالثَّرِيَّا رِثَائِي  
لَا وَلَوْ كُنْتُ أَشْعَرَ الشُّعْرَاءِ  
سَتْ ، أَبَا قُبْحٍ قَسَوْنِي وَجَفَائِي  
فَبِحَقِّي الْأَتْجِييَ نِدَائِي  
سَفَاهُ مِنْ ذَلِكَ السَّنَى وَالسَّنَاءِ  
فَرَأَيْتُ الْإِغْضَاءَ فِي إِغْضَائِي  
صَمَرْتُ مِنْ أَجْلِهِ كَمِثْلِ السَّمَاءِ  
مِنْهُ جَمَّةٌ إِلَيَّ الْعَلِيَاءِ



رِيْحَاكِكَ مَسْجِدٌ بِقُبَاءِ  
كَ ثَنَائِي وَمَذْحَتِي وَدُعَائِي  
وَتُرَى مِنْهُ كِبُوءٌ لِلْكَبَاءِ (٢٥)  
لِئَلَّا أَعْدَّ فِي الْأَشْقِيَاءِ  
مِثْلَ مَنْ غَيْرِ شُبْهَةٍ وَامْتِرَاءِ  
بِقُدُومِي عَلَيْكَ وَفِدَا الْهَنَاءِ  
إِنَّهَا فِي الزَّمَانِ أَعْظَمُ دَائِي  
كَانَ الْمَمَاتُ مِثْلَ الدَّوَاءِ

أَنْتَ عِنْدِي لَمَّا حَوَيْتَ مِنَ الطُّهْرِ  
لَكَ حَجَّتِي وَهَجَرْتِي وَلَمَنْ فِيهِ  
وَسَلَامٌ مِنِّي لَكَ النَّدُّ نِدُّ  
أَذْكُرِينِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا أُمَّ  
وَاشْفِعِي لِي فَجِئْتِي تَحْتَ أَقْدَا  
فَقَرِيئًا لَا شَكَّ يَأْتِيكَ عَنِّي  
عَجَّلَ اللَّهُ رَاحَتِي مِنْ حَيَاتِي  
وَإِذَا مَا الْحَيَاةُ كَانَتْ الدَّاءِ

\* \* \*

وقال أيضًا في الفخر: (٢٦)

وغيري يَهْوَى أَنْ يَكُونَ مَخْلُودًا  
وَلَا أَخْذَرُ الْمَوْتَ الزُّوَامَ إِذَا عَدَا (٢٧)  
لَحْدَتْتُ نَفْسِي أَنْ أُمْدَلَهُ يَدَا  
وَحِلْيَةُ حِلْمِي تَتْرُكُ السَّيْفَ مَبْرَدَا  
أَرَى كُلَّ عَارٍ مِنْ خِلَا سُودْدِي سُدَى (٢٨)  
وَأَلَا أَرَى كُلَّ الْبَرِّيَّةِ مُقْعَدَا

سِوَايَ يَخَافُ الدَّهْرَ أَوْ يَرْهَبُ الرَّدَى  
وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا  
وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِثُ الدَّهْرِ طَرْفَهُ  
تَوَقَّدَ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً  
وَفَرَطُ اخْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي  
وَيَأْبَى إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعَدَا

(٢٥) الند - بالفتح : ضرب من النبات يتبخّر بعوده ، وبالكسر : المثل والنظير - الكباء : عود البخور ، والكُبوّة : المعجرة يتبخّر بها .

(٢٦) لفت هذه القصيدة نظر النقاد وعلق عليها ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الأدب مقرظا ووصفها « يا قوت الحموي » في كتابه إرشاد الأريب بأنها من شعره الذي سارت به الركبان ... والقصيدة طويلة ، كل بيت منها فريدة في عقد ، وشعره كثير وأكثره جيد .

(٢٧) سطا : بطش وقهر - الزوام : العاجل - عدا : وثب أو تجاوز الحد .

(٢٨) الأنام : الخلق - السودد : السيادة والمجد - سُدى : مهمل .



وَأَظْمَأُ إِن أَبْدَى لِي الْمَاءُ مِنْةً  
 وَلَوْ كَانَ إِدْرَاكَ الْهُدَى بِتَذَلُّلٍ  
 وَقَدْ مَا بَغِيرَى أَصْبَحَ الذَّهْرُ أَشْيَا  
 وَإِنَّكَ عِبْدَى يَا زَمَانُ وَإِنِّي  
 وَلَمْ أَنَا رَاضٍ أَنْ أَرَى وَاطِيءَ الثَّرَى  
 وَلَوْ عَلِمْتُ زَهْرَ النُّجُومِ مَكَائِنِي  
 أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ  
 وَبِذَلُّ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا  
 وَكَمْ سَائِلٍ لِي قَدْ مَضَى وَهُوَ قَائِلٌ  
 وَلِي قَلَمٌ فِي أَنْمَلِي إِنْ هَزَزْتَهُ  
 إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعَ صَرِيرُهُ  
 وَمَحْرَابُ طَرِيشٍ وَهُوَ دَاوُدُ سَاجِدًا  
 وَإِنْ رَفَعَ الْمَقْدَارُ أَوْ وَضَعَ النَّدَى  
 وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ قَدْ صَحَوْتُ سِوَى هَوَى  
 إِذَا وَضَلُ مِنْ أَهْوَاهُ لَمْ يَكُ مُسْعِدِي  
 يَلُومُ وَمَا يَذْرَى بِكَوْنٍ وَصَالِهِ

وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْمَجْرَةِ مَزِيدًا  
 رَأَيْتُ الْهُدَى أَلَّا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى  
 وَبِي بَلْ بِفَضْلِي أَصْبَحَ الذَّهْرُ أَمْرَدًا (٢٩)  
 عَلَى الْكُزِّ مِنْهُ أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدًا  
 وَلِي هِمَّةٌ لَا تَرْضَى الْأَفَقَ مَقْعَدًا  
 لَخَرَّتْ جَمِيعًا نَخُورُ وَجْهِي سَجْدًا  
 ذِكَاءٌ وَعِلْمًا وَاعْتِلَاءٌ وَسُؤْدَدًا  
 مِنَ الْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَحْرِ مُزِيدًا (٣٠)  
 فِدَاكَ بِخَيْلٍ نَدَّ عَنْ كَفِّهِ النَّدَى (٣١)  
 فَمَا ضَرَرَنِي إِلَّا أَهْرَ الْمُهْنَدَا (٣٢)  
 فَإِنَّ صَلِيلَ الْمَشْرِفِي لَهُ صَدَى (٣٣)  
 وَإِنْ شَاءَ حَاكَ الطَّرْسُ دِرْعًا مُسَرَّدًا (٣٤)  
 فَمِنْهُ يَرْجَى الْجَدُّ أَوْ يُرْتَجَى الْجَدَا (٣٥)  
 أَقَامَ عَذُولِي بِالْمَلَامِ وَأَقْعَدًا  
 فَلَيْتَ عَذُولِي كَانَ بِالصَّمْتِ مُسْعِدًا  
 مِنَ النَّجْمِ أَعْلَى أَوْ مِنْ الْأَفَقِ أَبْعَدًا

(٢٩) الأشيب : ذو الشيب وهو بياض الشعر - الأمرد بمعنى صغير السن .  
 (٣٠) النوال : النصيب والعطاء - أزيد البحر : دفع بزيده أى رغوته ، فهو مزبد .  
 (٣١) ندّ عنه : غاب ونقر - الندى : الجود والسخاء .  
 (٣٢) الأنملة : المفصل الأعلى الذى فيه الظفر من الإصبع ، وجمعه : أنامل .  
 (٣٣) الطرس : الصحيفة - الصرير : صوت القلم - الصليل : صوت السيف .  
 (٣٤) المسرد : المنسوج نسجاً قوياً .  
 (٣٥) الجدا : العطاء والنفع .

يُحِبُّ حَبِيبِي مَنْ يَكُونُ مَفْنُودِي  
 وَقَالُوا لَقَدْ أَنْشَأْتَ نَارًا بِخَدِّهِ  
 وَإِنِّي لَأَهْوَى مِنْهُ نَفْرًا مُقَضَّضًا  
 وَلَمْ أَذْهَمِ ذَاكَ الْخَدَّ بِاللَّحْظِ إِنَّمَا  
 وَكَم لِي إِلَى دَارِ الْحَبِيبِ التَّفَائَةُ  
 لَقَدْ كُنْتُ فِيهَا أَبْصِرُ اللَّيْلَ أَيْضًا  
 يُرَاقِبُ طَرْفِي أَنْ يَلُوحَ هِلَالُهَا  
 عَبْرْتُ عَلَيْهَا وَاعْتَبَرْتُ تَجَلُّدِي  
 كَأَنَّ بَطْرَفِي مَا بِقَلْبِي صَبَابَةٌ  
 وَكَم لَجُودِي وَقَعَةٌ فِي عِرَاصِهَا  
 تَعُودُ ذَاكَ الْجِيدُ مِنِّي أَنَّنِي  
 وَمَا تِلْكَ دَارٌ بِالْعَقِيقِ وَلَا الْحِمَى  
 وَيَا رَبِّ لَيْلٍ بَتُّ فِيهِ وَبَيْنَنَا  
 فَأَصْبَحَ ذَاكَ الْعِقْدُ مِنِّي مُحَسَّرًا  
 وَلَمْ أَجْعَلِ الْكَفَّ الشَّمَالَ وَسَادَةً  
 وَجَرَّدْتُهُ مِنْ ثَوْبِهِ وَأَعْدَدْتُهُ  
 وَقَرَّبَنِي حَتَّى طَرِبْتُ إِلَى النَّوَى

فِيالْيَتْسَى كُنْتُ الْعُدُولُ الْمُفْنُودَا (٣٦)  
 فَقُلْتُ وَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِهَا هُدَى  
 وَإِنِّي لَأَهْوَى مِنْهُ خَدًّا مُعْسَجِدًا (٣٧)  
 عَمِلْتُ خَلُوقًا حِينَ أَبْصَرْتُ عَسْجِدًا (٣٨)  
 تُذَكِّرُنِي عَهْدًا قَدِيمًا وَمَعْهَدًا  
 فَقَدْ صِرْتُ فِيهَا أَبْصِرُ الصُّبْحَ أَشُودًا  
 فَقَدْ طَالَ مَا قَدْ صَامَ حَتَّى يُعَيِّدَا  
 فَيَا خَجَلِي حِينَ اعْتَبَرْتُ التَّجَلُّدَا  
 فَلَمْ يَرْتَلِكْ الدَّارَ إِلَّا تَقَيُّدَا  
 تَعُودُ مِنْهَا جِيدُهُ مَا تَعُودَا (٣٩)  
 أَصَيَّرُهُ مَنْ دُرْدَمَعِي مُقْلَدَا  
 وَلَكِنْ سَمَاءٌ إِذْ حَوَتْ مِنْهُ فَرْقَدَا  
 عِنَاقُ أَعَادِ الْعِقْدَ عِقْدًا مَبْدَدَا  
 وَقَدْ طَالَ مَا قَدْ كَانَ مِنِّي مُحَسَّدَا  
 فَبَاتَ عَلَى كَفِّ الْيَمِينِ مُوسَّدَا  
 بِشَوِي عِنَاقِي كَأَسِيَا مُتَجَرَّدَا  
 وَأَوْرَدَنِي حَتَّى صَدِيتُ إِلَى الصَّدَى

(٣٦) فَنَدَه : خطأ رآيه وأبطله .

(٣٧) مَفَضَّض : محلى أو مطلى بالقضة - معسجد أى فى لون العسجد ، وهو الذهب .

(٣٨) الخلق : ضرب من الطيب ، أعظم أجزاءه الزعفران .

(٣٩) العراض : جمع العرصة وهى ساحة الدار - الجيد : العنق .

شَهِدْتُ بِأَنَّ الشَّهَدَ وَالْمَسَكَ رَيْقُهُ  
وَأَنَّ السُّلَافَ الْبَابِلِيَّةَ لَخْظُهُ  
مَلَى بِكَسْرِ الْجَفَنِ ، وَالْجَفَنُ قَوْسُهُ  
فَتِهِ وَتَسَلَّطَ كَيْفَ شِثَتْ فَإِنَّمَا

وَمَا كُنْتُ لَوْلَمْ أَخْتَبِرْهُ لِأَشْهَدَا  
وَالْأَسْلُوا إِنْسَانَهُ كَيْفَ عَزَبَدَا (٤٠)  
فَكَيْفَ رَمَى لِلْقَلْبِ سَهْمًا مُسَدَّدَا  
خُلِقَتْ لِأَشْقَى إِذْ خُلِقْتُ لِتَسْعَدَا

\* \* \*

وقال فى الخمر:

عَمَّمُوهَا طِينًا وَأَدَمُ طِينُ  
قَبْلَ أَنْ تُغْرَسَ الْكُرُومُ تَلَّتْ  
قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ الظُّلَامُ وَلَا النُّورُ  
وَتُرَيَّا السَّمَاءَ مَا هِيَ عُنُقُو  
شَيْخَةً لَمْ تَشِبْ قَرُونًا إِلَى أَنْ  
فَهِيَ سِرٌّ فِى خَاطِرِ الدَّهْرِ مَكْتُو  
تَبْصِرُ الْهَمَّ فِى الْأَقَاصِى فَتَنْفِي  
كُلُّ هَمٍّ إِذَا جَلَسُوهَا عَلَيْهِ  
إِنَّ مَنْ لَامَ فِى الْمُدَامِ وَإِنْ عَزَّ  
إِنْ هِيَ إِلَّا الْحَيَاةُ وَالرُّوحُ وَالرَّاءِ  
لَيْسَ فِيهَا إِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْحَقِّ  
وَالَّذِى قَدْ يَلُومُ إِمَّا ضَنِينُ  
مَنْ رَأَى كَأَنَّهَا فَقَدْ فَتَنَ

شَيْخَةً فِى حَشَا الزَّمَانِ جَنِينُ  
فَ عَلَيْهَا الْأَوْرَاقُ وَالزَّرْجُونُ  
رَوْلَمْ يُغْرِفَ الدُّجَى وَالذُّجُونُ  
ذُ وَلَا آيَةَ الدُّجَى عَزْجُونُ  
هَلَكْتَ أُمَّةٌ وَبَادَتْ قُرُونُ  
مُ وَعِلْمٌ فِى صَدْرِهِ مَكْنُونُ  
وَلَا غُرُوفَ الْحَبَابِ عُيُونُ  
وَهِيَ بِكَرْفَانٍ عَيْنُ  
مَهِيْنُ وَلَا يَكْأَدُ يِيْنُ  
حَاةٌ وَاللَّهُوُ وَالصُّبَا وَالْمَجُونُ  
عُدُولٌ وَلَا عَلَيْهَا أَمِيْنُ  
مُسْتَبِيدٌ بِهَا وَإِمَّا ظَنِيْنُ  
إِنَّكُمْ كَلُّكُمْ بِهَا الْمُفْتُونُ

(٤٠) السلاف البابلية : الخمر المنسوبة إلى بابل - عريد : ساء خلقه ، وأذى غيره فى سكره .

لَمْ يَدْعُ شُرَبَهَا الْأَمِينُ وَإِنْ كَا  
وَبَهَا كَانَ يَسْتَعِينُ عَلَى الْأَخْـ  
فَانْهَضُوا وَأَقْصِدُوا بِنَا قَصْدَ دَارِيـ  
وَاشْتَرَوْهَا بِكُلِّ مَا عَزَّ أَوْهَا  
وَاطْلُقُوهَا : إِنْ الزَّمَانُ حَبُوسٌ  
إِنَّمَا الدَّنُّ سِجْنُهَا فَلِهَذَا  
إِنْ فَقَرِي عَلَى الْمُدَامِ ثَرَاءٌ  
تِلْكَ نِعَمَ الْمُعِينِ إِنْ قَارَنَ الْهَمُّ  
وَإِذَا مَا رَجَّحْتَ لِيَالِي أَخَوَا  
فِيهَا أَسْتَرِيحُ مِنْ حِرْفَةِ الْعَقْدِ  
وَأَتْرُكُ الْعَقْلَ جَانِبًا تُذْرِكُ الْحِظَّ  
كُلُّ مَنْ أَبْصَرْتَهُ عَيْنَاكَ فِي الْخَلْدِ

\* \* \*

وَقَالَ يَسْتَدْعِي صَدِيقًا لَهُ إِلَى مَجْلِسِ أَنْسِ :  
حُضِرَ الْحَبِيبُ وَأَنْتَ أَشْـ  
فَلَمَّا حَضَرْتَ مُسَارِعًا  
وَلَأْمَدَحْنُكَ بِالْفَتْوِ  
وَلَمَّا قَعَدْتَ لِأَهْجَاؤِنَا  
وَأَقُولُ هَذَا فِي النَّهْـ

(٤١) دَارِين : بِلْدِ اشْتَهَرَ بِالْخَمْرِ .

نَ إِمَامِ الْهُدَى وَلَا الْمَأْمُونُ  
زَانٍ مَنْ بَعْدَ خَلْعِهِ الْمُسْتَعِينُ  
مَنْ جَمِيعًا فِدَاؤُهَا دَارِينُ (٤١)  
نَ فَإِنَّ الْعَزِيزَ فِيهَا يَهُونُ  
وَإِخْرَجُوهَا إِنَّ الدَّنَّانَ سُجُونُ  
ضَحِكْتُ إِذْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ ظَعِينُ  
أَوْ يَسَارِي وَالْكَأْسُ فِيهَا يَمِينُ  
فَوَادِي وَالْهَمُّ بِئْسَ الْقَرِينُ  
لِي جَلَاها مِنْهُ صَبَاحُ مُبِينُ  
لِ فَإِنَّ الْحِرَافَ مِنْهُ يَكُونُ  
يَقْسِنَا مَا الْحِظُّ إِلَّا الْجُنُونُ  
سَقِي سَعِيدًا فَإِنَّهُ مَبْخُونُ

هِيَ لِلْفَوَادِ مِنْ الْحَبِيبِ  
فَلَا صَفْحَنَ عَنِ الدَّنُوبِ  
فِي الْحُضُورِ وَفِي الْمَغِيبِ  
فِي الْبَعِيدِ وَفِي الْقَرِيبِ  
رَقْدِ اشْتَرَحْنَا مِنْ رَقِيبِ



موشحة لابن سناء الملك :

كللى يا سحب يتجان الزنى بالحلى واجعلى سوادها منعطف الجدول

يا سما فيك وفى الأرض نجوم وما (٤٢)  
كلما أغربت نجما أطلعت أنجما  
وهى ما تهطل إلا بالطللى والذمى

فاهطلى على قطوف الكرم كى تمتلى وانقلى للذن طعم الشهد والقرنفل

تتقذ كالكوكب الرى للمرتصد  
يعتقد فيها المجوسى بما يعتقد  
فاتتد ياساقى الراح بها واعتمد

وامسل لى حتى ترانى منك فى معزل قلل فالراح كالعشق إن يزدد يقتل

لا أليم فى شرب صهباء وفى عشق ريم  
فالنعيم عيش جديد ومدام قديم  
لا أهيم إلا بهذين فقم يا نديم

واجل لى من أكؤيس صيرت من قوفل الذلى من نكهة العنبر والمندل (٤٣)

خذ هنى واعطنى كاسك مثل كاسى هنى  
واسقنى على رضاب الفطن الملسن  
والهنى ببعض ما صيغ من الألسن

(٤٢) نجوم الأرض : يقصد بها الشاعر الأزهار - ما : يعنى ماء .

(٤٣) القوفل : ثمر طيب الرائحة والنكهة يمضغ فيحدث نشوة - المندل : عود هندي طيب الرائحة .



لوئلى مدحُ سناهُ مع رشا أكحلِ لَدلى على سنى الصهباءِ والسَّلسلِ

أزهرتْ لَيْلَتُنا بالوُضَلِ منذُ أسفَرَتْ

أُصدِرَتْ بِزُورَةِ المَحْبوبِ إِذْ بَشَّرَتْ

أُخِرَتْ فَقَلْتُ لِلظَلَمِاءِ إِذْ قَصَّرَتْ

طَوَّلَى بِالِيلَةِ الوُضَلِ وَلَا تَنْجَلَى واسِبلَى سَتْرَكَ فالْمَحْبوبُ فى مَنْزَلَى

مَنْ ظَلَمَ فى دَوْلَةِ الحُسْنِ إِذا ما حَكَمَ

فالأَلَمَ يَجُولُ فى باطِنِهِ والنَّدَمَ

والقَلَمَ يَكْتُبُ فىهِ عَن لِسَانِ الأُمَمِ :

مَنْ وَلَى فى دَوْلَةِ الحُسْنِ وَلَمْ يَغْدِلْ يَعْذِلْ أَلْحاظُ الرِشا الأَكْحَلِ

\* \* \*

ومن موشحاته :

بى فاتنُ فاتكُ \* بحسنه هاتكُ \* ستر الخلى

فكيف بالهائم \* بالله يا لائم \* لاتعذِلْ

إياك عن لومى \* رضيت بالوجد \* مع الضنى

واعترضت عن نومى \* وراحتى سهدى \* مع العنا

قُلت يا قومى \* لا بظبا الهند \* ولا القنا

وإنما ذلك \* ياترباتك \* للأجل

من ناظر عارم \* يُسلُّ كالصارم \* من كَحَلِ

معذب القلب \* قد جَلَّ مع لطفك \* خطبُ هواك

أُبْرُزُ مِنَ الْحُجُبِ \* وَاعْبِرْ عَلَى الْفِكَ \* حَتَّى يَرَاكَ  
حَسْبُكَ أَوْ حَسْبِي \* قَدْ حَرْتُ فِي وَصْفِكَ \* وَفِي حُلَاكَ  
يَا فِتْنَةَ النَّاسِكَ \* هَلْ طِيبَ أَنْفَاسِكَ \* الْمَمْنَدِلِ (٤٤)  
وَتَغْرِكَ الْبَاسِمِ \* هَلْ جَادَ لَلْأَثَمِ \* بِالسَّلْسَلِ  
وَصَلْتَ لِلْعَلِيَا \* وَزَالَ مَا كَانَا \* مِنْ كُلِّ بُوسٍ  
وَجَدْتُ لِي مَحْيَا \* وَجَدْتَ سُلْطَانَا \* يَحْيَى النُّفُوسِ  
أَشْرَقَتْ الدُّنْيَا \* بِوَجْهِ مَوْلَانَا \* بَعْدَ الْعَبُوسِ  
وَمَا لَهَا مَالِكُ \* وَمَا لَهَا سَامِكُ \* غَيْرَ عَلَى  
الْمَلِكِ قَدْ أَرْسَلَ \* مِنْهُ لَنَا أَوَاةُ \* يُحْيِي الْهَدَى (٤٥)  
يَسْمِيهِ بِالْأَفْضَلِ \* مِنْ رِيْمَا سَمَاءُ \* بِحَرِّ النَّدَى  
عَدُوهُ مُجْهَلُ \* لِأَنَّ مِنْ يَشْنَاهُ \* مِنَ الْعَدَى (٤٦)  
بِسَيْفِهِ هَالِكُ \* وَرَمَحُهُ سَالِكُ \* فِي الْبَطْلِ  
وَبِأَسْهِ قَاصِمُ \* وَذَكَرُهُ هَازِمُ \* لِلْجَحْفَلِ  
مَلِكٌ هُوَ فِي الْبَحْرِ \* جَارٌ عَلَى الْأَمْوَالِ \* مِنْهُ السَّمَاحُ  
وَأَنَّهُ الْبَدْرُ \* يَجْلُو دَجَى الْأَحْوَالِ \* مِثْلَ الصَّبَاحِ  
تَشِيْعُ الدَّهْرُ \* فِيهِ إِلَى أَنْ قَالَ \* قَوْلًا صُّرَاحِ  
مَا أَنَا بِالْفَارِكِ \* وَلَسْتُ بِالتَّارِكِ \* وَلَا خَلَى  
وَلَيْسَ يَا سَالِمُ \* وَلَيْسَ بِالْغَانِمِ \* إِلَّا وَلَى (٤٧)

(٤٤) الممندل : الذي يماثل المندل في طيب الرائحة ، والمندل هو العود .

(٤٥) السامك : الرافع - الأواه : الخاشع الكثير الدعاء .

(٤٦) يشناه : يشنؤه ، بعد تسهيل همزته أي ييغضه .

(٤٧) الفارك : الكاره المبغض - الولى : التابع المحب ، والمعنى أنه لا يسلم ولا يغتم إلا من أحبه ووالاه وصار

تابعاً له .



## ابن النبيه المصرى ( ت : ١١٩ هـ / ١٢٢٢ م )

كمال الدين أبو الحسن على بن محمد بن يوسف ، ولد فى مصر سنة ٥٦٠ هـ / ١١٦٥ م تقريبا ، ولم يصل إلينا من شعر صباه إلا بعض المطارحات التى جرت بينه وبين معاصريه من الشعراء ، وأثبتها على بن ظافر الأزدى فى كتابه « بدائع البدائى » . وحاول أن يتقرب إلى صلاح الدين الأيوبى فمدحه ومدح وزيره القاضى الفاضل ، ومن ذلك قصيدة أراد أن يبرهن فيها على قدرته البيانية ، فاقبس كلماتها وقوافيها من سورة المزمل ، منها قوله :

قمتُ ليلَ الصدودِ إلاقليلا      ثم رتلْتُ ذكركمَ ترتيلا  
ووصلتُ السهادَ أقبحَ وصلٍ      وهجرتُ الرقادَ هجراً جميلاً

ولكنه أخفق ، ثم غادر مصر إلى الشام ، وقدّر له النجاح فى عهد الملك العادل أبى بكر الأيوبى ووزيره الصفى بن شُكر ، ولما تولى الأشرف موسى بن العادل الرُّها سنة ٥٩٨ ، اصطحب معه ابن النبيه وعيَّنه رئيساً لديوان رسائله ، فظل بقيّة حياته يتمتّع بنعيمه المتزايد ، وينعم بصداقته ويتنقل معه فى بلدان مملكته التى اتّسعت فضمت معظم بلاد الجزيرة وغيرها ، ويدلّ ديوانه على أنه زار حرّان سنة ٦١٣ ، وألقى فيها قصيدة رثى بها ولدًا للخليفة الناصر العباسى ، وزار حلب فى السنة نفسها ، وألقى فيها قصيدة عزّى فيها الملك الأشرف بوفاة ابن عمّه صاحبها .

وأكثر ما تبقى من شعره فى مدح الحكام والثناء على بطولاتهم وتسجيل ما قاموا به فى المناسبات والأحداث ، ولا يحتوى الديوان الصغير الذى وصل إلينا على كل شعره ، بل تدلّ كلّ الدلائل على أنه مختارات منه ، وهم مقسّم إلى ثلاثة أجزاء ، جعل لكلّ منها عنواناً خاصاً ، فالجزء الأول للخلفيّات ، التى تتألف من ثلاث قصائد ، مدح بها الخليفة العباسى الناصر لدين الله أحمد بن الحسن ، ورثى ابنه عليّاً فى رابعة ، والجزء الثانى للعادليّات التى تتألف من قصيدتين مدح بهما الملك العادل سيف الدين أبا بكر محمد

ابن أيوب ، أخا صلاح الدين ، والجزء الثالث الأشرفيات ، وهو الجزء الرئيسي ، ودون فيه مدائحه في الملك الأشرف ، غير أنه وضع فيه بعض القصائد التي مدح فيها آخرين من رجال الدولة الأيوبيّة ، وبعض المقطعات التي نظمها في الوصف والغزل وغيرهما من الموضوعات الشعرية .

وشاب مدائحه المبالغات الشديدة والإكثار من ذكر الصفات التي كان شعراء العصر الفاطمي يخلعونها على الخلفاء ، باعتبارهم أئمة المذهب الإسماعيلي ، وقد دفعت هذه المبالغة بعض المؤرخين إلى وصفه بفساد الدين .

واتسم شعره بسهولة اللغة وعذوبة التعبير وقرب الأفكار وقلة الإقبال على المحسنات البديعية ، فحدا المغنين في كثير من الأقطار العربية إلى التغنى بقصائده ، وجعل بعض النقاد يرون أنه مثل الروح المصرية في عصره « بكل ما عرف عنها من الدمثة والرقّة وخفّة الظلّ ، لا في موسيقاه وجمال أنغامه فحسب ، بل أيضا في تصوير مشاعره ووجداناته وعواطفه » ، وبلغ من إعجاب الشعراء بقصيدته التي مطلعها :

يا ساكني السفحِ كم عينٍ بكم سَفَحَتْ

نَزَحْتُمْ فَهِيَ بَعْدَ الْبَعْدِ قَدْ نَزَحَتْ

أنّ عارضها جماعة ، منهم ابن نباتة وصلاح الدين الصفدي .

\* \* \* \*



قال ابن النبيه يمدح الملك الأشرف موسى لما حضر مع أخيه المعظم إلى دمياط :  
 لِلدَّةِ الْعَيْشِ وَالْأَفْرَاحِ أَوْقَاتُ  
 فَنَشْرُ لَوَاءَ لَهُ بِالنَّضْرِ عَادَاتُ  
 أَمَامَ جَيْشِكَ أَنَّى سَارَ أَرْبَعَةٌ  
 نَضَلُّ وَنَضُرُّ وَآرَاءُ وَرَايَاتُ  
 وَتَحْتَ غَيْلِ الْقَنَا فَرْسَانُ مَعْرَكَةٍ  
 لَهَا ثَبَاتٌ وَفِي الْهَيْجَاءِ وَثْبَاتُ  
 أَهْلَةٌ فِي سَمَاءٍ مِنْ مَغَافِرِهَا  
 لَهَا التَّرَائِكُ أَفْلَاكُ وَهَالَاتُ (١)  
 تَهْتَزُّ أَعْطَافُهُمْ يَوْمَ الْجِلَادِ إِذَا  
 غَتَّتْ لَهُمْ مِنْ بَنَاتِ الْقَيْنِ قَيْنَاتُ  
 صَفَائِحُ هِيَ إِذْ دَبَّ الْفِرْنَدُ بِهَا  
 صَحَائِفُ كُتِبَتْ فِيهَا الْمَنِيَّاتُ  
 إِنْ مَسَّ شَمْسَ الضُّحَى مِنْ لَمْعِهَا رَمَدُ  
 كَحَلْنَهَا بِالْعَجَاجِ الْأَعْوَجِيَّاتُ (٢)

---

(١) الغيل : الشجر الكثير الملتف - المغفر : ما يكون على قدر الرأس يلبس تحت بيضة الحديد - الترائك : جمع التريكة ، وهي بيضة الحديد للرأس ، وهي على التشبيه بالتريكة التي هي البيضة .  
 (٢) الفرند : السيف - العجاج : الغبار - الأعوجيات : نوع من الخيول تنسب إلى حصان لبني هلال يقال له أعوج .

جُرْدُ كَرَائِمُ تَلْقَى عَنْ فَوَارِسِهَا  
 شَبَا الْأَسِنَّةِ أَغْنَاقُ وَمَامَاتُ  
 مُنَشَّرِفَاتُ بِأَذَانٍ مُؤَلَّلَةٍ  
 لَهَا إِلَى الثَّغْرِ مِنْ دِمْيَاطٍ حَاجَاتُ (٣)  
 الْوَيْلُ لِلرُّومِ وَالْإِيرَانِ مِنْ مَلِكٍ  
 لَهُ مِنَ النَّصْرِ وَالْثَأْنِ عَادَاتُ  
 أَيْنَ الْمَقَرُّ لِسَرْبِ الرُّومِ مِنْ أَسَدٍ  
 ضَارِلُهُ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ غَابَاتُ  
 دِمْيَاطُ طُورٍ وَنَارُ الْحَرْبِ مُوقَدَةٌ  
 وَأَنْتَ مُوسَى وَهَذَا الْيَوْمُ مِيقَاتُ  
 أَنْتَ الصَّبَاحُ فَمَرَّقُ لَيْلٍ كُفِّرِهِمْ  
 وَاضْبِرْ وَرَابِطُ فَلِلْأَعْمَالِ نِيَّاتُ  
 أَلْقِ الْعَصَا تَتَلَقَّفُ كُلَّ مَا أَفْكُوا  
 وَلَا تَخَفْ مَا جِبَالُ الْقَوْمِ حَيَّاتُ ..  
 طَاهُكُمْ بِجَيْشِكَ لَا تَخْفِلْ بِكُنْزَتِهِمْ  
 فَإِنَّهُمْ لِيُغَاثِ الطَّيْرُ أَقْوَاتُ (٤)

(٣) مؤللة : منصوية محددة .

(٤) بغاث الطير: كل طائر ليس من الجوارح .

أَصَبَتْهُمْ بِسَهَامِ الرَّأْيِ مِنْ حَلَبٍ  
 وَلِلْمَكَايِدِ مِنْ بُغْدٍ إِصَابَاتُ  
 فَطَهَّرَ اللَّهُ ذَاكَ الثَّغَرِ مِنْ قَلَحٍ  
 أَصَابَهُ وَأَنْجَلَتْ نِلْكَ الشَّيْثَاتُ (٥)  
 تَذَكَّرُوا يَوْمَ صَافِيثَا وَمَا لَقِيَتْ  
 مِنْ حَدِّ سَيْفِكَ عَرْقًا وَالْقَلِيعَاتُ (٦)  
 قَتَلًا وَأَسْرًا وَسَبِيًّا وَأَنْتِهَابَ نَرَى  
 اللَّهُ كَمْ أَحْسَنْتَ نِلْكَ الْإِسَاءَاتُ  
 شَتَّهَا غَارَةً كَالنَّارِ مُخْرِقَةً  
 لِلْكَفْرِ وَهَى عَلَى الْإِسْلَامِ جَنَّاتُ  
 أَثْلَجَتْ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَنْكَشَفَتْ  
 عَنْ مَرْحَةِ الدِّينِ وَالذُّنْيَا غَمَامَاتُ  
 اللَّهُ مِنْ ثَغْرِ دِمْيَاطٍ وَيَزْرَحُهَا  
 فَتَحَ لَهُ تُفْتَحُ السَّبْعُ السَّمَاوَاتُ  
 يَوْمَ عَلَى الرُّومِ تُنْشَى رِيحُهُ سُجْبًا  
 أَمْطَارُهُنَّ مُصِيبَاتُ مُصِيبَاتُ

(٥) القلح : صفة تعلق الأسنان تغلظ ، ثم تسود أو تخضر .  
 (٦) القليعات وصافيثا بعض قلاع من حصن الأكراد - وعرة بلدة في شرقي طرابلس ، بينهما أربعة فراسخ ،  
 على جبلها قلعة .

رَأَوْا جُيُوشَ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمْرُؤُونَ  
 لَيْتَ لَكَ فِي جُيُوشِ الشَّرِّ هَاجِمَاتٌ  
 فَلِلرَّيْحِ كُفْلُهُمْ أَوْ صُدُورُهُمْ  
 وَلِلصَّوَارِمِ أَغْنَاؤُكَ وَلِبَاسَاتُ (٧)  
 تَخْلُقُ الْبَحْرُ ذَاكَ الْيَوْمَ مِنْ دَمِهِمْ  
 وَالْمَوْجُ تُزْقِضُهُ فِيهِ الْمَسَرَّاتُ (٨)  
 تَقَاءَلُوا أَنَّ عِيسَى نُصْرَةٌ لَهُمْ  
 فَقُلْتُ يَنْتَهُمَا فَزُقْ وَأَشْتَاتُ  
 هَذَا تَمُوتُ بِهِ أَخْيَاؤُكُمْ أَبَدًا  
 وَذَلِكَ يَخْيَا بِهِ فِي التُّرْبِ أَمْوَاتُ  
 بِوَادِرٍ وَهَنُوا مِنْ مَسِّ صَدْمَتِهَا  
 فَكَيْفَ لَوْ قَدْ أَتَتْ مِنْهَا النَّهَائَاتُ  
 ثِقُ يَا أَبَا الْفَتْحِ بِالْفَتْحِ الْمُبِينِ فَلَمْ  
 تُخْلَقْ لِغَيْرِ أَبِيهِنَّ الْفُتُوحَاتُ  
 عَكَا وَصُورُ إِلَى رُؤْيَاكَ عَاطِشَةً  
 فَانْتَهَضَ فَقَدْ أَمَكَنْتَ مِنْهُنَّ خَلُواتُ

(٧) اللبّة : موضع القلادة من العنق .  
 (٨) تَخْلُقُ : طَلَى بِالْخُلُوقِ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الطَّيْبِ ، يَتَّخِذُ مِنَ الزَّعْفَرَانِ وَغَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الطَّيْبِ ، وَتَغْلِبُ عَلَيْهِ  
 الْحَمْرَةُ وَالصَّفْرَةُ .

وَاسْتَخِيرِ الرَّيِّحَ مِنْهَا إِذْ تُسِيرُهُ  
 إِلَيْكَ فَهِيَ وَسَّالِمٌ أَوْ تَحِيَّاتُ  
 اللَّهُ أَكْرَمُ أَنْ تُنْسِيَ مَازِمَهُمْ  
 تُتْلَى وَتُنْسَى مِنَ الْقُرْآنِ آيَاتُ (٩)  
 وَأَنْ يَخْوَِرَ عَلَى الْقُرْبَانِ عِجْلُهُمْ  
 جَهْرًا وَيَخْفَى أَذَانٌ أَوْ تِلَاوَاتُ  
 زَلْزَلٍ يَغَارَتِكَ الشَّعْوَاءُ دَارَهُمْ  
 فَشَيْمَةٌ النُّجُوبِ الْغُرِّ الْإِغَارَاتُ  
 مَا كُلُّ مَنْ طَلَبَ الْعِلْيَاءَ أَذْرَكَهَا  
 وَوَفَّقَتْ سَعْيَهُ فِيهَا سَعَادَاتُ

\*\*\*

وقال يمدح الأشراف موسى :

إِنَّ عَيْنَنَا مِنْكُمْ قَدْ ظَمِئَتْ  
 قَدْ سَقَاهَا الدَّمْعُ حَتَّى رَوَيْتْ  
 آهٍ مِنْ وَجْدٍ خَدِيدٍ لَمْ يَزَلْ  
 وَعِظَامٍ نَاجِلَاتٍ يَلِيَتْ

---

(٩) مزامير داود ما كان يتغنى به من الزبور وضروب الدعاء ، واحداها مزار ومزمور ( أنظر : لسان العرب ، مادة « زمر » ) .



أَنَا وَالْأَظْمَانُ مِنْ شَوْقٍ لَكُمْ  
 نَحْوَكُمْ أَغْنَانَا قَدْ تُبَيِّثُ (١٠)  
 أَنْتُمْ الْأَنْجُومُ مُذْ غِيَّثُمْ  
 بِسَوَى أَنْوَارِكُمْ مَا هُدَيْتُ  
 سَاكِنِي الْفُسْطَاطِ لَوْ أَبْصَرْتُكُمْ  
 جُلَيْتُ مِرَاةً عَيْنٍ صَدَيْتُ  
 أَوْ أَعَادَ اللَّهُ شَمْلِي بِكُمْ  
 سَعِدْتُ أَمَّا نَفْسِي شَقِيَّتُ  
 إِنَّ أَرْضًا أَنْتُمْ سَكَّانُهَا  
 غِيَّيْتُ عَنْ أَنْ أَقُولَ : سُقِيَّتُ  
 فَوُجُوهُ كَرِيضٍ أَزْهَرَتْ  
 وَرِيضٌ كَوُجُوهُ جُلَيْتُ  
 بِأَبَى مِنْكُمْ غَزَالٍ ، مُهَجَّتِي  
 بِطَبِي الْحَاظِيهِ قَدْ غَزَيْتُ  
 سَاكِرُ الْأَجْفَانِ الْوَيْ وَغَدَهُ  
 فَهَوَكَ الْأَضْدَاغَ لَمَّا لَوِيَّتُ (١١)

(١٠) الأظمان : جمع الظعنية ، وهي الراحلة يرتحل عليها .  
 (١١) لوى وعده بمعنى جحده أو مطله أو أخلفه .

بَلِّغِيهِ بِمَا نَسِيَمَ الرِّيحِ عَنْ  
 مُهَجَّةِ الْمُشْتَاكِ مَاذَا لَقِيَتْ  
 إِنَّ أَشْرَارَ الْهَوَى مَا نُشِرَتْ  
 وَمَلَايِيسَ الضَّنَى مَا طُوِيَتْ  
 وَلَقَدْ كَانَ لِنَفْسِي جَلْدٌ  
 وَأَرَاهَا الْيَوْمَ فِيهِ دِهَيْتٌ  
 لِي عَذْرُفِي النَّوَى عَنْ أَرْضِكُمْ  
 فَسَقْتَهَا أَذْمَعِي إِنَّ رَضِيَتْ  
 إِنَّمَا خِدْمَةُ مُوسَى جَنَّةٌ  
 عِنْدَهَا أَوْطَانُنَا نَدُنِيَتْ  
 مَلِكٌ مُذْ جُرَدَتْ هَيْئَةُ  
 أَغْمَدَ الْأَسِيفِ حَتَّى صَدِيَتْ  
 هُوَ فِي الْهَيْجَاءِ نَارٌ تَلْتَظِي  
 وَهُوَ فِي السَّلَامِ جِنَانٌ جُنِيَتْ  
 لَا يُبَالِي أَنْ خَلَتْ أَنْيَاسُهُ  
 وَلَكِنَّهُ الْأَرْضُ بِشُكْرِ مُلْكِيَتْ  
 خُذْ أَحَادِيثَ عُلاهُ إِنَّهَا  
 بِأَسَانِيدِ مَدِيحِي رُويَتْ

قَامَ بِالدُّنْيَا وَبِالْآخِرَى مَعَا  
فَهِيَ ضَرَّاتٌ بِهِ قَدْ رَضِيَتْ  
حَسَنُ الظَّاهِرِ لِلنَّاسِ وَلِلَّهِ  
مِنْهُ حَسَنَاتٌ خَفِيَتْ  
يَخْضَعُ الْجَبَّارُ مِنْ هَيْبِهِ  
وَالرَّعَايَا فِي حِمَى قَدْ رُعِيَتْ  
يَا مَلِكَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَا  
صَفْوَةَ الْمَجْدِ النَّبِيِّ قَدْ بَقِيَتْ  
وَنَحْ أَعْدَاكَ بَلْ وَنِلْ لَهُمْ  
مَغْشَرُ أَبْصَارُهُمْ قَدْ عَمِيَتْ  
كُلَّ يَوْمٍ لَكَ فِي أَكْبَادِهِمْ  
بِمَعَالِيكَ جِرَاحٌ دَمِيَتْ

\* \* \*

وقال يمدحه أيضًا :

أَمَانًا أَيُّهَا الْقَمَرُ الْمُطْلُ  
عَلَى جَفْنَيْكَ أَسِيْفٌ تُسَلُّ  
يَزِيدُ جَمَالَ وَجْهِكَ كُلَّ يَوْمٍ  
وَلِى جَسَدٌ يَذُوبُ وَيَضْمَحِلُّ

وَمَا عَرَفَ السَّقَامُ طَرِيقَ جِسْمِي  
وَلَكِنْ دَلَّ مَنْ أَهْوَى يَسْدُلُّ  
يَمِيلُ بِطَرَفِهِ التُّرْكِيَّ عَنِّي  
صَدَقْتُمْ إِنَّ ضَيْقَ الْعَيْنِ بُخْلُ  
إِذَا نُشِرَتْ ذَوَائِبُهُ عَلَيْهِ  
تَرَى مَاءَ يَرِفُ عَلَيْهِ ظِلُّ (١٢)  
وَقَدْ يَهْدِي صَبَاحُ الْخَدِّ قَوْمًا  
بِلَيْلِ الشَّعْرِ قَدْ تَاهُوا وَضَلُّوا  
أَيَّامَكَ الْقُلُوبُ فَتَكُتَ فِيهَا  
وَفَتَكُتْ فِي الرَّعِيَّةِ لَا يَحِلُّ  
قَلِيلُ الْوَضَلِ يُقْنِعُهَا فَإِنْ لَمْ  
يُصْبِهَا وَابِلٌ مِنْهُ فَطَلُّ (١٣)  
أَذْرَ كَأْسَ الْمُدَامِ عَلَى النَّدَامِي  
فَفِي خَدِّكَ لِي رَاحٌ وَتُقَلُّ (١٤)  
فَنِيرَانِي بِغَيْرِكَ لَيْسَ تُطْفَأُ  
وَأَشْوَاقِي لِغَيْرِكَ لَا تُبْلُ

(١٢) الذوائب : صفات الشعر.

(١٣) أخذ من الآية الكريمة : « فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَابِلٌ فَطَلُّ » سورة البقرة ٢٦٥

(١٤) الندامي : المسامرون المصاحبون على الشراب - النقل : ما يتنقل به على الشراب من فواكه وغيرها .

بمنظرك البديع تدل تيهها  
ولبي ملك بدولته أدل  
أبو الفتح الكريم الطلق موسى  
فتى يغطي الكثير ويستقل  
به اخضررت فجاج الأرض خضبا  
فما للمخل في بلد محل  
أغر على سريبر الملك منه  
سليمان وأمل الأرض نمل  
ويمنلا غيرة كيسا فكيسا  
وملى زمانه كرم وعذل  
وقالوا حفظ هذا المال عقل  
فقال نعم وبغض العقل جهل  
فلئس يذمه إلا مطايا  
إلى أبوابه تنضي وسبل  
تملكه البلاد قنا وجرد  
وبئر من يطاولها يذل  
إذا انبتت عساكره اتساعا  
تضايق دونها حزن وسهل



بِسَوَارِقُهَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ دَاءٌ  
 وَعَثِيرُهَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ كُخْلٌ (١٥)  
 لَمَوْلَانَا الْخَلِيفَةَ فِيهِ رَأَى  
 حَدِيدًا لَا يَقِيلُ وَلَا يُقْلُ  
 تَأْمَلْ فِي الْكِنَانَةِ مِنْهُ سَهْمًا  
 سَدِيدًا لَا يَطِيشُ وَلَا يَزِلُ (١٦)  
 فَقَتَّاهُ وَرَاسَلَهُ اخْتِصَاصًا  
 وَرَوَاهُ الْحَدِيدُ وَذَاكَ فَضْلُ  
 فَزَادَتْ هَذِهِ النُّعْمَى وَدَامَتْ  
 عَلَيْهِ فَإِنَّهُ لِلْخَيْرِ أَهْلُ

\*\*\*

وقال يستعطف الملك الأشرف ، وقد وجد عليه لما كان كاتبًا بين يديه ، وقد غنت أم كلثوم  
 أبياتًا منها : (١٧)

أَفْدِيهِ إِنْ حَفِظَ الْهَوَى أَوْضِيْعَا  
 مَلِكُ الْفُؤَادِ فَمَا عَسَى أَنْ أَضْنَعَا

(١٥) الْحَزَنُ مِنَ الْأَرْضِ : مَا غَلِظَ - الْعَثِيرُ : الْغِبَارُ .  
 (١٦) يَقِيلُ رَأْيُهُ : يَضْعَفُ وَيَخْطِئُ - يَقْلَهُ أَيْ يَثْلُمُهُ وَيَكْسِرُهُ فِي حَدِّهِ - الْكِنَانَةُ : وَعَاءٌ صَغِيرٌ مِنَ الْجِلْدِ لِلنَّبَالِ  
 وَالسَّهَامِ .  
 (١٧) هُوَ مَظْفَرُ الدِّينِ أَبُو الْفَتْحِ مُوسَى بْنُ الْعَادِلِ ، وَكَانَ الْعَادِلُ يَنْتَوِبُ عَنْ أَخِيهِ صَلاَحِ الدِّينِ الْأَيْبُوسِ فِي حُكْمِ  
 مَصْرَ فتراتٍ تَغْيِيهِ فِي الشَّامِ ، وَكَانَ أَكْثَرَ إقامَةِ الْأَشْرَافِ فِي الرِّقَّةِ ، وَحُكْمِ دِمَشْقَ ، وَشَارَكَ الْكَامِلَ فِي حُرُوبِهِ ، وَكَانَ  
 يَمِيلُ إِلَى الْأَدَبِ وَيُوقِرُ أَهْلَهُ ، تَوَفَّى سَنَةَ ٦٣٥

مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الْحَيِّبِ كَظْلَمِهِ  
 خُلُوعًا فَقَدْ جَهِلَ الْمَحَبَّةَ وَدَّعَى (١٨)  
 يَا أَيُّهَا الْوَجْهُ الْجَمِيلُ تَدَارِكِ الصَّبَّ  
 النَّحِيلَ فَقَدْ عَفَا وَتَضَعُضَعَا  
 هَلْ فِي فُؤَادِكَ رَحْمَةً لِمُتِّمِ  
 ضَمَّتْ جَوَانِحُهُ فُؤَادًا مُوجَعَا  
 فَتَشْ حَشَايَ فَأَنْتَ فِيهِ حَاضِرٌ  
 تَجِدِ الْحَسُودَ بِضِدِّ مَا فِيهِ سَعَى  
 هَلْ مِنْ سَبِيلٍ أَنْ أُبَيِّنَ صَبَابَتِي  
 أَوْ أَشْكِي بَلَاوَايَ أَوْ أَنْضَرَّعَا  
 إِنِّي لِأَسْتَخِييَ كَمَا عَوَّدْتَنِي  
 بِسَوَى رِضَاكَ إِلَيْكَ أَنْ أَتَشَفَّعَا  
 يَا عَيْنُ عُذْرُكَ فِي حَبِييبِكَ وَاضِحٌ  
 سَجِي لِسُوحْشَتِهِ دَمًّا أَوْ أَدْمُعَا  
 اللَّهُ أَبَدَى الْبَدْرَ مِنْ أَرْزَارِهِ  
 وَالشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَى أَطْلَعَا

---

(١٨) الظلم، بفتح الظاء: ريق الثغرويريقه.

الْأَشْرَفِ الْمَلِكِ الَّذِي سَادَ الْوَرَى  
 كَهْلًا وَمُكْتَمِلَ الشَّبَابِ وَمُرْضَعًا  
 رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ السَّمَاحِ عَلَى الْوَرَى  
 فَاسْتَيْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَى يُوشَعًا  
 سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ الصِّفَا سَالَ النَّدَى  
 صَغْبٌ إِذَا لَمَسَ الْأَشْمَ تَصَدَّعَا (١٩)  
 دَانٍ وَلَكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ  
 سَامٌ عَلَى سَمِّكَ السَّمَاءِ تَرْفَعَا (٢٠)  
 يَا بَرْقُ هَذَا مِنْكَ أَضْدَقُ شِيَمَةً  
 يَا غَيْثُ هَذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا  
 يَا رَوْضُ هَذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنَظَرَا  
 يَا بَخْرُ هَذَا مِنْكَ أَغْذَبُ مَشْرَعَا  
 يَا سَهْمُ هَذَا مِنْكَ أَضْوَبُ مَقْصِدَا  
 يَا سَيْفُ هَذَا مِنْكَ أَشْرَعُ مَقْطَعَا  
 يَا صُبْحُ هَذَا مِنْكَ أَشْفَرُ غُرَّة  
 يَا نَجْمُ هَذَا مِنْكَ أَهْدَى مَطْلَعَا

---

(١٩) الصفا : الحجارة العريضة الملساء - جبل أشم : مرتفع عال .  
 (٢٠) العفاة : طالبوا العطاء .

حَمَلْتُ أَنَامِلُهُ السُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ  
 شُكْرًا لِدَلِّكَ سُجَّدًا أَوْرُكَمَا  
 حَلَّتْ فَلَا بَرَحَتْ مَكَانًا لَمْ يَزَلْ  
 مِنْ دُرِّ أَفْوَهِ الْمُلُوكِ مُرَصَّعَا  
 أَمْظَفَّ الدِّينِ اسْتَمِعْ قَوْلِي وَقُلْ  
 لِعِشَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَالِكُهُ : لَعَا (٢١)  
 أَيُضِيقُ بِي حَرَمُ اضْطِنَاعِكَ بَعْدَمَا  
 قَدْ كَانَ مُتَفَرِّجًا عَلَيَّ مُوَسَّعَا  
 هَذَا وَقَدْ طَرَزْتُ بِاسْمِكَ مَذْحَةَ  
 لَا تَرْضَى شَنْفَ الثَّرِيَّا مَسْمَعَا (٢٢)  
 عَذْرَاءَ مَا قَعَدَ الزَّمَانُ بِرَبِّهَا  
 إِلَّا وَقَامَ بِهَا خَطِيئًا مِضْقَعَا  
 وَعَلَى كِلَا الْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ  
 دَاعٍ لِأَنْ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

\*\*\*

---

(٢١) لعا : كلمة تقال لمن يعثر، دعاء له .

(٢٢) الشنف : القرط .

وقال يرثي الأمير عليّ ابن أمير المؤمنين ، وأنشدها بالإيوان الكبير من دار العافية بخران

سنة ٦١٣

النَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطُّرْدِ

فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادُ (٢٣)

وَاللَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ

إِلَّا مَنْ اسْتَضَلَّحَ مِنْ ذِي الْعِبَادِ

وَالْمَوْتُ نَقَّادٌ عَلَى كَفِّهِ

جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجِيَادُ

وَالْمَرَّةُ كَالظُّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ

يَزُولَ ذَاكَ الظُّلُّ بَعْدَ امْتِدَادِ

لَا تَضُلُّوهُمُ الْأَزْوَاجُ إِلَّا إِذَا

سَرَى إِلَى الْأَجْسَادِ هَذَا الْقَسَادُ

أَزْغَمْتَ يَا مَوْتُ أَنْفَافَ الْقَنَا

وَدُسَّتْ أَغْنِاقُ السُّيُوفِ الْجِدَادُ

كَيْفَ تَخْرُمْتَ عَلَيَّأ وَمَا

أَنْجَدُهُ كُلُّ طَوِيلِ النَّجَادِ (٢٤)

نَجَّلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي

مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ الْجَمَادِ

(٢٣) فرسان الطراد : هم الذين يحمل بعضهم على بعض في الحرب ونحوها .

(٢٤) تخرمت : أخذت واستأصلت - النجاد : حمائل السيف .



مُصِيَّةٌ أَذْكَتْ قُلُوبَ السَّوْرِ  
كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زَيْتَادُ  
نَازِلَةٌ جَلَّتْ فَمِنْ أَجْلِهَا  
سَنَ بَنَوُ الْعَبَّاسِ لُبْسَ السَّوَادِ  
مَآتُمُهُ فِي الْأَرْضِ لَكِنْ لَهُ  
عُرْسٌ عَلَى السَّبْعِ الطَّبَاقِ الشَّدَادِ  
فَالْخَوْدُ فِي الْمَسْحِ لَهَا رَنَّةٌ  
وَالْحُورُ تُجَلِّي فِي الْمُرُوطِ الْجِسَادُ (٢٥)  
طَرَقَتْ يَا مَوْنُ كَرِيمًا فَلَمْ  
يَقْنَعْ بِغَيْرِ النَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادُ  
قَصَفَتُهُ مِنْ سِدْرَةِ الْمُتَهَيَّأِ  
غَضْنَا فَضُلَّتْ يَدُ أَهْلِ الْفَسَادِ  
يَا ثَالِثَ السَّبْطَيْنِ خَلَفْتَنِي  
أَهْيَمُ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادِ  
يَا نَائِمًا فِي غَمَرَاتِ الرَّدَى  
كَحَلَّتْ أَجْفَانِي بِمِيلِ الشُّهَادِ (٢٦)

---

(٢٥) الخود : الشابة الحسنة - المسح : كساء من شعر - المروط : جمع مرط ، وهو كساء من خز أو صوف أو كتان يؤنزر به وتلفع به المرأة .  
(٢٦) الميل : ما يُجعل به الكحل في العين .

وَيَا ضَجِيعَ الثُّرْبِ أَقْلَقْتَنِي  
كَأَنَّمَا فَرَشِي شَوْكُ الْقَتَادِ (٢٧)  
دُفِنْتَ فِي الثُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا  
مَا كُنْتَ إِلَّا فِي ضَمِيرِ الْقَوَادِ  
لَوْلَمْ تَكُنْ أَشَخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ  
مَشَاكَ عَيْنَايَ كَصَوْبِ الْعِهَادِ (٢٨)  
خَلِيفَةَ اللَّهِ اضْطَبِّرْ وَاحْتَسِبْ  
فَمَا وَهَى الْبَيْتُ وَأَنْتَ الْعِمَادِ  
فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ بِكُمْ يُقْتَدَى  
إِذَا دَجَا الْخَطْبُ وَضَلَّ الرَّشَادِ  
أَنْتَ سَمَاءٌ طَلَعْتَ زَهْرُهَا  
لَا يُنْقِصُ الْآفِلُ مِنْهَا عِدَادِ  
وَأَنْتَ لُجُ الْبَحْرِ مَا ضَرَّةُ  
أَنْ سَالَ مِ بَغْضٍ نَوَاحِيهِ وَادِ  
حُبُّكَ فَرَضٌ فِي قُلُوبِ الْوَرَى  
وَإِنَّ الْوَلَا يُغْدِلُ بِأَبْنِ الْوِلَادِ  
يَا نُوحُ رِثْ أَعْمَارَنَا وَاحْتِكِمِ  
مَلَكَكَ اللَّهُ رِقَابَ الْعِبَادِ

\*\*\*

(٢٧) القتاد : نبات صلب له شوك كالإبر.

(٢٨) الصوب : المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذي - العهد : مطر أول السنة ، أو مكان نزوله .

وقال متغزلًا:

وَحَقُّ مَنْ بَدَّلَ نَوْمِي بِالشَّهْرِ  
وَعَذَّبَ الْقَلْبَ بِأَنْوَاعِ الْفِكَرِ  
وَأَسْقَمَ الْجَفْنَ بِسُقْمِ جَفْنِهِ  
وَأَشْهَرَ الطَّرْفَ وَلِلْقَلْبِ أَسْرُ  
مَا خِلْتُ ذَاكَ الْوَجْهَ لَمَّا أَنْ بَدَا  
فِي جُنْحِ لَيْلٍ شَغِيرِهِ إِلَّا قَمَرُ  
وَهَوَّ فَمَا ظَنَّ دُمُوعَ مُقْلَتِي  
بِمَا جَرَى مِنْ فَيْضِهَا إِلَّا مَطَرُ  
أَخْوَرُ وَالْفُتُورُ خَشُو جَفْنِهِ  
يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْفُتُورُ وَالْحَوَرُ  
مَرَّ بِنَا يَخْطُرُ فِي مَشِيرِهِ  
وَالْقَلْبُ مِنْ خَطَرَتِهِ عَلَى خَطَرِ  
هَزَلْنَا مِنْ قَدِّهِ رُمَحًا وَمِنْ  
الْحَاطِظِ يَا عَاذِلِي سَيْفًا شَهْرُ  
مُخَالِفٍ إِنْ قُلْتُ دَغْ زِيَارَتِي  
زَارُوا إِنْ قُلْتُ لَبُّهُ صِلْنِي هَجَرُ  
وَاللَّهِ مَا عَابَتْهُ إِلَّا وَفَى  
وَلَا وَفَيْتُ عَنْهُ إِلَّا غَدَرُ

## ابن مَرَج الكُحْل

( ٥٥٤ - ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م )

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن علي بن إبراهيم بن القاسم ، من أهل جزيرة شقر ، يكنى أبا عبد الله ، ويعرف بابن مرج الكحل . كان شاعرا مفلحا غزلا ، بارع التوليد ، رقيق الغزل ، وقالوا عنه : « كان مطبوعا حسن الكفاية ذاكرل للأدب ، متصرفا فيه ، وكانت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها إجادته » ، وكان مبتذلا للباس ، على هيئة أهل البادية ، ويقال إنه كان أميًا .

\* \* \*

قال ابن مرج الكحل من قصيدة يصف فيها الطبيعة :

عَرَجَ بِمُنْعَرَجِ الْكَيْبِ الْأَغْفَرِ	بَيْنَ الْفُرَاتِ وَبَيْنَ شَطِّ الْكُوْثَرِ
وَلَنَغْتَبِقْهَا قَهْوَةً ذَهَبِيَّةً	مِنْ رَاخَتِي أَخْوَى الْمَرَاشِفِ أَحْوَرِ
وَعُشْيَةً قَدْ كُنْتُ أَرْقُبُ وَقْتَهَا	سَمَحْتُ بِهَا الْيَوْمَ بَعْدَ تَعَذُّرِ
نَلْنَا بِهَا آمَالَنَا فِي رَوْضَةٍ	تُهْدِي لَنَا بِشِقْهَا شَمِيمَ الْعَنْبَرِ
وَالْهَرُّ مِنْ نَدَمٍ يَسْفُهُ رَأْيَهُ	فِيمَا مَضَى مِنْهُ بَغِيرُ تَكْدَرِ
وَالْوُزُقُ تَشْدُو وَالْأَرَاكَةُ تَشْنِي	وَالشَّمْسُ تَرْفُلُ فِي قَمِيصِ أَصْفَرِ <sup>(١)</sup>
وَالرَّوْضُ بَيْنَ مُفَضِّضٍ وَمُذْهَبِ	وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُدْزَهَمٍ وَمُدْنَرِ
وَالنَّهْرُ مَرْقُومُ الْأَبَاطِحِ وَالرُّبَى	بِمُصْنَدَلٍ مِنْ زَهْرِهِ وَمُعْصَفَرِ <sup>(٢)</sup>
وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّ خُفْرَةَ شَطِّهِ	سَيْفٌ يُسَلُّ عَلَى بِسَاطِ أَخْضَرِ

(١) الأراكاة شجرة طويلة تتخذ منها المساويك .

(٢) مرقوم بمعنى منقوش موشى - مُصْنَدَل : له رائحة طيبة والصندل : شجر طيب الريح - المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو نبات يستخرج منه صبغ أحمر .

وكأنَّما ذاك الحَبَابُ فِرْنَدُهُ  
وكأنَّه وجهائهُ مَحْفُوفَةٌ  
نَهْرُ يَهِيمُ بِحُسْنِهِ مَنْ لَمْ يَهْمِ  
مَا أَصْفَرَّ وَجْهَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا  
وقال أيضا :

أَرَأَيْتَ جَفَوْنَكَ مِثْلَهُ مَنْ مَنَظَرِ  
ثم قال منها :

وقراره كالْعَشْرِيَيْنِ خَمِيلَةٍ  
فكأنَّها مَشْكُولَةٌ بِمُصْنَدِلٍ  
أَمَلٌ بَلَّغْنَاهُ يَهْضُبُ حَدِيقَةٍ  
فكأنه والزَّهْرُ تَاجٌ فَوْقَهُ  
راق النَّوَاطِرَ مِنْهُ رَائِقُ مَنَظَرِ  
كم قَادَ خَاطِرَ خَاطِرٍ مُسْتَوْفِرٍ  
لَوَلَاخَ لِي فِيمَا تَقَدَّمَ أَقْلُ

مهما طفا في صَفْحَةٍ كاجوهر  
بالأَسِ والنُّعْمَانِ خَدُّ مُعَذَّرٍ (٣)  
ويُجِيدُ فِيهِ الشُّعْرَ مَنْ لَمْ يَشْعُرْ  
إِلَّا لِفَرَقَةٍ حُسْنِ ذَاكَ الْمَنْظَرِ

ظِلٌّ وَشَمْسٌ مِثْلُ خَدِّ مُعَذَّرِ

سالت مَذَانِبُهَا بِهَا كَالْأَشْطَرِ (٤)  
من يَانِعِ الْأَزْهَارِ أَوْ بِمُعْضَفِرِ  
قَدْ طَرَّرَتْهُ يَدُ الْغَمَامِ الْمُطْمَرِ (٥)  
مُلْكٌ تَجَلَّى فِي سَاطِئِ أَخْضَرِ  
يَصِفُ النَّضَارَةَ عَنْ جِنَانِ الْكُوْثَرِ  
وَكَمْ اسْتَفَزَّ جَمَالَهُ مِنْ مُبْصَرِ  
عَرَّجَ بِمُنْعَرَجِ الْكُثِيبِ الْأَعْفَرِ



---

(٣) حباب الماء : موجه أو طرائقه التي تشبه الوشى - الفرند : وشى السيف - الأس وشقائق النعمان : ضربان من الزهور - المعذّر: الذي نبت شعر عذاره ، وهو جانب اللحية .  
(٤) القرارة : الروضة أو المكان المنخفض يستقر فيه الماء - مذانب : مسايل .  
(٥) هضبت : مطر .



قال أبو الحسن الرُّعيني ، وأنشدني لنفسه :

وَعُشْيَةٌ كَانَتْ قَنِصَةً فِثْيَةً  
فَكَأَنَّمَا الْعَنْقَاءُ قَدْ نَصَبُوا لَهَا  
شَمَلْتَهُمْ أَدَابُهُمْ فَتَجَسَّاذَبُوا  
وَالْوُزُقُ تَقْرَأُ سِيرَةَ الطَّرَبِ الَّتِي  
وَالنَّهْرُ قَدْ صَفَحَتْ بِهِ نَارُنْجَةً  
فَتَخَالَهُمْ حُطْلُ السَّمَاءِ كَوَاكِبَا  
خَرَقَ الْعَوَائِدُ فِي السَّرُورِ نَهَارُهُمْ

\* \* \*

ومن أبياته في البديهة :

وعندي من مَرَاشِفِهَا حَدِيثٌ  
وَفِي أَجْفَانِهَا السَّكْرَى دَلْسُلٌ  
تَعَالَى اللَّهُ مَا أَجْرَى دُمُوعِي  
وَأَشْجَانِي إِذَا لَاحَتْ يَرُوقُ

\* \* \*

أَلِفُوا مِنَ الْأَدَبِ الصَّرِيحِ شُيُوخَا (٦)  
مِنَ الْإِنْحِنَاءِ إِلَى الْوُقُوعِ فُخُوخَا  
سِرَّ السَّرُورِ مُحَدَّثَنَا وَمُصِيخَا (٧)  
يُنْسِيكَ مِنْهَا نَاسِخَا مَنَسُوخَا  
فَتِيَمَّمْتُ مَنْ كَانَ فِيهِ مُنِيخَا (٨)  
قَدْ قَارَنْتُ بِسُغُودِهَا الْمَرِيخَا (٩)  
فَجَعَلْتُ أَيْبَاتِي لَهُمْ تَارِيخَا

يُخَبِّرُ أَنَّ رِيْقَتَهَا مُدَامُ  
وَمَا دُقْنَا وَلَا زَعَمُ الْهُمَامِ  
إِذَا عَنَّتْ لِمُقْلَتِي الْخِيَامِ  
وَأَطْرَبْنِي إِذَا غَنَّتْ حَمَامِ

(٦) القنصة : ما اقتنص من المصيد .

(٧) مصيخ : مستمع .

(٨) صفحت بمعنى انبسطت - نارنجة : شجرة مشمرة - تيممت : قصدت - منيخ : مقيم .

(٩) المريخ : كوكب .

ومن قصيدة :

عذيرى من الآمال خابت قُصودها      وقالوا ذكّرنا بالغنى فأجبّتهم  
وقالوا ذكّرنا بالغنى فأجبّتهم      يهونُ علينا أن يبيد أثائنا  
يهونُ علينا أن يبيد أثائنا      وما ضراً أصلاً طيباً عدمُ الغنى  
وما ضراً أصلاً طيباً عدمُ الغنى

\* \* \*

وله يتشوق إلى أبى عمرو بن أبى غياث :  
أبا عمرو متى تُقضى الليالى  
أبى عمرو متى تُقضى الليالى  
أبى عمرو متى تُقضى الليالى  
أبى عمرو متى تُقضى الليالى

\* \* \*

وله من قصيدة :

طفّل المساء والنسيم تَضُوعُ      والزهرُ يضحكُ من بُكاء غمامةٍ  
طفّل المساء والنسيم تَضُوعُ      والنهرُ من طَرَبٍ يُصَفِّقُ مَوْجَه  
طفّل المساء والنسيم تَضُوعُ      فأنعم أبا عمران وألهُ بروضةٍ  
طفّل المساء والنسيم تَضُوعُ      يا شادنَ البان الذى دون النقا  
طفّل المساء والنسيم تَضُوعُ      الشمسُ يغربُ نورُها ولربما

(١٠) يقال : عذيرى أى من يعذرنى .  
(١١) الطّفّل : إقبال الليل على النهار بظلمته ، ويقال طَفَلَت الشمس إذا دنت للغروب ، ومنه طَفَلُ الليل أى دنا وأقبل بظلامه .

إِنْ غَابَ نَوْرُ الشَّمْسِ بِثَنَاتِنِّي  
 أَفْلَتَ فَنَابَ سَنَاكَ عَنْ إِشْرَاقِهَا  
 فَأَمْنْتُ بِمَا مُوسَى الْغُرُوبَ وَلَمْ أَقُلْ  
 بِسَنَاكَ لَيْلَ تَفَرَّقَ يَتَطَلَّعُ  
 وَجِلًّا مِنَ الظُّلُمَاءِ مَا يُتَوَقَّعُ  
 فَوَدِدْتُ بِمَا مُوسَى لَوْ أَنَّكَ يَوْشَعَ

وقال :

أَلَا يَشُرُّوا بِالصَّبْحِ مِنِّي بِأَكْيَا  
 فَفِي الصَّبْحِ لِلصَّبِّ الْمُتَيْمِ رَاحَةٌ  
 وَلَا عَجَبَ أَنْ يُمَسِكَ الصَّبْحُ عَبْرَتِي  
 أَضْرَبُهُ اللَّيْلُ الطَّوِيلُ مَعَ الْبَكَا  
 إِذَا اللَّيْلُ أَجْرَى دَمْعَهُ وَإِذَا شَكَا  
 فَلَمْ يَزَلِ الْكَافُورُ لِلدَّمِّ مُنْسَكَا

ومن بديع مقطوعاته قوله :

مَثَلُ الرِّزْقِ الَّذِي تَطْلُبُهُ  
 أَنْتَ لَا تُذَكِّرْكَ مُتَّبِعَا  
 مَثَلُ الظِّلِّ الَّذِي يَمْشِي مَعَكَ  
 فَإِذَا وَلَّيْتَ عَنْهُ أَتْبَعَكَ

وقال :

دَخَلْتُمْ فَأَفْسَدْتُمْ قُلُوبًا بِمُلْكِكُ  
 وَبِالْعَذْلِ وَالْإِحْسَانِ لَمْ تَتَخَلَّقُوا  
 فَأَنْتُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَّمْلِ  
 فَأَنْتُمْ عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ النَحْلِ

وقال أبو بكر محمد بن محمد جَهُور: رأيت لابن مرج الكحل مَرَجًا أحمر قد أجهد نفسه  
في خدمته فلم يُنَجِّب ، فقلت :

يا مَرَج كُحِّل وَمَنْ هَذِي المروج له	ما كان أحوج هذا المريج للكحل
يا حُمرة الأرض من طيبٍ ومن كَرَم	فلا تكن طِمَعًا في رِزْقها العَجَل
فإنَّ مِنْ شَأْنِهَا إِخْلَافَ آمِلِهَا	فما تُفَارِقُهَا كَيْفِيَّةَ الخجل

فقال مجيبًا بما نصه :

يا قائلًا إذ رأى مَرَجِي وحُمَرتَه	ما كان أحوج هذا المريج للكحل
هو احمرارُ دماءِ الرُّومِ سَيِّهَا	بالبيض من مَرٍّ من آبائي الأول
أحبُّهُ إنَّ مَنْ فُتِنَتْ بِهِ	في حُمرة الخدِّ أو إِخْلَافه أُملى

\* \* \*

ثانيا

النشر





## ابن خفاجة (١)

كتب ابن خفاجة في رثاء والده قاضي القضاة أبي أمية :

كَبَّبْتُهُ ، وَالنَّفْسُ تَتَفَجَّعُ ، وَحَصَاةُ (٢) الْقَلْبِ تَتَصَدَّعُ ، عِنْدَمَا طَرَأَ النَّبَأُ الْأَشْنَعُ ، وَطَرَقَ  
الْحَادِثُ الْأَهْوَلُ الْأَفْظَعُ ، بِمَا سَفَرَعَنَّهُ الدَّهْرُ مِنْ وَجْهِ الدَّاهِيَةِ الدَّهْيَاءِ ، وَاجْتَنَّهُ بِسَاحَتِكَ مِنْ  
دَوْحَةِ الْعَلْيَاءِ الْغَيْنَاءِ ، الَّتِي كُنْتَ تَتَمَتَّعُ بِبَرْدِ أَفْيَائِهَا وَتَسْتَنْزِلُ الرَّحْمَةَ بِسِرِّكَ دُعَائِهَا ، أَلْحَفَهَا  
اللَّهُ جَنَاحَ عَفْوِهِ وَغُفْرَانِهِ ! وَتَعَمَّدَهَا بِنَفْحَةِ رُوحِهِ وَرِيحَانِهِ ! فَلَقَدْ كَانَتْ نَسِيجَةً وَخِذَهَا فَضْلاً  
وَنُبْلاً ، (٣) وَدِيَانَةً وَعَقْلاً . وَلَا غَرْوَ أَنْ يَذِيعَ عَمَلُ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ مَصُونَةٍ وَرَاءَ  
الْحِجَابِ وَالسُّتْرِ ، فَالْبَذَرُ يُضْيِئُ خِلَالَ غَمَامِهِ ، وَالْمِسْكُ يَنْثُرُ وَرَاءَ خِتَامِهِ . وَمَا قَصَّتُ -  
وَكُلُّنَا سَيَقْضِي ، وَيَحْتَتُّ رَاحِلَةً عُمْرِهِ فَيُنْضَى (٤) - إِلَّا زَاكِيَةَ الْمَسَاعِي وَالْأَعْمَالِ ، حَائِزَةً بِكَ  
وَفِيكَ غَايَةَ الْأَمَانِي وَالْأَمَالِ . فَسَقَى اللَّهُ ذَلِكَ الْأَصْلَ كُلَّ هَامِرٍ ، مِنْ غَمَامِ الرَّحْمَةِ هَامِلٍ (٥) !  
وَوَقَى هَذَا الْفَرْعَ كُلَّ عَاصِفٍ ، مِنْ رِيَّاحِ الْحَوَادِثِ قَاصِفٍ ! وَأَمْتَعَنَا بِكَرِيمِ ظِلِّهِ وَثَمَرَتِهِ ، كَمَا  
أَمْتَعَهُ بِطَيْبِ مَغْرِسِهِ وَتُرْبَتِهِ ! وَبَعْدُ ، فَإِنْ جَزَعْتَ لِهَذَا الْحَادِثِ الْكَارِثِ ، فَبِحُكْمِ الْبُنُوءِ  
وَالْفَضْلِ ، وَإِنْ صَبَرْتَ ، فَبِمُقْتَضَى الشَّرِيعَةِ وَالْعَقْلِ . فَأَيَُّا أَتَيْتُ ، فَلَا مَلَامَةَ تَتَعَلَّقُ بِكَ ،  
وَلَا حُجَّةٌ تَتَوَجَّهُ عَلَيْكَ ، فَخُطْبُكَ أَشْنَعُ ، وَعُذْرُكَ أَوْسَعُ . غَيْرَ أَنَّ الصَّبْرَ أَخْلَقُ بِمِثْلِكَ مِنْ أَهْلِ  
الْجِزَالَةِ ، وَأَوْلَى الرَّجَاحَةِ وَالْجَلَالَةِ . وَمَا كَتَبْتُ - أَدَامَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ ! - أَذْكَرُ وَأَبْصَرُ ، فَأَنْتَ بِمَا  
مَنَحَكَ اللَّهُ أَذْكَى ، وَأَخْضَرُ فَهْمًا وَأَزْكَى ، وَلَكِنِّي لَمَّا قَامَ بِي فَادِحُ الرُّزْءِ يُحَرِّكُنِي ، ثُمَّ قَعَدَ بِي  
اسْتِيْلَاءُ الضَّعْفِ يُمَسِّكُنِي ، كَتَبْتُ أَجْلِي وَجْهَ الْعُذْرِ فِي التَّوَقُّفِ ، وَأَشْرَحُ سَبَبَ التَّأَخُّرِ  
وَالْتَّخَلُّفِ . وَمِثْلُكَ - وَصَلَ اللَّهُ تَوْفِيقَكَ ! - مَنْ تَصَفَّحَهُ وَتَأَمَّلَهُ ، وَأَنْعَمَ عَلَى عَادَتِهِ فَتَقَبَّلَهُ .  
وَجُمْلَةُ ذَلِكَ أَنِّي لَا أَكَادُ أَفْلِتُ مِنْ إِسَارِ شُكْوَى ، إِلَّا رَسَفْتُ فِي قَيْدِ أُخْسَرَى . وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ

(١) سبق التعريف به فيما سبق من المختار من شعره .

(٢) الحصاة : من معانيها الرزاة والتعقل .

(٣) داهية دهياء أو دهواء : شديدة - اجتته : قطعه - شجرة غيناء : ملتفة الأغصان كثيرة الورق - أفياؤها : ظلالها  
ألحفها أي ألبسها أو أثرها - نسيجة وحدها أي لانظير لها .

(٤) يحتت : يعجل إعجالاً متصلاً - يُنْضَى : تهزل دوابه وتتعب .

(٥) هامر : منصب - هامل : دائم المطر مع سكون وضعف .

الله نُعْمَى ، وَتَذِكْرُهُ مِنْ غَفْلَةٍ وَرُحْمَى . وَقَدْ حَمَلْتُ مِنْ ذَلِكَ فَلَانَا - أَعَزَّهُ اللهُ ! - مَا سَيَبْسُطُهُ  
مُجْمِلًا ، وَتَعِيهِ مُنْعَمًا مُتَطَوِّلًا .

حَفِظَ اللهُ عَلَيْنَا بِكَ مَا عَرَفْنَاهُ مِنْ نِعْمَتِهِ ، وَأَوْسَعَنَاهُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَأَغْلَقْنَاهُ مِنْ حَبْلِ  
كِلَائَتِهِ (٦) وَعِصْمَتِهِ ! وَلَا زِلْتَ تَبْقَى وَتَرْقَى ، وَتَلْقَى كُلَّ أُمْنِيَّةٍ وَتُوقَى ، وَعِقْدُ مَجْدِكَ فِي  
اِنْتِظَامِهِ ، وَبَدْرُ سَعْدِكَ فِي تَمَامِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ ، عَزَّ وَجَلَّ !

\* \* \*

وكتب إلى الوزير الفقيه ، أَبِي مَرْوَانَ بْنِ أَبِي الْخِصَالِ ، بعقب التقائهما بحضرة شاطبة :  
يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى ، وَقَدْ جِئْتُكَ الْمُعْلَى ، وَعِلْقَى الْأَخْطَرِ الْأَعْلَى - لَا زِلْتَ بَيْنَ شَفَاعَةِ مَقْبُولَةٍ ،  
وَطَاعَةِ اللهِ مَوْصُولَةٍ ! - كَتَبْتُهِ وَالنَّفْسُ تُقَدِّيكَ ، وَتَتَمَنَّى فَلَا تَعْتَدِيكَ ، وَتَتَشَكَّرُ مَا اسْتَشَعَرْتَهُ مِنْ  
تَحْفِيكَ (٧) ، وَتَهَيِّمُ بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فِيكَ ، كَلَفًا بِمَا تَتَشَقَّقُ مِنْ رُوحِ شَيْمِكَ ، وَتَتَشَوَّقُ مِنْ  
مَرَاقِي هَمِيمِكَ . لَا زِلْتَ تَبْقَى ، وَتَرْقَى ، وَالسَّعْدُ مِنْ خَدَمِكَ ، وَالنَّجْمُ مِنْ مَوَاطِيءِ قَدَمِكَ ،  
بِحَوْلِ اللهِ تَعَالَى !

وَبَعْدُ ، فَقَدْ كَانَ انْفِصَالُنَا عَمَّا لَمْ يُتَحَصَّلْ فَهَمًّا ، وَلَمْ يُعْطِ عِلْمًا ، ثُمَّ تَلَاهُ ، مَا كَشَفَهُ  
وَجَلَّاهُ ، فَشَكَرْتُ الْيَدَ الْجَسِيمَةَ ، وَالْمَبْرَةَ الْوَسِيمَةَ ، تَشَكَّرُ مِلَى بِالشَّاءِ عَلَى ذَلِكَ السَّرْوِ  
وَالسَّنَاءِ ، وَتَمْلِكُنِي صُنْعُ آيَاتِنِي بِلَيْلَةِ السَّرَاءِ ، وَهَزْنِي هَزَّ الصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ (٨) . وَكُنْتُ قَلِقَ  
الْحَشَايَا خَفَاقَ الْأَحْشَاءِ ، أَتَأَلَّمُ لِلْحَاجِي وَالْحَافِي ، وَأَتَمْلَمُ لِتَوَقُّفِ الدَّهْرِ عَنْ إِسْعَادِي  
وَإِسْعَافِي ، مَعَ مُوَاتَاتِهِ فِي بَعْضِ الْأَزْمِنَةِ ، وَأَكْثَرِ الْأَمَكِنَةِ ، لِتَقَرِّ لَا يُوَافِقُ هَذَا الْاسْمُ هُنَالِكَ  
مُسَمَّاهُ ، وَلَا يَنْطَبِقُ لَفْظُهُ عَلَى مَعْنَاهُ ، فَمَا عَلَيْكَ مِنْ بَأْسٍ أَنْ تُعَدِّلَ عَنْ قِرَاءَتِهِ « نَقْرًا » ، إِلَى  
قِرَاءَتِهِ « بَقْرًا » ، فَالْتِهَمُّ (٩) بِذَاتِ الْمَعْنَى ، أَكَدُّ مِنَ التَّهَمُّ بِاللَّفْظِ وَأَوْلَى . وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ مِنْ

(٦) كِلَائَتُهُ : حفظه ورعايته .

(٧) تعتديك بمعنى تجاوزك - التحقَّى : الاحتفال .

(٨) الوسيمة : الحسنه الجميلة - السَّرو : الشرف - السَّرَاء : المسرة والنعمة - الصعده : القناه المستوية .

(٩) التَّهَمُّ : التحسُّس .

خَطَلَ الْقَوْلِ ، وَأَسْتَمْنَحُهُ الْمَعْهُودَ مِنَ الطُّوْلِ ، فَهُوَ الْمَلِيُّ بِهِ (١٠) ، عَزَّ وَجْهَهُ ! وَمَنْ بَدِيعِ  
الْبَدِيعِ ، الْكَلَامُ مَعْجُونٌ ، وَالْحَدِيثُ شُجُونٌ . وَإِنَّهُ اتَّفَقَ أَنْ فَصَلْتُ تِلْكَ الْعَشِيَّةَ ، وَالْأَفُقُ قَدْ  
أَضْحَى ، وَأَبْلٌ مِنْ ثَمَلِهِ (١١) وَصَحَا ، وَصَفَحَهُ الشَّمْسُ مَخْطُوطَةً الْقِنَاعِ ، مَضْقُولَةً كَمِرَاةِ  
الصَّنَاعِ . فَمَا هَمَمْتُ أَجْزَعُ وَادِي الْحَضْرَةِ (١٢) ، حَتَّى طَفِقَ جَفْنُ الْجَوِّيْنَدَى ، وَمِطْرَفُ  
الْغَمَامِ يُنَارُ وَيُسْدَى . فَسُمْتُ الْمَطِيَّ أَنْ تَجِفَ ، وَتَسْبِقَ السَّمَاءُ أَنْ تَكِفَ . فَمَا لَبَّى  
فَأَهْطَعَ (١٣) ، وَتَسَنَّمَ بِي الْمَقْطَعَ ، حَتَّى آلَ حِلْمُ ذَلِكَ الْهَوَاءِ طَيْشًا ، وَرَذَاذُ ذَلِكَ الرَّبَابِ  
طَشًا (١٤) . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا ، وَلَا عَلَيْنَا ! فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ عَدَلَ عَنَّا ، وَضَرَبَ بِكُلْكُلِهِ غَيْرَ  
بَعِيدٍ مِنَّا ، وَأَرْعَدَ فَنَقَتْ وَرَقَى (١٥) ، ثُمَّ غَنَى مَا شَاءَ وَسَقَى . وَأَفْضَى بِنَا الرُّكُضَ إِلَى مَصَابِ  
سَمَائِهِ ، وَمُهْرَاقٍ عَزَالَى مَائِهِ ، وَقَدْ صَبَحَهُ لَثَقٌ ، وَغَبَقَهُ غَدَقٌ ، فَصُعُودُهُ زَلَقٌ ، وَهُبُوطُهُ  
غَرَقٌ (١٦) . وَحَسْبُكَ مِنْ وَخْلِ يُقَيِّدُ مَطَايَا الرُّكْبَانِ ، وَيَكْبُتُ آوِنَةً عَلَى الْأَذْقَانِ ، فَلَا تَرَى  
إِلَّا خُدُودًا ، تُعْفَرُ سُجُودًا ، وَبُرُودًا ، (١٧) ، تُصْبَغُ حُمْرًا وَسُودًا ، فَمَا شِئْتَ مَنْ مُمَسِّكِ وَمُعَنْبِرِ ،  
وَمُصْنَدِلٍ وَمُعْصَفِرٍ :

وَسَوَاءٌ نَجَدُ هُنَاكَ وَوَهْدُ      وَسَيِّلُ خَبَطَتُهُ وَمَسِيلُ  
وَقَدْ اغْتَلَّ بَيْنَ طَلٍ وَصَخْرِ      نَشْرُتِلَكَ الصَّبَا وَذَاكَ الْأَصِيلُ  
وَانْتَشَى رِيًّا كُلُّ قُطْرِ فَلَوْلَا      هُضْبُ تِلْكَ الْعُلَى لَكَانَ يَمِيلُ

(١٠) الملئى : المضطلع .  
(١١) فصلت : خرجت - أبل : برا - ثمله بمعنى سكره ، وثمل فلان أى أخذ منه الشراب .  
(١٢) الصَّنَاع الماهر فى الصناعة - أجزع الوادى : أقطعه عرضاً .  
(١٣) المطرف : ثوب من خز - يُنَار : يجعل له علامة تميزه - يُسْدَى : يُمدَّ سُدها ، والسُدَى : خيوط نسيجه التى  
تمدّ طولاً - تجف : تسرع - تكف : تسيل وتمطر قليلاً قليلاً - أهطع فى سيره : أسرع .  
(١٤) الرباب : السحاب الأبيض - الطش : المطر الضعيف .  
(١٥) كلكله : صدره - نفث : نفخ ، يقال : نفث فلاناً سحره - رقى المريض : عوده .  
(١٦) مهراق : مصبوب - أرسلت السماء عزاليها أى انهمرت بالمطر - صَبَحَه : سقاه شراب الصباح - غَبَقَهُ :  
سقاه شراب العشي - اللثق : كثرة الندى - الغرق : الخصب وكثرة الماء - زلق : زلل .  
(١٧) بُرُود : جمع بُرد ، وهو ثوب فيه خيوط ، وخصّ بعضهم به الوشى .



فَسِرْنَا ، وَمَا كِدْنَا ، بَيْنَ مِبَاحَةٍ ، وَمَسَاحَةٍ ، حَتَّى شَارَقْنَا الدِّيَارَ وَقَدْ عَبَسَ وَجْهُ السَّمَاءِ ،  
وَأَذْرَكَ بِنَا كُمَيْتُ الْمَسَاءِ (١٨) ، يَسْمُو النَّشَاطُ بِطَرْفِهِ ، وَيَسِيلُ غَدَقُ النَّدى عَلَى عِطْفِهِ ، وَأَشْقَرُ  
الشَّفَقِ قَدْ نَبَذَ الْمَعْمُورَةَ خَلْفَهُ ، وَتَفَضَّ عَلَى مَسْقَطِ الشَّمْسِ عُرْفَهُ ، يَمْرُحُ عِزَّةً بِسَبْقِهِ ، وَيَجْرُ  
مِنْ نَخْوَةِ عَنَانَ بَرْقِهِ ، وَذَكَرُ اللَّهِ - تَعَالَى ! - مِلءُ الصُّدُورِ وَالْأَفْوَاهِ ، وَشِعَارُ الْأَلْسِنَةِ وَالشُّفَاهِ .  
وَمَا كُنَّا لِنَعْبُرَ مَسَافَةَ تِلْكَ الْمَجَابَةِ ، إِلَّا بِدَعْوَةِ اتَّفَقَتْ هُنَاكَ مُجَابَةٍ ، وَعَظْفَةٍ لِحَلِيمٍ حَكِيمٍ ،  
وَنَظْرَةٍ مِنْ رَحِيمٍ كَرِيمٍ . وَتَلَاقَانَا اللَّهُ بِحَافِلِ نُعْمَاهُ ، وَشَامِلِ رُحْمَاهُ ، فَأَذْرَكْنَا عَلَى سَيْرِ بَطْنِي ،  
وَإِغْيَاءِ مَطْنِي ، وَخُلُقِي غَيْرِ وَطْنِي . وَلِحَقٍّ بِلِحَاقِنَا أَذْهَمَ الظُّلَمَاءُ يَحُبُّ ، وَيَتَنَفَّسُ عَنْ شَمَالٍ  
تَهْبُّ ، فَمَا اجْتَلَيْتُ وَجْهَ الْأَنْسِ إِلَّا بِشُعْلَةٍ مِصْبَاحٍ ، أَزْهَرَ لِيَّاحٍ (١٩) ، طَلَقَ الْأَسِرَّةَ وَضَّاحٍ ،  
يَنْوُبُ عَنْ غُرَّةٍ صَبَاحٍ وَيَخْفِقُ خُفُوقَ اِزْتِيَّاحٍ ، فَكَأَنَّمَا كَرَعَ فِي مُجَاجَةٍ رَاحٍ (٢٠) أَوْ تَطَّلَعَ  
إِلَى بَارِقَةٍ سَمَاحٍ :

تَحَلَّتْ بِهِ مِنْ كَوَكِبٍ لَبَّةُ الدُّجَى      فَأَوْجَفَ بِي طَرْفٌ مِنَ اللَّيْلِ أَبْلَقُ (٢١)  
وَبِثٌّ وَعَنْدَى لِلصَّبَاحِ مُلَاءَةٌ      نَرُوقُ وَجَنِبٌ لِلظُّلَامِ يُمَرِّقُ  
يُشَافِهْنِي مِنْهُ لِسَانُ ابْنِ رَمْلَةٍ      يُّوْحُ بِسِرِّ اللَّيْلِ وَاللَّيْلِ مُطْرِقُ  
وَيَنْخَرُدُونِي جُنَحَ كُلِّ دُجْنَةٍ      سِنَانٌ صَقِيلٌ لِلذُّبَالَةِ أَزْرَقُ (٢٢)

وَاقْتَضَى فَضْلُ الشُّتَاءِ ، وَبَرَدُ الْهَوَاءِ ، أَنْ اسْتَظْهَرَ إِلَى ضِيَاءٍ ، بِصَلَاءٍ (٢٣) فَشَفَعْتُ نُورَ  
السَّرَاجِ ، بِأَبْيَضٍ وَهَّاجٍ ، فِي أَسْوَدَ دَاجٍ ، كَأَنَّمَا رُكِبَ مِنْ عَاجٍ وَسَاجٍ (٢٤) فَلَمْ أَلْبَثْ  
أَنْ جَمَعْتُ إِلَى بَصَرِ سَمْعًا ، وَأَطْلَعْتُ وَتَرَا الْأَنْسَ شَفْعًا :

(١٨) الكميت : ما كان لونه بين الأسود والأحمر .

(١٩) أبيض لياح : أى ناصع .

(٢٠) كرع بمعنى تناول الماء بغمه فى موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا يأناء - مجاجة : عصارة - راح خمر .

(٢١) اللبة : موضع القلادة من العنق - أوجف : أسرع فى سيره - الأبلق : فى لونه سواد وبياض .

(٢٢) الذبالة : الفتيلة التى تسرج .

(٢٣) صلاء : نار أو وقود .

(٢٤) الساج : شجر خشبه صلب وورقه كبير .



بِأَحْمَ مُسْوَدِّ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا      خُلِعَتْ عَلَى عِطْفَيْهِ جِلْدَةُ حَامٍ (٢٥)  
 ذَاكِي لِسَانِ النَّارِ تَحْسَبُ أَنَّهُ      بَرَقَ تَمَرَّقَ عَنْهُ جَنِبُ غَمَامٍ  
 وَكَأَنَّ بَذْءَ النَّارِ فِي أَطْرَافِهِ      شَفَقَ لَوَى يَدَهُ بِذَيْلِ ظَلَامٍ

وَلَمَّا قُمْتُ لِأَدَاءِ الْمَكْتُوبَةِ ، فَتَلَقَّيْتُ بِوَجْهِهِ الْأَرْضَ ، وَقَضَيْتُ الْفَرَضَ ، ثُمَّ نَلْتُ مِنَ الزَّادِ  
 وَمِلْتُ إِلَى الرُّقَادِ ، فَجَمَعْتُ بَيْنَ جَنْبِي وَالْفِرَاشِ ، وَدَبَّ فِي رُوحِ الْإِنْتِعَاشِ ، مَسَحْتُ جَفْنِي  
 مِنْ ذَلِكَ الْوَسَنِ ، وَتَفَرَّغْتُ لِمَلَامَةِ الزَّمَنِ ، فَجَعَلْتُ أَنْكَلَمُ عَنْ إِحْنِهِ ، وَأَتَأَلَّمُ مِنْ مِخْنِهِ ،  
 فَرَأَيْتُ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَ مُتَيْهِ وَهَيْتِهِ (٢٦) ، وَعَادَلْتُ بَيْنَ سَيِّئِهِ وَحَسَنِهِ ، وَأَشَارَ إِلَى مَا أَتَّحَ مِنْ  
 لُفْيَاكَ ، ثُمَّ قَالَ لِي : هَذَا بِذَاكَ ، وَهَلْ يُؤْكَلُ الشُّهْدُ إِلَّا بُسْمٌ ؟ فَاسْتَسْغَتْ هُنَالِكَ خُطْبَانِ  
 خُطُوبِهِ ، وَكَفَّاتُ عِنْدَ ذَلِكَ ذَنْوبِهِ ، وَالْقَيْتُ بِيَدِ السَّلَامِ وَكُنْتُ لَهُ حَرْبًا ، وَعَلَيْهِ الْبَا (٢٧) .  
 وَحَاوَلْتُ أَنْ نَلْتَقِيَ فَتَحَدَّثْتُ ، وَتَتَجَادَبْتُ ذِكْرًا مَا حَدَثَ ، وَمِنْ مُنَى الْمَضْدُورِ لَوْنَفْتُ ، فَعَاقَ  
 عَنِ اللَّقَاءِ وَقْتُ ، أَكْثَرُهُ مَقْتُ ، وَبَخْتُ ، أَوْفَرُهُ شَخْتُ ، مَعَ مَا اتَّفَقَ مِنْ غَيْثِ مُتَوَاصِلِ ،  
 وَعَيْثُ مُسْتَأْصِلِ (٢٨) ، وَاسْتَشْرَافِ أَعْنَاقِ سُيُولِ ، تُلْحِقُ الْحُزُونَ بِالسُّهُولِ ، وَتَلْتَظِمُ فِي  
 أَعَالِي مَرَاقِي الْوُعُولِ ، وَتُنْفَضُ بِهَا أَغْرَافُ شُقْرِ الْخُيُولِ :

فُسِمْتُ الْبِرَاعَةَ أَنْ تَنَكِّفِي      وَذَلَّقَ الْبِرَاعَةَ أَنْ يَكْتُبَا (٢٩)  
 وَأَجْرَيْتُ مِنْ مَدَّةِ أَذْهَمَا      وَحَلَّيْتُ مِنْ مُهْرَقِ أَشْهَبَا  
 تَرَكْتُ الْقُلُوبَ لَهُ مَرْبُطَا      وَصَدَرَ النُّدَى بِهِ مَلْعَبَا

(٢٥) أَحْمَ : أسود أو محترق ساخن .

(٢٦) إحنه : حقه وضغنه - يقال : راطل أى باع بالرطل - المنة : القوة - الهنت : الشر والإفساد .

(٢٧) كفأت الإناء : كيبته وقلبه - الذنوب : الدلو العظيمة - إلب أى مجتمع على عداوته .

(٢٨) مقت : بغض - بخت : حظ - شخت : قليل - عيث : إفساد .

(٢٩) ذلق : فصاحة - البراعة : القلم .

لَا بَرِحْتَ فِي دَعَةٍ وَسَعَةٍ ، وَلَا زَالَ مَكَانُكَ مِنَ الْمَعَالِي مُمَهَّدًا ، وَسَلْطَانُكَ مِنَ اللَّيَالِي  
مُؤَيَّدًا ، تَحْمِلُ كَمَالَ الْبَذْرِ ، وَجَلَالَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، تَعَالَى ! وَالسَّلَامُ .

وكتب في استدعاء مغنٍ :

إِنَّ لِلطَّرِبِ - أَعَزَّكَ اللَّهُ ! - جِسْمًا وَنَفْسًا ، يُسَمِّيَانِ سَمَاعًا وَكَأْسًا وَقَدْ حَضَرْتَنَا خَمْرَةٌ ،  
كَأَنَّهَا جَمْرَةٌ ، قَدْ تَنَاسَبَتْ سَوَرَتُهُمَا ، كَمَا تَضَارَعَتْ فِي الْخَطِّ صُورَتُهُمَا :

لَوْ تَرَى الشَّرْبَ حَوْلَهَا مِنْ بَعِيدٍ      قُلْتَ قَوْمٌ مِنْ قِرَّةٍ يَضْطَلُّونَا (٣٠)

فَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ تُؤْنِسَ ، وَتُطْرِبَ الْمَجْلِسَ ، فَتُجْرَى فِي ذَلِكَ الْجِسْمِ الْكَرِيمِ رُوحُهُ ،  
وَتُحْضِرُهُ مِنْكَ مَسِيحُهُ ، وَصَلْتَ ، وَأَجَمَلْتَ .

\*\*\*

وكتب في صفة متنزه :

وَلَمَّا أَكَبَّ الْغَمَامُ إِكْبَابًا ، لَمْ نَجِدْ مَعَهُ إِغْبَابًا (٣١) ، وَاتَّصَلَ الْمَطَرُ اتِّصَالًا ، لَمْ نُلَفِ مَعَهُ  
انْفِصَالًا ، ثُمَّ أَذِنَ اللَّهُ - تَعَالَى ! - لِلصَّخْرِ أَنْ يُطْلِعَ صَفْحَتَهُ ، وَيَنْشُرَ صَحِيفَتَهُ ، فَقَشَعَتْ الرِّيحُ  
السَّحَابَ ، كَمَا طَوَى السَّجِلُ الْكِتَابَ ، وَطَفِقَتِ السَّمَاءُ تَخْلَعُ جِلْبَابَهَا ، وَالشَّمْسُ تَحُطُّ  
نِقَابَهَا ، وَتَطْلَعَتِ الدُّنْيَا تَبْتَهِجُ كَأَنَّهَا عَرُوسٌ تَجَلَّتْ ، وَقَدْ تَحَلَّتْ - ذَهَبَتْ فِي لُمَّةٍ مِنْ إِخْوَانِي  
نَسْتَبِقُ إِلَى الرَّاحَةِ رَكُضًا ، وَنَطْوِي لِلتَّفَرُّجِ أَرْضًا ، وَنَنْشُرُ أَرْضًا ، فَلَا نُدْفِعُ إِلَّا إِلَى غَدِيرٍ ، نَمِيرُ ،  
قَدْ اسْتَدَارَتْ مِنْهُ فِي كُلِّ قَرَارَةٍ سَمَاءٌ ، سَحَابَاتُهَا غَمَاءٌ ، وَأَنْسَابَ فِي كُلِّ تَلْعَةٍ (٣٢) حُبَابٌ ،  
جَلَدَتْهُ حَبَابٌ . فَتَرَدَّدْنَا بِتِلْكَ الْأَبَاطِيحِ ، نَتَهَادَى تَهَادَى أَغْصَانِهَا ، وَنَتَضَاكُ تَضَاكُ  
أَقْحُوَانِهَا ، وَلِلنَّسِيمِ ، أَثْنَاءَ ذَلِكَ الْمَنْظَرِ الْوَسِيمِ ، تَرَأْسُلُ مَشْيٍ ، عَلَى بِسَاطٍ وَشْيٍ ، فَإِذَا مَرَّ  
بِغَدِيرٍ نَسَجَهُ دِرْعًا ، وَأَحْكَمَهُ صُنْعًا ، وَإِنْ عَثَرَ بِجَدُولٍ شَطَبَ (٣٣) مِنْهُ نَضْلًا ، وَأَخْلَصَهُ صَقْلًا ،

(٣٠) القرّة : البرد .

(٣١) أَكَبَّ بمعنى أَقْبَلَ - الإِغْبَابُ : هو المَجْيءُ يومًا والترك يومًا .

(٣٢) القرارة : المكان المنخفض - التلعة : ما ارتفع من الأرض .

(٣٣) شَطَبَ : شَقَّ .

فَلَا تَرَى إِلَّا بِطَاحًا ، مَمْلُوءَةً سِلَاحًا ، كَأَنَّمَا انْهَزَمَتْ هُنَالِكَ كَتَائِبُ ، فَأَلْقَتْ بِمَا لَبِسَتْهُ مِنْ دِرْعٍ  
مَضْقُولٍ ، وَسَيْفٍ مَسْلُولٍ .

وفى فصل منها :

فَاخْتَلَلْنَا فِيهِ خَضِرَاءَ ، مَمْدُودَةَ أَشْطَانٍ (٣٤) ، الْأَغْصَانِ ، سُندُسِيَّةَ رَوَاقٍ ، الْأُورَاقِ .  
وَمَا زِلْنَا نَلْتَحِفُ مِنْهُ بِبَرْدِ ظِلِّ ظَلِيلٍ ، وَنَشْتَمِلُ عَلَيْهِ بِرِدَاءِ نَسِيمِ عَلِيلٍ ، وَنُجِيلُ النَّظَرِ فِي نَهْرِ  
صَقِيلٍ ، صَافِي لُجَيْنِ الْمَاءِ ، كَأَنَّهُ مَجَرَّةُ السَّمَاءِ ، مُؤْتَلِقِ جَوْهَرِ الْحَبَابِ ، كَأَنَّهُ مِنْ نُغُورِ  
الْأَحْبَابِ . وَقَدْ خَضَرْنَا مُسْمِعٌ يَجْرِي مَعَ النَّفُوسِ لَطَافَةً ، فَهُوَ يَعْلَمُ غَرَضَهَا وَهَوَاهَا ، وَيُغْنِي  
لَهَا مُقْتَرَحَهَا وَمُنَاهَا ، فَصِيحُ لِسَانِ النِّقْرِ ، يَشْفِي مِنَ الْوَقْرِ (٣٥) ، كَأَنَّهُ كَاتِبٌ ، حَاسِبٌ ، تَمْشِقُ  
يُمْنَاهُ ، وَتَعْقِدُ يُسْرَاهُ :

يُحَرِّكُ حِينَ يَشْدُو سَاكِنَاتٍ وَيَتَّبِعُ الطَّبَائِعَ لِلشُّكُونِ

\*\*\*

وكتب فى استدعاء عود غناء :

انْتَظِمَ مِنْ إِخْوَانِكَ - أَعَزَّكَ اللَّهُ ! - عِقْدُ شَرْبٍ يَتَسَاقُونَ فِي وَدَّكَ ، وَيَتَعَاطُونَ رِيحَانَةَ  
شُكْرِكَ وَحَمْدِكَ . وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا شَرُّهُ الْمَسَامِعِ إِلَى رَنَةِ حَمَامَةٍ نَادٍ ، لَا حَمَامَةَ بَطْنٍ وَادٍ . وَالطُّولُ  
لَكَ فِي صِلَتِنَا بِجِمَادٍ نَاطِقٍ ، قَدْ اسْتَعَارَ مِنْ بَنَانِ لِسَانَا ، وَصَارَ لِضَمِيرِ حَامِلِهِ تَرْجُمَانًا ، وَهُوَ  
عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْإِحْسَانِ لَا يَنْفَكُ مِنْ إِيقَاعٍ بِهِ ، فِي غَيْرِ إِيْجَاعٍ لَهُ ، فَإِنْ هَفَا عُرِكَتْ أُذُنُهُ وَأُدْبَ ،  
وَإِنْ تَأَتَّى وَاسْتَوَى بُعْجَ بَطْنُهُ وَضُرِبَ (٣٦) . لَا زِلْتَ مُنْتَظِمَ الْجَدَلِ ، مُلْتَمِ الْأَمَلِ !

\*\*\*

(٣٤) أَشْطَانُ : حَبَالُ .

(٣٥) النِّقْرُ : الضَّرْبُ بِالْدَفِّ أَوِ الْعُودِ - الْوَقْرُ : الصَّعْمُ وَثَقُلَ الْأُذُنُ .

(٣٦) بُعْجٌ : شُقٌّ .



## جار الله الزمخشري

( ٤٦٧ - ٥٣٨ هـ / ١٠٧٥ - ١١٤٤ م )

أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، ولد بزمخشري من إقليم خوارزم الفارسي، وكان حنفياً معتزلياً قوياً في مذهبه مجاهراً به، كثير الفضل، غاية في الذكاء وجودة القريحة متفتناً في كل علم مقبلاً على دراسة العلوم اللغوية والدينية، ذا ذوق أدبي دقيق يقيس الجمال البلاغي ويكشف جوانبه.

أخذ الأدب عن أبي الحسن المظفر النيسابوري، وأبي مضر الأصبهاني، ورحل كثيراً، فأقام ببغداد مدة، وجاور بمكة وتلقب بجار الله وبفخر خوارزم أيضاً، وقد أصيب في رحلة فقطعها، وصنع عوضها رجلاً من خشب، يلقي عليها ثيابه الطوال إذا مشى، فيظن من يراه أنه أعرج، وكان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك، خوفاً من أن يُظنَّ به أنها قطعت لريبة.

وأشهر تصنيفاته "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"، و"عيون الأقاويل في وجوه التأويل"، "نحاه فيه منحى ظاهراً إلى التفسير العقلي الذي يكبر العقل ويرفض الاعتقاد في الكهانة مع توجيه الآيات القرآنية توجيهاً اعتزالياً يعتمد على فكرة القدر والجبر والإرادة الحرة في أفعال العباد وتنزيه الذات العلية عن كل تشبيه، وهو في هذا التفسير يبدؤ بالأوائل والأواخر - كما يقول بعض الدارسين - حتى لنرى أهل السنة يشهدون به على رغم من مخالفتهم له في آرائه الاعتزالية.

ومن تصنيفاته: "المفصل" في النحو، وقد نال عناية كثير من الشراح، و"أساس البلاغة" وهو معجم لغوي أورد فيه الزمخشري معاني الكلمات في سياق بعض العبارات مع ذكر معانيها المجازية، وله أيضاً "الغائق في غريب الحديث" و"أطواق الذهب" وهو يشبه في أساليبه المقامات، والمستقصى في الأمثال، و"ربيع الأبرار"، وشرح أبيات الكتاب، والأنموذج في النحو، والرائض في الفرائض، وشرح مشكلات المفصل، والكلم النوابع، والمستقصى، والقسطاس (وكلاهما في العروض)، وله شعر كثير.

\*\*\*



١ - من مقدمة كتاب : " الكشف عن حقائق غوامض التنزيل ، وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل " ، للزمخشري :

الحمد لله الذى أنزل القرآن كلامًا مؤلفًا منظمًا ، ونزله بحسب المصالح منجمًا (١) ، وجعله بالتحميد مفتوحًا ، وبالاتعاذة مختتمًا ، وأوحاه على قسمين متشابهًا ومُحكَّمًا ، وفصله سورًا ، وسوره آيات ، وميز بينهن بفصول وغايات ، وما هى إلا صفات مبتدىء مبتدع ، وسمات منشىء مخترع ، فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ، ووسم كل شىء سواء بالحدوث عن العدم ، أنشأ كتابا ساطعًا تبيانہ ، قاطعًا برهانه ، وحيًا ناطقًا بينات وحجج ، قرآنًا عربيًا غير ذى عوج ، مفتاحًا للمنافع الدينية والدنيوية ، مصداقًا لما بين يديه من الكتب السماوية ، مُعْجَزًا باقيا دون كل مُعْجَز على وجه كل زمان ، دائرًا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان ، أفحم به من طُوبى بمعارضته من العرب العَرَبَاء (٢) ، وأبكم به من تَحَدَّى به من مصاقع الخطباء ، فلم يتصد للإتيان بما يُوازيه أو يُدانيه واحد من فصحاءهم ، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم ، على أنهم كانوا أكثر من حصي البطحاء ، وأوفر عددًا من رمال الدهناء ، ولم ينبض (٣) منهم عرق العصبية مع اشتهاهم بالإفراط فى المضادة والمضارة ، وإلقائهم الشرار على المعازة والمُعَارَة (٤) ، ولقائهم دون المناضلة عن أحسابهم الخطط ، وركوبهم فى كل ما يرومونه الشطط ، إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر ، وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر ، وقد جرد لهم الحجة أولاً ، والسيف آخرًا ، فلم يعارضوا إلا السيف وحده ، على أن السيف القاضب مخراق (٥) لاعب إن لم تمض الحجة حده ، فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب (٦) ، وأن الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب .

(١) منجمًا : أى نزل مفرقًا فى أوقات متتابعة .

(٢) عرب عَرَبَاء : صرحاء خلص .

(٣) الدهناء : موضع كله رمل - ينبض : يتحرك .

(٤) ألقى عليه شرارة : أى أعباه وهمومه ، أو ألقى عليه نفسه حرصًا ومحبة - المعازة : المغالبة - المعارة :

المقاتلة والإيذاء . (٥) المخراق : السيف النافذ .

(٦) زخر : طما وفاض - طم على الكوكب : أى غمر الجبال أو الأودية الطلقة ، والكواكب أيضا بمعنى أنوار

الرياض .

والصلاة على خير من أوحى إليه حبيب الله أبى القاسم ، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم ، ذى اللواء المرفوع فى بنى لُؤى ، وذى الفرع المنيف فى عبد مناف بن قُصَى ، المثبت بالعصمة ، المؤيد بالحكمة ، الشادخ الغُرة (٧) الواضح التحجيل ، النبى الأمى المكتوب فى التوراة والإنجيل ، وعلى آله الأطهار ، وخلفائه من الأختان والأصهار (٨) ، وعلى جميع المهاجرين والأنصار .

اعلم أن مَن كلِّ عِلْمٍ وعمود كلِّ صناعة طبقات العلماء فيه مُتدانية ، وأقدام الصُّناع فيه مُتقاربة أو متساوية ، إن سَبَقَ العالمُ العالمَ لم يسبقه إلا بخطأ يسيره ، أو تَقَدَّمَ الصانعُ الصانعَ لم يتقدمه إلا بمسافة قصيرة ، وإِنَّمَا الذى تباينت فيه الرُّتب ، وتَحَاكَّتْ (٩) فيه الرُّكَب ، وَوَقَعَ فيه الاستباق والتناضل ، وعَظُمَ فيه التفاوت والتفاضل ، حتى انتهى الأمر إلى أمدٍ من الوهم مُتباعِد ، وتَرَقَّى إلى أنْ عُدَّ ألف بواحد - ما فى العلوم والصناعات من محاسن النُكت والفِقَر (١٠) ، ومن لطائف معانٍ يدقُّ فيها مباحث للفكر ، ومن غوامض أسرار ، مُحتجبة وراء أستارٍ لا يكشف عنها من الخاصّة إلا أوحدهم ، وأَخَصَّهم ، وإلا واسطتهن وفَصَّهم ، وعامتهم عُمَاة عن إدراك حقائقها بأحداقهم ، عُنَاة فى يد التقليد لا يمنّ عليهم بجزئ نواصيهم وإطلاقهم (١١) .

ثم إن أَمَلَا العلوم بما يَغمر القرائح ، وأنهضها بما يَبهر الألباب القوارح ، من غرائب نُكَّت يَلطُف مَسَلِكُها ، ومُستودعات أسرارٍ يدقُّ سَلِكُها : عِلْمُ التفسير الذى لا يَتِمُّ لتعاطيه وإجالة النظر فيه كلُّ ذى علم ، كما ذكر الجاحظُ فى كتاب نَظْم القرآن ، فالفقيه وإن بَرَزَ على الأقران فى علم الفتاوى والأحكام ، والمتكلّم وإن بَرَزَ (١٢) أهل الدنيا فى صناعة الكلام ، وحافظُ القصص والأخبار وإن كَان من ابن القرية أخفَظ ، والواعظ وإن كان : مِنَ الحسن

(٧) شدخت الغُرة : اتسعت فى الوجه .

(٨) الأختان : جمع الختن ، وهو كلٌّ من كان من قبل المرأة كأيها وأخيها وزوج البنت أو زوج الأخت .

(٩) تحاكت : اتصلت فحك أحدهما الآخر .

(١٠) النكت والفقر بمعنى المسائل العلمية الدقيقة أو الأفكار اللطيفة المؤثرة فى النفس .

(١١) عناة : أسرى ، مفردة : أسير - النواصى : شعر مقدّم الرأس إذا طال .

(١٢) بَرَزَ : غلب .

البصريّ أوعظ ، والنحويّ وإن كان أنحى من سيوية (١٣) ، واللغويّ وإن عللك اللغات بقوة لحيه (١٤) ، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق ، إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعاني وعلم البيان ، وتمهّل في ارتيادهما آونة ، وتعب في التنقير عنهما أزمنة ، وبعثته على تتبّع مظانهما همّة في معرفة لطائف حجة الله ، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ، بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظّ ، جامعاً بين أمرين : تحقيق وحفظ ، كثير المطالعات ، طويل المراجعات ، قد رجع زماناً ورجع إليه ، ورّد ورّد عليه ، فارساً في علم الإعراب ، مقدماً في حملة الكتاب ، وكان مع ذلك مُسترسلاً الطبيعة مُنقادها ، مُشتعل القريحة وقّادها ، يَقْظان النفس دراكاً لِلْمَحْجَةِ وإن لَطُفَ شأنها ، مُتَبَهِّها على الرزمة وإن خفى مكانها ، لا كَزاً جاسياً (١٥) ، ولا غليظاً جافياً ، مُتَصَرِّفاً إذا دراية بأساليب النظم والشر ، مُرتاضاً غير رِيص (١٦) بتلقيح بنات الفكر ، قد علم كيف يرتّب الكلام ويؤلف ، وكيف ينظم ويرصف ، طالما دفع إلى مضايقة ووقع في مداخضه ومزالقه (١٧) .

ولقد رأيتُ إخواننا في الدين من أفاضل الفِئَةِ الناجية العدلية (١٨) ، الجامعين بين علم العريّة والأصول الدينيّة ، كلّما رَجَعُوا إلىّ في تفسير آية فأبرزتُ لهم بعض الحقائق من الحُجُب ، أفاضوا في الاستحسان والتعجّب ، واستُطِروا شوقاً إلى مُصَنَّفٍ يَضُمُّ أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إلىّ مقترحين أن أُمْلِي عليهم (الكشف عن حقائق التزويل ، وعيون

(١٣) ابن القُرّة : هو أبو سليمان أيوب بن زيد ، من الخطباء المشهورين ، ( ت ٨٤ هـ ) - الحسن البصري ، كان خطيباً ووعاظاً بليغاً ( ت ١١٠ هـ ) - سيويه ، هو عمرو بن عثمان بن قنبر مؤلف أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة ، ( ت ١٨٠ هـ ) .

(١٤) علل الشيء كاللبان وغيره : مضغه وأداره في فمه - اللحيان : حائط الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم .

(١٥) الرزمة : الأيماء والإشارة - كزّ : ضيق قليل النفع - الجاسي : الخشن غير اللطيف .

(١٦) مرتاض : مروض مذلل - الرِيص : حديث العهد بالرياضة ولم يمهر في المشية ، ولم يذلل بعد لراكبه .

(١٧) المداخض والمزالق كلاهما بمعنى المواضع التي لا تثبت عليها الأقدام .

(١٨) الفِئَةُ الناجية هي التي سماها أهل السُنَّة بالمعتزلة ، فقله " إخواننا في الدين " يقتضى أنه من المعتزلة . ولذا تراه في مسائل الخلاف بين المعتزلة وأهل السنة يقول بقول المعتزلة ، فإذا كان ظاهر الآية يوافقهم أبهاها على ظاهرها ، وإذا كان يخالفهم صرفها عن ظاهرها إلى معنى يوافقهم .



الأقاويل فى وجوه التأويل ) فاستغفنت فابوا إلا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد (١٩)، والذي حدانى على الاستعفاء على علمى أنهم طلبوا ما الإجابة إليه على واجهة ، لأن الخوض فيه كفرض العين ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله وتقاصرهمهم عن أدنى عدد (٢٠) هذا العلم فضلاً أن ترقى إلى الكلام المؤسس على علمى المعانى والبيان ، فأملت عليهم مسألة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة ، وكان كلاماً مبسوطاً كثير السؤال والجواب طويل الذبول والأذئاب ، وإنما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وأن يكون لهم مناراً يتتبعونه ومشالاً يحتذونه ، فلما صمم العزم (٢١) على معاودة جوار الله والإنابة بحرم الله فتوجهت لى لقاء مكة ، وجدت فى مجتازى بكل بلد من فيه مسكة (٢٢) من أهلها - وقليل ما هم - عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى متطلعين إلى إيناسه ، حراساً على اقتباسه ، فهزماً رأيت من عطفى ، وحرك الساكن من نشاطى . . .

\* \* \*

## ٢ - مقدمة كتاب " الفائق فى غريب الحديث " :

الحمد لله الذى فتق لسان الذبيح (٢٣) بالعربية البينة والخطاب الفصيح ، وتولاه بأثرة (٢٤) التقدم فى النطق باللغة التى هى أفصح اللغات ، وجعله أبا عذر (٢٥) التصدى للبلاغة التى هى أتم البلاغات ، واستل من سلالة عذنان وأبناءه ، واشتق من دوحته قحطان وأخياءه ، وقسم لكل من هؤلاء من البيان قسطاً ، وضرب له من الإبداع سهماً ، وأفرز له من الإعراب كفلاً (٢٦) ؛ فلم يخل شعباً من شعوبهم ، ولا قبيلة من قبائلهم ، ولا عمارة

(١٩) العدل والتوحيد : هما أصلان من أصول التعاليم لدى المعتزلة .

(٢٠) عدد : جمع عدة وهى الاستعداد ، وما أعد لأمر يحدث .

(٢١) صمم : مضى .

(٢٢) مسكة : أثروبية .

(٢٣) الذبيح : يعنى به إسماعيل عليه السلام .

(٢٤) أثرة : منزلة .

(٢٥) جعله أبا عذر بمعنى جعله أول من تصدى .

(٢٦) كفل : نصيب .

من عمائرهم ، ولا بطنًا من بطونهم ، ولا فخذًا من أفخاذهم ، ولا فصيلةً من فصائلهم ، من شعراء مُفْلِقِينَ ، وخطباء مَصَاقِعَ ، يرمون في حَدَقِ البيان عند هَذْر الشقاشق (٢٧)، ويصيبون الأغراض بالكَلِم الرواشق ، ويتنافثون من السحر في مناظم قريضهم ورَجَزهم وقصيدِهم ومُقَطَّعاتهم ، وخطبهم ومقاماتهم ؛ وما يتصرفون عليه فيها ، من الكناية والتعريض ، والاستعارة والتمثيل ، وأصناف البديع ، وضروب المجاز والافتنان في الإشباع والإيجاز ، مَالُو عَثَرِ عليه السَّخَرَةُ في زمن موسى عليه الصلاة والسلام والمؤخِّذون (٢٨) ، واطَّلَعَ طَلْعُهُ أولئك المُشْعَوذُونَ ، لقعدوا مقمورين (٢٩) مقهورين ، ولَبِقُوا مبهوتين مبهورين ، ولاشكانوا وأذعنوا ، وأسهبوا في الاستعجاب (٣٠) وأمعنوا ، ولعلموا أن نفثات العرب بألستها أحقُّ بالتسمية بالسُّخَرِ وأنهم في ضَحَضَاح منه ، وهؤلاء لَجَجُوا (٣١) في البحر . ثم إن هذا البيان العربي كأن الله عزَّتْ قدرته مَخْضَه وألقى زُبْدته (٣٢) على لسان محمد عليه أفضل صلاة وأوفر سلام ؛ فما من خطيب يقاومه إلا نكص متفكك الرجل (٣٣) ، وما من مضقع يُناهزه إلا رجع فارغ السَّجَل (٣٤) ، وما قُرِنَ بمنطقه منطقٌ إلا كان كالبرِّذُون مع الحصان المُطَهَّم (٣٥) ، ولا وقع من كلامه شيءٌ في كلام الناس إلا أشبه الوَضَح في نُقْبة الأَذهَم . قال عليه السلام : أُوتيت جوامع الكلم . وقال : أنا أفصحُ العرب يَدْأُنِي من قريش ، واسترُضعت في بني سَعْدِ بْنِ بكر .

وقد صَنَف العلماء رحمهم الله في كشف ما غَرِب من ألفاظه واستَبْهَم ، وبيان ما اعتاص من أغراضه واستعجم ، كُتُبًا تَنَوَّقُوا في تصنيفها ، وَتَجَوَّدُوا ، واحاطوا ولم يتجَوَّزُوا (٣٦) ،

(٢٧) مصاقع : فصحاء - الحدق : جمع حَدَقَة وهي السواد المستدير وسط العين ، يقال هو من رَمَا الحدق أي حاذق ماهر في النضال - الهدر : ترديد الصوت في الحنجرة ، الشقاشق : المراد بها الضجَّة ، والشقشقة هي لهأة البعير يخرجها من فمه إذا هاج وهدر .

(٢٨) التأخِذ : نوع من السحر ، من الأخذة وهي رقية كالسحر أو خرزة يؤخذ بها .

(٢٩) مقمور : مغلوب في مفاخرة أو مباراه .

(٣٠) استعجبت منه كعجبت منه .

(٣١) ماء ضحضاح : قليل لأعمق فيه - لججوا : ركبوا اللجة وخاضوها .

(٣٢) مخض اللبن : أخرج زبدته .

(٣٣) متفكك الرجل كناية عن العي والعجز عن المقاومة .

(٣٤) السجل : الدلو .

(٣٥) البرذون : غير العربي من الخيل والبغال - مطهم : متناهي الحسن كريم الحسب .

(٣٦) اعتاص : التوى فخفى وصعب - تنوق : بالغ في التجويد - لم يتجوز : لم يتساهل .



وعكفوا الهمم على ذلك وحرصوا ، واغتنموا الاقتدار عليه واقترصوا ، حتى أحكموا ما شاءوا وأترصوا (٣٧) ، وما منهم إلا من بطش فيما انتحى بياع بسيط ، ولم يزل عن موقف الصواب مقدار فسيط (٣٨) ، ولم يدع المتقدم للمتأخر خصاصة يستظهر به على سدها ، ولا أنشوطه (٣٩) يستنهضه لشدها ، ولكن لا يكاد يجد بداً من تبغ في فن من العلم ، وصبغ به يده ، وعانى فيه وكده (٤٠) ، وكده ، من استحباب أن يكون له فيه أثر يكسبه في الناس لسان الصدق وجمال الذكر ، ويخزن له عند الله جزيل الأجر وسني الذخر .

وفي صوب هذين الغرضين ذهبت عند صنعة هذا الكتاب غير آل جهداً ، ولا مقصر عن مدى ، فيما يعود لمقتبسه بالنصح ، ويرجع إلى الراغبين فيه بالنجح ، من اقتضاب ترتيب سلمت فيه كلمات الأحاديث نسقاً ونضداً ، ولم تذهب بدداً ، ولا أيدي سباً ، وطرائق قدداً (٤١) ، ومن اعتماد فسر موضح ، وكشف مفصح ، اطلعت به على حاق المعنى وفص (٤٢) الحقيقة اطلاعاً مؤداه طمأنينة النفس ، وثلج الصدر ، مع الاشتقاق غير المستكره ، والتصريف غير المتعسف ، والإعراب المحقق البصري ، الناظر في نص سيويه وتقرير الفسوي (٤٣) ، فأية نفس كريمة ، ونسمة زاكية ، نور الله قلبها بالإيمان والإيقان ، مرت على هذا التبيان والإتقان ، فلا يذهبن عليها أن تدعولى بأن يجعله الله في موازيني ثقلاً ورُجحاً ، ويثبيني عليه روحاً وريحاناً . والله عز سلطانه المبرغوب إليه في أن يوزعنا الشكر على طوله وفضله ، ولا تقدم إلا على أعمال الخير خالصة لوجهه ومن أجله ؛ إنه المنعم المنان .

\*\*\*

(٣٧) أترص : سوى وعدل .

(٣٨) فسيط : قلامة ظفر .

(٣٩) أنشوطه : عقدة يسهل انحلالها .

(٤٠) الوكد : السعى والجهد .

(٤١) أيدي سبا : ضرب بهم المثل في التفرق ، لأنه لما غرق مكانهم وذهبت جثاتهم تبددوا في البلاد فأخذت كل طائفة منهم طريقاً - القدد : جمع القدة وهي الفرقة من الناس تختلف آراء أفرادها .

(٤٢) فسر : بيان - حاق : صادق - فص : مفصل .

(٤٣) الفسوي : هو أبو علي الفارسي ، نسبة إلى فسا ، وهي قرية بفارس ( ت ٣٧٧ هـ ) .

مختارات من « الفائق » :

الحاء مع الصاد .

حصد :

النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - قال لمُعَاذِ بْنِ جَبَل : اكْفُفْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ! فقال : يا رسول الله ؛ أَوِ إِنَّا لَمَأْخُودُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ ؟ فقال : ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ ! وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ إِلَّا خَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ .

جمع حصيدة ، وهى ما يحصد من الزَّرْع ، شبه اللسان وما يقطع به من القول بحد المنجل ، وما يُقَطَّع به من النبات .

\*\*\*

حصى :

اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ، وَلَنْ يَحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا الْمُؤْمِنُ .

أى لن تطبقوا الاستقامة فى كل شىء ، حتى لا تميلوا ؛ من قوله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْه ﴾ . ( سورة المزمل ٢٠ ) .

ومعنى التركيب الضبط ، فاعاد يضبط ما يعده ويحصره ، وكذلك المُطِيق للشىء ضابط له . ومنه الحَصْوُ ، وهو المنع . يقال : حَصَوْتَنى حَقًى .

\*\*\*

نهى ﷺ عن بَيْعِ الحَصَاة .

هو أن يقول : إِذَا نَبَذْتُ إِلَيْكَ الحَصَاةَ فَقَدْ وَجِبَ الْبَيْعُ ؛ وهو من بَيَّعَ الجاهلية .

حصب :

عمر - رضى الله عنه - لما حَصَّبَ المسجدَ قال له فلان : لِمَ فعلتَ هذا ؟ قال : هو أغفر للنُّخامة ، وألين فى المَوَاطِيء .

هو تغطية سَطْحِهِ بالحَصْبَاء ، وهى الحصى الصُّغار .

أَغْفَر : أستر ، وهى رخصة فى البُرَاق فى المسجد إذا ادْفَن .

\* \* \*

يا خُزَيْمَةَ حَصُّبُوا (٤٤) .

التَّحْصِيب : إذا نفر الرَّجُل من مِنى إلى مكة للتوديع أن يقيم بالأبطح حتى يَهْجَعَ به ساعة من الليل ثم يدخل مكة - وروى : أصبحوا ، أراد أن يقيموا بالأبطح إلى أن يُصْبِحُوا .

وعن عائشة - رضى الله عنها - : ليس التَّحْصِيب بشيء ؛ إنما كان منزلاً نزله رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ؛ لأنه كان أسمع للخروج .

\* \* \*

عثمان - رضى الله تعالى عنه - فى حديث مَقْتَلِه : تحاصَّبُوا فى المسجد حتى ما أبْصِر أديم السماء .

هو التَّرامى بالحصباء .

\* \* \*

حصحص :

على - عليه السلام - لأنَّ أَحْصَحَصَ فى يَدَيَّ جَمْرَتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْصَحَصَ كَعْبَتَيْنِ .

---

(٤٤) خزيمة : هم قريش وكنانة ، وليس فيهم أسد .

الحصحصة : تحريكُ الشيء ، أو تحركه حتى يستقرَّ ويتمكَّن .

ومنه حديث سَمُرَة - رضى الله عنه - : إنه أتى برجل عَنِين ، فكتب فيه إلى معاوية ، فكتب إليه : أن اشتر له جارِيَةً من بيت المال ، وأَدْخِلَهَا معه ليلةً ، ثم سَلَهَا عنه ، ففعل ، فلما أصبح قال : ما صنعت ؟ قال : فعلتُ حتى حَصَحَصَ فيه ؛ فسأل الجارية ، فقالت : لم يَصْنَع شيئاً . فقال : خَلِّ سَبِيلَهَا يا مُحَصِّص !

\*\*\*

حصر:

ابن مسعود - رضى الله عنه - لُدغ رجل وهو مُخْرَم بالعمرة فَأُخْصِرَ ، فقال عبد الله : ابعثوا بالهذى ، واجعلوا بينكم وبينه يَوْمَ أَمَار ، فإذا ذبح الهذى بمكة حلَّ هذا .

أى منع بسبب اللدغ ؛ من قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ ﴾ . ( سورة البقرة ١٩٦ ) .

الأمار والامارة : العلامة . يقال : أمار ما بينى وبينك كذا . والمعنى : اجعلوا بينكم وبينه يوماً تعرفونه .

\*\*\*

حصص :

أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - إن الشيطان إذا سمع الأذان خَرَجَ وله حُصَاص . هو حَذَّةُ العَدُو ، وقيل : هو أن يَمَصَّعَ بِذَنْبِهِ ، وَيَصُرَّ بِأُذُنِهِ وَيَعْدُو . وقال :

عَجْرَدٌ كَالذُّبِ ذِي الْحُصَاصِ يُوضَعُ تَحْتَ الْقَمَرِ الْوَبَّاصِ (٤٥)  
وقيل هو الضُّرَاط .

\*\*\*

---

(٤٥) عَجْرَدٌ : شديد - يوضع : يسرع - الوَبَّاص : اليراق .

ابن عمر - رضى الله عنهما - أُنْتُه امرأةٌ فقالت : إِنَّ ابنتى عُرَّيسُ ، وقد تَمَعَّطَ شَعْرُها ، وأَمَرُونى أن أَرْجُلَها بالخمر (٤٦) . فقال : إِنْ فَعَلْتِ ذَاكَ فَأَقَى الله تعالى فى رأسها الحَاصَّةَ .

هى العلة التى تَحْصُ الشَّعر ، أى تنثره وتذهب به .

ويقال : بينهم رَجِمَ حَاصَّةً ، إذا قَطَعُوهَا ، بمعنى محصومة ، والتحقيق ذات حَص .

عُرَّيس : تصغير عروس ، ولم تدخله تاء التانيث لقيام الحرف الرابع مقامها ، ومثله قُلَيْص وعُقَيْرِب ، وقد شَذَّ قَدِيمَةٌ ووُرَيَّة (٤٧) .

\*\*\*

معاوية - رضى الله عنه - أَفَلَتَ وانحَصَّ الذَّنْبُ (٤٨) .

هو مثلٌ فيمن أشفى ثم نجا .

الحاء مع الضاد .

حَضَض :

النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - أهدى له هدية فلم يجد شيئاً يضعها عليه فقال : ضَعُه بالحَضِض ، فإنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد .

هو قَرَار الأرض بعد منقطع الجبل ، قال امرؤ القيس :

فلما أجنَّ الشمس منى غُورِها نزلتُ إليه قائماً بالحَضِض (٤٩)

\*\*\*

(٤٦) تَمَعَّط : تساقط من داءٍ ونحو ذلك - أَرْجَل : أسوى الشعر وأزيتَه .

(٤٧) قُدَّ يَدَمَةٌ ووُرَيَّة : تصغير قدام ووراء ، وهما يؤنثان ويصغران بالهاء شذوذاً .

(٤٨) يروى المثل عن معاوية أنه كان أرسل رسولاً من غسان إلى ملك الروم ، وجعل له ثلاث ديات على أن يبادر بالأذان إذا دخل مجلسه ، ففعل الغساني ذلك ، وعند الملك بطارقه ، فوثبوا ليقتلوه ، فنهاهم الملك ، وقال : " إنما أراد معاوية أن أقتل هذا غدرًا ، وهو رسول ، فيفعل مثل ذلك من كل مستأمن منا " ، ولم يقتله وجهزه وردّه . فلما رآه معاوية قال : " أفلت والخَصَّ الذنب " ، أى انقطع ، فقال : " كلاً إنه ليهلبه " ، أى بشعره ، ثم حدّثه الحديث ، فقال معاوية : " لقد أصاب ما أردت " ، يضرب مثلاً لمن أشفى على الهلاك ثم نجا .

(٤٩) أجنَّ : ستر - غورِها : غيابها - الحَضِض : أسفل الجبل .



حُضِن :

قال صلى الله عليه وسلم لعامر بن الطفيل : أَسْلِمَ تَسْلَم ، فقال : عَلَى أَنْ تَجْعَلَ لِي نِصْفَ ثَمَارِ الْمَدِينَةِ ، وَتَجْعَلَ لِي وَالِيَّ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِكَ . فقال له أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ : اخْرُجْ بِذِمَّتِكَ لَا أَنْفِذْ حِضْنِيكَ بِالرَّمْحِ ، فَوَاللَّهِ لَوْ سَأَلْتَنَا سَيَّابَةً مَا أَعْطَيْنَاكَهَا .

هما الجنبان ، وأحضان كل شيء : جَوَانِبُهُ . السَّيَّابَةُ : الْبَلْحَةُ .

\*\*\*

حَضَج :

إِنَّ بَغْلَتَهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - لما تناوَلَ الْحَصَى لِيَزْمِيَ بِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ فَهِمَّتْ مَا أَرَادَ ، فَانْحَضَجَتْ .

أَيِ انْبَسَطَتْ ، وَيُقَالُ : انْحَضَجَ بَطْنُهُ : إِذَا اتَّسَعَ وَتَفَتَّقَ سِمْنَا . قَالَ :

\* وَقَلَّصَ بُذْنَهُ بَعْدَ انْحَضَاجٍ \*

وَانْحَضَجَ مِنَ الْغَيْظِ : انْقَدَّ وَانْشَقَّ .

ومنه حديث أبي الدرداء - رضى الله عنه - : إنه قال فى الركعتين بَعْدَ الْعَصْرِ : أَمَا أَنَا فَلَا أَدْعُهُمَا ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَنْحَضِجَ فَلْيَنْحَضِجْ . وثبل معناه : مَنْ شَاءَ أَنْ يَسْتَرْخِيَ فِى أَدَائِهِمَا وَيَقْصُرْ فِشْأَنَهُ (٥٠) .

\*\*\*

حُضِن :

عمر - رضى الله تعالى عنه - قال يوم أتى سَقِيفَةَ بَنِي سَاعِدَةَ لِلْبَيْعَةِ : فَإِذَا إِخْوَانُنَا مِنَ الْأَنْصَارِ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْتَرِلُوا الْأَمْرَ دُونَنَا وَيَحْضُنُونَا عَنْهُ .

---

(٥٠) أى فليلتزم شأنه .

أى يحجُبونا ويجعلونا فى حَضَن ، أى فى ناحية .

ومنه حديث ابن مسعود - رضى الله عنه - : إنه أوصى إلى الزُّبير وإلى ابنه عبد الله ابن الزُّبير ، وقال فى وصيته : إنه لا تزوج امرأة من بناته بإذنها ، ولا تُحَضِّن زَيْنَب امرأة عبد الله عن ذلك (٥١) .

\*\*\*

حضر :

عثمان - رضى الله عنه - قال كَغِب بن عَجْرَة : ذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم - فتنة فقرَّبها وعظَّمها ، ثم مرَّ رجل مُتَقَنِّع فى ملحفه ، فقال : هذا يومئذ على الحق . فانطَلَقَتْ مُخْضِرًا فأخذت بِضَيْعِهِ ، فقلت : أهذا هو يا رسول الله ؟ قال : هذا . فإذا هو عثمان ابنُ عفَّان .

أى مسرعا .

\*\*\*

حَضَن :

عمران - رضى الله تعالى عنه - أقسمُ لأنْ أَكُونَ عَبْدًا حَبَشِيًّا فى أغْنَز حَضَنِيَّات أَرْعَاهنَّ حتى يُذَرِكْنِي أَجَلِي أَحَبَّ إِلَيَّ من أن أَرْمَى فى أَحَد الصَّفِين بَسْهَم أصبت أو أخطأتُ .  
نسبها إلى حَضَن ، وهو جَبَل فى أول حُدود نجد . ومنه قولهم : أنجد مَنْ رَأَى حَضَنًا (٥٢) . يعنى أن ذلك أَحَبَّ إِلَيَّ من أن أشهد حربا فى فِتْنَةٍ .

\*\*\*

---

(٥١) قيل معنى " لا تحضن " : لا تحجب عنه ولا يقطع أمر دونها .  
(٥٢) رأى حضناً أى من عاين هذا الجبل فقد دخل فى ناحية نجد .

### ٣ - مقدمة كتاب " المستصفى فى الأمثال " ، للزمخشري :

الحمد لله على ما أثلج به صدورنا من بَرْد اليقين ، وكساه أعطافنا من تشریف الإسلام ، وأثبت عليه أقدامنا من صراطه المستقيم ، والصلاة على مُصطفاه من خَلقه محمد وعِترته الأبرار ؛ التصنيف مِضمَار تنصبُّ إليه خيلُ السباق من كلِّ أَوْب ثم تتجارى ؛ فمن شاطُ بعيد الشَّأو وسَاع الخطو (٥٣) ، تَشَخَّص الخيل وراءه ، إلى مطهَم سباق إلى الحَلبة مِفاءً على القَصبة (٥٤) ، ومن لاحق بالأخريات مطرَح خلف الأعقاب ، ملطوم عن شبق الغبار ، موسوم بالشُّكَيْت المُخَلَّف (٥٥) ، ومن آخِذٍ فى القَصْد مُتَزَل سَطه ما بينهما قد انحرف عن الرِّجْوَيْن (٥٦) ، وجال بين القطرين ، فليس بالسابق المُفْرِط ولا اللاحق المُفَرِّط ؛ وقد تصدَّيت للانصباب فى هذا المِضمَار تصدَّى القاصد بذِرعِه الرابع على ظَلَّعه (٥٧) ، فتدبَّرت شعب الفنِّ الذى أنا كائن بصدده وقائم بإزائه ، فصادت الشَّعبة التى هى أمثال العرب خليقة بالميل فى صغوالاعتناء بها (٥٨) ، والكذح فى تقويم عنايدها ، وإعطاء بداهة الوكِّد وعُلالته إياها ، لما آنستُ من تناهى فاقة (٥٩) الأفاضل عن آخرهم إلى استكشاف غوامضها والغوص على مُشكلاتها ، ولا سيما من انتدب منهم لتدريس قوانين العربية وإقراء الكُتُب الكبار ، فناطَ به الرغبة كلُّ طالب ، وغَشى ضوء ناره كلُّ مُقتبس ، ووجَّه إليه النجعة كل رائد ، وكم يتلَقَّاك فى هذا العصر الذى قرع فيه فناء الأدب وصفراؤناؤه ، اللهم إلَّا عن صِرمة لا يُسْرُ منها

(٥٣) أَوْب : ناحية - شاطُ : بعيد - الشَّأو : الهمة - وسَاع : مَتَّع .

(٥٤) مِفاء : أى من ديدنه أن يشرف على قصة السبق .

(٥٥) ملطوم : أى نَفَض ما عليه من الغبار - الشُّكَيْت : آخر ما يجىء من الخيل فى الحَلبة ، ويقال فلان شُكَيْت الحَلبة للمتخلف فى صناعته .

(٥٦) سطة : من وَسَطه مِبطَّة : أى صار فى وسطه - الرجا : الناحية ، وخصَّ به بعضهم ناحية البئر ، يقال رُمى به الرجوان أى طرح فى المهالك .

(٥٧) ذِرعُه : طاقته ووسعه - ويقال فى المثل : " اربَّع على ظلعك " أى إنك ضعيف فافرق على نفسك ، ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق .

(٥٨) صَغُو : مَيَّل .

(٥٩) فاقة : حاجة .

القابض ، وُصْبَايَةَ لَا تَفْضُلُ عَنْ التَّبَرُّضِ مِنْ دَهْمَاءِ الْمُتَحَلِّينَ (٦٠) بما لم يحسنوه ، المتشبعين بما لم يملكوه ، مَنْ لَوْرَجَعْتَ إِلَيْهِ فِي مَعْنَى أَسِيرٍ مِثْلَ لَقْتُلْ أَصَابِعَهُ سَدْرًا ، وَلَا حَمَرْتَ دِيَابِجَتَاهُ نَشُورًا ، أَوْ تَوَقَّحْ فَأَسَاءَ جَابَةً فَافْتَضَحْ وَتَكْشِفْ عُوَارَهُ (٦١) ؛ وَأَيْمُ اللَّهِ ! إِنَّهَا لَمَذْحَضَةُ الْأَرْجُلِ وَمَخْبِرَةُ الرِّجَالِ ، بِهَا يَتَخَلَّصُ الْخَبِيثُ عَنِ الْإِبْرِيْزِ ، وَيَنْمَازُ النَّاكِصُونَ عَنْ ذَوَى التَّبْرِيزِ (٦٢) ؛ ثُمَّ هِيَ قُصَارَى فُصَاحَةِ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءِ ، وَجَوَامِعِ كَلِمِهَا ، وَنَوَادِرِ حِكْمِهَا ، وَبَيْضَةُ مَنْطِقِهَا (٦٣) ، وَزُبْدَةُ حِوَارِهَا ، وَبِلَاغَتِهَا الَّتِي أَغْرَبَتْ بِهَا عَنِ الْقَرَائِحِ السَّلِيمَةِ وَالرَّكْنِ الْبَدِيعِ إِلَى ذَرَابَةِ اللِّسَانِ وَغَرَابَةِ اللَّسَنِ (٦٤) ، حَيْثُ أَوْجَزَتْ اللَّفْظَ فَأَشْبَعَتْ الْمَعْنَى ، وَقَصَّرَتْ الْعِبَارَةَ فَأَطَالَتْ الْمَغْزَى ، وَلَوَّحَتْ فَأَغْرَقَتْ فِي التَّضَرُّيخِ ، وَكَنَتْ فَأَغْنَتْ عَنِ الْإِفْصَاحِ ، بَلَّغَتْ الْإِسْتِظْهَارَ بِمَكَانِهَا وَالتَّمَنُّعَ بِجَانِبِهَا عِنْدَ الْإِنْتِظَامِ فِي سَلَكِ التَّذَاكُرِ ، وَإِفَاضَةَ أَزْلَامِ التَّنَاطُرِ (٦٥) وَتَذَاوُقَ بَعْضِ أَهْلِ الْأَدَبِ بَعْضًا ؛ وَإِنَّهَا لِلْمَحَافِلِ إِذَا حَوَّضَ بِهَا . وَلِلْأَفَاضِلِ مَتَى أَوْرَدَهَا أَبْهَةً ، وَلِلشَّرَائِي سَلَكْتَ أَثْنَاءَهُ طَلَاوَةً ، وَلِلشَّعْرِ كَيْفَ انْسَاكَتْ فِي تَضَاعُفٍ مَتَانَةٍ ، وَلَأَمْرٍ مَا سَبَقَتْ أَرَاعِيلُ الرِّيحِ (٦٦) ، وَتَرَكْتُهَا كَالرَّاسِفَةِ فِي الْقِيُودِ بِتَدَارُكِ سِيرِهَا فِي الْبِلَادِ مُضْعِدَةً وَمُصَوِّبَةً (٦٧) ، وَاخْتَرَقَهَا الْأَفَاقَ مَشْرِقَةً وَمَغْرِبَةً ، حَتَّى شَبَّهُوا بِهَا كُلَّ سَائِرِ أَمْعُنَا فِي وَصْفِهِ ، وَشَارِدٍ لَمْ يَأْلُوا فِي نَعْتِهِ ، فَقِيدَتْ مِنْ أَوَابِدِهَا مَا أَعْرَضَ ، وَأَقْتَنَصَتْ مِنْ شَوَارِدِهَا مَا أَكْثَبَ (٦٨) ، ثُمَّ رِبَطْتُهَا فِي قَرْنٍ تَرْتِيبِ حُرُوفِ الْمَعْجَمِ ارْتِبَاطًا جَنَحَتْ فِيهِ إِلَى وَطَاءٍ مِنْهَا جِ أَيْنَ مِنْ عَمُودِ الصَّبْحِ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِلتَّطْوِيلِ عَنْ

(٦٠) النجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث - قرع : خلا من الساكنين والزوار - صفر : خلا - صرمة بمعنى قطعه - لا يُسْتَرُ : لا يبقى بقية ، والشُّورُ هو بقية الشيء - الصبابة : البقية القليلة من الماء ونحو - التبرُّض : ترشُّف الماء واغتراه كلما اجتمع منه شيء .

(٦١) سَدْرًا : متحيرًا غير مثبت في كلامه - دِيَابِجَةُ الْوَجْهِ : حسن بشرته - تَوَقَّحَ : اجتراً وقل حياؤه - الْجَابَةُ : الجواب - عُوَارُهُ : عيبه .

(٦٢) مَذْحَضَةٌ : مزلة - الْمَخْبِرَةُ أَيْ الْمَخْبِرُ ، خِلَافَ الْمَنْظَرِ - الْإِبْرِيْزُ : الذَّهَبُ الْخَالِصُ - التَّبْرِيزُ : الإظهار والتبيين والتفوق على الأصحاب .

(٦٣) بَيْضَةٌ : أساس .

(٦٤) الذَّرَابَةُ وَاللِّسَنُ : الفصاحة والبلاغة .

(٦٥) الْأَزْلَامُ : السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها ، وَالْإِفَاضَةُ بِالْقِدَاحِ أَيْ رَمِيهِ وَالضَّرْبُ بِهِ .

(٦٦) أَرَاعِيلُ الرِّيحِ : أَوَائِلُهَا أَوْ دُفْعُهَا إِذَا تَتَابَعَتْ .

(٦٧) مُضْعِدَةٌ : مَرْتَقِيَةٌ - مُصَوِّبَةٌ : مَخْفُوضَةٌ مَائِلَةٌ .

(٦٨) أَوَابِدُ الْكَلَامِ : غَرَائِبُهُ وَعَجَائِبُهُ - أَكْثَبَ : قَرَّبَ .



الإيجاز (٦٩) ؛ وذلك أنى بَوَيْتِها فأوردتْ ما فى أوله الهمزُ، ثم قَفَّيت على أثره بما فى أوله الباء وهَلُمَّ جَرًّا (٧٠)، إلى منتهى أبواب الكتاب، وفصلت كل باب فقدّمت فى باب الهمز إياه مع الألف عليه مع الباء، وفى باب الباء إياها مع الألف على السائر وهَلُمَّ جَرًّا، إلى منتهى فصول الأبواب؛ وقد استمررتْ على مُراعاة هذا النمط فى أوساط الكَلِم وأواخرها، ومتى تساوت صُذور الأمثال وجاءت شَرَعًا (٧١) لا يُدلى بعضها بفضل التقدّم على بعض عدَلْتُ بالنظر إلى أعجازها فقدّمت الأحقّ فالأحقّ، وكلّ كلمة وجدتها متكرّرة سطرتهَا كَرَّة واحدة، ثم لم أتعرض لها فى سائر مواقعها إلى أن انتهيت إلى أختها التى تطأ عَقِبها إلا إذا استكره ذلك وغمُض، وقد عُنيْتُ فى شرحها بإيراد قصصها، وذكر النُكت والروايات فيها، والكشف عن معانيها والإنباه على مضاربها، والتقاط أبيات الشواهد لها، على أنى اشترطتْ تحرّى الاختصار وتجريد الألفاظ عن الفضلات التى يستغنى عنها فى حطّ اللثام عن وجه المعنى، ولا ارتفاع الكتاب محيطًا بهذا النوع كلّها سميت «المُسْتَقْصَى فى أمثال العرب»، وكأنى بالعالم المنصف قد اطلع عليه فارتضاه، وأجال فيه نظرة ذى عَلَق (٧٢)، ولم يلتفت إلى حُدوث عهده وقُرب ميلاده لأنه إنّما يَسْتجيد الشىء ويستردّله لجودته ورداءته فى ذاته لا لقدمه وحدوثه، وبالجاهل المشطّ قد سمع به فسارع إلى تمزيق فروته (٧٣)، وتوجيه المعاب إليه، ولمّا يعرف نبعه من غَرَبه، ولا صقره من خَرَبه، ولا عجم عودَه ولا نقض تهائمَه ونُجودَه (٧٤)، والذى غرّه منه أنه عملٌ مُخَدَّتٌ لا عملٌ قديمٌ، وحسب أن الأشياء تُنقَد أو تُبْهَرَج لأنها تليدة أو طارفة (٧٥)، والله دَرُمنٌ يقول :

إِذَا رَضِيَتْ عَنِّي كِرَامٌ عَشِيرَتِي      فَلَا زَالَ غَضْبَانًا عَلَيَّ لِثَامُهَا

---

(٦٩) القَرْن : الحبل يقرن به البعيران - الوطاء : المهاد الوطىء - متجانف : مائل .  
(٧٠) قَفَّيت : أتبع - هَلُمَّ جَرًّا : تعبير يقال لاستدانة الأمر واتصاله - فصلت : بينت .  
(٧١) شَرَعًا : سوا .  
(٧٢) عَلَق : حبّ وهوى .  
(٧٣) المُشَطّ : الذى جار وأبعد - الفروة : الجلد ذات الشعر، يقال : فروة الرأس .  
(٧٤) النبع : شجر صلب ينبت فى رؤوس الجبال وتتخذ منه القسي - والغرب : ذكر الجبارى وهو طائر طويل العنق على شكل الإوزة - عجم عوده أى اختبره - التهائم : أرض منخفضة - والنجود : الأرض الصلبة المرتفعة .  
(٧٥) التليد : المال الأصلى القديم - والطارف : المستحدث .



والأمثال يُتَكَلَّم بها كما هي ، فليس لك أن تطرح شيئاً من علامات التأنيث في « أَطْرَى »  
فإنك ناعلة « (٧٦) ولا في « رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّت » (٧٧) وإن كان المضروب له مُذَكَّرًا ، ولا أن  
تبدل اسم المخاطب من عقيل وعمرو في « أَشْنَتَ عُقَيْلَ إِلَى عَقْلِكَ » (٧٨) و « هذه بتلك فهل  
جَزَيْتُكَ يا عمرو ؟ » (٧٩) ، والتمثل تطلُّب : المماثلة كالتعهد والتوقع والتوكف بمعنى تطلُّب  
العهد والوقوع والوكيف ، ولهذا تمثلت حاتما أجود من تمثلت به كتعهدته وتوقعته وتوكفته .  
والضرب البيان من قولك : ضرب له موعدا ، أى بيته .

\* \* \*

### مختارات من " المستقصى "

١ - أَبْصَرُ مِنَ الزَّرْقَاءِ : هى من بنات لقمان بن عاد ملكة اليمامة ، واليمامة اسمها ،  
فُسِّمَتْ به البلدة كما قيل فى حَمِير ، وقيل : اسمها عَنَز ، وهى إحدى الزُّرُق الثلاث : أعنيها ،  
والزُّبَاء ، والبَسُوسُ ؛ وكانت جَدِيسِيَّة ، وحين قتلت جَدِيس طَسَمَا استجاش (٨٠) رجل  
طَسَمَى حَسَّان بن تَبَع إلى اليمامة فلما صاروا من جَوَّ على مسيرة ثلاث صعدت الأُطَم (٨١)  
الذى يقال له الكلب ، فنظرت اليهم وقد استر كلُّ بشجرة تليسا عليها ، فارتجرت بقولها :

(٧٦) أصل هذا المثل أن رجلا قال لراعية كانت له ترعى فى السهولة وتَدَع الحزونة : " أَطْرَى " ، أى خذى طرر  
الوادي ، وهى نواحية ، فإن عليك نعلين ، قال : أحسبه عَنَى بالنعلين غَلَطَ جلد قدميها . يضرب لمن يؤمر بارتكاب  
الأمر الشديد لاقتداره عليه .

(٧٧) هذا المثل لأحدى ضرائرهم بنت الخزرج امرأة سعد بن زيد مَنَاء ، رَمَتْهَا دهم بعيب كان فيها ، فقالت  
الضَّرَّة : رمتنى . . . إلخ .

يضرب لمن يُعَيِّر صاحبه بعيب هو فيه .

(٧٨) عقيل : اسم رجل ، وَأَشْنَت : أَلَجَّت ، يريد لما أَلَجَّت إلى عقلك ووَكَلْتُ إلى رأيك جَلَبًا إليك ما تكره ،  
قال أبو عمرو : أَشْنَتَ إِلَى عَقْلِكَ يا عُقَيْل ، قال : والعَقْل العَرَج ، وكان عُقَيْل أعرج . يضرب هذا للرجل يقع فى أمر  
يهتم للخروج منه فيقال : اضْطَرَزْتُ إلى نفسك فاجتهد ، فإنك وإن كنت عليلا إذا اجتهدت كنت قِمْنَاً أن تنجو .

(٧٩) رأى عمرو بن الأحوص يزيد بن المنذر ، وهما من بنى نهشل ، يداعب امرأته ، فطلقها عمرو ، ولم يتنكر  
ليزيد ، وكان يزيد يستحى منه مدة ، ثم إنهما خرجا فى غَزَاة ، فاعْتَوَر قوم عَمْرًا فطعنوه ، وأخذوا فرسه ، فحمل عليهم  
يزيد واستنقذه ، وردَّ عليه فرسه ، فلما ركب ونجا ، قال يزيد : هذه بتلك فهل جزيتك ؟

(٨٠) جدیس : حى كانت منازلہ فی الیمامة - طسم : قبيلة من عاد - استجاشه : طلب منه جيشا .

(٨١) جَوَّ : اسم اليمامة ، وفى بلاد العرب أجوية كثيرة ، كلُّ جَوٍّ منها يعرف بما نسب إليه - الأُطَم : حصن مبنی  
بالحجارة .

أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَقَدْ دَبَّ الشَّجَرُ أَوْ حَمِيرٌ قَدْ أَخَذَتْ شَيْئًا يُجَزِرُ

فَكَذَّبَهَا قَوْمُهَا ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَرَى رَجُلًا يَنْهَسُ كَتِفًا أَوْ يَخْصِفُ نَعْلًا (٨٢) ، فَمَا تَأْهَبُوا  
حَتَّى صَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ ؛ وَقَالَ الْأَعَشَى يَقْصُ ذَلِكَ :

مَا نَظَرْتُ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا	حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذُّبْيُ إِذْ سَجَعَا (٨٣)
إِذْ قَلْبَتْ مُقْلَةً لَيْسَتْ بِمُقْرِفَةٍ	إِنْ سَانَ عَيْنٍ وَمَأْقَالٍ لَمْ يَكُنْ قِمَعًا (٨٤)
فَنَظَرْتُ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَاذِبَةٍ	وَرَفَعَ الْأَلَّ رَأْسَ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا (٨٥)
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَيْفٌ	أَوْ يَخْصِفُ النُّعْلَ لَهْفَى آيَةً صَنَعَا
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمُ	ذَوَالِ حَسَانٍ يَزْجَى الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
فَاسْتَنْزَلُوا أَهْلَ جَوْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ	وَهَدَّمُوا شَاخَصَ الْبُنْيَانِ فَاتَّضَعَا

وَقَالَ لَهَا حَسَانُ : مَا كَانَ طَعَامُكَ ؟ فَقَالَتْ : دَرْمَكَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ بِمَخِّ عَنُقٍ (٨٦) ، وَقَالَ :  
فِيمَ كُنْتَ تَكْتَحِلِينَ ؟ قَالَتْ : بَغْبُوقٌ مِنْ صَبْرٍ وَصَبُوحٌ مِنْ إِثْمَدٍ (٨٧) ، وَشَقَّ عَيْنَهَا ، فَرَأَى عُرُوقًا  
سُودًا مِنَ الْإِثْمَدِ ، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ اِكْتَحَلَ بِالْإِثْمَدِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَقِصَّةُ الْحَمَامِ مَشْهُورَةٌ ، وَهِيَ  
الْقَائِلَةُ :

لَيْتَ الْحَمَامَ لِيهِ ، إِلَى حَمَامَتِيهِ وَنَصْفُهُ قَدِيدِهِ ، ثُمَّ الْحَمَامُ مَا يَه

---

(٨٢) يَنْهَسُ اللَّحْمَ : يَأْخُذُهُ بِمُقَدِّمِ أَسْنَانِهِ وَيَتَفَهَّ لِلْأَكْلِ - يَخْصِفُ : يَخْرُزُ .  
(٨٣) الْأَشْفَارُ : مَنَابِتُ الْأَهْدَابِ مِنَ الْجَفُونِ - الذُّبْيُ : نِسْبَةٌ إِلَى بَنِي الذُّبِّ وَهُمْ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ ، مِنْهُمْ سَطْحُ الْكَاهِنِ .  
(٨٤) مُقْلَةٌ : عَيْنٌ - مُقْرِفَةٌ : مُعْدِيَةٌ - الْمَاقُ : طَرَفُ الْعَيْنِ مِمَّا يَلِي الْأَنْفَ ، وَهُوَ مَجْرَى الدَّمْعِ - قِمَعٌ : وَارٍ مَحْمَرٌ .  
(٨٥) الْأَلُّ : السِّرَابُ .  
(٨٦) الذُّرْمُكُ : الدَّقِيقُ الْأَبْيَضُ - الْعَنُقُ : جَمْعُ الْعُنَاقِ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعِيزِ وَالْغَنَمِ مِنْ حِينِ الْوِلَادَةِ إِلَى تَمَامِ حَوْلٍ .  
(٨٧) الْبَغْبُوقُ : شَرَابُ الْعَشِيِّ - الصَّبُوحُ : شَرَابُ الصَّبَاحِ - الصَّبِرُ : عَصَاةُ شَجَرٍ مَرٍّ - الْإِثْمَدُ : ضَرْبٌ مِنَ الْكُحْلِ .

وقال النابغة :

واحكمم كحكم فتاة الحى إذ نظرت  
يحفه جانباً نيق وتتبعه  
قالت ألا ليّما هذا الحمام لنا  
فحبوه فألفوه كما حببت  
فأكملت مائة فيها حمامتها  
إلى حمام سراع وارد الثمد (٨٨)  
مثل الزجاجة لم تكحل من الرمّد  
إلى حمامتنا أو نصفه فقد  
تسعا وتسعين لم ينقض ولم يزد  
وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

٢ - أبصر من الوطواط : وهو الخفاش ، ويروى : أبصر ليلاً ، وأبصر بالليل .

٣ - أبصر من باز (٨٩) .

٤ - أبصر من حية .

٥ - أبصر من عقاب ملاح : ويروى : من عقاب ملاح بالاضافة ، وملاح كقطام :  
الصحراء ، وعقابها أبصر من عقاب الجبل ؛ قال امرؤ القيس :

كُنْ دِثَارًا حَلَقْتَ بَلْبُونِهِ      عُقَابُ مَلَاكِ لَأَعْقَابُ الْقَوَاعِلِ (٩٠)

هى رءوس الجبال ، وقيل : ملاح صفة لها من الملع وهو السرعة ، وليس بوجه فى البيت  
لقوله « لا عقاب القواعل » ، ويجوز أن تكون غير منصرفة ، وعلى هذا ينون فى البيت ، لأن  
غير المنصرف سائغ صرفه فى الشعر ، ولا يستحسن إشار منع الصرف مع القبض على سلامة  
الجزء مع الصرف ههنا . وبصر العقاب أنها تعرف من سُكَاك (٩١) الجوائثى الأرانب من  
ذكرها فتخطفها لأن الذكر يتلوى على عنقها فيقتلها . ومدح أعرابى رجلاً فقال : هو أصح  
بصرًا من العقاب ، وأيقظ عيناً من الغراب ، وأصدق حساً من الأعراب .

(٨٨) الثمد : الماء القليل الذى ليس له مدد - النيق : الطويل من الجبال .

(٨٩) الباز : جنس من الصقور الصغيرة .

(٩٠) دثار : اسم راعى امرئ القيس - القواعل : الجبال القصار الصغار .

(٩١) السُكَاك : الهواء بين السماء والأرض .

٦ - أبصر من غرابٍ : يغمض إحدى عينيه اجتزاء بالواحدة ، والعرب تدعوه لذلك أعور أو على طريق القلب ، كأن حدة بصره تناهت حتى انتقلت إلى العكس . قال ابن ميادة :

الْأَطْرَقْتَنَا أُمُّ أَوْسٍ وَدُونَهَا      حِرَاجٌ مِنَ الظُّلْمَاءِ يُغْشَى غُرَابُهَا  
فَبَشَا كَأَنَّا بَيِّنَتْنَا لَطِيمَةً      مِنَ الْمِسْكِ أَوْ دَارِيَّةَ وَعِيَابُهَا (٩٢)

أى إذا عشى فيها الغراب فما الظن بغيره ، قال أبو الطمحان القينى :

إذا شاء راعيتها استقى من وقية      كعين الغراب صفوها لم يكدر (٩٣)

٧ - أبصر من فرسٍ : ويروى : من فرس فى ظلماء ليل وغلس ، ويروى : بهما غلس ؛ تزعم الفرس أنه ليس فى الدواب أبصر من الفرس ، وأنه لو أجرى فى الضباب الكثيف ومدت فى طريقه شعرة لوقف عند انتهائه إليها .

٨ - أبصر من كلب : قال مرة بن محكان :

يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ      ضُمِّي إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ وَالْقُرْبَا  
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ      لَا يُنْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ طَخْيَائِهَا الطَّنْبَا (٩٤)

٩ - أبصر من نسرٍ : ليس فى الطير أبصر منه ، تزعم الفرس أنه إذا حلق أبصر الجيفة من مسافة أربع مائة فرسخ .

١٠ - أجود من الجواد المبرٍ : يضرب للفرس السابق ، وأجود أى أبلغ جودة ، يقال : جاد الفرس يجود إذا صار جواداً ، فهو بين الجودة والجودة ، والمبر الغالب فى الجرى .

---

(٩٢) الحراج : جمع الحزج وهو جبال الصائد - اللطيمة : وعاء المسك ، أو العير التى تحملها للتجارة - الدارى : العطار ، نسبة إلى دارين بالبحرين ، فيها سوق كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند - العياب : أوعية من خوص ونحوه .

(٩٣) الوقية من الأرض : التى لا تنشف الماء لصلابتها .

(٩٤) القرب : جمع القراب ، وهو غمد السيف ونحوه - الطخياء : الليلة الشديدة الظلمة - الطنب : حبل يشد به الخباء ونحوه .



١١ - أجود من حاتم : كان إذا قاتل غلب ، وإذا غنم نهب ، وإذا سُئل وهب ، وإذا ضُرب بالقِدام سَبَق ، وإذا أَسْرَ أطلق ، وإذا أثري أنفق ؛ وكان أقسم بالله لا يقتل واحداً أمه ، وهو القائل :

أماوى إنى ربُّ واحدٍ أمه      أخذتُ فلا قتلٌ عليه ولا أسرُ

وخرج إلى أرض عترة ، فناداه أسير : يا أبا سَفانة ! أكلنى الإِسار والقمل ؛ فساوم به وخلاه وأقام فى قِده حتى أتى بفدائه ؛ وعن امرأته أنها قالت : أصابت الناس سَنَةً أَكَلَت الخفَ والظلف (٩٥) ، فبينما نحن ليلةً بأشدَّ الجوع أخذ هو عدياً وأنا سَفانة نُعَلِّهما (٩٦) إذا بامرأة تقول : يا أبا سَفانة ! أتيتك من عند صبيةٍ جِيع ، فذبح فرسه ثم قال : إن ذلك للؤم أن تشبعوا وأهل الصُّرم (٩٧) جِيع ، فقام يأتى الصُّرم بيتاً بيتاً ، فقال : حى هلا النار ، فلم يتركوا من الفرس شيئاً وهو مُتَقَنَّع بكسائه ، وقد قعد حَجَرَةً (٩٨) ما ذاق شيئاً ، قال :

على حالةٍ لو أن فى القومِ حاتمًا      على جوده ما جادَ بالماء حاتمُ

١٢ - أجود من كعب : هو ابن مَامة الإيادى ، ومامة اسمُ أمه ، واسم أبيه عمرو ، وقيل : مامة اسم أبيه ، واسم جدِّه عمرو ، خرج فى شهر ناجر ، فضلَّ الركب الطريق ، فتصافنوا الماء ، فأنتهى القَعْب إلى كعب (٩٩) ، ورأى رجلاً من النَّمِرين قاسط ينظر إليه ، فقال للساقى : اسقى أخاك النَّمرى ! وفعل اليوم الثانى كذلك ، حتى وردوا الماء ، فقال له : رِدْ كَعْبُ إنك ورَّاد ! فعجز عن الجواب ، وتركوه ففاظ (١٠٠) ، فقال أبوه يرثيه :

---

(٩٥) الإِسار : القيد - القِد : السير الذى يُقَد من الجلد ويؤسره القتب - سَنَة : جذب وقحط - الخف والظلف يعنى الأنعام كلها ، والخف للبعير كالحافر للفرس ، والظلف المشقوق للبقرة والشاة ونحوهما .  
(٩٦) نُعَلِّهما : نشغلهما ونلهيهما .  
(٩٧) الصُّرم : الأبيات المجتمعة المنقطعة عن الناس أو الفرقة القليلة .  
(٩٨) حَجرة : ناحية .  
(٩٩) ناجر : كل شهر فى صميم الحرّ - تصافنوا الماء : تقاسموه بالحصص - القعب : قدح ضخيم .  
(١٠٠) فاذ : مات .



أَوْفَى عَلَى الْمَاءِ كَغَبٍّ ثُمَّ قِيلَ لَهُ      رِذْ كَعَسْبُ إِنْكَ وَرَادَ فَمَا وَرَدَا  
مَا كَانَ مِنْ سُوقَةٍ أَشْقَى عَلَى ظَمَأٍ      خَمْرًا بِمَاءٍ إِذَا نَاجُودُهَا بَرَدَا  
مِنْ ابْنِ مَامَةَ كَعَبٍ ثُمَّ عَى بِهِ      زَوَالْمَنِيَّةِ إِلَّا حِرَّةً وَقَدَى (١٠١)

وكان إذا جاوره أحد فمات وداه (١٠٢)، وإن هلك له مال أخلف عليه، وفعل ذلك بأبي  
دؤاد حين جاوره، حتى صارت العرب إذا حمدت جارا أي مجيرا قالوا: كجار أبي دؤاد؛  
وقال قيس بن زهير العبسي:

أَطَوَّفَ مَا أَطَوَّفَ ثُمَّ آوَى      إِلَى جَارٍ كَجَارِ أَبِي دُؤَادٍ  
وقال جرير:

فَمَا كَغَبُّ بِنِ مَامَةَ وَابْنُ سُعْدَى      بِأَجُودَ مِنْكَ يَا عَمَرُ الْجَوَادَا  
١٣ - أجود من هريم: هو ابن سنان بن أبي حارثة المرّي كان لا يُلِقُ (١٠٣) شيئا من ماله  
لفرط جوده، فحرقه قومه باللوم وهموا بالأخذ على يديه خوفاً عليه من الفقر، فقال: ما ظننتُ  
أنّي أعيش إلى زمان ألام فيه على الجود، فركب ناقّة له تسمى الجهول، وأخذ في  
الفيفاء (١٠٤) أنفاً وحمية فلم يعاين هو ولا ناقته بعد فسُمّي ضالة غطفان، وفيه يقول زهير بن  
أبي سلمى المزني:

إِنَّ الرِّزْيَةَ لَارِزْيَةَ مِثْلُهَا      مَا تَبْتَغَى غُطْفَانَ يَوْمَ أَضَلَّتْ  
إِنَّ الرِّكَّابَ لَتَبْتَغَى ذَا مِرَّةٍ      بَجَنُوبٍ نَخْلٍ إِذَا الشُّهُورُ أُحِلَّتْ (١٠٥)  
يَنْعَيْنُ خَيْرَ النَّاسِ عِنْدَ شَدِيدَةٍ      عَظُمْتُ مُصِيشُهُ هُنَاكَ وَجَلَّتْ

(١٠١) الناجود: إناء يجعل فيه الشراب - زوالمنية أي قدرها - الحرة: حرارة الجوف من العطش، وفي المثل:  
"حرة تحت قرّة" أي عطش في اليوم البارد - وقدي أي تتوقّد - عى به أي عيّت به الأحداث إلا أن تقتله عطشا.  
(١٠٢) وداه: بمعنى أعطى ولته.  
(٠١٣) لا يُلِقُ أي لا يمسك، ويقال فلان لا يُلِقُ كفه درهما أي لا يستقرّ بها.  
(١٠٤) الفيفاء: الصحراء الواسعة المستوية.  
(١٠٥) الرزية: المصيبة - الركاب: الإبل - ذا مِرّة: ذا عقل ورأى مُبرم - نخل: موضع بعينه - جنوبها: نواحيها  
إذا الشهور أُحِلَّتْ أي إذا دخلت الأشهر التي يحلّ الغزو فيها.

رُوى عنه أنه آلى على نفسه ألا يُسَلِّم عليه زهير إلا أعطاه غُرَّة عبدًا أو وليدة، فكان زهير إذا  
أتى نادية فيهم هَرِم قال : انْعَمُوا صَبَاحًا غَيْرَ هَرِم ، وخيرُكم استثنيت ، قال زهير :  
إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ (١٠٦)

\* \* \*

---

(١٠٦) على عِلَاتِهِ : على ما ينويه من عوز وقلة ذات يد .



## ابن أبي الخصال الغافقي

( ٤٦٥ - ٥٤٠ هـ / ١٠٧٣ - ١١٤٦ م )

أبو عبد الله محمد بن مسعود بن خلصة ، ولد في قرية قرغلط في جهة شقورة التابعة لكورة جيان غربى مرسية ، وانتقل إلى قرطبة فتلقى العلم بها على شيوخها المبرزين من أمثال أبي الحسين بن سراج وأبي محمد بن عتاب وغيرهما ، وقرأ الحديث بمدينة المرية على أبي علي الصدفي ، وكان مما قرأه صحيحا مسلم والبخارى وجامع الترمذى ومصنف أبي داود ، وتبحر فى الآداب واللغات .

اتصل بمحمد بن الحاج والى قرطبة ، وبابنه أبي يحيى ، وتولى لهما الكتابة والوزارة ، وانتقل مع ابن الحاج إلى فارس حينما ولأه عليه سلطان المرابطين على بن يوسف ابن تاشفين ، ثم إلى بلنسية عند ولاية ابن الحاج عليها سنة ٥٠٢ ، ثم إلى سرقسطة ، فلما استشهد محمد بن الحاج وابنه أبو يحيى سنة ٥٠٩ وهما يدافعان عن سرقسطة ملك أرغون ألفنش ( ألفونسو الأول الملقب بالمحارب ) انصرف عن الحياة السياسية ، واعتزل المناصب مدة ، إلى أن استدعاه على بن يوسف إلى حاضرتة مراکش ، لكى يلى ديوان رسائله ، ولكنه وقع بعد ذلك فى محنة السلطان حينما كتب عن على بن يوسف رسالة فى توبيخ جند المرابطين الذين نكلوا عن العدو فى بلنسية وحلت بهم الهزيمة ، فقد أغلظ ابن أبي الخصال لأولئك الجند ، ووصمهم بكل نقيصة ، مما هاج غضب على بن يوسف ، فأعفاه من الخدمة ، على أنه عاد إليها بعد ذلك فى عهد تاشفين بن على بن يوسف ابن تاشفين منذ ولايته العهد سنة ٥٣٣ ، وحينما اضطربت أحوال الأندلس فى آخر عصر المرابطين واندلعت الفتنة ، كان يقيم فى قرطبة ، وفى سنة ٥٣٩ نشبت الحرب بين ابن حمدين الثائر فى قرطبة وابن غانية قائد المرابطين ؛ وحدث أن كان خارجا من داره فلقيته طائفة من جند المرابطين فقتلوه على باب الدار .

وكان كاتبا وشاعرا ، ذكر بعض من ترجموا له أن نظمه الرائق وترسله الفائق يقع فى خمس مجلدات ، وأن ترسله كان يدور بأيدى أدباء الأندلس قد جعلوه مثالا يحتذونه ، ونصبوه إماما يقتفونه .

ومن مؤلفاته كتاب " سراج الأدب " ، وكتاب " ظل الغمامة وطوق الحمامة " ، وهو عن مناقب صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وله قصيدة طويلة في نسب الرسول ، سماها " معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب " .

وقد وصف بأنه " كان مفخرة وقته وجمال جماعته ، حسن العشرة ، واسع المبرّة ، من أهل الخصال الباهرة والأذهان الثاقبة ، فصيح اللسان ، حسن البيان ، حلوا الكلام ، أحد رجال الكمال " .

\* \* \*



رسالة ابن أبي الحضال عن علي بن يوسف إلى جند المرابطين ببلنسية يؤنبهم على  
تواكلهم وتخازلهم حتى حاقت بهم الهزيمة :

" من أمير المسلمين وناصر الدين " .

أما بعد ،

يا فِرْقَ خَبَّتْ سرائرها ، وانتكشت مرائرها (١) ، وطائفة انتفخ سخرها ، وغاض على حين  
مرة بحرها ، فقد آن للنعم أن تُفارقكم ، وللأقدام أن تَطَأَ مفارقكم ، حين ركبتموها جُلُوءاً  
عارية ، وأصبحتم في أدراع عارها أمثالاً سواسية ، واختلط المرعى عندكم بالهمل (٢) ، فما  
يُتَبَيَّنُ الأنقص من الأكمل ، فطأ طأتم لها رؤوس عشائركم ، وقضيتم بالفُسُوله (٣) على سائركم  
لأجرم أن قد صرتم سمر الندى ، والأحاديث الملعنة (٤) بالغداة والعشي ، بما ضامركم من  
الجبن والخور ، واستهواكم من لقاء العدو بالجانب الأزور (٥) ، لا تواجهونهم طرفة عين ،  
ولا تعاطونهم حمة حين ، بل تعطونهم الظهر هنيئاً مريئاً ، وتتخذونهم وراءكم ظهرياً (٦) ،  
والرماح نحوكم لم تُشرع ، والخيل لم تُسرع ، والنفوس في حياض المنية لم تكرر ، فإنكم  
ثلة ذبابهم (٧) ، وفريسة أنيابهم ، قد نعموا في بُوسكم ، وناهضوكم بلبوسكم ، وحاربوكم عاماً  
على أترعهم حتى ألزقوكم ، وتركوكم أسلح من حبارى (٨) ، وأشرد من نعام .

فالآن حين ملأتم أيديهم متاعاً ، وواديهم سلاحاً وكراعاً ، قد غزوكم في عُقركم (٩) ،  
وأذاقوكم وبال أمركم ، فلذتم بالجدران ، وبؤتتم بالندامة والخسران . يا بغايا بني الأصفر ،

(١) انتكشت مرائرها بمعنى ضعفت ، والمرائرها الحبال المفتولة ، وانتكشت أي انتقضت .

(٢) في المثل : " اختلط المرعى بالهمل " ، المرعى : ماله راع ، والهمل : الضوال المسيبة التي لا راعي لها من  
النعم .

(٣) الفُسُوله : ضعف الرأي وقلة المروءة .

(٤) الندى : مجلس القوم ومجتمعهم - الملعنة : التي كثر لعنها .

(٥) الأزور : المعوج .

(٦) جعله ظهرياً أي نسيًا منسيًا .

(٧) ثلة : هلكة - الذباب : حد السيف .

(٨) الحبارى : طائر طويل العنق ، وفي المثل : " أسلح من حبارى " لأنها ترمى الصقر بسلاحها إذا أراد صيدها ،

فتلوث ريشه لتمنعه من الطيران .

(٩) الكراع : الخيل والسلاح - العقر : محلة القوم ، وعقر الدار : وسطها .

وسجايَا ذوات الدَّل والخَصَر. أَكْرَهْتُمْ زِحَافَهُمْ (١٠)، وَكُتِمَ - عَلِمَ اللهُ - أَضْعَافَهُمْ ؟ أَنَّى لَكُمْ بِالْمَعْذَرَةِ وَأَيْنَ ؟ وَقَدْ فَرَضَ اللهُ الْوَاحِدَ مِنْكُمْ بِالْإِثْنَيْنِ ؟ فَقَالَ : ﴿ إِن تَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ﴾ (١١). هَذَا وَكَلِمَتُكُمْ الْعَلِيَا ، وَحَلُّوبَتُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، مَا شِئْتُمْ مِنْ صَارِمٍ وَطِرْفٍ وَرَكَائِبٍ وَسَوَامٍ ، وَنَضَائِدٍ وَخِيَامٍ (١٢).

فِيَا أَسْفًا لِلْحَقِّ يَدْمَغُهُ الْبَاطِلُ ، وَالْحَالِي يَنْهَرُهُ الْعَاطِلُ (١٣) ! لَا بِالْحَنِيفِيَّةِ تَحَرَّزْتُمْ ، وَلَا إِلَى الْحَفِيزَةِ وَالْإِنَابَةِ تَحَيَّزْتُمْ (١٤) ، لَيْتَ شَعْرَى بِمَاذَا تَقَلَّدْتُمُوهَا هِنْدِيَّةً ، وَاعْتَقَلْتُمُوهَا سَمَّهَرِيَّةً خَطِيَّةً ، وَرَكَبْتُمُوهَا جُرْدًا سَوَابِقَ ، وَمَلَكَتُمُوهَا مَغَارِبَ وَمَشَارِقَ ؟ (١٥) ثَاوِينَ فِي غَيْرِ عِدَادِكُمْ ، مُمْتَرِزِينَ عَلَى أَضْدَادِكُمْ (١٦) ، يُؤَدُّونَ الْإِتَاوَةَ إِلَيْكُمْ حِينَ أَشْرَقْتُمُوهُمْ (١٧) بِالْهُوَانِ ، وَأَنْتُمْ فِيهَا غُرَبَاءُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ ، وَصَيَّرُوكُمْ عِيْدَ الْعَصَا ، وَلَسْتُمْ بِالْأَكْثَرِينَ مِنْهُمْ حَصَى ، بَلْ شِرْذِمَةٌ قَلِيلٌ نَفْعُهَا ، كَثِيرٌ نَجْعُهَا (١٨) ، فَيَا عَجِبًا لِدَهْوَلِكُمْ ، شَبَانِكُمْ وَلِهَوْلِكُمْ ، تَأْكُلُونَ ثَمَرَهَا ، وَلَا تَصْلَوْنَ جَمْرَهَا ، وَتَذْهَبُونَ بِحُلُوتِهَا ، وَلَا تَصْبِرُونَ عَلَى لَأْوَاتِهَا (١٩) ! .

إِلَامٌ يَزِيْفُكُمْ النِّاقِدُ	وَيُرْدِيكُمْ الْفَارِسُ الْوَاحِدَ (٢٠)
أَلَاهِلُ أَتَاهَا عَلَى نَائِيهَا	بِمَا فَضَحَتْ قَوْمَهَا غَامِدٌ
تَمْنِيْتُمْ مَا تَنِي فَارِسٌ	فَسَرْدَكُمْ فَارِسٌ وَاحِدٌ
فَلَيْتَ لَكُمْ بِأَرْتِبَاطِ الْخِيُولِ	ضَائِلًا لَهَا حَالِبٌ قَاعِدٌ

(١٠) الزَّحَافُ : المَدَانَاةُ وَالْقَرَبُ .

(١١) سُورَةُ الْأَنْفَالِ (٦٦) .

(١٢) صَارِمٌ : سَيْفٌ - طِرْفٌ : خَيْلٌ كَرِيمٌ - رَكَائِبٌ : دَوَابٌ مَخْصُصَةٌ لِلرُّكُوبِ - السَّوَامُ : الْمَالُ الرَّاعِي - نَضَائِدٌ : وَسَائِدٌ وَمَا خُشِيَ مِنَ الْمَتَاعِ .

(١٣) الْحَالِي : مَنْ يَلْبَسُ الْحَلَى ، وَالْعَاطِلُ مَنْ خَلَا مِنْهُ .

(١٤) الْحَنِيفِيَّةُ : مِلَّةُ الْإِسْلَامِ - تَحَرَّزَ : تَوَقَّى - الْحَفِيزَةُ : الْحَمِيَّةُ وَالْغَضَبُ .

(١٥) الْهِنْدِيَّةُ : السُّيُوفُ الْمَطْبُوعَةُ مِنْ حَدِيدِ الْهِنْدِ - السَّمَّهَرِيَّةُ : الرَّمَاخُ الصَّلْبَةُ الْعُودُ - الْخَطِيَّةُ : الرَّمَاخُ الْمُنْسُوبَةُ إِلَى الْخَطِّ وَهُوَ مَوْضِعٌ بِالْبَحْرَيْنِ - الْجُرْدُ : الْخِيُولُ .

(١٦) الْمُتَمَرِّزُ : الْبَوَائِبُ .

(١٧) أَشْرَقْتُمُوهُمْ : أَصْبَتُمُوهُمْ بِالْغُصَّةِ .

(١٨) نَجْعُهَا : نَفْعُهَا وَظَهْوَرُ أَثَرِهَا .

(١٩) اللَّأْوَاءُ : ضَيْقُ الْمَعِيشَةِ .

(٢٠) النَّاقِدُ : الصَّيْرِفِيُّ الَّذِي يَمَيِّزُ النِّقْدَ الْحَقَّ مِنَ الزَّائِفِ .

ومن لرعاة الإبل بالجبد المقبل ؟ لقدما ما أذهبتهم التالد والطارف ، وعجباً عجيباً من جذابي المطارف ! وأنتم قد قدَحْتُمْ (٢١) في ملكنا ، وأذنتُم بانتشارِ سِلْكنا ، فلولا من لدينا من ذويكم ، وضراعتهم إلينا فيكم ، لألحقناكم عجلاً بصرائكم ، وطهرنا الجزيرة من رحضائكم (٢٢) ، بعد أن توسعكم عقابا ، وأن لا تلوثوا (٢٣) على وجه نقابا . فاللؤم تحت عمائكم ، والوهن والفشل طى عزائمكم ، لكن ما جُبِلنا عليه من الأناة ، وتَوَخَّينا قَدماً من إيقاظ ذوى الملكات يَلْفُنا عن استئصالكم ، ويَحْمِلنا على شَحْد يضا لكم .

فاستنسروا يا بغاث الهيجاء (٢٤) ، واستيشوا بعد الرجاء ، واحذروا حلماً أغضبتموه ، ووادياً من الصبر أنضبتُموه . وتوقوا صدرًا أخرجتموه ، وليثاً من أجمته (٢٥) أخرجتموه . وأئيم الله نُقْسِم إنذاراً بكم ، وإعذاراً لكم ، لنوردن الفارَّ منكم من الزحف ، ما عافه من موارد الحتف ، ولتتجاوزن السوط إلى السيف ، ولنبدلن المعدلة فيكم بالحيف (٢٦) ، فليعلم المقدم المحجم منكم عن الإقدام ، أن سَلِم من الحمام إلى الحمام ، وتخطى مصرع الأسد الباسل ، إلى جذع مائل ، وشهادة الأبرار ، إلى مشهد الذل والصغار ، كما أن من أصيب منكم في حرب ، أو أبلى بطعن أو ضرب ، خلفناه في الأهل والولد ، وبعناه الأثرة والكرامة يداً بيد . فاختاروا لأنفسكم وأعقابكم ، وانضوا (٢٧) ثوب الخزي عن رقابكم . والسلام على من حمى الإسلام .

\* \* \*

(٢١) قدح فيه : عاب وأثر .

(٢٢) رحضاء : عرق الحمى ، والكناية واضحة .

(٢٣) تلوثوا : تضعوا اللثام ، شعار المرابطين على وجوهكم .

(٢٤) أى صيروا كالنسر قوة ، ويقال فى المثل " استنسر البغاث " إذا زعم الضعيف أنه صار قوياً ، والبغاث :

طائر صغير بطيء الطيران .

(٢٥) الأجمة : الشجر الكثير الملتف .

(٢٦) الحتف : الهلاك - المعدلة : العدل - الحيف : الجور والظلم .

(٢٧) انضوا : انزعوا .



## ابن الصيرفى

( ٤٦٣ - ٥٤٢ هـ / ١٠٧١ - ١١٤٧ م )

هو على بن منجب بن سليمان ، المعروف بابن الصيرفى ، والملقب بتاج الرئاسة أمين الدين . ولد بالقاهرة فى عصر المستنصر بالله الفاطمى ، وكان أبوه صيرفيا ، أما جدّه فكان كاتباً .

التحق فى بدايات أعماله بديوان الجيش ثم ديوان الخراج ، ولما ظهر تفوقه وإتقانه نقله الوزير الأفضل بن بدر الجمالى إلى ديوان الإنشاء ، كما أسند إليه كتابة التقاليد والمراسيم والتوقيعات ، وظل يعمل فى هذا الديوان فى عهدى الأمر ( ٤٩٥ - ٥٢٤ هـ ) والحافظ ( ٥٢٤ - ٥٤٣ هـ ) .

ومن رسائله التى احتفظت بها بعض المصادر رسالة كتبها حين تولى الأمر - وهو فى الخامسة عشرة من عمره - الخلافة ، وتهنئة بهذه الولاية ، وتفويض إلى الوزير الأفضل من الخليفة الأمر ، ليقوم بما تحتاجه الرعية والدولة من السياسة والتدبير ، وفى الجزء الثامن من كتاب " صبح الأعشى " نماذج أخرى من رسائله فى البشارات بسلامة الخليفة وغيرها .

ومن مؤلفاته المطبوعة " قانون ديوان الرسائل " تحدث فيه عن نظام هذا الديوان ، والصفات التى ينبغى أن تتوافر فى القائمين عليه كما أثبت فيه بعض رسائله ، وعن ذلك يقول : " وبيّنت الأمر فيه على ما يقتضيه حكم البلاد المصرية المتعارف فيها الآن دون غيره من الأوقات " .

ومنها : " الإشارة إلى من نال الوزارة " ، ويعدّ أول كتاب ألف عن الوزراء المصريين .

ومنها : " الأفضليات " ويشتمل على سبع رسائل ، فيها اعتذارات إلى الوزير الأفضل ، مما يرجح أن ثمة ما عكّر صفو المودة بينهما ، وفيها أيضاً بعض الأخبار عن المجالس الأدبية



التي كانت تعقد في قصر الوزير ويحضرها أعلام مثل ظافر الحداد وأمّية بن أبي الصلت وابن مكنسة .

وقد طبع له أيضا كتاب " المختار من شعر شعراء الأندلس " ، وذكرت المصادر التي ترجمت له أن " له تصانيف مشهورة صغار ظراف " واختيارات كثيرة من دواوين الشعراء المشهورين ، وقد وصفه الحموي بأنه " أحد فضلاء المصريين وبلغائهم ، مسلّم ذلك له غير منازع فيه ، وله رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات " ، ومما يدل على تأثيره الكبير فيمن تلاه من الكتاب ما لحظه ابن سعيد المغربي ، قال : " وقعتُ على ترسله في مجلدات عدة ، فوجدت القاضي الفاضل البيساني ينسج على منواله ويتزع متزعه " .

\* \* \*

## مما جاء في العفو :

قال الله عزَّ من قائل : ﴿ فاعفُ عنهم واصفحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .  
وقال : ﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ (٢) ، وقال : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (٣) .

وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا كان يومُ القيامة يُنادى مُنادٍ ألا فليقيم من كان أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا ﴾ وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لو لم تُذنبوا لجاء الله بقوم يُذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم وما أحسن قول بعض الزهاد : إن الله - عز وجل - أمر بالعفو ، وهو لا يكون عن البريء ، وإنما يكون عن المذنب المُسيء . ألم تسمع إلى قول الله تعالى : ﴿ وَإِنْ رِبْكَ لَدُوٌّ مَغْفِرَةٌ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ (٤) ، فوالله ما قال : على إحسانهم ، ولا على عدلهم .

الحسن بن هانيء وهو آخر شعر قاله :

يَا رَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً  
فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ  
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُخِيسُنُ  
فَمَنِ الَّذِي يَرْجُو وَيَدْعُو الْمَجْرُمُ ؟  
أَدْعُوكَ رَبُّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعًا  
فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ ؟  
مَالِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَا  
وَعَظِيمُ عَفْوَكَ ثُمَّ إِنِّي مُسْلِمٌ

(١) سورة المائدة : ١٣

(٢) سورة النور : ٢٢

(٣) سورة الشورى : ٤٠

(٤) سورة الرعد : ٦

حُكِيَ عن بعض ملوك العجم أنه أُتِيَ بأسير عظيم الجُرم ، فقال له : " لو كان هواي في العفو عنك لخالفته إلى قتلك ولكن لما كان هواي في قتلك خالفته إلى العفو عنك " ، وعفا عنه ، فمن بركة العفو أنه صرف هذا الملك عن موافقة هواه ، وعدّل به إلى متابعة هداه وتقواه .

ذُكر أن أحد خدم الملوك قال له يوماً : " إني لأتعهدُ الخطأ في خدمتك ، وليس ذاك جهلاً بشرف طاعتك " ، فقال : " وما يحملك على ذاك ؟ " فقال : " رأيتك شديد السرور إذا عفوت ، فقصدت ما يؤدي إلى مسرتك " . ومن ها هنا أخذ ابنُ القُمى قوله :

وعبدك إن يأت الذنوب فإنما

تَعَمُّدٌ أن يهفُ — لأن تَغَمُّدًا

وكان أبو محمد الخازن قد بُعدَ عنِ صاحب وفارق خدمته ، ثم عاد إليه ، فتلّقاه بالترحيب ، وجعل إقالته العشرة سالمة من اللوم والتشريب ، فكتب إلى أبي بكر الخوارزمي كتاباً منه : " ولقد كنتُ أحسب العفو عني حُلماً ولا أقدر ما جئتُ يُعقبُ حُلماً ، فكأنني ما خطوت إلا في التماس قُرْبَةٍ ، ولا أخطأتُ إلا لتأثيل إثار ومحبة " .

ولما وصل الفتكين الشرابي غلامُ مُعز الدولة أبي الحسين أحمد بن بويه إلى الشام في خلافة العزيز بالله ، وسيرتُ العساكرُ إليه تقرّر الصلحُ بينه وبين القائد جوهرٍ على أن ينادي بشعار الدولة ثم نقض ذلك ، ولم يزل يقرّره ثم ينقضه ، حتى خرج العزيز بالله إليه ، وتولى قتاله بنفسه بعد أن أبى ما أعطاه من الأمان ، وبذل له من الإحسان . فلما ظفربه ضرب له فائزة<sup>(٥)</sup> ، وأمر بأن تُحمَلَ إليه أنفُسُ الفرُش والألات ، وردَّ إليه كلُّ ما عرفه من المنهوب له ، وكان جماعة قد أشاروا بأن يُشهرَ على الفيل ، وبأن يُجعلَ في قفص ، فأبى خلائقه إلا عفواً ، ومواردُ كرمه إلا صفواً . ويقال إنه أتفق في توبته إلى أن حصل في قبضته ألفي ألف دينار .

وحكى بعض البغداديين قال : كنت ببغداد في سنة ثمانٍ وستين وثلاثمائة حين ورد كتابُ أحد التجار بما فعله العزيز بالفتكين ، فوقعتُ ضجّة ، واجتمع خلقٌ لا تُحصى ،

(٥) بناء على خرق تستعمله الجنود ، وهي كذلك مظلة تمدّ بعمود .

ورفعوا أصواتهم بالدعاء له ، وخرجوا إلى مسجد بَرَاءَا (٦) يدعون ، وأظهر الشيعة ما فى نفوسهم من الولاء ، فما أمكن الملكُ فَنَاحُشِرُو (٧) إنكارَ ذلك لكثرة الناس . قال أبو الفتح ابنُ المقدِّر المتكلم : استدعى الصاحبُ أبو القاسم فى بعض الأيام شرابَ السُّكَّرِ ، فأحضِرَ قدحٌ منه ، فلما أراد أن يشربه قال له أحد خواصِّه : لا تشربه ، فإنه مسموم . وكان الغلام الذى ناوله إياه واقفاً ، فقال للرجل المحذِّر له منه ، وما الشاهدُ على صحة قولك ؟ قال : أن تجربته على من أعطاكه ، فقال : لا أستحسن ذاك ولا أَسْتَحِلُّه . قال : فعلى دجاجة . قال : إن التمثيل بالحيوان لا يجوز . وردَّ القدح ، وأمر بأن يُقَلَّبَ ما فيه ، وقال للغلام : انصرف عني ، ولا تدخل دارى . وأمر بإقرار جارية وجرايته عليه ، وقال : لا يدفعُ اليقين بالشك . ولا تحسنُ العقوبةُ بقطع الرزق .

ابن حَيُّوس :

لعسرى لقد بدَّ الملوكَ جميعَهُم  
 بأربعة فى غيره لن تَأَلَّفَا  
 بأمن لمن يخشى ، وقهر لمن طغى  
 وسبق لمن جارى ، وعفو لمن هفا  
 ملى بأن يأتى الجميلَ خليفةً  
 إذا ما أتاه المحسنون تكلفاً

\* \* \*

(٦) محلة كانت فى طرف بغداد فى قبة الكرخ ، وكان لها جامع مفرد تصلى فيه الشيعة .  
 (٧) هو عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو بن ركن الدولة ، تولى ملك فارس ثم ملك الموصل وبلاد الجزيرة ، وكان عالماً بالعربية وينظم الشعر .

## من " المحاسن العصرية في المملكة المصرية " :

قد خُدم مجلسُ مولانا الملك بغرائب من المدح كان البيان بها ضنيناً<sup>(٨)</sup> ، وأنتج الدهر له من بدائع القول ما لم يزل في حشاه جنبنا ، مما استقرت الخدم به عند حفظتها ، وحصلت مصونة تحت أيدي خزنتها ، من مشوريتناقل في الآفاق ويتهادى ، ويحدث لسامعه طرباً لم يكن لمثله معتاداً :

وقوافٍ لَيْسَتْ تُفَارِقُ مَعْنَا

على أنها تَجُوبُ الْإِلَادَا

ولولا ذلك لقصر المملوك هذا الفصل منها على الجوهر الشفاف ، وأورد من الصفات الشريفة ما يُنسبُ المُفْرِقُ فيه إلى التقصير إذا نُسِبَ غيره إلى الإسراف ، فهو يذكر غُرّاً لا يتحيز إلى فن مفرد ، ويورد متخيراً يُعرب عن حسن المطلب وجودة المقصد ، ويفتح ذلك بأحق الأشياء بالتقديم ، وأولاها بالتشريف والتعظيم .

قال محمود بن القاضي الموفق في مولانا الملك ثبَّتَ الله دولته :

مَلِيكَ تَذِلُّ الْحَادِثَاتُ لِعِزِّهِ

يُعِيدُ وَيُيَدِي وَاللَّيَالَى رَوَاغِمُ<sup>(٩)</sup>

فَكَمْ كُرْبَةٍ يَوْمَ النَّزَالِ تَكْشَفَتْ

بَحْمَلَاتِهِ وَهِيَ الْغَوَاشِي الْغَوَاشِمُ<sup>(١٠)</sup>

تَذَارَكْنَا وَالْمَكْرُمَاتُ دَوَائِرُ<sup>(١١)</sup>

يَصُمُّ صَدَاهَا وَالْمَعَالَى مَعَالِمُ

(٨) ضنين : شديد البخل .

(٩) رواغم بمعنى مقهورة مكرهة .

(١٠) كربة : حزن وغم - النزال : المقابلة وجها لوجه للقتال - الغواشي : النوازل - الغواشم بمعنى الشديدة ،

ويقال للحرب غشوم لأنها تنال غير الجاني .

(١١) دوائر : دارسة قد ذهب أثرها .



تَشِيدُ بِنَاءَ الْحَمْدِ وَالْمَجْدِ بِيُضِهِ

وَهُنَّ لِأَسَاسِ الْهُوَادَى هَوَادِمٌ (١٢)

إِذَا صَدَرَتْ عَنْ مَوْرِدِ الْمَوْتِ خِلَتَهَا

بِأَغْمَادِهَا وَهِيَ الْعَوَارِي الْعَوَارِمُ (١٣)

رَفَاقُ الظُّبَى تَجْرِي بِأَرْزَاقِ ذَا الْوَرَى

وَأَجَالِهِمْ فَهِيَ الْقَوَاسِي الْقَوَاسِمُ (١٤)

وكان أبو طاهر الأطفيجي العابد اقترح عليه أن يقفه على شيء من منظومه ، فعمل هذه القصيدة في مدح مولانا - خلد الله ملكه - وقال فيها مخاطباً للعابد :

صَحَائِفُ أَعْدَاها الشَّبَابُ بِصِغْفِهِ

فَهَلْ أَنْتَ مَاحٍ مَا تَخُطُّ الْمَآئِمُ

إِذَا قَائِمُ السِّيفِ انْتَشَى فِي مُلَمَّةٍ

وَلَمْ يُغْنِ أَغْنَى وَخْدَهُ وَهَوَقَائِمُ

ولا يعلم المملوكُ شاباً مدح شيخاً متعبداً ، وَخْدَتَا اجْتَدَى (١٥) نَاسِكًا مَرَهَّدًا بِأَحْسَنَ من هذا . وإذا كان الناس قد أجلبوا يقول حبيب :

يَمْدُونُ مِنْ أَيْدِ عَوَاصٍ عَوَاصِمِ

تُصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ (١٦)

---

(١٢) البيض : السيوف - الهوادي : جمع الهادية وهي الأوتل المتقدّمات من الخيل ومن كل شيء .

(١٣) العوارم بمعنى الشديدة .

(١٤) الظبا : جمع الظبة وهي حدّ السيف أو السنان أو غيرهما - الوري : الخلق - القواسي : الصلبة الشديدة - القواسم أي التي تقسم الأشياء ويخزنها .

(١٥) اجتدى : طلب العطاء .

(١٦) العواصي : جمع العاصية أي التي تضرب بالسيف ، أو التي لا تطيع أمر المملوك ولا الأعداء إذ ليس فوقها

يد - العواصم : جمع عاصمة أي يعتصم من استجار بها - القواضي التي تقضى على الأعداء بما تريد - القواضب : القاطعة .

وهو بيت واحد ؛ فما الظنَّ بِعِدَّةِ آيَاتِ سالمة من الضعف ، بريئة من التسمُّجِ في الوصف ؛ ألا إنَّ ذلك بسعادة من خُدم بها مقامه الأشرف ، وإقبال من اتسعت مناقبة فغدا الخاطر يجرى في ذكرها ولا يتوقَّفُ . وهذا النوع يُسمَّى : التجنيسَ المُركَّبَ ، وقومٌ يُسمُّونه : الناقصَ ؛ لأنَّ الحروفَ الأصلية في إحدى لفظتى التجنيس تنقصُ عن الأخرى ، وقد أراد قوم جمع أقسامه فلم يُحيطوا علماً بها ، ووَدُّوا حَصَرَ أنواعه لو أمِنُوا مِنْ تَفَرُّعِهَا وَتَشَعُّبِهَا :

ولكنَّها صَوَّبُ العُقُولِ إذا انجَلَّتْ

سَحَابَاتُ مِنْهَا أَغْقَبَتْ بِسَحَابِ

لأنَّ أدباء كل وقت يُحدثون من ذلك ما يقترحون له ألقاباً ، وعلماء كل عصر يُولِّدون فيه ما يقصِّدون به تعاطياً وإغراباً ، فَمِنْ مُسْتَحْسَنِ ما اتَّوَّاهُ به تجنيسُ التَّوِينِ ، كقوله :

أَنَا الَّذِي لَا ذُوَّ هَوَى      وَلَا شَجَاىَ وَلَا شَجَاىَ (١٧)  
لَا قَى الَّذِي لَا قَيْتُ مِنْ      مَحِيَّتَى فَتَى فَتَى

وفى هذا مناسبة لقول الميكالى :

لَيْتَ أَجْفَانِي بِهِ سَعِدَتْ

فَتَرَى الطَّرْفَ الَّذِي فَتَرَا (١٨)

وقول الصقلِّ :

نَهَاكَ أَهْلُكَ عَنْنِى      مِنْ أَجْلِ أَهْلِكَ أَهْلِكَ

وقول يحيى أحد شعراء المجلس العالى المالكي ثبت الله سلطانه :

غَارُوا فَغَارَ لِحَيْنِى فِيهِمْ قَمَرٌ

هَوَيْتُهُ أَفْلا أَبْكِي وَقَدْ أَفْلا

(١٧) الشجى والشجن : كلاهما بمعنى الحزن والاهتياج للذكرى .

(١٨) الطرف : العين - فتر : انكسر نظره .

والمتقدّمون يُسمّون هذا : تجنيس المماثلة ، وقومٌ يعبرون عنه بتجنيس اللفظ والخط ،  
ويجعلون قول أبي نُوَاسٍ في آل الربيع من أحسنه وهو :

عَبَّاسُ عَبَّاسٍ إِذَا حَضَرَ الْوَعْيُ

وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّيْعُ رَيْعٌ

ويروى : إذا احتدم الوعي ، أى اشتدَّ حرُّه .

والمملوك يقول : إن الأمدح أن يكون إذا اشتد الوعي بَسَامًا لَا عَبَّاسًا ، فإن قصد بعبَّاسٍ  
رجلاً مشهوراً بالشجاعة فهو وجه جيد ، ويكون من باب قول الآخر :

حَتَّى كَأَنَّكَ يَا عَلِيُّ عَلِيٌّ

ومن الشجعان المشهورين : عَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ ، ورآه عمرو بن مَعْدِي كَرِبَ  
فقال : أهذا عباس بن مرداس ؟ لقد كنا نُفَرِّقُ به صبياننا في الجاهلية . اللهم إلا أن يكون  
أبو نُوَاسٍ أراد ما جاء في الحديث من قوله عليه السلام : " الْقَوَا الْكُفَّارَ بِوَجْهِ مُكْفَهَرَةٍ " أى  
غِلَظٍ ، فهو وجه ، فأما قول الأعشى :

إِنْ تَسُدَّ الْخُوصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ

وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ (١٩)

فمن علماء الشعر من يجعله مُجَانَةً ؛ لأن أحدها رجلٌ والآخر قبيلة ، ومنهم من يقول  
بل معناه واحد ؛ لأنه قال : بنى عامرٍ ، فأضاف البنين إليه ، ولو قال : ساد عامراً ، يعنى  
القبيلة ؛ لكان تجاناً غير مَذْفُوعٍ . وقد سَلِمَ ابنُ سَعِيدٍ الحلبيُّ من هذا التأوّل في قوله :

أَلْ غِنَى مَالِنَا دِيْكُكُمْ

قَدْ قَدَّ الطَّارِقُ وَالسَّامِرُ (٢٠)

وَمَا لِهَذَا الْبَيْتِ مِنْ عَامِرٍ

لَمْ يُسَقِ بِشَا لِلنَّسْدِيِّ عَامِرًا

(١٩) الحوص والأحوص قوم من الأقوام ، ومنهم أولاد الأحوص بن جعفر - لم تعدّهم : لم تجاوزهم .

(٢٠) غنى : حتى من غطفان .

## مقدمة " قانون ديوان الرسائل " :

أما بعد فإنني وجدت الله سبحانه قد جعل الخليفة أطوارًا يفتقر بعضها إلى بعض ، ويكون تباين مراتبها ومنازلها سببًا لعمارة الأرض ، فجعل الأنبياء أعلى آدميين محلًا وشأنًا ، والأئمة من بعدهم أفخرهم رتبة وأرفعهم مكانًا ، والملوك الإسلاميين بعد ذلك أشرفهم منزلةً وأعلاهم سلطانًا ، ووزراءهم وكُتَّابهم الناهضين بأعبائهم والموازن لهم في رخائهم وولائهم أسمى أسمخهم ذكرًا وأرجحهم ( ميزانًا ورتبهم بعد ذلك مراتب تتفاوت فيها أقدارهم ، وتتباين منازلهم وأخطارهم ) ، إتقانًا للحكمة الإلهية وإظهارًا لها في ترتيب هذه البرية .

ولما رأيت أولى الفطر الصحيحة والعقول الرجيحة قد سبقوا إلى النظر في سائر العلوم ووضعوا فيها المصنّفات ، ونظّموا ذكرها في الكتب المؤلفات ، ثم انتقلوا عن ذلك إلى قوانين الأشياء فقرروا في كل منها ما كان أصلًا يُعتمد عليه ، ونهّوا عما كان فسادًا لنظامها أو أدى إليه ، وخالفوا بين أحكام تلك التصنيفات لاختلاف الأزمنة وتباين البلاد والأوقات ، فوجدتهم قد صنّفوا في كتابه الخراج كتبًا كثيرة ، وعنوا بكتابة الجيش عنية كبيرة فألف كل من العراقيين والمصريين في ذلك ما وصّلت إليه طاقته ، واقتضاه ما أوجبه وقته والبلد الذي يحتله .

فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه فقد أكثر كل منهم فيه المقال ، وتوسّع في تصنيفه وأطال ، ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة الجليلة قدرًا ، النبيهة ذكرًا ، الرفيعة شأنًا ، العلية مكانًا ، التي هي كتابة حضرة المليك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدّول والمكاتبة عنه إلى من قلّ من الأمم وجلّ ، وكيف يجب أن يكون متولّيها وما يخصه من الأخلاق والأدوات وما يجب أن يكون فيه من الفضائل وأن يجتنبه من القبائح والردائل ، وكيف ينبغي أن تكون أمور أتباعه ومعينيه ، وأي الحالات ينبغي أن يكون عليها « ديوان الرسائل » الذي يتولّاه وينظر فيه . فلم يذكروا من ذلك دقيقًا ولا جليلاً ، ولا شَرَحُوا منه كثيرًا ولا قليلًا ، ومن أَلَمَ منهم بصناعة الكتابة فإنما تكلم على قوانين بعض أمورها ولم يُلِمَّ بشيء مما ذكرته ، وأكثرهم حشًا كتبه الموضوعه لذلك باللغة والنحو والتصريف ، فخرّجت عن الغرض المقصود لأن لكل نوع من هذه الأنواع كتبًا مُفَرَّدَة تستغرق ما يؤتى به في هذه المؤلفات وتشمل على أضعافه فالتماسها من هناك أولى وطلبها من معدنها أجدر وأحرى .



ولمَّا وَجَدَتِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَدْ تَرَكُوا ذَلِكَ وَأَهْمَلُوهُ ، وَأَضَاعُوهُ عَلَى مَمَرِّ السِّنِينَ وَأَغْفَلُوهُ ، عَلِمَتْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ ذَخَرَ فَضِيلَةَ تَصْنِيفِهِ وَإِظْهَارِهِ ، وَمَنْقِبَةَ بَرُوْزِهِ إِلَى الْوُجُودِ وَاشْتِهَارِهِ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الزَّاهِرَةِ الْعَادِلَةِ الْمَضِيَّةِ السَّيِّدَةِ الْأَجَلِيَّةِ الْأَفْضَلِيَّةِ الَّتِي رَفَعَتْ الْجَوْرَ عَنِ الْأُمَمِ ، وَمَلَكَتْ فَضِيلَتِي السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلَى غَايَاتِ الْمَفَاحِرِ ، وَاسْتَبَدَّتْ بِغُرُرِ الْمَنَاقِبِ وَالْمَآثِرِ ، وَوَجِبَ أَنْ تَتَجَّ فِيهَا الْأَفْكَارُ الْعَقِيمَةُ وَتُظْهِرَ لَهَا أَسْرَارَ الْفَضْلِ الْمَكْتُومَةِ . فَاسْتَخَرْتُ اللَّهَ تَعَالَى وَتَوَكَّلْتُ عَلَيْهِ ، وَعَوَّلْتُ عَلَى تَصْنِيفِ هَذَا الْكِتَابِ وَإِيْدَاعِهِ مَا تُصِلُ الْقُدْرَةُ إِلَيْهِ مِنْ أَنْوَاعِ التَّرْتِيبَاتِ وَفَنُونِ الْفَضَائِلِ ، وَسَمَّيْتُهُ « قَانُونُ الرِّسَائِلِ » وَجَعَلْتُهُ أَبْوَابًا وَفُصُولًا وَبَيَّنْتُ الْأَمْرَ فِيهِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حُكْمُ الْبِلَادِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْأَمْرُ الْمُتَعَارَفُ فِيهَا الْآنَ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْأَوْقَاتِ . وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

\*\*\*

**فِي الْأَحْوَالِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهَا رَئِيسُ هَذَا الدِّيَّانِ ، وَمَا  
يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَاصِلًا عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ  
وَالْأَخْلَاقِ ، وَمَا يُرْجَى مِنَ الْإِنْتِفَاعِ بِالْمَصَالِحِ  
وَيُخْشَى مِنَ الضَّرَرِ ضِدِّهِ .**

أَوَّلُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ رَئِيسُ دِيَّانِ الرِّسَائِلِ وَمَتَوَلَّى الْكِتَابَةِ عَنْ حَضْرَةِ الْمَلِكِ ، ذَا دِينَ وَوَرَعَ وَأَمَانَةٍ . فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ كَبِيرَةٍ وَرَثِيَّةٍ خَطِيرَةٍ ، يَتَحَكَّمُ بِهَا فِي أَرْوَاحِ النَّاسِ وَأَمْوَالِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَوْ زَادَ أَدْنَى كَلِمَةٍ أَوْ حَذَفَ أَيْسَرَ حَرْفٍ أَوْ كَتَمَ شَيْئًا قَدْ عَلِمَهُ ، أَوْ تَأَوَّلَ لَفْظًا بِغَيْرِ مَعْنَاهُ أَوْ حَرَّفَهُ عَنْ جِهَتِهِ أَدَّى ذَلِكَ إِلَى ضَرَرٍ مِنْ لَا يَسْتَوْجِبُ الضَّرَرَ ، وَنَفْعٍ مِنْ لَا يَسْتَوْجِبُ النَّفْعَ ، بَلْ رُبَّمَا ضَرَرٌ مَنْ يَجِبُ نَفْعُهُ وَنَفْعٌ مِنْ يَجِبُ الْإِضْرَارُ بِهِ ، وَمَوَّهَ عَلَى الْمَلِكِ حَتَّى يَشْكُرَ الْمَذْمُومَ وَيَذِمَّ الْمَشْكُورَ . فَمَتَى لَمْ يَكُنْ لَهُ دِينَ يَحْجِزُهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْمَآثِمِ ، وَوَرَعَ يَرْدَعُهُ عَنِ احْتِقَابِ



المحارم (٢١)، وأمانة لا تمتد يده معها إلى رشوى تُحسّن له الدخول فى المسالك المذمومة ، ونزاهة نفس تصده عن الشهوات الموردة له إلى الموارد المكروهة ، وقَعَت الدولة منه فى ورطة شنعاء وداهية ذهياء ، وكان الضررُ بمكانه أكثر من الانتفاع ، ولم يكن إلا وبالأعلى الملك ، لأنه يُحسّن له غير الحسن ، ويُقَبِّح له غير القبيح ، ويُزَكِّي من لا خير فيه ، ويَذِم من لا تُدَم مساعيه ، ويضع الأشياء فى غير مواضعها فيهدُّ بقلمه مالاتبيه السيوف والرماح فى السنين المتطاولة .

ويجب أن يكون دينه الإسلام لأنه من الملك بمنزلة الوزير ، والوزير مشتق من المؤازرة ، والمؤازرة هى المُسَاعَدَة والمُعَاوَنَة والمُظَاهَرَة . ولا يجب أن يُتَّخَذَ لهذا الأمر من يخرج عن دين الإسلام لقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [ الآية ٥١ سورة المائدة ] .

فأول ما يتجنبه الملك مَنْ نَهَى الله جلّ جلاله وتقدّست أسماؤه عن اتخاذه وليّاً ، بل الواجب على الإطلاق وخاصة بحكم الوقت الحاضر أن لا يطلع على أسرارهِ من يخالف شريعة الإسلام لقرب دار العدو خذلّه الله وأباده . وإن من الفطرة التى جُبِلَ كل أحدٍ عليها حينئذٍ كل شخص من الناس إلى من يرى رأيه ويدين بدينه ، وهذا أمرٌ يجده كل أحدٍ فى نفسه ، ومع ذلك فإن كاتب الرسائل أخوَجُ الناس إلى الاستشهاد بكلام الله تعالى فى أثناء محاوراته وفصول مكاتباته ، والتمثل بنواحيه وأوامره ، والذكر لقوارعه وزواجه ؛ وهو حلية الرسائل وزينة الإنشاءات ، وهو الذى يَشُدُّ قُوى الكلام ، ويُبَيِّنُ صحته فى الأفهام ، فمتى خلّت منه كانت عاظمة من المحاسن عارية من الفضائل ، لأنه الحُجَّة التى لا تُدْحَضُ ، والحقيقة التى لا تُرْفَضُ . فإذا كان الكاتب من الذمّة (٢٢) لم يكن لديه من ذلك شىء ، وأتت كتبه مغسولة من أفضل الكلام ، وخالية مما يَبْرِكُ به أهل الإيمان والإسلام ، ومُقَصَّرة عن رتبة الكمال ، ومنسوبة إلى العجز والإخلال .

(٢١) الاجتباب : الارتكاب - المحارم : ما يحرم انتهاكه من عهد أو ميثاق أو نحوهما .

(٢٢) أهل الذمّة : المعاهدون من أهل الكتاب ومن حرى مجراهم .

فإن تعاطى الكاتب الذمى حفظ شيء منه وكتبه فقد أیيجت حُرْمه كتاب الله تعالى وانتَهكت ، وأمكن منه مَنْ يَتَّخِذه هُزُواً ولَعِباً والله سبحانه يقول ﴿ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الآيتان ٧٨ ، ٧٩ سورة الواقعة] . فقد وضح أنه لا يجوز أن يرقى إلى هذه الرتبة إلا مسلم .

ومع ذلك فيجب أن يكون مُتَمَذِّباً بالمذهب الذى عليه الملك ، ليكون أنقى جيباً وأنصح غيباً ، فإن المسلمين - وإن جَمَعَتْهم كلمة الإسلام - فقد اختص كل واحد منهم بمذهب يباين به بعضهم بعضاً ، حتى حَدَثَ بذلك بينهم من التباعد والتنافر قريب مما بين المسلمين والمشرَكين ، فكما وَجَبَ أن يكون المؤهل لهذه المرتبة مُسْلِماً ، كذلك يجب أن يكون على مذهب الملك الذى اختص به من بين مذاهب المسلمين ، ليكون مجتهداً فى خدمته مبالغاً فى نصيحته يمحضه الرأى عن صَفْوَنِيَّةٍ لا يخالطه كَدَرٌ ، وخلوص محبة لا يشوبه مَذَقٌ (٢٣) ، ويكون الملك قد أحسن لنفسه الاختيار ، وأجاد لدولته النظر ، وأراح نفسه من كُلفَةِ التحفُّظ منه والحدَر له .

ويجب أن يكون مَنْ يُخْتار لهذه المرتبة مُمَكِّناً من عَقْلِهِ ، فإن العقل أَسُّ الفضائل وأَصْلُ المناقب ومن لا عَقْلَ له فلا انتفاع به ، وكيف لا يكون كذلك وهو المستشار فى كبار الأمور والمشارك فى النَّظَرِ فى سَدَادِ الثُّغُورِ ؟ وإنما كلام المرء ورأيه على قدر عقله ؛ فإذا كان تام العقل كامل الرأى وَضَعَ الأشياءَ فى مكاتباته ومخاطباته مواضعها ، وأتى بالكلام من وَجْهِه ، وخاطَبَ كُلَّ أَحَدٍ عن السلطان بما تقتضيه الحال التى يكون عليها ، فيشُدُّ ما كانت الشَّدَّةُ نافعة ، ويلين حين يكون إلى اللين محتاجاً ، ويوبِّخ من لا يقتضى فِعْلُهُ أكثر من التوبيخ ، ويَدِّم من تعدَّى إلى ما يستوجب الذم ، ويأتى بأصناف المكاتبات التى يقتضيها اختلاف الحالات واقعةً مواقعها صائبةً مراميها .

ويجب أن يكون من البَلَاغَةِ والفَصَاحَةِ إلى أعلى رُتْبَةٍ وأَسْنَى منزلة ، وبحيث لا يوجد أحد فى عصره يفوقه فى هذا الفن ، فإنه لسانُ السلطان الذى يَنْطِقُ به ويده التى بها يكتب .

---

(٢٣) مذاق : مزج وخلط .

وربّ كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأغنى صاحبه عن الكتاب ، وأعمل القلم فكافاه  
إعمال البيض القواضب . فإذا كان جيّد الفِطْرة صائب الرأى حَسَنَ الألفاظ ، تتأتى له  
المعانى الجزلة ، فيجلوها في الألفاظ السهلة . ويختصر بحيث يكون الاختصار كافياً ،  
ويُطِيل حين لا يجد من الإطالة بُدّاً ، ويَهْدِد فيملاً القلوب روعة ، ويشكّر فيُلقي على النفوس  
جذلاً ومَسْرَةً . ثم إن كَتَبَ إلى ملك كبير وذى رُتْبة خطير عَظَمَ مملكة صاحبه وفَحَّمَها في  
معاريض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قَصْدُهُ ، واستصفى نيّة المكاتب واستجلب مودّته  
في أثناء الخطاب ، وإن لم يُظْهِر أن ذلك مَطْلَبُهُ ، بل يريه أن الحظ والنصيب الأوفى إذا تمّ  
ذلك معه .

وينبغي أن يكون مضطلعاً بفنون الكتابة عالماً بأصولها وفصولها مستقلاً بأعبائها ، يفوق  
في النهضة جميع المستخدمين معه والمُعِينين له ، لأنه الأصل الذي هُم فروعهُ ، والمُقَدِّم  
الذي عليه تُعَرِّض كتبهم وتأليفاتهم ، وإلى تَصَفِّحِهِ ونَقْدِهِ ترجع إنشاءاتهم وتصنيفاتهم .  
فمن الواجب أن يكون أتمّ منهم دراية ، وأصحّ علماً ورواية ، وأخبر بصائب المعانى  
ومُسْتَحْسَن الألفاظ ليتقد ما يعملونه نَقْد الخبير ويُنفِذ منه ما تريه مرآة فهمه استحسانه ،  
ويُرَدّ منه ما توضح عنده المعرفة استقباحه واستهجانهُ ، ومتى لم يكن كذلك وكان في  
الجماعة الذين معه من هو بهذه المنزلة من الخِبرة والمعرفة كان أولى بمكانه .

ويجب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى أَوْقِيّاً بقراءته إذا قرأه ، فإنه شديد الحاجة  
إليه كما تقدّم بيانه . ويكون حافظاً لأخبار الرسول والأئمة من ذريته صلى الله عليهم أجمعين  
قِيَمًا بها أوبأكثرها ، رويًا لأخبار الملوك وأيام العرب ووقائعهم ، وأخبار العَجَم وسائر الأمم  
وما جرى في أيام الملوك الماضيين ، وما حدث من وزرائهم وكُتّابهم وقُوّادهم وأخبارهم ،  
فإنه أخَوَج الناس إلى ذلك ، وبما دفعته مضايق الكتابة إلى الاستشهاد بشيء منه ، فمتى لم  
يكن لديه مَلَكَةٌ له ومحفوظاً عنده وقف وقوف المُخِجِم ، وَلَجَلَجَ لجلجة المجمع (٢٤) .

(٢٤) لَجَلَجَ : تردّد في كلامه ولم يُبَيِّن - المجمع : الذي لا يبيّن كلامه .



ويجب أن يكون لديه شيء من معرفة الحلال والحرام ليكون واجداً له متى دُفع إلى أن يسأل عنه .

ويجب أن يكون حافظاً للأشعار راوياً للكثير منها يستشهد بما عساه يَحْسُن الاستشهاد به في بعض المواضع ، فإنه للمنظوم من البَهْجَةِ في النفس والوَقَع في القلب ما ليس للمثور ، وربما حَلَّ منه ما يحتاج إليه فأتى به مثوراً في أثناء رسائله وطي إنشاءاته ، فكم معنى بديع رائع قد حظى به المنظوم دون المثور ! وإن كمل لأن يكون مُحْسِناً لنَظْم الشعر مجيداً فيه كان أجمل لصفاته وأكمل لأدواته .

ويجب أن يكون قد قرأ من العربية والتصريف واللُّغَةِ أكثرها ، فإنه أخَوَج الناس إلى هذه العلوم ، فإن كان مبرزاً فيها قِيَمًا بها على الكمال فزيادة في فضله . وإن حصل منها أن يكون متكلمًا بالفاظ الفُصَحَاء لاحقاً بربته البُلْغَاء لا يَخْفَى عنه شيء مما يجري في المكاتبات ويكثر في المحاورات من غير أن يتبع حُوشَى الكلام (٢٥) .

\*\*\*

## من كتاب « الإِشَارَة إلى من نال الوزارة »

### الوزير أَبُو الفَرَج يَعْقُوب بن كَلَّس

كان يهودياً كاتباً صائناً لنفسه محافظاً على دينه ، جميل المعاملة مع التجار فيما يتولاه ، واتَّصَلَ بخدمة كَافُور الإخشيدي فَحَمَدَ خدمته ، وردَّ إليه زمام ديوانه بالشَّام ومصر فضبطه له على حسب إرادته . وكان سبب حَظْوَتِهِ عنده أن يهودياً قال له : « إن في دار ابن البلدي عشرين ألف دينار وقد توفي » ، فكتب يعقوب إلى كافور رُتْعَةً يقول فيها : « إن بالرَّمْلَة عشرين ألف دينار مدفونة في موضع أعرفه وأنا أخرج أحملها » ، فأجابه إلى ذلك وأنفذ معه البغال لحملها . وورد الخبر بموت بُكَيْر بن هرواز التاجر فجعل إليه النَّظَرَ في تركته ، واتَّفَقَ موت يهودي بالفَرَمَا ومعه أحمال كِتَان فأخذها وفتحها ، فوجد فيها عشرين ألف دينار فباع الكِتَان

(٢٥) الحوشى : الغامض الغريب الوحش .

وَحَمَلَ الْجَمِيعَ وَسَارَ إِلَى الرَّمْلَةِ ، فَحَفَرَ الدَّارَ وَأَخْرَجَ الْمَالَ ، وَهُوَ عَشْرُونَ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَوَجَدَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ فَازْدَادَ مَحَلَّهُ فِي قَلْبِهِ وَتَصَوَّرَهُ بِالثِّقَةِ . وَنَظَرَ فِي تَرْكَةِ ابْنِ هِرَوَازَ وَاسْتَقْصَى وَحَمَلَ مِنْهَا مَا لَا كَثِيرًا ثُمَّ وَافَى ، وَقَدْ زَادَ حَالَهُ عِنْدَهُ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ صِلَةً كَبِيرَةً فَأَخَذَ مِنْهَا أَلْفَ دِرْهَمٍ وَرَدَّ الْبَاقِي ، وَقَالَ : " هَذِهِ كِفَايَتِي " ، فَزَادَ أَمْرُهُ عِنْدَهُ حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يَشَاوِرُهُ فِي أَكْثَرِ أُمُورِهِ وَكَلَّمَا رَفَعَ إِلَيْهِ حِسَابُ أَمْرِ بِدَفْعِهِ إِلَيْهِ يَتَأَمَّلُهُ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَخُو مُسْلِمِ الْعُلُوفِ : رَأَيْتُ يَعْقُوبَ يَسَارَ كَافُورًا قَائِمًا ، فَلَمَّا مَضَى قَالَ لِي كَافُورٌ : أَيُّ وَزِيرَيْنِ جَنَّبِيهِ .

وَكَانَ ابْنُ كِلْسٍ مُتَكَلِّمًا عَلَى مَذْهَبِهِ ، فَشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَتَزَلَ الْجَامِعَ وَصَلَّى الْغَدَاةَ جَمَاعَةً يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ لَثْمَانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ شَعْبَانَ سَنَةِ خَمْسِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَأَظْهَرَ إِسْلَامَهُ ، وَبَلَغَ خَبْرَهُ إِلَى كَافُورٍ فَسَرَّهُ ذَلِكَ ، وَعَادَ مِنَ الْجَامِعِ إِلَى دَارِ كَافُورٍ فَخَلَعَ عَلَيْهِ غِلَالَةً وَمُبْطَنَةً وَدُرَّاعَةً وَزَادَتْ مَرْتَبَتُهُ عِنْدَهُ .

وَسَارَ إِلَى الْمَغْرِبِ وَخَدَّمَ الْإِمَامَ الْمُعْزِلَ دِينَ اللَّهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَصَّ بِخِدْمَتِهِ وَتَوَلَّى أُمُورَهُ .

وَفِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ لَقِبَهُ « بِالْوَزِيرِ الْأَجَلِّ » ، وَأَمَرَ أَنْ لَا يَخَاطَبَهُ أَحَدٌ وَلَا يَكَاتِلَهُ إِلَّا لَهُ ، وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَحُمِلَ ، وَرَسَمَ لَهُ فِي مُحَرَّمِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَنْ يَبْدَأَ فِي مَكَاتِبَتِهِ بِاسْمِهِ عَلَى عُتُونَاتِ الْكُتُبِ النَّافِذَةِ مِنْهُ ، وَخَرَجَ تَوْقِيعَ الْعَزِيزِ عَلَيْهِ السَّلَامِ بِذَلِكَ ، وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ اعْتَقَلَهُ فِي الْقَبْرِ ، وَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَى جَبْرِ بْنِ الْقَاسِمِ فَأَقَامَ مُعْتَقَلًا شَهْرًا ، ثُمَّ أَطْلَقَهُ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ وَحَمَلَهُ عَلَى الْخَيْلِ بِالسُّرُوجِ وَاللَّجْمِ الثَّقَالِ ، وَقَرَأَ لَهُ سِجْلَ بَرْدَةٍ إِلَى مَا كَانَ لَهُ مِنْ تَدْبِيرِ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ قُرِئَ لَهُ سِجْلُ يَهْبُهُ خَمْسِمِائَةٍ مِنَ النَّاشِئَةِ وَأَلْفَ غُلَامٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ لَا رَجْعَةَ فِيهِمْ وَلَا مِثْوِيَّةَ « وَإِنَّا مَلَكْنَاهُ أَعْنَاقَهُمْ وَحَكَّمْنَاهُ فِيهِمْ ، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبِيعَهُ بَاعَهُ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُعْتِقَهُ عَتَقَهُ » .

وَكَانَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَرَجِ فِي سَنَةِ سَبْعِينَ وَثَلَاثِمِائَةٍ أَحْضَرَ جَمَاعَةَ الْفُقَهَاءِ وَأَهْلَ الْفُتْيَا وَأَخْرَجَ لَهُمْ كِتَابَ فِقْهِ عَمَلِهِ وَقَالَ : هَذَا عَنْ مَوْلَانَا الْإِمَامِ الْعَزِيزِ بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ آبَائِهِ الْكِرَامِ ،



وقرأ عليهم رسالته وبعض كتاب الطَّهارة . وهذا الكتاب يُعرف « بالرسالة الوزيرية » .  
وحدثني أبو الحسن بن عُرْس أن هذه الرسالة جَمَعَ على عملها أربعين فقيها .

حكى أبو حَيَّان التَّوْحِيدى : أنه سأل التميمى الشاعر المصرى عن الصَّاحِب ابن عَبَّاد وعن أبى الفرج بن كَلَّس ، فقال فى ابن كَلَّس : « ذاك زَجَلُّ له دار ضيافة ، وله زوَار كالقَطَر ، لا يعرف محكًا ولا لجاجًا ولا مُجادلة ، ولا كِيادًا ولا مُخاتلة (٢٦) ، يعطى على القَصْد والتَّاميل ، والرجاء والتَّوجه ، والطَّمَع والطلُّب ، وسائر الوسائل عنده ، بعد هذه الأوائل ، فضلٌ يستحق به الزيادة ، وليس هناك امتحانٌ ولا محاسبة ولا احتجاجٌ ولا تغيير ، المال مصبوب ، والخازن قائم ، والمُفَرَّق مُجَزَّف (٢٧) ، والنداء عالٍ ، والواصل موصول ، والمؤمِّل مشكور ، والراحل شاكر ؛ وزارة ذاك نيابة عن خلافة ، ووزارة هذا خلافة عن عماله . وما ترتفع صَلَات ابن عَبَّاد عن مائة درهم إلى ألف درهم ، وأنبِل مَنْ وَرَدَ عليه البَدِيهَى ، وهو شيخه فى العَرُوض ، وعنه أخذ القوافى ، وبفتحه وهدايته قال الشعر ، لم يَزِدْهُ فى طول مُقامه إلى رحيله على خمسة آلاف درهم تفاريق ؛ وإن أَقَلَّ ضَيْفٍ بمصر يصير إليه مثل هذا فى أول يوم .

وُجِدَتْ رُقْعَةٌ فى دار أبى الفرج فى سنة ثمانين وثلاثمائة - وهى السنة التى توفى فيها -  
نسختها :

اخذَرُوا من حَوَادِثِ الأَزْمَانِ      وتَوَقَّروا طَوَارِقَ الحَدَثَانِ  
قد أُمِيتَ من الزَّمَانِ ونَمُتْ      رَبُّ خَوْفٍ مَكْمُنٍ فى أَمَانِ

فلَمَّا قرأها قال : لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله العظيم ، واجتهد أن يعرف كاتبها فلم يقدر على ذلك .

---

(٢٦) المَحْكُ واللَّجَاج : كلاهما بمعنى التَّماذى فى المَنَازعة والخصومة - الكِيَاد والمَخَاتَلَة : كلاهما بمعنى الاحتيال والمكر والمخادعة والمراوغة .  
(٢٧) قوله " مجزَّف " من : جَزَفَ فى الكيل أى أكثر ، والجَزَاف بضم الجيم وكسرهما ، هو بيع الشئ أو اشتراؤه بلا وزن ولا كيل وذلك يرجع إلى المساهلة .

ولمّا اعتلَّ عِلَّةُ الوفاةِ آخرَ السَّنةِ المذكورةِ ركبَ العزيزُ إليه عائداً فقال له : " وَدَدْتُ لو أَنَّكَ تُبْتَاعَ فابْتَاعَكَ بِمُلْكِي ، أو تُقَدَى فَأَفْدَيْكَ بِوَلَدِي ، فهل من حاجةٍ توصي بها يا يعقوب ؟ " فبكى وقبَّلَ يده وقال : " أمّا فيما يخصُّني فأنت أَرعى لِحَقِّي من أن أَسْتَرعِيكَ إِيَّاهُ ، وأَرأفُ عَلى من أُخْلَفُ من أن أُوصِيكَ بِهِ ؛ لَكِنِّي أنصَحُ لك فيما يَتعلَقُ بِدولتِكَ . سَأَلِمُ الرُّومَ ما سَأَلَموكَ ، واقتَنَعُ من الحمدانيَّةِ بالدَّعوةِ والسَّكَّةِ .

ولا تُتْبَقِ عَلى مُفَرِّجِ بنِ دَغْفَلٍ متى عَرَضَتْ لَكَ فِيهِ فُرْصَةٌ " .

وماتَ فَأَمَرَ العَزيزُ بِأن يُدْفَنَ فِي دارِهِ فِي قُبَّةٍ كانَ بَنَها ، وصَلَّى عَليه ، وأَلَحَدَهُ بِيدِهِ فِي قَبْرِهِ ، وانصَرَفَ حَزِيناً لِفَقْدِهِ ، وَأَمَرَ أن تُغْلَقَ الدَّواوِينُ أَيَّاماً بَعْدَهُ .

وكانَ فِي إقْطاعِهِ مِنَ العَزيزِ بِاللهِ مائَةٌ أَلْفَ دِينَارٍ .

وَوُجِدَ لَهُ مِنَ العَبِيدِ المَمالِكِ أربَعَةٌ أَلْفَ غِلامٍ ، والطائِفَةُ المَنعوتَةُ بِالوِزيرِيَّةِ مَنسوبةٌ إِيَّاهُ ، ووُجِدَ لَهُ جَوهَرٌ بِأربعمائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ، وَبَزَّ<sup>(٢٨)</sup> مِنْ كُلِّ صَنفٍ خَمسمائَةِ أَلْفِ دِينَارٍ . وكانَ عَليه لِلتَّجارِ سِتَّةُ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ ، فَقضاهَا العَزيزُ عَنْهُ مِنْ بَيْتِ المَالِ ، وَفَرَّقَتْ عَلى قَبْرِهِ .

\*\*\*

---

(٢٨) البزّ: نوع من الثياب .

## ابن بسام الشنتريني ( ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م )

أبو الحسن علي بن بسام التغلبي من شتّرين في أقصى الغرب عند أشبونة بالأندلس ، ولد بها نحو سنة ٤٦٠ لأسرة ذات حسب ، وقد صدّه يسارها عن الكسب المتدنّي ، وأغناه ما ورثه عن الثقلب في مناكب الأرض سعياً وراء الرزق .

اتّصل بأدباء بلدته وبغيرهم ممن كانوا في بلاط المتوكل أمير بطليوس أو وفدوا عليه ، ثمّ فارق موطنه لظروف قاهرة ، فهاجر إلى قرطبة ، ولأزمه سوء الحال ، فانقلب إلى إشبيلية واستوطنها ، وكانت تغصّ بالأدباء ، وخدم المعتمد بن عباد ثم حكام المرابطين من بعده ، فحظى بشهرة واسعة وطار صيته في كل مكان .

وقد عني عناية فائقة بالتعرف على شعراء بلاده وكتابتها ، وتدوين ما أبدعوه والترجمة لهم ، فأثمر ذلك كتابه العظيم « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وأثر أن يقسمه أربعة أقسام ، أولها عن قرطبة وما هو قريب منها من بلاد الأندلس ، وثانيها عن إشبيلية والجانب الغربي ، وثالثها عن دانيه وبلنسية وغيرهما من بلاد الجانب الشرقي ، وآخرها عن الوافدين على الأندلس من المشرق وبلاد المغرب ، وقد بلغ من ترجم لهم وذكر أخبارهم واختار من بدائعهم أكثر من تسعين بين شاعر وكاتب .

وهذا التقسيم الجغرافي إلى جانب الاعتماد على الأساليب المسجّعة يماثل النهج الذي اتبعه الثعالبي من قبل في « يثمة الدهر » ، ولكن ابن بسام يتميز بأنه لم يلتزم السجع دائماً وبأنه لم يبالغ أو يغال في إطراء من يترجم لهم والثناء عليهم ، وإنما جعل وكده أن يظهر شخصياتهم ويكشف عن ملامحهم .

ويرى دارسو هذا الأثر النفيس وعارفو فضله أنه « اقتضى من ابن بسام جهوداً مضنية في سنين متطاولة ، وهي جهود تنوء بها العصبية أولو القوة » ، و« لولا الذخيرة لظل الأدب الأندلسي بروائع الباهرة شعراً ونثراً محجوباً عن الباحثين ، ولما استطاع أحد أن يكتب تاريخه » .

\*\*\*

أوجز ابن بسام الشَّتريني الأندلسي حالته النفسية في مقدمة كتابه « الذخيرة » ، فقال :

أما بعد حمد الله وليَّ الحمد وأهله ، والصلاة على سيِّدنا محمد خاتم رُسُلِهِ ، فإنَّ ثمرةَ هذا الأدب ، العالى الرُّتب ، رسالة تُثْرُو تُرْسَل ، وأبيات تُنظَّم وتُفَصِّل ؛ تُثَالُ تلك انشِالَ القِطار<sup>(١)</sup> ، على صفحات الأزهار ، وتتَّصِل هذه اتِّصالَ القلائد ، على نحور الخرائد ؛ وما زال فى أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فُرسان الفنين ، وأئمة النوعين ، قومٌ هم ما هم طيب مَكاسِر<sup>(٢)</sup> ، وصفاء جواهر ، وعُدُوبة موارِد ومصادر ؛ لعبوا بأطراف الكلام المشقِّق ، لعب الدَّجى بجفون المؤرِّق ، وَحَدَّوْا بفنون السَّحر المنمِّق ، حُداء الأعشى بِنِباتِ المحلِّق<sup>(٣)</sup> ؛ فصَبَّوْا على قوالب النجوم ، غرائب المشور والمنظوم ؛ وباهُوا غُرَرَ الضُّحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل : تُثْرُ لوراه البديع لنسى اسمِهِ ، أو اجتلاه ابنُ هلال<sup>(٤)</sup> لولاهُ حكمه ؛ ونظَّم لو سمعه كُثير ما نسب ولا مدح ، أو تَبَّعه جَرُولُ<sup>(٥)</sup> ما عوى ولا نبج ؛ إلا أنَّ أهل هذا الأفق ، أبوا إلا متابعة أهل الشرق ، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوعَ الحديث إلى قِتادة<sup>(٦)</sup> ؛ حتى لو نَعَق بتلك الآفاق غراب .

أوطنَ بأقصى الشام والعراق دُباب ، لَجَثَّوْا على هذا صنما ، وتَلَّوْا ذلك كتابًا مُحَكَّمًا ؛ وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، مَرُمى القصيدة ، ومُنَاخ الرِّذِيَّة<sup>(٧)</sup> ، لا يعمر بها جنانٌ ولا خَلَد ، ولا يُصَرَّف فيها لِسَانٌ ولا يد . فغاضني منهم ذلك ، وأنفثُ ممَّا هنالك ، وأخذتُ نفسى بجمع ما وجدتُ من حسنات دهرى ، وتَبَّع محاسن أهل بَلَدى وعَصْرى ، غيرةً لهذا

(١) تنثال : تنصب وتنهمر - القطار : الأمطار .

(٢) يقال : فلان طيب المكسر إذا كان محمودًا عند الخيرة ، والمكاسر : مواضع الكسر .

(٣) الأعشى ميمون بن قيس شاعر جاهلي ، وقصة مدحه للمحلِّق الكلابي مشهورة رواها الأصفهاني وغيره .

(٤) البديع هو بديع الزمان الهمداني ( ت ٣٩٨ ) أول من كتب المقامات فى الأدب العربى ، وابن هلال هو

أبو إسحاق إبراهيم ( ت ٣٨٤ ) أشهر كاتب رسائل للخلفاء العباسيين والأمراء البويهيين فى بغداد .

(٥) كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة ( ت ١٠٥ ) شاعر أموي - وجرول بن أوس هو الخطيب ( ت ٣٠ هـ )

شاعر مخضرم .

(٦) أبو الخطاب قتادة بن دعامة السدوسي ( ت ١١٧ أو ١١٨ ) ، كان من حفاظ أهل زمانه ، وقد تفاوتت فيه

الآراء ، ف قيل فيه : كان حاطب ليل ، كما قيل فيه : فلما نجد من يتقدمه ، وأنه كان من علماء الناس بالقرآن والفقه .

(٧) الرِّذِيَّة : الناقة الهزيلة المتروكة التى لا تقدر أن تلحق بالركاب ، يعنى أن أخبارهم وأشعارهم مطرحة منبوذة .



الأفق الغريب أن تعود بُدوره أهلة ، وتُصبح بحاره ثَماداً (٨) مُضمحلة ؛ مع كثرة أدبائه ، ووُفُور علمائه ؛ وقديماً ضيَعوا العلمَ وأهله ، وياربَّ مُحسنٍ مات إِحسانُهُ قبله ؛ وليست شعري مَنْ قَصَرَ العلمَ على بعض الزمان ، وخَصَّ أهلَ المشرق بالإحسان ؟

وقد كتبتُ لأرباب هذا الشأن ، من أهل الوقت والزمان ، محاسنَ تَبْهَرُ الألباب ، وتَسَحَّر الشعراء والكَتَّاب . ولم أعْرِضُ لشيء من أشعار الدولة المروانية ، ولا المدايح العامرية ؛ إذ كان ابنُ فَرَج الجَيَّانِي (٩) قد رأى رأيي في النِّصْفَةِ ، وذهب مذهبي من الأنْفَةِ ؛ فأَمْلَى في محاسنِ أهلِ زمانه « كتاب الحقائق » مُعارضاً لـ « كتاب الزهرة » للإصْبَهَانِي (١٠) ، فأَضْرَبْتُ أنا عما أَلْف ، ولم أعْرِضُ لشيء مما صَنَّف . ولا تَعَدَّيْتُ أهلَ عَصْرِي ، ممَّن شَاهَدْتُهُ بِعُمْرِي ، أَوْ لَحِقَهُ بَعْضُ أَهْلِ دَهْرِي ؛ إِذْ كُلُّ مُرَدِّدٍ ثَقِيلٍ ، وَكُلُّ مُتَكَرِّرٍ مَمْلُولٍ ، وَقَدْ مَجَّتِ الْأَسْمَاعُ : « يَا دَارِمِيَّةَ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنَدِ » (١١) ، وَمَلَّتِ الطَّبَاعُ : « لِخَوْلَةَ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ تَهْمِدُ » (١٢) وَمَحَتْ : قِفَا نَبْكِ « فِي يَدِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، وَرَجَعَتْ عَلَى ابْنِ حُجْرٍ بِلَاثِمَةِ الْمُتَكَلِّفِينَ » (١٣) ؛ فَأَمَّا « أَمِنْ أَمْ أَوْفَى » (١٤) ، فَعَلَى آثَارِ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَا . أَمَا أَنَّ أَنْ يَصْمَّ صَدَاها ، وَيُسَامَ مَدَاها ؟ وَكَمْ مِنْ نُكْتَةٍ أَغْفَلَتْهَا الْخُطَبَاءُ ، وَرُبَّ مُتَرَدِّمٍ غَادَرَتْهُ الشُّعْرَاءُ (١٥) ؛ وَالْإِحْسَانُ غَيْرُ مُحْصُورٍ ، وَلَيْسَ الْفَضْلُ عَلَى رِضْنٍ بِمُقْصُورٍ ؛ وَعَزِيزٌ عَلَى الْفَضْلِ أَنْ يُنْكَرَ ، تَقَدَّمَ بِهِ الزَّمَانُ أَوْ تَأَخَّرَ ، وَلَحَى اللَّهُ قَوْلَهُمْ (١٦) : الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ ، فَكَمْ دَفَنَ مِنْ إِحْسَانٍ ، وَأَخْمَلَ مِنْ فُلَانٍ . وَلَوْ اقْتَصَرَ الْمُتَأَخِّرُونَ عَلَى كُتُبِ الْمُتَقَدِّمِينَ ، لَضَاعَ عِلْمٌ كَثِيرٌ ، وَذَهَبَ أَدَبٌ غَزِيرٌ .

(٨) ثَماد : جمع ثَمَد وهو الماء القليل .

(٩) أبو عمر أحمد بن فرج الجياني ( ت حوالي ٣٦٦ ) عرف بكتابة « الحقائق » الذي ألفه للحكم المستنصر ، وكان من مقدمي الشعراء في العهد الأموي ، وقد سجنه الحكم وصدرت عنه وهو في السجن أشعار كثيرة .

(١٠) الأصبهاني مؤلف كتاب الزهرة هو محمد بن داود الظاهري ، وقد صنف كتابه في عنفوان شبابه .

(١١) هذا مطلع معلقة النابغة الذبياني .

(١٢) مطلع معلقة طرفة بن العبد .

(١٣) يعني امرأ القيس بن حجر ، ومعلقته التي أولها : « قفانبك » .

(١٤) مطلع معلقة زهير بن أبي سلمى .

(١٥) افتتح عترة بن شداد معلقته بقوله : « هل غادر الشعراء من متردّم » .

(١٦) لحاه الله : لعنه وقبحه .



وقد أودعتُ هذا الديوانَ الذي سَمَّيْتُهُ بـ « كتاب الذخيرة » ، فى محاسن أهل هذه الجزيرة « من عجائب علمهم ، وغرائب نثرهم ونظمهم ، ما هو أحلى من مناجاة الأحيّة ، بين التّمنع والرّقبة ، وأشهى من مُعاطاة العُقار ، على نَغَمَاتِ المِثَالِ والأزيار ؛ لأنّ أهل هذه الجزيرة - مذ كانوا - رؤساءً خطابة ، ورؤوسُ شعرٍ وكتابة ، تَدَفَّقُوا فأنسوا البحور ، وأشرقوا فَبَارَوْا الشُّمُوسَ والبدور ؛ وذهب كلامُهم بين رَقّةِ الهواء ، وجزالةِ الصخرة الصّماء ، كما قال صاحبُهم عبد الجليل بن وهبُون يصف شعره :

رَقِيقٌ كَمَا غَنَّتْ حَمَامَةٌ أَيْكَةً      وَجَزَلٌ كَمَا شَقَّ الْهَوَاءُ عِقَابُ (١٧)

على كَوْنِهِمْ بهذا الاقليم ، ومُصَاقِفَتِهِمْ (١٨) لطوائف الرُّوم ؛ وعلى أنّ بلادَهُمْ آخرُ الفُتُوح الإسلامية ، وأقصى خُطَى المآثر العربيّة ؛ ليس وراءَهُمْ وأمامَهُمْ إلّا البحرُ المحيط ، والرُّومُ والقُوط ؛ فحِصَاةٌ مِنْ هذه حاله تُبَيِّر ، وتَمُدُّه بحرٌ مسجور (١٩) ؛ وقد حكى أبو على البَغْدَادِي الوافِدُ على الأندلس فى زمان بنى مروان قال : لما وصلتُ القَيْرَوَانَ وأنا أعتبر من أمرِّه من أهل الأمصار ، فأجدُّهم درجاتٍ فى الغباوة وقلةِ الفهم بحسب تَفَاوُتِهِمْ فى مَوَاضِعِهِمْ منها بالقُرب والبُعد ، حتى كأنّ منازلَهُمْ من الطريق هى منازلُهُمْ من العلم مُحَاصَّةً (٢٠) ومُقَايَسَةً . قال أبو على : فقلت : إنّ نَقَصَ أَهْلُ الأندلس عن مقادير مَنْ رَأَيْتُ فى أفعالِهِمْ ، بقدر نُقْصَانِ هَؤُلَاءِ عَمَّنْ قَبْلَهُمْ ، فسأحتاجُ إلى تُرْجُمان ، بهذه الأوطان .

قال بن بَسَام : فبلغنى أنه كان يَصِلُ كلامه هذا بالتعجّب من أهل هذا الأفق فى ذكائِهِمْ ويتغطّى عنهم عند المباحثة والمفاتشة ، ويقول لهم : إنّ علمى علمُ رواية ، وليس بعلمِ دراية ، فخذوا عني ما نقلت ، فلم أَلْ لكم أن صحّحت . هذا مع إقرار الجميع له يومئذ بِسَعَةِ العلم وكثرة الروايات ، والأخذ عن الثقات ؛ ولولا أن كلّ معنى معترَض ، يزيحُ سهمى عن

(١٧) العقاب : طائر كاسر .

(١٨) المصاقبة : المقاربة والمجاورة .

(١٩) ثبير : جبل بمكة - الثمد : الماء القليل - بحر مسجور : ممتلئ .

(٢٠) المحاصة : المقاسمة ، وأن يأخذ كلّ واحد حصته .

ثُغرة الغَرَض ، المقصود في هذا الكتاب ، لأوردت في هذا الباب ، بعض ما وقع لأهل الأندلس من عجب ، وسمع لهم من نادر مستغرب . وسيمر منه في تضاعيف هذا التصنيف ما فيه كفاية ، ويُرَبَّى إن شاء الله على الغاية . ولعل بعض من يتصفح سيقول : إني أغفلت كثيرًا ، وذكرت خاملاً وتركيت مشهورًا . وعلى رِسله (٢١) ، فإنما جمعت بين صعب قد ذل ، وغرب قد قل (٢٢) ، ونشاط قد قل ، وشباب ودع فاستقل ؛ من تفاريق كالقرون الخالية ، وتعاليق كالأطلال البالية (٢٣) ، بخط جهال كخطوط الرّاح ، أو مدارج النمل بين مهاب الرياح ؛ ضبطهم تصحيف ، ووضعهم تبديل وتحريف ؛ أيأس الناس منها طالبها ، وأشدّهم استرابة بها كاتبها ؛ ففتحت أنا أقفالها ، وفضضت قيودها وأغلالها ؛ فأصحت غايات تبين وبيان ، ووضحت آيات حسن وإحسان .

على أن عامة من ذكرته في هذا الديوان ، لم أجذله أخبارًا موضوعة ، ولا أشعارًا مجموعة ، تفسح لي في طريق الاختيار منها ، إنما انتقدت ما وجدت ، وخالست في ذلك الخمول ، ومارشت هنالك البحث الطويل ، والزمان المستحيل ، حتى ضمنت كتابي هذا من أخبار أهل هذا الأفق ، ما لعل ساربي (٢٤) به على أهل المشرق . وما قصدت به - عليم الله - الطعن على فاضل ، ولا التعصب لقائل على قائل ؛ لأن من طلب عيبًا وجده ، وكل يعمل باقتداره ، وبجهد اختياره ؛ وما أغفل أكثر مما كتبت وحصل ؛ والأفكار موزنة (٢٥) لا تنضب ، ونجوم لا تغرب ؛ ومن يحصل ما تثيره القرائح ، وتتقاذف به الجوانح ؟ وقد قال أبو تمام :

ولو كان يفنى الشعرُ أفناء ما قررت      حياضك منه في العصور الذواهب  
ولكنه صوبُ العقول إذا انجلت      سخائب منه أعقبَتْ بسحاب (٢٦)

(٢١) الرّسل : الرفق والتؤدة ، ويقال على رسلك أي اتد وتمهل .

(٢٢) الغرب : حدّ السيف - قل : تتلم والكسر .

(٢٣) التفاريق : الأجزاء المتفرقة - التعاليق : ما يذكر في حاشية الكتاب من شرح لبعض نصوصه وما يجري هذا

المجرى .

(٢٤) أربي : أزيد .

(٢٥) المزن : السحاب يحمل الماء ، الواحدة : مزنة .

(٢٦) قرّت : جمعت الماء - الصوب : المطر بقدر ما ينفع ولا يؤذى .

وهذا الديوان إنما هو لسانٌ منظوم ومشور، لا ميدانٌ بيانٍ وتفسير. أوردُ الأخبارَ والأشعارَ لا أفكُ مُعَمَّاهَا، في شيء من لفظها ولا معناها؛ لكن ربما أَلِمْتُ ببعض القول، بين ذكر أجريه، ووجه عُدْر أُرِيه؛ لاسيما أنواع البديع ذى المحاسن، الذى هو قِيمُ الأشعار وقوامُها، وبه يُعرَفُ تَفَاضُلُها وتَبَايُنُها؛ فلا بد أن نشير إليه، ونُبِّهَ عليه؛ وَنَكِلُ الأمرُ فى كُلِّ ما نُثَبِّتُه، ونُرَدُّ الحَكَمَ فى كُلِّ ما نُورِدُه، إلى نقدِ النَقْدَةِ المَهْرَةِ، وتمييزِ الكَتَبَةِ الشَّعْرَةِ، الذين هم رؤساءُ الكلام، وصيارفَةُ النَّثَرِ والنِّظام؛ فأما من رَيْنَ على قلبه، وطُبِعَ بالجهل على لُبِّه، فقد وَضِعْتُ عَنَّا وعنه، كُلفَةُ الاعتذارِ منه. وقد كان فى وقتى من فرسان هذا الشأن، من كان أَجْدَرَ أن يجرى بهذا المَيْدان، ويُعَرِّبَ عَمَّا أَعَرَبْتُ فيه عن القوم بأفصح لسان، يُثِيرُ فيه المعانى من مَرابضِها، وأشدَّ عَارِضَةٍ يُظْهِرُ بها الأغراضَ المَقْصُودَةَ فى أجملِ معارِضِها؛ لَكِنِّى بما أَقْدَمْتُ عليه، وتصَدَّقْتُ إليه، كالنسيم دَلَّ على الصُّبح، والسَّهْمُ ناب عن الرُّمح؛ ولا أقول إِنِّى أَعَرَبْتُ، لكن ربما يَبِينُ وَأَعَرَبْتُ؛ ولا أَدَّعِى أَنِّى اخترعتُ، ولكنى لَعَلِّى قد أَحْسَنْتُ حَيْثُ اتَّبَعْتُ، وَأَتَقَّنْتُ ما جمعتُ، وتَأَلَّفْتُ عَنَّنَ الشَّارِدَ (٢٧)، وَأَغْنَيْتُ عن الغائب بالشاهد؛ وَتَغَلَّغْتُ بقارئه بين النظم والنثر، تَغَلَّغَلَ الماءُ أثناء النور والزهر؛ وانتقلتُ من الجِدِّ إلى الهزل، انتقالَ الضَّحْيَانِ (٢٨) من الشمس إلى الظل، واستراحة البَهِيرِ من الحَزْنِ (٢٩) إلى السَّهْلِ؛ وَتَخَلَّلْتُ ما صَمَّمْتُهُ من الرسائل والأشعار، بما اتَّصَلْتُ به أوقِلْتُ فيه من الوقائع والأخبار؛ واعتمدتُ المائة الخامسة من الهجرة فشرحتُ بعضَ مَحَنِها، وَجَلَوْتُ وجوهَ فِتْنِها، وَلَخَّضْتُ القولَ بين قبيحها وحَسَنِها؛ وَأَخْصَيْتُ عِلَلَ استيلاء طوائفِ الرُّومِ، على هذا الإقليم، وألمعتُ بالأسبابِ التى دعتُ ملوكها إلى خلعهم، واجتثاثِ أَصْلِهِمْ وفِرْعِهِمْ؛ وَعَبَّرْتُ عن أَكْثَرِ ذلك، بَلَفْظٍ يَتَّبِعُ الهَمَّ بين الجَوَانِحِ، وَيُحِلُّ العُصَمَ سَهْلَ الأَباطِحِ (٣٠)؛ وَعَوَّلْتُ فى معظم ذلك على تاريخِ أبى مَرْوَانَ بنِ حَيَّان، فأوردتُ

(٢٧) العَنَنُ: الناحية.

(٢٨) الضَّحْيَانِ: مَنْ أَصَابَهُ حَرُّ الشَّمْسِ.

(٢٩) البَهِيرُ: مَنْ انْقَطَعَ نَفْسُهُ مِنَ الإِعْيَاءِ - الحَزْنِ: ما غَلِظَ مِنَ الأَرْضِ.

(٣٠) العَصَمُ: جَمْعُ الأعْصَمِ وهو الظَّبْيِ فى ذِراعِيهِ أو إِحْدَاهُمَا بِياضٍ وَفى سَائِرِهِ أَسْوَدٌ أو أَحْمَرٌ - الأَباطِحُ:

الْأَمَاكِنُ الْمَتَسِّعَةُ يَمْرَبُهَا السَّيْلُ.



فصوله ونقلت جملته وتفصيله ؛ فإذا أغوَزنى كلامه ، وعزَّنسى سرده ونظامه ، عكفت على طल्ली البائد ، وضربت في حديدى البارد ؛ على حفظ قد تشعب ، وحظ من الدنيا قد ذهب .

ومع أن الشعر لم أرضه مَرَكَبًا ، ولا اتَّخَذْتُهُ مَكْسَبًا ، ولا أَلِفْتُهُ مَشْوَى ولا مُنْقَلَبًا ؛ إنما زرتَه لِمَا ، ولمحتَه تَهَمُّمًا لا اهْتِمَامًا ؛ رغبةً بِعِزِّ نَفْسِي عن ذلِّه ، وترفيعًا لِمَوْطِئِيءِ أَخْمَصِي عن محله ؛ فإذا شَعَشَعَتْ راحته ، ودأبت أقداحه ، لم أدقُّهُ إِلَّا شَمِيمًا ، ولا كنتُ إِلَّا على الحديث نديمًا ، ومالى وله ، وإنما أكثرُه خُدْعَةً مُخْتَالًا ، وخلعةً مُخْتَالًا ، جدُّهُ تمويهٌ وتخيلٌ ، وهزلٌ تدليّةٌ وتضليلٌ ، وحقائقُ العلوم ، أولى بنا من أباطيلِ المَثُورِ والمنظوم ؛ وعلى ذلك فقد وعدتُ أن أَلَمَعَ فى هذا المَجْمُوع ، بَلَمَعَ من ذكرِ البديع ؛ وأن أمهدَ جانبًا من أسبابه ، وأشرحَ جُمَلًا من أسمائه وألقابه ؛ وإذا ظفرتُ بِمَعْنَى حَسَنٍ ، أو وقفتُ على لفظٍ مُسْتَحْسَنٍ ؛ ذكرتُ من سبق إليه ، وأشرتُ إلى من نقص عنه ، أوزاد عليه ؛ ولستُ أقولُ : أخذ هذا من هذا قولًا مُطْلَقًا ، فقد تتوارَدُ الخواطرُ ، وَيَقَعُ الحافِرُ حيثُ الحافِرُ (٣١) ؛ إذ الشعرُ مَيِّدانٌ ، والشعراءُ فرسان .

وعلمَ الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مَكْلُوم الأحناء (٣٢) ، وفكرِ خَامِدِ الذِّكَاءِ ، بين دَهْرٍ مُتَلَوِّنَ تَلَوَّنَ الحِرْبَاءِ (٣٣) ؛ لا نَبَاذِي كَانَ مِنْ شَتْرَيْنِ (٣٤) قاصية الغرب ، مَقْلُولُ الغرب ، مُرَوَّعُ السَّرْبِ ، بعد أن استنفد الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النِّقَادَ ، بِتَوَاتُرِ طَوَائِفِ الرُّومِ ، علينا فى عُقْرِ ذَلِكَ الإقليم ؛ وقد كُنَّا غَنِينَا هُنَالِكَ بِكِرَمِ الانْتِسَابِ ، عن سُوءِ الاكْتِسَابِ ، واجتزأنا بمذخورِ العتاد ، عن التَّغْلِبِ فى البلاد ؛ إلى أن نثر علينا الرومُ ذلك النظام ، ولو تُرِكَ القُطَا (٣٥) ليلاً لنام وحين اشتدَّ الهولُ هُنَالِكَ ، اقْتَحَمْتُ بِمَنْ مَعَى الْمَسَالِكِ ؛ على مَهَامَةٍ (٣٦) تكذب فيها العين الأذن ، وتُسْتَشْعَرُ فيها المِخَنُ :

مَهَامَةٍ لَمْ تَضَحَبْ بِهَا الذُّنُبُ نَفْسَهُ      ولا حَمَلَتْ فِيهَا الْغُرَابُ قَوَادِمَهُ

(٣١) وقوع الحافر على الحافر : تعتبر عن توافق أمرين .

(٣٢) مَكْلُوم : مجروح - الأحناء : الجوانب ، مفردة : الجنو .

(٣٣) الحرباء : دويته يضرب بها المثل فى التلوّن .

(٣٤) شتريْن ( Santarem ) تقع فى البرتغال على بعد ٦٧ كيلومتراً إلى الشمال الشرقى من لشبونة ؛ استولى

عليها الفونسيو الخامس القشتالى سنة ٤٨٥ فاضطرابن بسام إلى الفرار عنها .

(٣٥) القُطَا : نوع من اليمام .

(٣٦) المهامة : جمع مهمه وهى المفازة البعيدة أو البلد المقفر .

حتى خلصتُ خلوصَ الزبرقان من سِراره (٣٧) ، وفُزْتُ فوزَ القُدْح عندِ قِمّاره ؛ فوصلتُ  
 حِمص (٣٨) بنفسٍ قد تَقَطَّعتْ شَعاعًا ، وذهب أكثرُها التباغًا ؛ « وليتني عشتُ منها بالذي  
 فضلًا ! » فتغريْتُ بها سنواتٍ أتبوا منها ظلَّ العَمامة ، وأعيًا بالتحوُّلِ عنها عيَّ الحمامة ؛  
 ولا أنسَ إلا الانفراد ، ولا تَبْلُغَ إلا بفضلة الزاد (٣٩) ؛ والأدبُ بها أقلُّ من الوفاء ، حاملُهُ أضيغُ  
 من قَمَرِ الشتاء ؛ وقيمة كلِّ أحدٍ ماله ، وأُسوة كلِّ بليدٍ جُهاؤه ؛ حَسْبُ المرءِ أن يسلمَ وفقره ،  
 وإن ثلِمَ قَدْرُهُ ، وأن تكثرَ فضتُهُ وذَهَبُهُ ، وإن قلَّ دينُهُ وحَسْبُهُ . وهذا الديوان نيةٌ لم يُقصِحَ عنها  
 قولٌ ولا عملٌ ، وأُمْنِيَّةٌ لم يكن منها حَوْلٌ ولا حَوْلٌ : كامنٌ بين العيانِ والخبرِ ، كمونِ النارِ في  
 الحجرِ ، وجارينِ اللسانِ والقلبِ ، جَرَى الماءُ في الغصنِ الرطبِ ؛ إلى أن طلع على أرضِها  
 شهابٌ سَعَدِها وتمَكَّنِها ، وهبَتْ لها ريحُ دنياها ودينها ونفخَ فيها روحَ تأميلِها وتأمينِها  
 مَلِكُ أملاكِها ، وجُدَيْلُ حُكاكِها (٤٠) ، وأسعدُ نُجومِ أفلاكِها ؛ « فلان » ثمالُ (٤١) المظلومِ ،  
 ومالُ السائلِ والمحرومِ ؛ ومُخَيِّ العِلْمِ ، ومَزْبَعُ ذَوِيهِ وحاملِهِ ، ومستدعى التآليفاتِ الرائقةِ  
 فيه ؛ جعلَ اللهُ الدهرَ أقصى أيامه ، والنجومَ مراكزَ أعلامِهِ ، والأرضَ نُهْبَةً سيوفِهِ وأقلامِهِ ؛  
 فحامتْ عليه أطيارُها ، وأهلٌ إليه حُجاجُها وزُوارُها ، وانتشرتْ في يديه شموشُها وأقمارُها ؛  
 من كُلِّ أشعثٍ ذى طَمَرَيْنِ ، مَشْنُوءِ الأثرِ والعَيْنِ ، محرومٍ محسودٍ ، محلًا عن طريقِ الماءِ  
 مطرود (٤٢) ؛ قد جعلوا يُيوئِهم قبورًا ، واتخذوا بناتِ أفكارِهِم ولدانًا وحُورًا ، وَرَكِبُوا الحِذَّ ثَانٍ  
 صَعْبًا وَذُلًّا ، وعاهدوا الحرمانَ لِيَلْنَهُ صبرًا جميلًا ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ  
 يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (الأحزاب : ٢٣) . فما هو إلا أن سطعَ لهم هذا الشَّهابُ ، وفُتِحَ  
 بينهم وبين رُوحِ الله ذلك الباب ، حتى نفروا خِفَافًا وثِقَالًا ، وابتدروا بِطَاءً وعَجَالًا ؛ ينظرون

(٣٧) الزبرقان : القمر ليلة أربع عشرة من الشهر - سررا الشهر : آخر ليلة فيه .

(٣٨) حمص : اسم يطلقه الأندلسيون على إشبيلية .

(٣٩) التبْلُغُ بفضلة الزاد : الاكتفاء بما بقى منه .

(٤٠) هذا من قولهم « جَذِيلُها المَحْكُكُ » يعنى أنه يستشفى برأيه كما تستشفى الإبل الجربى بالاحتكاك

بالجذل ، وهو عود ينصب لذلك الغرض .

(٤١) قوله « فلان » : لعله سير بن أبى بكر الذى تولى إشبيلية فى فترة تأليف الذخيرة - ثمال : ملجأ وغياث .

(٤٢) أشعث : متسخ ، وشَعَثَ الشعرُ : تَغَيَّرَ وتَلَبَّدَ - الطمر : الثوب البالى - مَشْنُوءٌ : مَبْغُضٌ - محلًا : ممنوع .



بعيون لم تَرَوْ من ماء وجه كريم ، ويُصغون بأذان لم تَأْس بِنِعْمَةِ صديق حَمِيم ؛ قد كانوا  
يُسوا من هذا النُشور ﴿ كما يَسُ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ (المتحنة : ١٣) فاسألهم  
أَيَّ جانب يَمُمُّوا ، وبأى جنابٍ خِيَمُوا ، وإلى أَيِّ ملكٍ لُبَّابٍ أنجدُوا وأنهمُوا ؛ ويا رحمتا  
لبحور أدب ، وصدور رُتَّب ، كان نظمني وإيتاهم وُدُّ قديم ، ولفَّ هوائى بهواهم عهدٌ كريم ،  
لا مَنَسِيٌّ ولا مذموم ؛ قد طال ما عاطيتهم (٤٣) أكْوَسَ الخمول ، على البكاء والعويل ؛ فى أيامٍ  
أوحش من توديع الشباب ، وليالٍ أنكد من مناقشة الحساب ؛ ألا يكونوا قد أخذوا على  
القضاء عهدًا مسؤولًا ، ومتَّعوا بالبقاء ولو قليلًا ؛ حتى يروا حظَّ الأدب كيف نَقَق ، وعِزُّ  
الإسلام كيف اتَّقَق ، وشَمَلَ الجور كيف تَصَدَّع وتَفَرَّق ؛ ويا حسرتا ألا ينشَقَّ عن حاتم  
ضريحه (٤٤) ويُعادَ فى جسمه روحه ؛ فيرى أنَّ الكرم بعده عُلِم ، وأنَّ علُو الهِمَم بغيره  
بُدىء وخُتم .

ولما سمعت صوتَ المُهيب ، وتَسَمَّتُ ريحَ الفَرَج القريب ، ووجدتُ لسبيلِ التأميلِ  
مَذْرَجًا ، وجعل الله لى من رِبْقَةٍ (٤٥) الخُمُول مَخْرَجًا ؛ طالَعْتُ حُضْرَتَهُ المقدَّسَةَ بهذا الكتابِ  
على حُكْمِهِ ، مُطَرِّزًا بِسَمَتِهِ واسْمِهِ ؛ مُسْتَدِلًّا بِمَجْدِهِ ، متوسِّلًا إليه بكرمِ عَهْدِهِ ؛ ولِعِلْمِي أَنَّ  
الأدب ضالَّةٌ اهْتَبَاهُ ، ونتيجةٌ خِلَالِهِ ، وأنَّ أهله على ذُكْرِ من أجماله ، وبِمَكَانٍ مكينٍ من  
كَمالِهِ ؛ ولَمَّا سُئِلْتُ أيضًا انتساحَ هذا الديوان ، ورأيتُ شرَّةَ أهلِ الزَّمان ، إلى الاقتباس من  
نُوره ، بما يلتقطونه من شُدُورِهِ ، أحبيتُ أن يجوبَ الآفاق ، وتسيرَ به الرفاق ، وعليه من اسمٍ  
مَنْ له جُمع ، وإلى جوانبه العَلِيَّة رُفِع ، طرازُ به تَنَفُّقُ سُوقِهِ ، ولا تَضِيعُ إن شاء الله حُقُوقُهُ .

\* \* \*

(٤٣) عاطيتهم : ناولتهم .

(٤٤) حاتم الطائي يضرب به المثل فى الكرم .

(٤٥) الرَبْقَةُ : الحبل أو الحلقة تربط بها الدواب .



## أبو عبد الله محمد بن عياض اللبلي

( ت ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م )

صنّعه ابن سعيد في كتابه « المَغْرِب » بين علماء لَبْلَة ، ووضعه في « رايات المبرزين » في القسم المخصّص لقرطبة ، ودوّن ابن الأَبَار النَّسْبَتِينَ ، ونعته صفوان بن إدريس بالقرطبيّ - كان - كما وصفوه - نحويًا « متقدّمًا في الآداب ، لاحقًا بأفذاذ الشعراء والكتاب » .

ويعدّ من كتاب المقامات ، وقد نهج فيها نهج غيره ممن وصلوا بينها وبين أغراض الشعر من مديح وغيره ، وكذلك بينها وبين أغراض الرسائل من وصف لبعض المشاهد والبلدان ، وله مقامة « ميزان الأشواق ومعيّار المحبين والعشاق » أو المقامة « الدوحية » ، وموضوعها الغزل وقد أبان فيها عن لطافته ومعرفته وانطباعه ، وذكر ابن سعيد فاتحة هذه المقامة وأبياتا بعدها ربما كانت جزءًا منها .

ومن شعره :

تقاذفت الأيامُ بي وَسَطَ لُجَّة	من الهجر لا يُبدى لها الوصلُ ساحِلًا
لعلّ الرضا يُدنى من القمر الشُّها	ويجمُّعنا غُصْنين : غَضًّا وذابِلًا

ومن مفرداته :

وماءٍ وَجْهِه لا تُرى	للشَّمْسِ فيه طُخْلُبًا
-----------------------	-------------------------

\*\*\*

فقرة من مقامته :

نَبْتُ بِي معاهدُ الأحباب ، في رِيْعانِ الشَّباب ، لَقِينَةُ أَذْكَتِ نارِها ، وأَلْقَتْ بِمَسْقَطِ الرُّأْسِ جِرانَها ، فامْتَطَيْتُ اللَّيْلَ طَرْفًا ، ومَزَقْتَ السَّنَانَ طَرْفًا ، وجعلتُ أَمْسَحَ الأرضَ نَجْدًا ووَهْدًا ، وأَسْتَطْعِمُ الآمالَ صابًا<sup>(١)</sup> وشَهْدًا كالعتر لا يستقرّ بمنزِل ، ولا وُجِدَ عن رحلة بمعزِل ، أصعد من

(١) نَبْتُ بِي : لم أجد بها قرارًا - رِيْعانِ الشَّباب : أوله - قِينة : أمة ، مغنية كانت أو غير مغنية - أَلْقَتْ جِرانَها أي استقرت وأقامت ، والجِران هو باطن العنق من البعير وغيره - طَرْف : جواد - الصاب : عصارة شجر مرّ .

خُصُورِ الْقِيَعَانِ إِلَى رَوَادِفِ الرَّعَانِ ، وَأُنْحَدِرُ مِنْ مُتُونِ الْهَضَابِ إِلَى بُطُونِ الْيَبَابِ ، حَتَّى  
عَجَمْتَنِي أَنْيَابُ النَّوَائِبِ ، وَتَقَاذَفَتْ بِي صُدُورُ الْمَشَارِقِ إِلَى أَعْجَازِ الْمَغَارِبِ ، وَقَدْ حَلَلْتُ مِنْ  
الْإِغْتِرَابِ بَيْنَ الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ (٢) .

وَكُنْتُ أَكْلَفُ بِالْبَلَدَةِ الْحَمْرَاءِ كَلَفَ الْكَمِيِّ بِالصَّعْدَةِ السَّمْرَاءِ ، وَأَجِنُّ إِلَى حُورَاهَا ،  
حَنِينَ النَّاقَةِ إِلَى حُورَاهَا ، لِلَّذِي اشْتَهَرَ مِنْ حُسْنِهَا وَطَيِّبِهَا وَخِصْبِهَا ، وَاخْتِيَالِهَا فِي حُلِّ  
شَرِبِهَا وَعُصْبِهَا (٣) ، فَهَدَانِي إِلَيْهَا حَادِي الْإِغْتِرَابِ ، وَتَطَاوَحْتُ بِي إِلَيْهَا طَوَائِحُ الْاضْطِرَابِ ،  
وَلَا أَمَلُ إِلَّا اعْتِلَاقَ خِلِّ ظَرِيفٍ ، وَالْإِصْغَاءَ إِلَى نَبَأِ طَرِيفٍ . وَأَنْشُدُ فِيهَا :

عَرَبَيْدَ بِالْهَجْرِ وَالْعِيَابِ	نَشْوَانُ مِنْ خَمْرَةِ الشَّبَابِ
طَفَا عَلَى رِيقِهِ حَبَابِ	فَاحْتَجَبَ الْخَمْرُ بِالْحَبَابِ
أَنْكَرْتُ إِلَّا سَقَامَ طَرْفِ	وَأَيُّ سَيْفٍ بِلَا دُبَابِ
إِنْ أَنَا لَأَحْظُهُ تَوَارِي	مِنْ دَمْعَةِ الْعَيْنِ فِي حِجَابِ
أَبْصَرْتُهُ جَذُولًا وَوُزْقًا	مِنْ دَمْعٍ عَيْنِيَّ وَانْتِخَابِي
لَمْ تَسِينِي سَلْوَةٌ وَحُبٌّ	إِلَّا وَطَرْفَ السَّلْوِ وَكَابِي (٤)

\* \* \*

(٢) الْقِيَعَانُ : جَمْعُ الْقَاعِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْمَسْتَوِيَّةُ الْمَطْمِثَةُ عَمَّا يَحِيطُ بِهَا مِنَ الْجِبَالِ - الرِّعَانُ : جَمْعُ رَعْنٍ وَهُوَ  
أَنْفُ يَبْقَدُ مِنَ الْجِبَلِ - الْيَبَابُ : الْأَرْضُ الْخَرَابُ - الذَّرْوَةُ مِنَ السَّنَامِ وَغَيْرِهِ : أَعْلَاهُ وَأَشْرَفُهُ - الْغَارِبُ : مَا بَيْنَ سَنَامِ الْبَعِيرِ  
وَعَنْقِهِ .

(٣) إِكْلَفُ : أَحَبُّ وَأَوْلَعُ - الْكَمِيُّ : الشَّجَاعُ لَا بَسَ السِّلَاحِ - الصَّعْدَةُ : الْقَنَاةُ الْمَسْتَوِيَّةُ - الْحَوَارُ : وَلَدُ النَّاقَةِ مِنْ  
وَقْتُ وَلَادَتِهِ إِلَى أَنْ يَقُطَمَ وَيُقْصَلَ - الْعُصْبُ : ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ .

(٤) الْحَبَابُ : فِقَاقِيعٌ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَالشَّارِبِ - ذِبَابُ السَّيْفِ : حَدُّ طَرَفِهِ - الْوُزْقُ : جَمْعُ الْأُورْقِ وَهُوَ مَا كَانَ  
لَوْنُهُ لَوْنُ الرَّمَادِ ، وَيُقَالُ لِلْحَمَامَةِ : وَرْقَاءَ - كَابِي : عَاثِرٌ .

## أبو حامد الغرناطي

( ٤٧٤ - ٥٦٤ هـ / ١٠٨٠ - ١١٦٩ م )

محمد بن عبد الرحيم بن سليمان ، أبو حامد أو أبو عبد الله ، ويعرف بالقيسي والأندلسي والغرناطي والأقليشي .

ولد في غرناطة ، ويحتمل أنه عاش في أقليمش زمنًا ، وفارقها حين سقطت في يد المسيحيين ، طاف بالأندلس كله ، ثم فارقه إلى غير رجعة عام ٥٠٠ ، ومنذ تلك اللحظة فإن المصدر الوحيد لحياته هو كتاباته نفسها ، حين يشير إلى البلاد التي زارها ، والناس الذين عرفهم ، والآثار التي استرعت انتباهه ، والحيوانات غير المألوفة التي اعترضت طريقه ، أو سمع الآخرين يتحدثون عنها ، أو عن الحكايات الخارقة التي يقصونها عليه ، والأحداث العجيبة التي شاهدها .

في بداية رحلته خارج بلاده شاهد جانبًا من بلاد المغرب في معناه الشامل ، وفي عام ٥١١ أبحر من تونس المدينة متجهًا إلى الإسكندرية ، وفي رحلته هذه مرّ على جزيرة سردينية وصقلية ، وفي الإسكندرية زار « فئارها » وكان لما يزل قائمًا ، وبعدها اتجه إلى القاهرة فوصل إليها عام ٥١٢ ، وأمضى فيها ثلاث سنوات ، تنقل بين آثارها ، وتلقى العلم على كبار شيوخها ، واتجه بعدها إلى دمشق حيث درس الحديث فيها ، وبعد شهر رحل إلى بغداد ، فوصل إليها عام ٥١٦ ، وبقي فيها طوال أربعة أعوام . وفي نهايتها اتجه إلى إيران ، حيث نلتقى به في أبهر عام ٥٢٤ ، وفي العام التالي عبر بحر قزوين ، وبلغ مدينة سجسين ، وهي على مصب نهر الفُوي ، وفيها أقام واستقرت أسرته ، ولكن هذا لم يمنعه من القيام بثلاث رحلات إلى خوارزم ، وسمحت له بأن يعرف بلغاريا والمجر ، وكان موجودا بهذه عام ٥٤٥ ، وهناك كان يمتلك منزلا ، وتزوج ابنه الأكبر حامد بسيدتين من أهل تلك البلاد عام ٥٥٥ وأقام بها نهائيا . وبعد ذلك بأعوام ثلاثة واصل رحلته إلى المناطق الباردة في شمال أوربا ، عاد بعدها إلى خوارزم حيث رحل إلى مكة حاجا عام ٥٤٧ ، وبعد الحج عاد إلى بغداد ، وفي عام ٥٥٧ فلتقى به في الموصل . وفيها ، وهو في الثمانين من عمره ، بدأ في تأليف كتابه « تحفة الألباب » ، وأكمّله في ثلاث سنوات ، ثم انتقل بعدها إلى حلب ، ثم إلى دمشق حيث توفي .



لم يدون أبو حامد انطباعاته عن رحلاته فى شكل ملاحظات ، وإنما أحيا النمط الأدبى القديم لكتب العجائب ، ووضع لبته جديدة فى الأدب الجغرافى العربى ، ورغم ميله إلى الضرائب يتميز عرضه بالحيوية والتفنن ، وبعد تمحيصه يمكن استخراج نتائج طيبة منه فى مختلف النواحي ، تتصل بالبلاد التى زارها أو أقام فيها .

وله كتاب آخر هو « المَغْرِبُ عن بعض عجائب المغرب » ، ألفه خلال إقامته فى بغداد ، وصل إلينا فى مخطوطه وحيدة ، ويتضمن معارف علمية ، تتصل بالأحياء ، والجغرافيا ، والفلك ، والعلوم ، والدين ، ويتضمن شعرا جلّه نظم متصل بهذه المواد .

\* \* \*

### من عجائب القبور والموتى :

أنّ فى أرض مصريّتا تحت الأرض ، فيه رُهبان من النصارى ، وفى البيت سرير صغير من خشب ، تحته صبى ميت ملفوف فى نِطْع قديم مسروق مشدود بحبل ، وعلى السرير مثل الباطية <sup>(١)</sup> الكبيرة من خزف مزجج أخضر ، وفى الباطية أنبوب من نحاس فيه فتيل ، إذا اشتعل الفتيل بالنار وصار سراجا خرج من ذلك الأنبوب الزيت الصافى الحسن الرائق ، حتى تمتلئ تلك الباطية ، وينطفئ السراج بكثرة الزيت ، فإذا انطفئ لم يخرج من الزيت شىء ، وإذا خرج ذلك الصبى الميت من تحت السرير لم يخرج من الزيت شىء والباطية يرفعها الإنسان فلا يرى تحتها شىئا ، ولا موضعا فيه ثقب . وأولئك الرهبان يعيشون من ذلك الزيت ويبيعونه ، ويشترونه ( هكذا ) الناس منهم ، فيتفعون به فيما يقال ، وهذا من عجائب الدنيا .

وفى طريق قونيا غار تحت الأرض ، يسكنه جماعة من النصارى ، وفيه بيت كبير فيه رجال موتى ، بعضهم قيام وبعضهم ركوع وبعضهم سجود ، فلا يُدرى من أى أمة هم ، وعليهم ثياب لا تبلى ، والنصارى والمسلمون يتبركون بهم ، وأمرهم شائع يراهم الناس . ولقد أخبرنى رجل من أهل با شغرد اسمه داود ابن على ، قال : دخلت ذلك الغار فرأيت هؤلاء الرجال فيه ، فجئت إلى رجل منهم راکع ، فأخذت بأسفل عنقه ورفعته حتى استوى قائما ،

---

(١) النطع : بساط من جلد - الباطية : إناء كبير .

ثم تركته فعاد راکعاً كما كان . وعندهم بيت كبير فى داخل الغار ، فيه موتى كثيرة ، من جملتهم امرأة عندها مهد فيه طفل قد انحنت عليه كأنها ترضعه ، وهى ميتة لم يسقط من جسدها شىء .

وفى زمان عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - حفر باليمن فى صنعاء حفيرة ، فوجدوا رجلاً جالساً عليه ثياب لم تبَلْ ، ويده على رأسه كهيئة الأحياء ، فأشالوا يده عن رأسه ، فسال الدم من جرح كان فى رأسه ، فتركوا يده فعادت على الجرح وانقطع الدم ، وفى يده خاتم من فضة مكتوب عليه : عبد الله بن التام ( أو الشامر ) ، فسأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه كعب الأبحار عنه ، فقال : يا أمير المؤمنين هذا من جملة القوم الذين آمنوا بالحواريين الذين كانوا على دين عيسى عليه السلام ، وكان له أصحاب فأحرقهم ملك اليمن فى الأخدود ، الذين ذكرهم الله عز وجل فى القرآن ، فقال تعالى : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ . إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ » (٢) . وقُتِلَ عبد الله ابن التام ودفن على هيئته ، فأمر عمر أن يرَدَّ كما كان ، وأن يُخفى مكانه حتى لا ينبشه الأعداء ، ففعلوا ذلك .

\*\*\*

وفى وسط مصر مسجد فيه قبر لرجل يقال له عفان ، وهوين طريقين فى ركن ، وله شبابيك من حديد ، كل من مرّ به من الناس يقول : « رحمك الله يا عفان » ، فأعجبني ذلك ، وسألت علماء مصر عنه فقالوا : هذا عفان ، كان رجلاً خيَّاطاً فاشترى يوماً غلاماً زنجياً شاباً ، فجعله يخدمه ، فلما كان يوماً أمره عفان أن يسجر التَّنُورَ (٣) ليخبز فيه ، فسجر التَّنُورَ ، وشهقت النار فى التنور ففرح الأسود ، فطرب لشهيق النار ، ومضى إلى ثياب عفان التى كان يتجمل بها ، فألقاها فى التنور ، وعمامته ، وكلّ ما كان له ، فرأى عفان ما صنع العبد فرزقه الله صبراً وحلماً ، فأخرج العبد وزوّده وأعتقه ، وأشهد على عتقه ورجع إلى البيت ، وقد سمع الناس بما فعل الزنجى بعفان ، وما فعل عفان فى حقّه ، فوقع لعفان فى قلوب الناس محبة لما يريد

(٢) سورة البروج ٤ - ٧

(٣) التنور : الفرن يخبز فيه - يسجره : يملؤه وقوداً ويُحميه .

الله تعالى من الخير، فجاء إليه رجل من كبار التجار، وقال : إن لى بضاعة تصلح للهند ، وقد اخترت أن تذهب بها ، فما ربحت فلك كذا وكذا ، واتفقا وجَّهه ذلك التاجر .

وخرج عفان ومعه أموال كثيرة لذلك الرجل ، ووصل إلى عدن ، وأقام بها ما شاء الله تعالى ، ثم ركب فى البحر، وذهب إلى بلاد الهند ، وباع ماله الذى كان معه وربح ثم انصرف ، ونزل السفينة فعصفت الريح عليهم ، فألقت السفينة إلى بلاد الزنج ، فخاف التجار على أنفسهم ، واضطروا إلى الدخول خوفاً من الغرق ، فلما وصلوا إلى البر استقبلهم الزنوج ، وجعلوا يأخذون رجلاً رجلاً يحملونه إلى الملك ويردونه إلى السفينة ، ولا يكلمهم الملك بشيء ، حتى أخذوا عفان ، فأدخل على الملك ، فلما رآه الملك قام إليه ، وقبل يديه ورجليه ووقف بين يديه ، ففزع عفان ، فقال الملك للترجمان قل له : ألسـت عفان الخياط بمصر ، الذى اشتريت غلاماً زنجياً وأحرق ثيابك وأعتقته وزودته ولم تضربه ولم تؤذه ، وقد أساء إليك ؟ فقال عفان : نعم أيها الملك ، فقال الملك : أنا عبدك الذى أعتقتنى ، وأعطانى الله تعالى هذه النعمة ببركة إحسانك إلى ، وجميع هذه المملكة لك ، فاجلس عندى ، وأنا ملك هؤلاء وأنت ملك على .

فحمد الله تعالى عفان ، وقال : أيها الملك أنت لى كالولد ، وبلادكم لا تصلح لى لكثرة الحرّ وعدم الجنس ، فأمر له الملك بسفينة ، وحمل معه من الأموال ما لانهاية له ، ووهب الجميع له ، وبعث معه من عبيده من يوصله إلى بلاده ، وخرج بمال لا يدرى نهايته .

وكان عفان رحمه الله لا يرد سائلاً ، وعمل من الدور والخانات والدكاكين والحمامات كثيراً ، وأوقف الكل على فقراء المسلمين ، وهذه داره جعل فيها هذا المسجد ، وحفر فيه قبره ، وكان يصلّى فى قبره كلّ ليلة ، وجميع أمواله الآن وقف على قبره ، فى كل يوم اثنين وخميس وجمعه يحضرون ( هكذا ) الوكلاء ، ومعهم الثياب للرجال والصبيان والبنات ، والدارهم ، ويدخلون المسجد ، ويأتون الفقراء من خارج شبابيك الحديد التى جعلت فى حيطان المسجد فيقسمون على الفقراء أموالاً كثيرة ، وكل من عبر عليه يقول : « رحمك الله يا عفان » ، كلّ يوم ليلة آلاف النساء والرجال والصبيان ، وكنت أقف عند قبره ، وأرى كثرة من يدعو له بالرحمة كلّ ساعة ، حتى الصبيان الصغار أبناء ستين وخمس سنين ، فكنت أتعجب ممّا سهّل الله له من الخير حياً وميتاً .



ولقد حدثت عنه بمصر رجلاً من أهل المغرب وصل إلى مصر وأراد الحج وأن يجاور بمكة ، وكان عنده آلاف من الأموال فجاء إلى إمام جامع عمرو بن العاص ، وكان رجلاً صالحاً من العلماء ، فقال له ذلك التاجر : يا سيدى جئت إليك فى حاجة لك فيها ثواب ، ولى فيها معونة ، فأسألك أن تقضى حاجتى ولا تردنى ، فقال : أفعل إن شاء الله تعالى . قال : إنى أريد الذهاب إلى الحج ومجاورة بيت الله تعالى ، وعندى شىء من المال أودعه عندك حتى أرجع من الحج فإنى أخاف عليه إن كان معى .

فأخذه الفقيه ، ووضع فى مخزنه ، وذهب صاحب المال إلى الحج ، وكان للفقيه الإمام بنات كبار ، ولم يكن له مال يجهزهم به للأكفاء ، فقالت له زوجته : إن هذا المال هو وديعة عندك ، نشترى به عقوداً وحلياً لبناتك ونجهزهم ويدخلون عند إكفائهم ، ونستريح من همهم ، فإذا حصلوا عند أزواجهم وجاء صاحب المال جمعنا ذلك الحلى والجواهر وجعلناه ذهباً ، وبقيت بناتك عند أزواجهم .

فما زالت به حتى فعل ، وزوج جميع بناته ، وأخرج مع كل واحدة جملة الحلى والجواهر .

فلما كان بعد ثلاث سنين جاء صاحب المال فدخل على الإمام فى الجامع ، وسلم عليه ، ورحب به ، وقال له : وديعتك غداً تأخذها . فقال : متى شئت . فرجع الإمام إلى داره مهموماً ، وقال لأهله : أما أنا فإنى غدا فى السحر أخرج من مصر وأذهب إلى البادية ، بحيث لا يسمع لى خبر ، فإن صاحب المال قد جاء ، وأنا أستحى من الفضيحة .

فلما كان بالليل خرج الفقيه وأراد الذهاب على وجهه هارباً ، فجاء إلى درب عفان وهو مغلق ، ورأى مسجد عفان مفتوحاً ، فدخل فى المسجد ، فخرج عفان من داره متنكراً ، فدخل المسجد فرأى الإمام فى المسجد فجلس إليه ، وسلم عليه ، وكل واحد منهما لا يعرف صاحبه ، فسأله عفان من هو وما حاله . فقال له الإمام : من أنت ؟ فقال عفان : رجل غريب ، فاطمأن الإمام وقال له : أنا إمام جامع عمرو ، وقد أصابتنى مصيبة ، ووصف له حاله ، وقد عزممت أن أفر من هذه البلدة ولا أعود إليها خوفاً من العار . فقال عفان : أن يسأل الله تعالى لى ولك خير من هذه . ثم قام فخرج وأغلق باب المسجد من خارج حتى لا يخرج

الإمام ، ودخل داره ، وأخرج على رءوس العبيد أكياسًا فيها من الذهب مثل ما كان عند الإمام وديعة ، وقال للإمام : خذ هذا قرضًا عندك ، تؤديه إلى صاحب المال إلى أن تبيع أنت حلى بناتك بحيث لا يشعر أحد . ففرح الإمام ، ورجع إلى بيته ، والمال يحمل بين يديه ، وهو بحمد الله تعالى ، ويدعول عفان .

فلما كان بالغداة جاء المودع صاحب المال ، فأعطاه إيّاه فقال : أيّها الإمام هذا ليس عين وديعتي وإن كان الوزن والعدد واحدًا ، ولكنى لا آخذه حتى تخبرنى بم غيرت مالى ؟ وماذا ألجأك إلى ذلك ؟ فأخبره بالقصة على وجهها ، فقال المودع : أيها الشيخ ، أمّا الوديعة فحقّ الله تعالى كنت أطلب له مستحقًا وقد وجدتكَ ، فالمال حقّك ، ولا شكر إلاّ الله تعالى . ففرح الرجل وأهل بيته ، وحمدوا الله تعالى . فخرج الإمام وحمل المال إلى عفان وأخبره بالخبر ، فقال له عفان : الحمد لله الذى أراح سرّك ، ووسّع عليك . إن هذا المال لم أخرجهُ إليك ليرجع إلّى ، إنما أخرجته هبة لك لأجل الله تعالى ، فصار الإمام من الأغنياء ببركة عفان ، وكم لعفان مثل هذا وأكثر منه سرًا وعلانية .

وأمر عفان مشهور بمصروفى جميع المغرب ، على ألسن المسافرين ، والله لا يضيع أجر المحسنين ، فهو ميت خير من كثير من الملوك الأحياء الذين ييخلون بالدنيا على أنفسهم ، ختم الله لنا ولجميع المسلمين بالخير فى الدنيا والآخرة .

\*\*\*



## رشيد الدين الوطواط ( ت ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م )

هو محمد بن محمد بن عبد الجليل العمرى ، الكاتب المعروف بالوطواط لضآلة جسمه وسرعة حركته وحدة لسانه ، وينسب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وُلد ببلخ فى خراسان بين ستنى ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، وتلقى ثقافته العربية والدينية بالمدرسة النظامية ، وأتقن التحدث والتأليف باللغتين العربية والفارسية ، ورحل إلى خوارزم ، وتولى فيها رئاسة ديوان الإنشاء فى عهد الملك أبى المظفر علاء الدولة أئسر بن قطب الدين محمد خوارزم شاه منذ توليه الحكم (٥٢٢ - ٥٥١) ، وقد أبعدته أئسر مدة ، وظل فى عمله عندما تولى ابنه إبل أرسلان (٥٥١ - ٥٦٨) وفى عهده أتم كتابه « حدائق السحر » وأهداه إليه ، وفى أوائل عهد السلطان تكش بن إبل أرسلان أعفى من منصبه ، وتفرغ للعبادة حتى توفى سنة ٥٧٣ ، فى خوارزم ، وقيل سنة ٥٧٨

اتصل الوطواط بالكثير من الفضلاء والأدباء ، وجرت بينه وبينهم المراسلات ، منهم : الإمام ضياء الدين صدر الأئمة ، وجار الله الزمخشري ، وعلى بن أحمد الكاتب الملقب بمنتجب الدين .

ومن أشهر مؤلفاته كتاب « غرر الخصائص الواضحة و غرر النقائص الفاضحة » نحا فيه منحى تأديبيا تهذيبيا ، وكتاب « حدائق السحر فى دقائق الشعر » ويحوى مباحث بلاغية مختلفة من البيان والمعانى ، ومن أصناف البديع مثل الجناس والسجع والطباق والتورية ، بالإضافة إلى الفنون الشعرية التى عرفها الفرس كالمربّع والمسمط والموشح ، وقد ألفه باللغة الفارسية ، ووزع فيه الشواهد بين هذه اللغة واللغة العربية .

ومن مؤلفاته التى أشارت إليها المصادر : تحفة الصديق من كلام أبى بكر الصديق - فصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب - أنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان - مطلوب كل طالب من كلام على بن أبى طالب ، وله أيضا ديوان شعرو ديوان رسائل بالعربية وديوان رسائل بالفارسية ، ولكن شعره دون نثره جودة .

وقد أشاد به من ترجموا له ، فقالوا : « كان من توادد الزمان وعجائبه ، وأفراد الدهر وغرائبه ، أفضل زمانه فى النظم والنثر ، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب ، وأسرار النحو والأدب ، طار فى الآفاق صيته ، وسار فى الأقاليم ذكره ، وكان ينشئ فى حالة واحدة بيتا بالعربية من بحرو بيتا بالفارسية من بحر آخر ، ويمليهما معاً » .

والوطواط ممن تعمدوا السجع فى كتاباتهم ، متنوعاً أشكاله ، متكلفاً غيره من ضروب المحسنات اللفظية المختلفة .

\* \* \*

قال الوطواط يصف أبا سعد الهروى :

الإمام أبو سعد ، وما أدراك ما الإمام أبو سعد ؟ سعدٌ كلّه ، خيرٌ قولُهُ وفعله ، صاحب جيوش الفصاحة ، وما لك رقاب البلاغة ، وناظم عقد المحامد ، وجامع شمل المكارم ، وناشر أردية الفضل والكرم ، وعامر أبنية الأدب والحكم .

لله درُّ إمام كلّه أدب ... بفضلِهِ تتحلّى العجم والعرب .

الله يعلم أنى وإن شَطَّ المزار ، وشَطَّحت الديار<sup>(١)</sup> ، لا أقطع أكثر أوقاتي ولا أزجى أغلب ساعاتى ، إلّا فى مدح معاليه ، وشرح أياديه ، ولو أنفقتُ جميع عمري فى ذلك ، وسلكتُ طولَ دهرى تلك الممالك ، وكيف لا أبالغ فى ثنائه ، ولا أواظب على دعائه ؟ وهو الذى رَفَعَ قَدْرى ، وشرح للآداب صدرى ، وسقانى كؤوس العلم وأحشائى صادية ، وكسانى حُلل الفضل وعوراتى بادية ، واغترفت ما اغترفت من بحاره واقتطفت من ثماره .

وَأَنْتَ الَّذِى عَرَفْتَنِى طُرُقَ الْعُلَا

وَأَنْتَ الَّذِى أَهْدَيْتَنِى كُلَّ مَقْصَدِ

---

(١) شَطَّ وشَطَّح : كلاهما بمعنى بُعِدَ .

وقال فى الإمام ضياء الدين صدر الأئمة :

هذا ولو عطفْتُ أَعِنَّةَ الكلام وصرفت ألسنة الأقلام إلى شرح ما تضاعف على وترادف إلى ، من ألطاف صنائع نبيله ، وأصناف بدائع فضله ، لعجزت عن ذكر أيسرها ، فضلاً عن شكر أكبرها ، وَلَعِيَّتْ عَنْ حَضْرَ أَقْلَها ، فضلاً عن نشر أجْلِها . كيف وهو الذى مدَّ بضْبَعِي (٢) ، وجدَّ فى رفعى ، وأركبْنى صهوة العُلا وأشربْنى قَهْوَةَ المنى ، وعَرَفْنى فى محافل الولاية الصَّيد ، ومنازل السَّراة الصناديد (٣) ، حتى ملكْتُ بِيَمْنِ تَرْبِيته ما ملكت ، وأدركت بحسن تَقْوِيته ما أدركت ، من الذكر الجميل أثره ، والقدر الجليل خطره ، والعمر العميق بحره ، والفهم الدقيق سحره ، والثر الرائق رِواؤه ، والشعر الفائق بهاؤه ، والشهرة التى عرفها سُكَّانُ الأَخْيَةِ ، وقُطَّانُ الأَبْنِيَةِ ، وَعِلْمُها أربابُ الوبر ، وأصحاب المَدَر (٤) ، وتحدَّث بها الرُّكبان فى الفَلوات والنُّسوان فى الخَلوات ، والرُّعاة فى أكناف الرياض ، والسُّقاه على أطراف الحياض .

ما هذا كله إلا بَمِيامِنِ تَعْرِيفِهِ ، ومحاسن تَشْرِيفِهِ ، جزاه الله عن مساعيه المشكورة وأياديه المذكورة خيراً ، وزان حَضْرته بالآلاء والنعماء .

\*\*\*

وقال فيه أيضاً :

للهِ درّه من صَدْر مَلِكِ نواصي البلاغة ، وأدركَ قَواصِي الفصاحة ، ونَشَر أَرْدِيَةَ الآداب ، وعَمَرَ أَبْنِيَةَ الأَحْساب ، وَجَمَعَ أَقْسامَ الفضائل ، ورَفَعَ أَغْلامَ الفواضل ، ومن قُدوة تَقْتَدى بآثار القروم (٥) ، وتَهْتَدى بأنوار النجوم .

---

(٢) الضَّبْع : وسط العَضْد .

(٣) الصَّيْد : جمع الأصيد وهو كَلْ ذى حَزَل وطول من ذوى السلطان - السراة الصناديد : الشرفاء الشجعان .

(٤) الأَخْيَةِ : البيوت من الوبر أو الشعر أو الصوف - أرباب الوبر : سكان الخيام أهل البادية - أصحاب المدر :

سكان البيوت المبنية ، والمدر هو الطين .

(٥) القروم : السادة المعظمون .

وَتَقَرَّبَ لِقَائِهِ الْأَعْيُنَ ، وَتُقَرَّبَ بِآلَائِهِ الْأَلْسُنَ ، وَتَعْتَزُّ بِأَقْلَامِهِ الْمُحَابِرَ ، وَتَهْتَرُّ بِأَقْدَامِهِ الْمُنَابِرَ ،  
وَمِنْ إِمَامٍ لَا يَزِلُّ قَدَمُ فَتَوَاهِ ، وَلَا يَضِلُّ قَدَمُ تَقَوَاهِ ، وَلَا تَنْدِرُسُ آيَةُ رُشْدِهِ ، وَلَا تَنْتَكِسُ رَايَةُ زُهْدِهِ .  
وَهَا أَنَا أَحَدُ الْمُنْخَرَطِينَ فِي زُمْرِ خَدَمِهِ ، الْمَلْتَقِطِينَ لِدُرَرِ نِعَمِهِ ، كُنْتُ فِي إِسَارِ الْقِلَّةِ ،  
وَأَطْمَارِ الذَّلَّةِ <sup>(٦)</sup> . صِنَاعَتِي فَاسِدَةٌ ، وَبِضَاعَتِي كَاسِدَةٌ ، وَدُمُوعِي هَامِيَةٌ ، وَضُلُوعِي دَامِيَةٌ ،  
لَا أَجِدُ نُجْعَةً ، وَلَا أَرِدُ شِرْعَةً ، <sup>(٧)</sup> وَلَا أَرَى إِلَى الْأَمَانِي سَبِيلًا ، وَلَا عَلَى الْمَبَاغِي دَلِيلًا ، فَقَوَى  
عَضْدِي ، وَرَوَى كِبْدِي ، وَأَصْلَحَ أَحْوَالِي ، وَأَنْجَحَ آمَالِي ، وَأَفَادَنِي بَعْدَ خُمُولِ الذِّكْرِ نِبَاهَةً  
وَاضِحَةً الشَّيَاتِ <sup>(٨)</sup> ، وَزَادَنِي بَعْدَ نُزُولِ الْقَدْرِ وَجَاهَةً لَائِحَةَ السَّمَاتِ ، وَأَنْجَدَنِي عَلَى كُلِّ مُنِيَّةٍ  
حَتَّى مَلَكَتُ رَايَتَهَا ، وَأَرْشَدَنِي إِلَى كُلِّ بُغْيَةٍ حَتَّى أَدْرَكْتُ غَايَتَهَا ، وَحَصَلَ لِي ذِكْرًا دَائِرًا عَلَى  
الْأَلْسِنَةِ ، سَائِرًا فِي الْأَمَكْنَةِ غَنَّتْ بِهِ الرَّفَاقُ ، وَطَنَّتْ بِهِ الْآفَاقُ . اللَّهُمَّ احْرُسْ مُهْجَتَهُ ، مُهْجَةَ  
الْعِلْمِ وَالْوَفَاءِ ، وَالْحُكْمِ وَالْحَيَاءِ ، وَوَفَّقْنِي لَشُكْرِ حَسَنَاتِهِ ، وَنَشْرِ مَكْرُمَاتِهِ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ  
الْأَخْيَارِ .

\*\*\*

وكتب إلى جارا الله الزمخشري :

لقد خاز جارا الله أدام الله جماله

فضائل فيها لا يُشَقُّ غُبارُه

تَجَدَّدَ رَسْمُ الْفَضْلِ بَعْدَ انْدِرَاسِهِ

بِأَيَّامِ جَارِ اللَّهِ فَالْهُ جَارُهُ

أَنَا مِنْذَ لِفَظَتْنِي الْأَقْدَارُ مِنْ أَوْطَانِي ، وَمَعَاهِدِ أَهْلِي وَجِيرَانِي ، إِلَى هَذِهِ الْخَطَّةِ الَّتِي هِيَ  
الْيَوْمَ بِمَكَانِ جَارِ اللَّهِ - أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ - جَنَّةِ الْكَرَامِ وَجَنَّةِ مَنْ نَكَبَاتِ الْأَيَّامِ . كَانَتْ قُصُوصُ

(٦) زمر: جمع زمرة وهي الفوج أو الجماعة - الإِسَارُ: الأسر والتقييد أو ما يُقَيَّدُ بِهِ الْأَسِيرُ - الْأَطْمَارُ: الثياب  
الخلقة البالية .

(٧) النجعة : طلب الكلأ ومساقط الغيث - الشَّرْعُ هو تناوُلُ الْوَارِدِ الْمَاءِ بِفَمِهِ ، وَالشَّرِيعَةُ : مَوْرِدُ الْمَاءِ .

(٨) الشَّيَاتِ : الْعَلَامَاتُ ، وَاحِدَتُهَا : شَيْةٌ .



مُنيتى ، وقُصارى بُغيتى أن أكون أحد الملازمين لِسُدَّتِهِ الشريفة (٩) التى هى مُخَيِّمُ السيادة ،  
وَمَقْبَلُ أَفْوَاهِ السادة . مَنْ أَلْقَى بها عصاه ، حاز فى الدارين مُناه ، ونال من المَحَلِّين مَبْتَغاه ،  
ولكن سوء التقصير ، ومانع التقدير ، حرمنى من تلك الخدمة ، وَحَرَّمَ عَلَى تلك النعمة ، والآن  
أظن - وظن المؤمن لا يُخطئ - أن آفل جَدِّى هَمَّ بالإشراق ، وذابل إقبالى إلى الإبراق .

ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس ، إما بخطه الشريف فإن فى ذلك  
شرفاً لى يدوم مدى الدهور والأيام ، وفخراً يبقى على مَرَّ الشهور والأعوام ، وإما على لسان من  
يوثق بصدق مقالته ، ويعتمد على تبليغ رسالته ، من المنخرطين فى سلك خدمته ،  
والراتعين فى رياض نعمته ، ورأيه فى ذلك أعلى وأصواب .

\*\*\*

وكتب عن اتصاله بالزمخشري وحضوره مجالسه :

قد جرى بينى وبينه فى حياته ، وأوقات راحاته مما يتعلق بفنون الأدب وأقسام علوم  
العرب ، مسائل أكثر من أن يُخصى عددها أو يستقصى أمرها ، رجع فيها إلى كلامى ، ونزل  
على قضيتى وأحكامى ، فالسعيد من إذا سمع الحق سكتت شقاشق لجاجه ، وسكنت  
صواعق حجاجه ، فمنها مسألة « الظبى » (١٠) التى هى جمع « ظبّة » ، فإنه كتب بخطه أنها  
من ذوات الياء وأصلها « ظبية » . فقلت أنا : إنها من ذوات الواو وأصلها « ظبوة » ، فلما  
امتدّت المناظرة ، واشتدت المذاكرة ، بعثت إليه كتاب « الصَّحاح » بصدق قولى ، فهجَّن  
الكتاب وقال : « إنه محشورٌ بالتحريفات ، مشحونٌ بالتصحيفات » ، فبعثت إليه « سرّ صناعة  
الأعراب » ، لابن جنّى ، فقال : « هو رجل وأنا رجل » ، فبعثت إليه كتاب « العين » ، فوضع  
للحق عنقه ، وسلك مناهج الإنصاف وطرقه ، واسترد خطه ، ومزقه تمزيقاً ، وخرقه تخريقاً ،  
بمرأى ومسمع من صدر الأئمة ضياء الدين أدام الله إجلاله وزاد إقباله .

\*\*\*

---

(٩) السُدّة بمعنى باب الدار أو الساحة بين يديه أو الظلّة على الباب أو الفناء .  
(١٠) الظبّة : حدّ السيف والسنان والخنجر وما أشبهها .



### من كتاب « حقائق السحر » :

فى حكاية عن أبى على بن سينا أنه جلس يوماً فى السوق ، فاجتاز به قروى يحمل على كتفه حَمَلاً لبيعه ، فسأله أبو على : بكم هذا الحَمَل ؟ فقال القروى بدينار ، فقال أبو على : اترك الحمل هنا واحضر بعض قليل لأعطيك ثمنه . وكاد القروى يُنزل الحمل عن كتفه ، ولكنه علم أنه يحدث أبا على ابن سينا ، فالتفت إليه وقال : « إنك حكيم عالم ، فلم جهلت أن الحمل دائماً فى مقابل الميزان ، ومادمت لم تزن الحمل فلن تأخذه إلى بيتك » .

وتعجب أبو على من هذا الكلام ، وضاعف للقروى ثمن حَمَله . وذلك أنه إذا نظرنا إلى لُطف هذا الكلام وجدنا أن خاطر السامع ينصرف إلى الحمل الذى هو من صغار الضأن ، والميزان الذى يزنون به الذهب والفضة ، بينما قصد القروى بكلامه « برج الحمل » و « برج الميزان » اللذين يتقابلان دائماً ، فقال فى ذلك نادرة مناسبة لعلم الحكماء تليق بأبى على .

\*\*\*

## ابن طفيل

( ت ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م )

هو أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن طفيل . ولد في مدينة قرطبة بالأندلس ويرجع الدارسون أنه ولد بين عامي ٤٩٥ هـ و ٥٠٥ هـ .

وتشير القرائن إلى أنه درس الفقه والعلوم الدينية ، ومن ثم فقد ذكر أنه عمل بالقضاء ، فضلا عن ممارسته مهنة الطب . وعلى الرغم من إشارة بعض المؤرخين إلى أنه تتلمذ على ابن ماجه الفيلسوف ، فهناك من ينفي ذلك اعتمادًا على إشارة ابن طفيل نفسه في « حي ابن يقظان » .

وإذا كان هناك شيء من الغموض يشوب البداية الأولى في حياة ابن طفيل ، فإن أهم فترات حياته وأكثرها وضوحًا هي تلك الفترة التي عاشها بالقرب من أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن سلطان الموحدين ، وجدير بالذكر أن السلطان أبا يعقوب كان مثقفًا معنيًا بالثقافة العربية التقليدية وبالعلوم العقلية والطبية ، ويذكر أنه عين ابن طفيل طبيبًا له إلى أن تقدمت به السن ، فعين ابن رشد الفيلسوف خلفًا له في عام ٥٧٨ هـ .

ارتبط اسمه بقصته الفلسفية حي بن يقظان ؛ ذلك أن المؤرخين أشاروا إلى وجود مؤلف ضخيم له في الطب ، كما أشار ابن رشد أيضا إلى وجود مؤلف له في النفس ، غير أن هذين المؤلفين فقدوا ، ولم يعد موجودًا من نصوص ابن طفيل سوى نص « حي بن يقظان » . ومن هنا اعتبر هذا النص مصدرًا وحيدًا لفلسفته .

وتحكي قصة حي بن يقظان عن طفل وليد وجد في جزيرة معزولة عن المجتمع الإنساني ولا يقطنها بشر . وقد تعهدت غزالة تحيا في هذه الجزيرة الطفل الوليد بالرعاية ، فأرضعته واعتنت به عناية الأم بابنها ، ثم استطاع الطفل أن يتآلف مع سكان الجزيرة من الحيوانات ، ويتوصل إلى لغة للتفاهم معها ، وأتيح له بعد ذلك أن يتدرج معرفيًا - في مراحل نموه المتعاقبة - من المعرفة الحسية إلى المعرفة العقلية التي أوصلته إلى درجة الفيلسوف الكامل ؛ فتمكن من إدراك الجوهر الإنساني الذي يفصل بينه وبين حيوانات هذه الجزيرة . وكانت المواقف المختلفة التي مرت بحياة هذا الوليد الذي أصبح رجلا - هي الحافز إلى التفكير والتأمل ثم التوصل إلى الحقيقة .

ولا ينتهى نص « حى بن يقظان » عند هذا الحد ؛ ذلك أنه يكتمل بقاء حى بن يقظان  
برجل آخر يدعى أبسال ، هجر مجتمعه الإنسانى ليعيش فى هذه الجزيرة المعزولة ؛ إذ تعذر  
عليه مواصلة الحياة مع جماعته البشرية بسبب عجزها عن الوصول إلى الكمال العقلى  
والروحى ، وبعبارة أخرى يلتقى حى بن يقظان - الذى استطاع عن طريق أعمال العقل  
والتأمل الصوفى أن يتوصل إلى المعرفة الإلهية - بأبسال الذى حقق كماله الدينى والصوفى  
من خلال ما تعلمه من أصول الدين والعقيدة . ويذهب حى بن يقظان - الذى تمكن من  
اكتساب لغة البشر من رفيقه أبسال - إلى المكان الذى يعيش فيه هذا الرفيق ، ويحاول  
التواصل مع جماعته البشرية . لكن محاولاته تقضى إلى الفشل ؛ ذلك أن هذه الجماعة لم  
تستطع مجاوزة المرحلة الحسية إلى مرحلة النضج العقلى أو الاكتمال الروحى . ومن هنا  
يعود حى بن يقظان مع أبسال إلى الجزيرة ليستكملا حياتهما هناك .

إن فحوى الفكرة المحورية التى يتضمنها هذا النص ذو الطبيعة القصصية هو أن  
الإنسان يمكن أن يرتقى من المحسوس إلى المعقول ، ومن المعرفة الحسية إلى المعرفة  
العقلية الإلهية بواسطة العقل والتأمل دون حاجة إلى وسيط من البشر . غير أن من يستطيع  
التوصل إلى هذه المعرفة العقلية الاستدلالية أو المعرفة الكشفية شخص ذو طبيعة خاصة ؛  
إنه الإنسان الكامل الذى يتمتع بصفاء العقل والقلب والقدرة على الارتقاء من أدنى درجات  
الحس إلى أعلى درجات العقل والروح .

ولنص حى بن يقظان قيمة كبرى بالنسبة للكتابة الثرية فى تراثنا الأدبى ، ذلك أن هذا  
النص كشف عن مرونة التراث العربى نظراً لاستيعابه موضوعات ذات طبيعة فكرية وفلسفية ،  
هذا من ناحية ؛ ومن ناحية أخرى فإنه يبين طواعية القالب القصصى على نحو خاص فى  
احتواء تصور فلسفى كامل قام على أساسه هذا العمل .

ويعد هذا النص إضافة متميزة لتراثنا السردى ، كما يؤكد فكرة مهمة تتأسس عليها  
بعض الأعمال القصصية فى تراثنا وهى أن لجوء بعض شعرائنا وكتابنا القدماء إلى القالب  
القصصى كان رهين فكرة عقلية أو فلسفية ، حيث يتسع البناء السردى لاستيعاب ذلك ،  
ويمكن أن نقف على الكيفية التى قام بها هذا النص الفريد على السرد من خلال النص  
المختار .

\*\*\*

## من رسالة « حى بن يقظان » :

١ - إن الظبية التى تكفلت به وافقت خصبًا ومزعى أثيثًا<sup>(١)</sup> ، فكثر لحمها ودرّ لبنها ، حى قام بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام . وكانت معه لا تتباعد عنه إلا للضرورة الرعى . وألف الطفل تلك الظبية حتى كان بحيث إذا هى أبطأت عنه اشتد بكأؤه فطارت إليه .

ولم يكن بتلك الجزيرة شىء من السباع العادية ، فتربى الطفل ونما واغتذى بلبن تلك الظبية إلى أن تمّ له حَوْلان ، وتدرّج فى المشى وأثغر<sup>(٢)</sup> فكان يتبع تلك الظبية ، وكانت هى ترفق به وترحمه وتحمله إلى مواضع فيها شجر مشمر ، فكانت تطعمه ما تساقط من ثمراتها الحلوة النضيجة ؛ وما كان منها صُلب القشر كسرته له بطواحنها ؛ ومتى عاد إلى اللبن أزوته ، ومتى ظمىء إلى الماء أوردته ومتى ضحا ظلّته ، ومتى خَصِرَ أدفأته<sup>(٣)</sup> . وإذا جنّ الليل صرفته إلى مكانه الأول ، وجلّلته<sup>(٤)</sup> بنفسها وبريش كان هناك ، مما ملئ به التابوت أولاً فى وقت وُضع الطفل فيه . وكان فى غُدُوهِمَا ورواحهما قد ألفهما رَبُّرَبٌّ<sup>(٥)</sup> يسرح ويبيت معهما حيث مبيتهم .

٢ - فما زال الطفل مع الطباء على تلك الحال : يحكى نغمتها بصوته حتى لا يكاد يُفرّق بينهما ؛ وكذلك كان يحكى جميع ما يسمعه من أصوات الطير وأنواع سائر الحيوان ، محاكاة شديدة لقوة انفعاله لما يريد ؛ وأكثر ما كانت محاكاته لأصوات الطباء فى الاستصراخ والاستئلاف والاستدعاء والاستدفاع : إذ للحيوانات فى هذه الأحوال المختلفة أصوات مختلفة ، فألفته الوحوش وألفها ، ولم تنكره ولا أنكرها ، فلما ثبت فى نفسه أمثلة الأشياء بعد مغيبها عن مشاهدته ، حدث له نزوع إلى بعضها ، وكراهية لبعض .

---

(١) أثيث : غزير متكاثف .

(٢) أثغر : نبئت أسنانه .

(٣) ضحا : أصابه حرّ الشمس - خَصِرَ : ألمه اليرد .

(٤) جنّ الليل : أظلم - جلّلته بمعنى غطّته ، والجلّ هو ما تغطّى به الدابة لتصان .

(٥) الربرب : القطيع من الطباء .



٣ - وكان فى ذلك كله ينظر إلى جميع الحيوانات فىراها كاسية بالأوبار والأشعار وأنواع الريش ، وكان يرى ما لها من العَدُو وقوة البطش ، وما لها من الأسلحة المعدّة لمداغة من ينازعها ، مثل القرون والأنياب والحوافر والصّياصى<sup>(٦)</sup> والمخالب ثم يرجع إلى نفسه ، فىرى ما به من العُرى ، وعدم السلاح ، وضعف العَدُو ، وقلة البطش ، عندما كانت تنازعه الوحوش أكل الثمرات ، وتستبدّ بها دونه ، وتغلبه عليها ؛ فلا يستطيع المداغة عن نفسه ، ولا الفرار عن شىء منها .

وكان يرى أترابه من أولاد الطباء ، قد نبئت لها قرون ، بعد أن لم تكن ، وصارت قوية بعد ضعفها فى العَدُو ، ولم يرَ لنفسه شيئاً من ذلك كله ، فكان يفكر فى ذلك ولا يدرى ما سببه ، وكان ينظر إلى ذوى العاهات والخَلَقِ الناقص ، فلا يجد لنفسه شيئاً فيهم ، وكان أيضاً ينظر إلى مخارج الفضول من سائر الحيوان ، فىراها مستورة : أما مخرج أغلظ الفضلتين فبالأذنان ؛ وأما مخرج أرقهما فبالأوبار وما أشبهها ، ولأنها كانت أيضاً أخفى قضباناً منه ، فكان ذلك يكرّبه ويسوءه فلما طال همّه فى ذلك كلّهُ ، وهو قد قارب سبعة أعوام ، ويثس من أن يكمل له ما قد أضرب به نقصه ، اتخذ من أوراق الشجر العريضة شيئاً جعل بعضه خلفه وبعضه قدّامه ، وعمل من الخوص والحلفاء شبه حزام على وسطه ، علق به تلك الأوراق ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى ذوى ذلك الورق وجفّ وتساقط .

فما زال يتخذ غيره ويخصف<sup>(٧)</sup> بعضه ببعض طاقات مضاعفة ، وربما كان ذلك أطول لبقائه ؛ إلا أنه على كل حال ، قصير المدة ، واتخذ من أغصان الشجر عصياً وسوّى أطرافها وعدّل مَتْنِها . وكان يَهَشُّ بها على الوحوش المنازعة له ، فيحمل على الضعيف منها ، ويقاوم القوى منها ، فنُبِّلَ بذلك قدره عند نفسه بعض نبالة ، ورأى أن ليده فضلاً كثيراً على أيديها : إذ أمكن له بها من ستر عورته واتخاذ العصى التى يدافع بها عن حوزته ، ما استغنى به عما أراده من الذنب والسلاح الطبيعى .

(٦) الصياصى قرون البقر ونحوها ومخالب الديكة التى فى سيقانها .

(٧) يخصف : يلزق .



وفى خلال ذلك ترعرع وأربى على السبع سنين ، وطال به العناء فى تجديد الأوراق التى كان يستربها . فكانت نفسه عند ذلك تنازعه إلى اتخاذ ذنب من أذنان الوحوش الميتة ليلصقه على نفسه ؛ إلا أنه كان يرى أحياء الوحوش تتحامى ميتها وتفر عنه فلا يتأتى له الإقدام على ذلك الفعل ، إلى أن صادف فى بعض الأيام نسراً ميتاً فهدى إلى نيل أمله منه ، واغتنم الفرصة فيه ، إذ لم ير للوحوش عنه نفرة<sup>(٨)</sup> فأقدم عليه ، وقطع جناحيه وذنبه ضحاحاً كما هى ، وفتح ريشها وسواها ، وسلخ عنه سائر جلده ، وفصله على قطعتين : ربط إحداهما على ظهره ، والأخرى على سرته وما تحتها ، وعلق الذنب من خلفه ، وعلق الجناحين على عَضديه ، فأكسبه ذلك سِتراً ودفئاً ومهابة فى نفوس جميع الوحوش ، حتى كانت لا تنازعه ولا تعارضه .

فصار لا يدنو إليه شىء منها سوى الظبية التى كانت أرضعته وربته : فإنها لم تفارقه ولا فارقها ، إلى أن أسنت وضَعُفت ؛ فكان يرتاد بها المراعى الخصبة ، ويجتنى لها الثمرات الحلوة ، ويطعمها .

٤ - وما زال الهزال والضعف يستولى عليها ويتوالى ، إلى أن أدركها الموت ، فسكنت حركاتها بالجملة ، وتعطلت جميع أفعالها . فلما رآها الصبى على تلك الحالة ، جزع جزعاً شديداً ، وكادت نفسه تفيض أسفاً عليها . فكان يناديها بالصوت الذى كانت عاداتها أن تجيبه عند سماعه ، ويصيح بأشد ما يقدر عليه : فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغييراً فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة ، وكذلك كان ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى بشىء منها آفة ، فكان يطمع أن يعثر على موضع الآفة فيزيلها عنها ، فترجع إلى ما كانت عليه ، فلم يتأت له شىء من ذلك ولا استطاعه ، وكان الذى أرشده لهذا رأى ما كان قد اعتبره فى نفسه قبل ذلك : لأنه كان يرى أنه إذا غمض عينيه أو حجبهما بشىء لا يبصر شيئاً حتى يزول ذلك العائق ، وكذلك كان يرى أنه إذا أدخل إصبعيه فى أذنيه وسدهما لا يسمع شيئاً حتى يزول ذلك العارض ، وإذا أمسك أنفه بيده لا يشم شيئاً من الروائح حتى يفتح

---

(٨) نفرة : إعراض وصد .

أنفه . فاعتقد من أجل ذلك أن جميع ما له من الإدراكات والأفعال قد تكون لها عوائق تعوقها ، فإذا أزيلت تلك العوائق ، عادت الأفعال .

فلما نظر إلى جميع أعضائها الظاهرة ولم يرفيها آفة ظاهرة - وكان يرى مع ذلك العطلة قد شملتها ولم يختص بها عضودون عضو - وقع في خاطره أن الآفة التي نزلت بها ، إنما هي في عضو غائب عن العيان ، مستكن في باطن الجسد ، وإن ذلك العضو لا يغني عنه في فعله شيء من هذه الأعضاء الظاهرة . فلما نزلت به الآفة عمّت المضرة ، وشملت العطلة ، وطمع لو أنه عثر على ذلك العضو وأزال عنه ما نزل به ، لاستقامت أحواله وفاض على سائر البدن نفعه ، وعادت الأفعال إلى ما كانت عليه .

وكان قد شاهد قبل ذلك في الأشباح الميتة من الوحوش وسواها أن جميع أعضائها مُضمّمة لاتجويف فيها إلا القحف (٩) ، والصدر ، والبطن . فوقع في نفسه أن العضو الذي بتلك الصفة لن يعدو أحد هذه المواضع الثلاثة ، وكان يغلب على ظنه غلبة قوية أنه إنما هو في الموضع المتوسط من هذه المواضع الثلاثة ؛ إذ كان قد استقر في نفسه أن جميع الأعضاء محتاجة إليه ، وأن الواجب بحسب ذلك أن يكون مسكنه في الوسط ، وكان أيضًا إذا رجع إلى ذاته ، شعر بمثل هذا العضو في صدره ، لأنه كان يعترض سائر أعضائه كاليد ، والرجل ، والأذن ، والأنف ، والعين ، ويقدر مفارقتها ، فيتأني له أنه كان يستغني عنها ، وكان يقدر في رأسه مثل ذلك ويظن أنه يستغني عنه ، فإذا فكر في الشيء الذي يجده في صدره ، لم يتأت له الاستغناء عنه طرفة عين . وكذلك كان عند محاربته الوحوش أكثر ما كان يتقى من صياصبيهم على صدره ، لشعوره بالشيء الذي فيه .

فلما جزم الحكم بأن العضو الذي نزلت به الآفة إنما هو في صدرها ، أجمع على البحث عليه والتنقيب عنه ، لعله يظفر به ، ويرى آفته فيزيلها ثم إنه خاف أن يكون نفس فعله هذا أعظم من الآفة التي نزلت بها أولاً فيكون سعيه عليها .

---

(٩) القحف : الجمجمة التي فيها الدماغ .

ثم إنه تفكر: هل رأى من الوحوش وسواها ، من صار فى مثل تلك الحال ، ثم عاد إلى مثل حاله الأول ؟ فلم يجد شيئاً ! فحصل له من ذلك ، اليأس من رجوعها إلى حالها الأولى إن هو تركها ؛ وبقي له بعض رجاء فى رجوعها إلى تلك الحال إن هو وجد ذلك العضو وأزال الآفة عنه .

٥ - فعزم على شق صدرها وتفتيش ما فيه ، فاتخذ من كسور الأحجار الصلدة ، وشقوق القصب اليابسة ، أشباه السكاكين ، وشق بها بين أضلاعها حتى قطع اللحم الذى بين الأضلاع ، وأفضى إلى الحجاب المستبطن للأضلاع فرآه قوياً ؛ فقوى ظنه بأن مثل ذلك الحجاب لا يكون إلا لمثل ذلك العضو وطمع بأنه إذا تجاوزه ألقى مطلوبه فحاول شقه ، فصعب عليه ، لعدم الآلات ، ولأنها لم تكن إلا من الحجارة والقصب ، فاستجدّها ثانية ، واستجدّها وتلطّف فى خرق الحجاب حتى انخرق له ؛ فأفضى إلى الرئة فظن أولاً أنها مطلوبة ؛ فما زال يقلبها ويطلب موضع الآفة بها .

وكان أولاً إنما وجد منها نصفها الذى هو فى الجانب الواحد . فلما رآها مائلة إلى جهة واحدة ، وكان قد اعتقد أن ذلك العضو لا يكون إلا فى الوسط فى عرض البدن كما هو فى الوسط فى طوله . فما زال يفتش فى وسط الصدر حتى ألقى « القلب » وهو مجلّل بغشاء فى غاية القوة مربوط بعلائق فى غاية الوثاقة ، والرئة مطيقة به من الجهة التى بدأ بالشق منها ؛ فقال فى نفسه : « إن كان لهذا العضو من الجهة الأخرى مثل ماله من هذه الجهة ، فهو فى حقيقة الوسط ، ولا محالة أنه مطلوبى ؛ لاسيما مع ما أرى له من حسن الوضع ، وجمال الشكل ، وقلة التشتّت ، وقوّة اللحم ، وأنه محجوب يمثل هذا الحجاب الذى لم أر مثله لشيء من الأعضاء .

فبحث عن الجانب الآخر من الصدر ، فوجد فيه الحجاب المستبطن للأضلاع ، ووجد الرئة كمثله ما وجدته من هذه الجهة . فحكم بأن ذلك العضو هو مطلوبه ، فحاول هتك حجابيه ، وشق شغافه ؛ فبكّد واستكراه ما قدر على ذلك ، بعد است فراغ مجهوده .

وجرد القلب فرآه مُصمتاً من كل جهة ، فنظر هل يرى فيه آفة ظاهرة ؟ فلم يرفه شيئاً ! فشد عليه يده ، فتبين له أن فيه تجويفاً ؛ فقال : « لعل مطلوبى الأقصى إنما هو فى داخل

هذا العضو، وأنا حتى الآن لم أصل إليه ، فشق عليه ، فألقى فيه تجويفين اثنين : أحدهما من الجهة اليمنى ، والآخر من الجهة اليسرى ، والذي من الجهة اليمنى مملوء بعلق مُنَعَقِد ، والذي من الجهة اليسرى خالٍ لا شيء فيه . فقال : « لن يعدو مطلبى أن يكون مسكنه أحد هذين البيتين » ثم قال : « أما هذا البيت الأيمن ، فلا أرى فيه غير هذا الدم المنعقد . ولا شك أنه لم ينعقد حتى صار الجسد كله إلى هذا الحال » إذ كان قد شاهد أن الدماء متى سالت وخرجت انعقدت وجمدت ولم يكن هذا إلا دماء كسائر الدماء ، وأنا أرى أن هذا الدم موجود في سائر الأعضاء لا يختص به عضو دون آخر ، وأنا ليس مطلوبى شيئاً بهذه الصفة إنما مطلوبى الشيء الذى يختص به هذا الموضع الذى أجدنى لأستغنى عنه طرفة عين ، وإليه كان انبعاشى من أول . وأما هذا الدم فكم مرة جرحتنى الوحوش فى المحاربة فسال منى كثير منه فما ضرني ذلك ولا أفقدنى شيئاً من أفعالى فهذا بيت ليس فيه مطلوبى . وأما هذا البيت الأيسر فأراه خالياً لا شيء فيه ، وما أرى ذلك لباطل ، فإنى رأيت كل عضو من الأعضاء إنما هو لفعل يختص به ، فكيف يكون هذا البيت على ما شاهدت من شرفه باطلا ؟ ما أرى إلا أن مطلوبى كان فيه ! فارتحل عنه وأخلاه . « وعند ذلك ، طرأ على هذا الجسد من العطلة ما طرأ : ففقد الإدراك وعدم الحراك .

فلما رأى أن الساكن فى ذلك البيت قد ارتحل قبل انهدامه وتركه وهو بحاله ، تحقق أنه أحرى أن لا يعود إليه بعد أن حدث فيه من الخراب والتخريق ما حدث . فصار عنده الجسد كله خسيساً لا قدر له بالإضافة إلى ذلك الشيء الذى اعتقد فى نفسه أنه يسكنه مدة ويرحل عنه بعد ذلك . فاقصر على الفكرة فى ذلك الشيء ما هو ؟ وكيف هو ؟ وما الذى ربطه بهذا الجسد ؟ وإلى أين صار ؟ ومن أى الأبواب خرج عند خروجه من الجسد ؟ وما السبب الذى أزعجه إن كان خرج كارهاً ؟ وما السبب الذى كره إليه الجسد ، حتى فارقه إن كان خرج مختاراً ؟

وتشئت فكره فى ذلك كله ، وسلا عن ذلك الجسد وطرحه ، وعلم أن أمه التى عطف عليه وأرضعته ، إنما كانت ذلك الشيء المرتحل ، عنه كانت تصدر تلك الأفعال كلها ، لا هذا الجسد العاطل ؛ وأن هذا الجسد بجملته ، إنما هو كآلة وبمنزلة العصي التى اتخذها هو لقتال الوحوش . فانتقلت علاقته عن الجسد إلى صاحب الجسد ومحركه ، ولم يبق له شوق إلا إليه .



وفى خلال ذلك أصل ذلك الجسد ؛ وقامت منه روائح كريهة ، فزادت نفرة عنه ، وود أن لا يراه . ثم إنه سنع لنظره غرابان يقتلان حتى صرع أحدهما الآخر ميتًا . ثم جعل الحى يبحث فى الأرض حتى حفر حفرة فوارى فيها ذلك الميت بالتراب . فقال فى نفسه : « ما أحسن ما صنع هذا الغراب فى مواراة جيفة صاحبه وإن كان قد أساء فى قتله إياه ! وأنا كنت أحق بالاهتداء إلى هذا الفعل بأمرى ! » فحفر حفرة وألقى فيها جسد أمه ، وحثا عليها التراب ، وبقي يتفكر فى ذلك الشئ المصروف للجسد ولا يدري ما هو ! غير أنه كان ينظر إلى أشخاص الأطباء كلها ، فيراها على شكل أمه ، وعلى صورتها ؛ فكان يغلب على ظنه ، أن كل واحد منها إنما يحركه ويصرفه شئ هو مثل الشئ الذى كان يحرك أمه ويصرفها فكان يألف الأطباء ويحن إليها لمكان ذلك الشبه .

وبقى على ذلك برهة من الزمان ، يتصفح أنواع الحيوان والنبات ، ويطوف بساحل تلك الجزيرة ، ويتطلب هل يرى أو يجد لنفسه شبيهًا حسبما يرى لكل واحد من أشخاص الحيوان والنبات أشباهًا كثيرة ، فلا يجد شيئًا من ذلك ، وكان يرى البحر قد أحرق بالجزيرة من كل جهة ، فيعتقد أنه ليس فى الوجود أرض سوى جزيرته تلك .





## ابن رشد

( ٥٢٠ - ٥٩٥ هـ / ١١٢٦ - ١١٩٨ م )

أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد ، من أشهر فلاسفة الإسلام ، وأبرز من شرحوا كتب حكيم اليونان « أرسطو » ، وحاولوا التوفيق بين الحكمة والشرعة .

وهو من أسرة ذات نفوذ علمي كبير ، وسلطان قضائي ملحوظ ، فقد كان جدّه لأبيه قاضياً ، وكبيراً من كبار فقهاء المذهب المالكي ، - وهو المذهب السائد في بلاد المغرب والأندلس - مشغلاً كذلك بالسياسة والشئون العامة ، وعندما ولد ابن رشد في مدينة قرطبة ، كانت دولة « المرابطين » على وشك الانهيار ، إذ إن ميلاده سبق وفاة إمام دولة « الموحيدين » محمد بن تومرت بأربعة أعوام .

تتلّمذ في الطبّ لأبى جعفر هارون وأبى مروان بن جربول البلنسى ، وفي الفلسفة والإلهيات لابن طفيل ، وبرع في علم الكلام والأدب واللغة ، وبرز فيها جميعها ، حتى لم يكن له في معظمها من معاصريه نظير ولا قرين .

تولى منصب القضاء في إشبيلية سنة ٥٦٥ ، ثم أصبح قاضى القضاء بقرطبة سنة ٥٦٧ ، وقدمه ابن طفيل إلى السلطان المستنير أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذى كلفه بوضع الشروح والتفاسير على مؤلفات أرسطو حتى تستقيم عبارتها ، وتبرأ مما لحقها من عيوب الترجمة وأخطاء الشراح والمفسرين ، فشرع فى هذا العمل الكبير منذ ذلك التاريخ ، وعندما تقدمت السنّ بابن طفيل ، تولى ابن رشد منصبه كطبيب خاصّ للسلطان فى بلاط مراکش .

وبعد أن توفى أبو يعقوب يوسف سنة ٥٨٠ ، استمرت خطوته لدى خلفه السلطان المنصور أبى يوسف يعقوب ( ت ٥٩٥ ) لفترة وجيزة ، أعقبتها المحنة التى امتحن لها فى فكره وعقيدته سنة ٥٩١ ، ففيها نفى إلى مدينة إيسانة على مقربة من قرطبة مع عدد من المشتغلين بالحكمة والعلوم ، وأحرقت كتبه ، وسائر كنت الفلسفة ، وحظر على الناس يومئذ تجاوز الاشتغال بالعلوم العملية والنظر فيما سوى الطب والنجوم والحساب . وعندما انقشعت سحابة هذه المحنة ، عادت له منزلته فى البلاط المغربى ، واستردّت الفلسفة والعلوم العقلية مكانتها فى البلاد ، ولكن المنية لم تمهله بعد ذلك كثيراً .

وشهد « ابن عربى » جثمان أبى الوليد بن رشد محمولاً على بعير، وهو فى طريقه من مدينة « مراکش »، حيث توفى، ليدفن فى بلاد الأندلس، وقد وضع الجثمان فى ناحية، وفى الناحية الأخرى من حمل البعير كتبه ومؤلفاته .

وقد وصفه ابن الأبار، فقال عنه : « كانت الدراية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول وعلم والكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالأندلس مثله كمالاً وعلمًا وفضلًا ، وكان على شرفه أشدّ الناس تواضعًا وأخفضهم جناحًا ، عنى بالعلم من صغره إلى كبره ، حتى حكى عنه أنه لم يدع النظر ولا القراءة منذ عقل إلا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سوّد فيما صنّف وقيّد وألّف وهذّب واختصر نحوًا من عشرة آلاف ورقة ، ومال إلى علوم الأوائل ، فكانت له فيها الإمامة دون أهل عصره ، وكان يفرع إلى فتواه فى الطب ، كما يفرع إلى فتواه فى الفقه ، مع الحظّ الوافر من الإعراب والآداب ، حتى حكى عنه أبو القاسم بن الطليسان أنه كان يحفظ شعرى أبى تمام والمتنبي ، ويكثر التمثيل بهما فى مجلسه ، ويورد ذلك أحسن إيراد . »

ومن مؤلفاته فى الفقه كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » ، لا يزال مرجعاً فى الفقه ومسائله ، ورسالة فى الفلك وحركته ، وأخرى عن النجوم الثابتة ، وله فى الطب « كتاب الكليات » و « شرح على أرجوزة لابن سينا ، وتلخيصات لكتب جالينوس ، وله فى الفلسفة شروح مطوّلة ومتوسطة وموجزة لكثير من مؤلفات أرسطو... ، ويذهب العارفون بفضل ابن رشد وعلمه إلى أن تأثيره فى تاريخ الفكر الأوروبى كان حاسمًا ، يحتاج بيانه إلى مجلدات طوال .

\*\*\*

من كتاب : « فضل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » .

[ حُكْمُ دِرَاسَةِ الْفَلَسَفَةِ ] :

فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنْ نَفْحَصَ ، عَلَى جِهَةِ النَّظَرِ الشَّرْعِيِّ ، هَلِ النَّظَرُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعُلُومِ الْمَنْطِقِ مُبَاحٌ بِالشَّرْعِ ؟ .. أَمْ مَحْظُورٌ ؟؟ .. أَمْ مَأْمُورٌ بِهِ ، إِمَّا عَلَى جِهَةِ النَّدْبِ ، وَإِمَّا عَلَى جِهَةِ الْوُجُوبِ ؟؟

فَنَقُولُ : إِنْ كَانَ فِعْلُ الْفَلَسَفَةِ لَيْسَ شَيْئًا أَكْثَرِمَنِ النَّظَرِ فِي الْمَوْجُودَاتِ ، وَاعْتِبَارِهَا ، مِنْ جِهَةِ دِلَالَتِهَا عَلَى الصَّانِعِ أَغْنَى مِنْ جِهَةِ مَا هِيَ مَصْنُوعَاتُ فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَى الصَّانِعِ بِمَعْرِفَةِ صَنَعَتِهَا (١) ، وَأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ [ بِصَنَعَتِهَا ] أَتَمَّ كَانَتْ الْمَعْرِفَةُ بِالصَّانِعِ أَتَمَّ .

وَكَانَ الشَّرْعُ قَدْ نَدَبَ إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ ، وَحَثَّ عَلَى ذَلِكَ ، فَيَبِينُ أَنَّ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ هَذَا الْأِسْمُ إِمَّا وَاجِبٌ بِالشَّرْعِ ، وَإِمَّا مَنذُوبٌ إِلَيْهِ .

فَأَمَّا أَنَّ الشَّرْعَ دَعَا إِلَى اعْتِبَارِ الْمَوْجُودَاتِ بِالْعَقْلِ ، وَتَطَلُّبِ مَعْرِفَتِهَا بِهِ ، فَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي غَيْرِ مَا آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ) (٢) ، وَهَذَا نَصٌّ عَلَى وَجُوبِ اسْتِعْمَالِ الْقِيَاسِ الْعَقْلِيِّ أَوِ الْعَقْلِيِّ وَالشَّرْعِيِّ مَعًا .

وَمِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى : ( أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ) (٣) ، وَهَذَا نَصٌّ بِالْحَثِّ عَلَى النَّظَرِ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ .

وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مِمَّنْ خَصَّهُ بِهَذَا الْعِلْمِ وَشَرَّفَهُ بِهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ تَعَالَى : ( وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) (٤) الْآيَةَ ... وَقَالَ تَعَالَى : ( أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ، وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ) (٥) وَقَالَ : ( وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) (٦) إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثْرَةً .

\*\*\*

(٢) سورة الحشر (٢) .  
(٤) سورة الأنعام (٧٥) .  
(٦) سورة آل عمران (١٩١) .

(١) صَنَعَتِهَا : صَفَتِهَا .  
(٣) سورة الأعراف (١٨٥) .  
(٥) سورة الغاشية (١٧ - ١٨) .

[ مَرَاتِبُ النَّاسِ ] :

وَإِذَا تَقَرَّرَ هَذَا كُلُّهُ ، وَكُنَّا نَعْتَقِدُ ، مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَنَّ شَرِيعَتَنَا ، هَذِهِ الْإِلَهِيَّةُ ، حَقٌّ ، وَأَنَّهَا الَّتِي نَبَّهَتْ عَلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ ، وَدَعَتْ إِلَيْهَا ، الَّتِي هِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَبِمَخْلُوقَاتِهِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مُتَقَرَّرٌ عِنْدَ كُلِّ مُسْلِمٍ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي اقْتَضَتْهُ جِبِلَّتُهُ وَطَبِيعَتُهُ مِنْ التَّصَدِيقِ ، وَذَلِكَ أَنَّ طِبَاعَ النَّاسِ مُتَقَاضِلَةٌ فِي التَّصَدِيقِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُصَدِّقُ بِالْبُرْهَانِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَدِّقُ بِالْأَقَاوِيلِ الْجَدَلِيَّةِ تَصَدِيقَ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ بِالْبُرْهَانِ إِذْ لَيْسَ فِي طِبَاعِهِ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُصَدِّقُ بِالْأَقَاوِيلِ الْخَطَائِيَّةِ كَتَصَدِيقِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ بِالْأَقَاوِيلِ الْبُرْهَانِيَّةِ .

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتْ شَرِيعَتُنَا ، هَذِهِ الْإِلَهِيَّةُ ، قَدْ دَعَتْ النَّاسَ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ الثَّلَاثِ ، عَمَّ التَّصَدِيقُ بِهَا كُلَّ إِنْسَانٍ ، إِلَّا مَنْ جَحَدَهَا عِنَادًا بِلِسَانِهِ ، أَوْ لَمْ تَقَرَّرْ عِنْدَهُ طُرُقُ الدُّعَاءِ فِيهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، لِإِغْفَالِهِ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ .

وَلِذَلِكَ خُصَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْبَعْثِ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ أَعْنَى لِتَضَمُّنِ شَرِيعَتِهِ طُرُقَ الدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَذَلِكَ صَرِيحٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ( أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ) (٧) .

\*\*\*

[ عِلَاقَةُ الْحِكْمَةِ بِالشَّرِيعَةِ ] :

وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الشَّرِيعَةُ حَقًّا ، وَدَاعِيَةً إِلَى النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ فَإِنَّا مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، نَعْلَمُ ، عَلَى الْقَطْعِ ، أَنَّ لَا يُؤَدِّي النَّظَرُ الْبُرْهَانِيُّ إِلَى مُخَالَفَةِ مَا وَرَدَ بِهِ الشَّرْعُ ، فَإِنَّ الْحَقَّ لَا يُضَادُّ الْحَقَّ ، بَلْ يُوَافِقُهُ وَيَشْهَدُ لَهُ .

وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا ، فَإِنَّ أَدَى النَّظَرِ الْبُرْهَانِيُّ إِلَى نَحْوِ مَا مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِمَوْجُودٍ مَا ، فَلَا يَخْلُو ذَلِكَ الْمَوْجُودُ أَنْ يَكُونَ : قَدْ سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ أَوْ عَرَفَ بِهِ .

فَإِنْ كَانَ قَدْ سَكَتَ عَنْهُ ، فَلَا تَعَارِضَ هُنَالِكَ ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَا سَكَتَ عَنْهُ مِنَ الْأَحْكَامِ ، فَاسْتَبْطَئَهَا الْفَقِيهُ بِالْقِيَاسِ الشَّرْعِيِّ .

(٧) سورة النحل (١٢٥) .



وَإِنْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ نَطَقَتْ بِهِ ، فَلَا يَخْلُو ظَاهِرُ النُّطْقِ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِمَا أَدَّى إِلَيْهِ  
الْبُرْهَانُ فِيهِ ، أَوْ مُخَالَفًا ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا فَلَا قَوْلَ هُنَالِكَ ، وَإِنْ كَانَ مُخَالَفًا طُلِبَ هُنَالِكَ  
تَأْوِيلُهُ .

\*\*\*

[ الغزالي والفلاسفة ] :

فَإِنْ قُلْتُ : فَإِذَا لَمْ يَجِبِ التَّكْفِيرُ بِخَرَقِ الإِجْمَاعِ فِي التَّأْوِيلِ ، إِذْ لَا يَتَصَوَّرُ فِي ذَلِكَ  
إِجْمَاعٌ ، فَمَا تَقُولُ فِي الْفَلَّاسِفَةِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، كَأَبِي نَصْرِ<sup>(٨)</sup> ، وَابْنِ سِينَا<sup>(٩)</sup> ، فَإِنَّ أَبَا  
حَامِدٍ قَدْ قَطَعَ بِتَكْفِيرِهِمَا فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ بِالتَّهَافُتِ ، فِي ثَلَاثِ مَسَائِلَ :

فِي الْقَوْلِ بِقَدَمِ الْعَالَمِ .

وَفِي تَأْوِيلِ مَا جَاءَ فِي حَشْرِ الْأَجْسَادِ وَأَحْوَالِ الْمَعَادِ .

قُلْنَا : الظَّاهِرُ مِنْ قَوْلِهِ فِي ذَلِكَ ، أَنَّهُ لَيْسَ تَكْفِيرُهُ إِيَّاهُمَا فِي ذَلِكَ قَطْعًا ، إِذْ قَدْ صَرَّحَ فِي  
كِتَابِ التَّفْرِيقَةِ أَنَّ التَّكْفِيرَ بِخَرَقِ الإِجْمَاعِ فِيهِ اخْتِمَالٌ .

وَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ قَوْلِنَا أَنَّهُ لَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَقَرَّرَ إِجْمَاعٌ فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَسَائِلِ ، لِمَا رَوَى  
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ الْأَوَّلِ ، فَضْلًا عَنْ غَيْرِهِمْ ، أَنَّ هَا هُنَا تَأْوِيلَاتٌ لَا يَجِبُ أَنْ يُفْصَحَ بِهَا  
إِلَّا لِمَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ وَهُمْ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ، لِأَنَّ الْأَخْتِيَارَ عِنْدَنَا هُوَ الْوُقُوفُ عَلَى  
قَوْلِهِ تَعَالَى : ( وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ )<sup>(١٠)</sup> ، لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَهْلُ الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ التَّأْوِيلَ ، لَمْ  
يَكُنْ عِنْدَهُمْ مَزِيَّةٌ تَصْدِيقُ تَوْجِبُ لَهُمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِهِ مَا لَا يُوْجَدُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَقَدْ  
وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّهُمُ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَهَذَا إِنَّمَا يُحْمَلُ عَلَى الْإِيمَانِ الَّذِي يَكُونُ مِنْ قَبْلِ  
الْبُرْهَانِ ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ ، فَإِنَّ غَيْرَ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ هُمْ أَهْلُ  
الْإِيمَانِ بِهِ لَا مِنْ قَبْلِ الْبُرْهَانِ .

(٨) محمد بن طرخان ، الملقب بالمعلم الثاني ، والمنسوب إلى فاراب ، من بلاد تركستان (ت ٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) .

(٩) أبو علي الحسين بن عبد الله ، الشهير بالشيخ الرئيس ( ٣٧٠ - ٤٢٩ هـ / ٩٨٠ - ١٠٣٧ م ) .

(١٠) سورة آل عمران - ٧

فَإِنْ كَانَ هَذَا الْإِيمَانُ الَّذِي وَصَفَ اللَّهُ بِهِ الْعُلَمَاءَ خَاصًّا بِهِمْ ، فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ بِالْبُرْهَانِ ،  
وَإِنْ كَانَ بِالْبُرْهَانِ فَلَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ الْعِلْمِ بِالتَّأْوِيلِ ، لِأَنَّ اللَّهَ ، عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ لَهَا تَأْوِيلًا  
هُوَ الْحَقِيقَةُ ، وَالْبُرْهَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ .

وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَقَرَّرَ فِي التَّأْوِيلَاتِ ، الَّتِي خَصَّ اللَّهُ الْعُلَمَاءَ بِهَا ،  
إِجْمَاعٌ مُسْتَقِضٌ ، وَهَذَا بَيِّنٌ بِنَفْسِهِ عِنْدَ مَنْ أَنْصَفَ .

\*\*\*

### [ خَاتِمَةٌ ] :

وَبُودُنَا لَوْ تَفَرَّغْنَا لِهَذَا الْمَقْصِدِ ، وَقَدَرْنَا عَلَيْهِ ، وَإِنْ أَنْسَأَ اللَّهُ فِي الْعُمُرِ ، فَسُتُبِتُ فِيهِ قَدَرُ  
مَا تَيَسَّرَ لَنَا مِنْهُ ، فَعَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مَبْدَأً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدُ ، فَإِنَّ النَّفْسَ مِمَّا تَخْلَلُ هَذِهِ  
الشَّرِيعَةَ ، مِنَ الْأَهْوَاءِ الْفَاسِدَةِ ، وَالْاِعْتِقَادَاتِ الْمُحَرِّقَةِ ، فِي غَايَةِ الْحُزْنِ وَالتَّأَلُّمِ ، وَبِخَاصَّةٍ مَا  
عَرَضَ لَهَا مِنْ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ مَنْ يَنْسُبُ نَفْسَهُ إِلَى الْحِكْمَةِ ، فَإِنَّ الْأَذِيَّةَ مِنَ الصَّدِيقِ هِيَ أَشَدُّ  
مِنَ الْأَذِيَّةِ مِنَ الْعَدُوِّ .

أَعْنَى أَنَّ الْحِكْمَةَ هِيَ صَاحِبَةُ الشَّرِيعَةِ ، وَالْأُخْتُ الرِّضِيعَةُ ، فَالْأَذِيَّةُ مِمَّنْ يُنسَبُ إِلَيْهَا  
هِيَ أَشَدُّ الْأَذِيَّةِ ، مَعَ مَا يَقَعُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْمُشَاجَرَةِ ، وَهُمَا الْمُضْطَحِبَتَانِ  
بِالطَّبْعِ ، الْمُتَحَابَّتَانِ بِالْجَوْهَرِ وَالْغَرِيزَةِ .

وَقَدْ آذَاهَا أَيْضًا كَثِيرٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ الْجُهَالِ ، مِمَّنْ يَنْسُبُونَ أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهَا ، وَهِيَ الْفِرْقُ  
الْمَوْجُودَةُ فِيهَا .

وَاللَّهُ يُسَدِّدُ الْكُلَّ ، وَيُوفِّقُ الْجَمِيعَ لِمَحَبَّتِهِ ، وَيَجْمَعُ قُلُوبَهُمْ عَلَى تَقْوَاهُ ، وَيَرْفَعُ عَنْهُمْ  
الْبُغْضَ وَالشَّنَانَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ .

وَقَدْ رَفَعَ اللَّهُ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الشُّرُورِ وَالْجَهَالَاتِ ، وَالْمَسَالِكِ الْمُضِلَّاتِ ، بِهَذَا الْأَمْرِ  
الْغَالِبِ ، وَطَرَّقَ بِهِ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ ، وَبِخَاصَّةٍ عَلَى الصَّنُفِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَلَكَ  
النَّظَرِ ، وَرَغِبُوا فِي مَعْرِفَةِ الْحَقِّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ دَعَا الْجُمْهُورَ إِلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ مِنْ طَرِيقِ وَسْطٍ ،

ارْتَفَعَ عَنْ حَضِيضِ الْمُقَلِّدِينَ ، وَانْحَطَّ عَنْ تَشْغِيبِ الْمُتَكَلِّمِينَ ، وَنَبَّهَ الْخَوَاصَّ عَلَى وُجُوبِ  
النَّظَرِ التَّامِّ فِي أَصْلِ الشَّرِيعَةِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

\*\*\*

[ تَقْرِيرُ الشَّكِّ ] :

وَالشَّكُّ يُلْزِمُ هَكَذَا :

إِنْ كَانَتْ هَذِهِ كُلُّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ ، سُبْحَانَهُ ، قَبْلَ أَنْ تَكُونَ ، فَهَلْ هِيَ فِي حَالِ كَوْنِهَا فِي  
عِلْمِهِ ، كَمَا كَانَتْ فِيهِ قَبْلَ كَوْنِهَا ؟؟ .. أَمْ هِيَ فِي عِلْمِهِ ، فِي حَالِ وُجُودِهَا ، عَلَى غَيْرِ مَا  
كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ ؟؟

فَإِنْ قُلْنَا : إِنَّهَا فِي عِلْمِ اللَّهِ فِي حَالِ وُجُودِهَا عَلَى غَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي عِلْمِهِ قَبْلَ أَنْ  
تُوجَدَ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ الْقَدِيمُ مُتَغَيِّرًا ، وَأَنْ يَكُونَ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ قَدْ  
حَدَثَ هُنَالِكَ عِلْمٌ زَائِدٌ ، وَذَلِكَ مُسْتَحِيلٌ عَلَى الْعِلْمِ الْقَدِيمِ .

وَإِنْ قُلْنَا : إِنَّ الْعِلْمَ بِهَا وَاحِدٌ فِي الْحَالَتَيْنِ ، قِيلَ : فَهَلْ هِيَ فِي نَفْسِهَا ، أَعْنَى  
الْمَوْجُودَاتِ الْحَادِثَةِ قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ ، كَمَا هِيَ حِينَ وَجَدَتْ ؟ فَسَيَجِبُ أَنْ يُقَالَ : لَيْسَتْ فِي  
نَفْسِهَا قَبْلَ أَنْ تُوجَدَ كَمَا هِيَ حِينَ وَجَدَتْ ، وَإِلَّا كَانَ الْمَوْجُودُ وَالْمَعْدُومُ وَاحِدًا .

فَإِذَا سَلَّمَ الْخَصْمُ هَذَا ، قِيلَ لَهُ : أَفَلَيْسَ الْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ مَعْرِفَةُ الْوُجُودِ عَلَى مَا هُوَ  
عَلَيْهِ ؟؟

فَإِذَا قَالَ : نَعَمْ .. قِيلَ : فَيَجِبُ عَلَى هَذَا إِذَا اخْتَلَفَ الشَّيْءُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ بِهِ  
يَخْتَلِفُ ، وَإِلَّا فَقَدْ عِلِمَ عَلَى غَيْرِ مَا هُوَ عَلَيْهِ .

فَإِذَا ، يَجِبُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَخْتَلِفَ الْعِلْمُ فِي نَفْسِهِ ، أَوْ تَكُونَ الْحَادِثَاتُ غَيْرَ مَعْلُومَةٍ  
لَهُ . وَكِلَا الْأَمْرَيْنِ مُسْتَحِيلٌ عَلَيْهِ ، سُبْحَانَهُ .

وَيُؤَكِّدُ هَذَا الشَّكُّ مَا يَظْهَرُ مِنْ حَالِ الْإِنْسَانِ ، أَعْنَى مِنْ تَعَلُّقِ عِلْمِهِ بِالْأَشْيَاءِ الْمَعْدُومَةِ  
عَلَى تَقْدِيرِ الْوُجُودِ ، وَتَعَلُّقِ عِلْمِهِ بِهَا إِذَا وَجَدَتْ ، فَإِنَّهُ مِنَ الْبَيِّنِ بِنَفْسِهِ أَنَّ الْعِلْمَيْنِ مُتَغَايِرَانِ ،  
وَإِلَّا كَانَ جَاهِلًا بِوُجُودِهَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي وَجَدَتْ فِيهِ .

وَلَيْسَ يُنْجَى مِنْ هَذَا مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْجَوَابِ عَنْ هَذَا، بِأَنَّهُ، تَعَالَى،  
يَعْلَمُ الْأَشْيَاءَ قَبْلَ كَوْنِهَا عَلَى مَا تَكُونُ عَلَيْهِ فِي حِينِ كَوْنِهَا، مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ  
الْصِّفَاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَوْجُودٍ مَوْجُودٍ.

فَإِنَّهُ يُقَالُ لَهُمْ: فَإِذَا وُجِدَتْ، فَهَلْ حَدَثَ هُنَاكَ تَغْيِيرٌ؟ أَوْ لَمْ يَحْدُثْ؟؟ ... وَهُوَ خُرُوجُ  
الشَّيْءِ مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ؟؟

فَإِنْ قَالُوا: لَمْ يَحْدُثْ، فَقَدْ كَابَرُوا، وَإِنْ قَالُوا: حَدَثَ هُنَاكَ تَغْيِيرٌ، قِيلَ لَهُمْ: فَهَلْ  
حُدُوثُ هَذَا التَّغْيِيرِ مَعْلُومٌ لِلْعِلْمِ الْقَدِيمِ؟ أَمْ لَا؟؟ .. فَيَلْزَمُ الشَّكُّ الْمُتَقَدِّمُ.

وَبِالْجُمْلَةِ .. فَيَعْسُرُ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَنَّ الْعِلْمَ بِالشَّيْءِ، قَبْلَ أَنْ يُوجَدَ، وَالْعِلْمَ بِهِ بَعْدَ أَنْ وُجِدَ،  
عِلْمٌ وَاحِدٌ بَعَيْنِهِ.



## ابن الجوزي

( ٥٠٨ - ٥٩٧ هـ / ١١١٤ - ١٢٠١ م )

هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي ، يرتفع نسبه إلى أبي بكر الصديق ، فهو قرشيّ تيميّ ، ويقال إن « الجوزي » نسبة إلى قُرْصَة من قُرْص البصرة يقال لها الجوزة ، وكنيته أبو الفرج أو أبو الفضائل ، ولقبه جمال الدين الحافظ ، ولد في بغداد حوالي سنة ٥١٠ هـ / ١١١٦ م ، توفي أبوه وهو في الثالثة من عمره ، فتولّت عمّته رعايته ، وتولّى خاله الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر تعليمه ، فحفظ القرآن الكريم ، وقرأ الحديث الشريف ، وأبدى منذ صباه حرصًا شديدًا على التفرّغ لتحصيل العلم فعزف عن اللهو واستحبّ العزلة ، ورأى « أن الزمان أشرف شيء ، والواجب انتهازه بفعل الخير » ، ولم يقتصر في تحصيله على علوم بعينها دون غيرها ، بل حرص على أن يتعلّم أيضًا القراءات والفقه والنحو والتاريخ والطب ... ، وعن ذلك يقول : « إني رجلٌ حُبّ إليّ العلم من زمن الطفولة ، فتشاغلت به ، ثم لم يُحبّ إليّ فن واحد منه ، بل فنونه كلّها ، ثم لا تقتصر همّتي في فن على بعضه ، بل أروم استقصاءه » .

وعلى الرغم من تعدّد اهتماماته وكثرة تآليفه ، فقد عمل مدرسًا وكلف بإدارة بعض المدارس في بغداد ، وتفوّق في الوعظ تفوّقًا بالغًا ، حتى أن مستمعيه كانوا يعدّون بالآلاف ، منهم الخلفاء والوزراء والأمراء والعلماء والفقراء والنساء والصغار ... إلخ ، وأشار ابن الجوزي نفسه إلى أن الخليفة أمر بتقوية يده وإطلاقها في الوعظ لإرشاد الناس والقضاء على البدع .

وكان مؤلّعًا بالتأليف ، يرى أن الكتابة أكثر تأثيرًا وأوسع انتشارًا من المشافهة المحدودة بالمعاصرة ، وقد بالغ بعض من ترجموا له في إحصاء مؤلفاته ، فذكروا أنها تصل إلى الألف ، واتهمه آخرون بالتساهل والسطحيّة والوقوع في التناقض ووصفوا معارفه بأنها « كتيبة » مستمدة من الكتب والصحف .

وقد لاحظ أن الطابع الإخباري القصصيّ يغلب على معظم مؤلفاته ، مثل : أخبار الحمقى والمغفلين - تليس إبليس - المدهش - ذم الهوى - كتاب القصاص



والمذكرين ... ، ولا شك في أن التباس اتجاهه الوعظي بالأسلوب القصصي قد أدى إلى هذا الطابع الغالب ، كما أدى أيضا إلى تحرر أساليبه - إلى حد ما - من الاعتماد على السجع وغيره من وسائل الزخرف والتنميق .

واشتهر في علم التفسير بكتابة المسمى : « زاد المسير في علم التفسير » ، وفي الحديث بعدة كتب ، من أهمها « الموضوعات » في أربعة أجزاء ذكر فيه الأحاديث الموضوعية ، وفي التاريخ : المتنظم في تاريخ الأمم « يتدّى بأول الخليفة ، وينتهي بخلافة المستضيء بالله ، وفيه عناية بأخبار بغداد ، وقد رتبته على السنوات مثل الطبري ، فذكر في كل سنة أحداثها ومن توفي فيها من الأعيان مرتبين على حروف الهجاء ، ولابن الجوزي خمسون مقامة ، لكنه لم يجعل لها بطلا من الأدباء الشحاذين أصحاب الكدية ، واتجه بها - مثل الزمخشري - اتجاها وعظيا .

أما كتابه « صيد الخاطر » فذو طبيعة إنسانية أدبية متميزة ، فيه اعترافات وتأملات وسيرة ذاتية ورصد لتجارب البشر وما يمكن - عن طريق الاستيعاب لها والوعى بها - إفادته منها ، وفيه أيضا ميل واضح إلى الاستعانة بالقصص كقصص الحيوان وغيرها وتعويل على الحوار أحيانا ، بين المرء وذاته أوبينه وبين المخاطبين .

وفي بيان مكانته العالية قال عنه ابن جبير ، وقد حضر مجلس وعظه مرتين ، هو : « رئيس الحنبليّة ، والمخصوص في العلوم بالرّتبة العليّة ، إمام الجماعة ، وفارس حلّة هذه الصناعة ، والمشهود له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة ، مالك أزمّة الكلام في النظم والشر ... » ، ووصف إحدى مواعظه ، فقال في بيان أثرها في النفوس : « أتى برقائق من الوعظ ، وآيات بينات من الذكر ، طارت لها القلوب اشتياقا ، وذابت بها الأنفس احتراقا ، إلى أن علا الضجيج ، وتردّد بشهقاته النشيج ، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه تساقط الفراش على المصباح ... فشهدنا هولا يملأ النفوس إنابة وندامة ، ويذكرها هول يوم القيامة ... » .

\*\*\*

١ - من كتاب « صيد الخاطر » لابن الجوزي :

(أ) [ تلهية النفس والتلطف بها ] .

مرّبي حمالان تحت جذع ثقیل ، وهما يتجاوبان بإنشاد النعم ، وكلمات الاستراحة .  
فأحدهما يُصغى إلى ما يقوله الآخر ثم يعيده أويجيبه بمثله ، والآخر همته مثل ذلك .  
فرأيت أنهما لو لم يفعلا هذا زادت المشقة عليهما ، وثقل الأمر ، وكلما فعلا هذا  
هان الأمر .

فتأمّلت السبب في ذلك ، فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله الآخر ،  
وطربه به ، وإحالة فكره في الجواب بمثل ذلك ، فينقطع الطريق ، وينسى ثقل المحمول .  
فأخذت من هذا إشارة عجيبة ، ورأيت الإنسان قد حمل من التكليف أمورا صعبة ،  
ومن أثقل ما حمل مُدارة نفسه ، وتكليفها الصبر عما تحب ، وعلى ما تكره .

فرأيت الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية والتلطف للنفس ، كما قال الشاعر :

فإن تشكّث فعَلَّلَهَا المجرّة من

ضوء الصباح وعِذْها بالرواح ضحى

ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافى رحمة الله عليه<sup>(١)</sup> : سار ومعه رجل فى طريق  
فعطش صاحبه ، فقال له : نشرب من هذه البئر ؟ فقال بشر : اصبر إلى البئر الأخرى ، فلما  
وصلا إليها قال له : البئر الأخرى .

فما زال يعلّله ، ثم التفت إليه فقال له : هكذا تنقطع الدنيا .

ومن فهم هذا الأصل علّل النفس وتلطف بها ووعدّها الجميل لتصبر على ما قد حملت  
كما كان بعض السلف يقول لنفسه : والله ما أريدُ بمنعك من هذا الذى تُحِبُّن إلا الإشفاق  
عليك .

---

(١) بشر بن الحارث الحافى المروزي : من أشهر علماء الصوفية فى العراق ، توفى ٢٢٧ هـ / ٨٤١ م .

وقال أبو يزيد رحمة الله عليه : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك .

وأعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم ، وبذلك ينقطع الطريق ؛ فهذا رمز إلى الإشارة ، وشرحه يطول .

\*\*\*

(ب) [نداء العقل وحريق الهوى] :

من نازعته نفسه إلى لذة محرمة فشغله نظره إليها عن تأمل عواقبها وعقابها ، وسمع هتاف العقل يناديه : « ويحك لا تفعل ؟ فإنك تقف عن الصعود ، وتأخذ في الهبوط ويقال لك ابق بما اخترت » ، فإن شغله هواه فلم يلتفت إلى ما قيل له ، لم يزل في نزول .

وكان مثله في سوء اختياره كالمثل المضروب : أن الكلب قال للأسد : يا سيد السباع ، غير اسمي فإنه قبيح ، فقال له : أنت خائن لا يصلح لك غير هذا الاسم ، قال : فجزّيني ، فأعطاه شقة لحم وقال : احفظ لي هذه إلى غد وأنا أغير اسمك .

فجاع وجعل ينظر إلى اللحم ويصبر .

فلما غلبته نفسه قال : وأي شيء باسمي ؟ وما كلب إلا اسم حسن . فأكل ، وهكذا الخسيس الهمة ، القنوع بأقل المنازل ، المختار عاجل الهوى على أجل الفضائل .

فالله في حريق الهوى إذا ثار وانظر كيف تطفئه .

فربّ أوقعت زلّة في بئر بوار ، ورب أثر لم ينقلع ، والفائت لا يُستدرك على الحقيقة .

فابعد عن أسباب الفتنة ، فإن المقاربة محنة لا يكاد صاحبها يسلم والسلام .

\*\*\*

(ج) - [تأملات في الدنيا وآفات نعيمها] :

رأيت النفس تنظر إلى لذات أرباب الدنيا العاجلة وتنسى كيف حصّلت وما يتضمّن منها من الآفات .

وبيانُ هذا أنك إن رأيت صاحبَ إمارة وسلطنة فتأملت نعمته وجدتها مشوبة ، فإن لم يقصد هو الشرّ حصل من عمّاله .

ثم هو خائفٌ متزعجٌ في كلِّ أموره حذرٌ من عدوّ سيئه ، قلقٌ ممن هو فوقه أن يعزله ، ومن نظيره أن يكيدَه .

ثم أكثرُ زمنه يمضي في خدمة من يخافه من السلاطين ، وفي حساب أموالهم ، وتنفيذ أوامرهم التي لا تخلو من أشياء مُنكرة .

وإن عُزل أربى ذلك على جميع ما نال من لذة .

ثم تلك اللذة تكون مغمورة بالحذر فيها ومنها وعليها .

وإن رأيت صاحبَ تجارة رأيتَه تقطع في البلاد فلم ينل ما نال إلا بعد علوّ السنّ وذهاب زمان اللذة .

كما حكى أنّ رجلاً من الرؤساء كان حال شبيبته فقيراً ، فلما كبر استغنى وملك أموالاً واشترى عبيداً من الترك وغيرهم وجواري من الروم فقال هذه الأبيات في شرح حاله :

ما كنت أرجوه إذ كنت ابنَ عشرينا	ملكته بعد أن جاوزتُ سبعينا
تطوف حولي من الأتراك أغزلة	مثل الغصون على كُبان يَثرينا
وخرّد من بنات الروم رائحة	يُخكين بالحسنِ حور الجنة العينا
يغمزتنى بأساريح مُنعمّة	تكادُ تغقدُ من أطرافها لينا (٢)
يُرذن إحياء مَيّتٍ لا حراكَ به	وكيف يُخينَ ميئاً صار مَذفونا
قالوا أنينُك طولَ الليل يُشهرنا	فما الذي تشتكى قلتُ الثمانينا

---

(٢) ييرين : موضع يقال له رَمْل ييرين - الخرد : جمع الخريدة وهي البكر أو الحية المستسرة - العين : جمع عيناء وهي الواسعة العين - الأساريح يريد بها الأصابع .

وهذه الحالة هي الغالبة فإن الإنسان لا يكاد يجتمع له كل ما يحبه إلا عند قُرب رحيله ،  
فإن بَدَرَ ما يحب في بداية شبابه فالصَّبوة مانعة من فهم التدابير أو حسن الالتذاذ .

والإنسان في حالة الصَّبوة لا يدري أين هو إلا أن يُلُغ ، فإذا بَلَغ كانت هِمَّتُه في  
المنكوح كيف ما اتفق .

وإن تزوج جاء الأولاد فمنعوه اللذة وانكسر في نفسه وافتقر إلى الكسب عليهم ، فبينما  
هو قد دعك في تلك المدينة القريبة من الثلاثين وخطة الشيب فانفرق من نفسه لعلمه أن  
النساء يَنفَرِقن منه كما قال ابن المعتز بالله :

لقد أتعبت نفسي في مَشِيبي فكيف تُجَبِّني الغيدُ الكعابُ

وهكذا لا ترى المتمتع بالمستحسنيات ، إن وجدهن ، لم يجد ما لا يبلغ به المراد .  
وإن اشتغل بجمع المال ضاع زمنٌ تمتعه ، وإذا تمَّ المطلوب فالشيب أقبح قَذَى  
وأعظم مُبْغَض .

ثم إن صاحب المال خائف على ماله ، محاسب لمعامله ، مذموم إن أسرف وإن قتر .

ولده يرصد موته ، وجاريتته قد لا ترضى بشخصه ، وهو مشغول بحفظ حواشيه . (٣)

فقد مضى زمانه في مَجْن ، واللذات فيها خُلس معتادة لالذة فيها . (٤)

ثم في القيامة يُخْشَر الأمير والتاجر خزايا ، إلا من عصم الله .

فإياك إياك أن تنظر إلى صورة نعيمهم فإنك تستطيع لبُعْده عنك ، ولو قد بَلَغته كَرِهْتَه ثم  
في ضِمْنِه من محن الدنيا والآخرة ما لا يُوصف .

فعليك بالقناعة مهما أمكن ، ففيها سلامة الدنيا والدين .

---

(٣) يرصد : يرقب - حواشيه : أهله وخاصته .

(٤) الخُلْسَة : الفرصة .



وقد قيل لبعض الزهاد وعنده خُبز يابس : « كيف تَشْتَهِي هذا » ؟ فقال : « أتركه حتى أَشْتَهِيه » .

\*\*\*

( د ) - [ تأملت حالي ... ونفسي ] :

تأملْتُ أحوال الناس في حالة علو شأنهم ، فرأيتُ أكثر الخلق تَبِين خسارتهم حيثُ ، فمنهم من بالغ في المعاصي من الشباب ، ومنهم من فرطَ في اكتساب العلم ، ومنهم من أكثر من الاستمتاع باللذات .

فكلُّهم نادم في حالة الكِبَر حين فوات الاستدراك لذنوب سَلَفَت ، أو قُوِي ضَعُفَت ، أو فضيلة فاتتْ ، فيمضي زمان الكِبَر في حَسرات .

فإن كانت للشيخ إفاقة من ذنوب قد سلفت قال : « واأسفا على ما جَنَيْت » .

وإن لم يكن له إفاقة صار متأسفا على فوات ما كان يلتذ به .

فأما من أنفق عصر الشباب في العلم فإنه في زمن الشيخوخة يَحْمَد جَنَى ما غرس ويلتذ بتصنيف ما جمع ، ولا يرى ما يفقد من لذات البدن شيئا بالإضافة إلى ما يناله من لذات العلم .

هذا مع وجود لذاته في الطلب الذي كان تَأَمَّل به إدراك المطلوب .

وربما كانت تلك الأعمال أطيب مما نيل منها كما قال الشاعر :

أَهْتَرَزْ عِنْدَ تَمَنُّي وَضَلَّهَا طَرَبًا      وَرُبَّ أَمْنِيَةٍ أَحْلَى مِنَ الظَّفَرِ

ولقد تأملت نفسي بالإضافة إلى عشريني الذين أنفقوا أعمارهم في اكتساب الدنيا ، وأنفقت زمن الصبوة والشباب في طلب العلم ، فرأيتني لم يفثنى مما نالوه إلّا ما لو حصل لي ندمت عليه .

ثم تأملت حالي فإذا عيشي في الدنيا أجود من عيشهم ، وجاهي بين الناس أعلى من جاههم ، وما نلتُه من معرفة العلم لا يقاوم .

فقال لى إبليس : ونسيت تعبك وسهرك .

فقلت له : أيها الجاهل ، تقطيع الأيدي لا وقع له عند رؤية يوسف .

وما طالت طريقٌ أدت إلى صديق :

جَزَى اللهُ الْمَسِيرَ إِلَيْهِ خَيْرًا      وَإِنْ تَرَكَ الْمَطَايَا كَالْمَزَادِ

ولقد كنتُ فى حلاوة طلبى العلم ألقى من الشدائد ما هو عندى أخلى من العسل لأجل ما أطلب وأرجو .

كنت فى زمان الصبا آخذ معى أرغفةً يابسة فأخرج فى طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء .

فكلما أكلتُ لُقمةً شربت عليها ، وعينُ همتى لا ترى إلا لذةً تحصيل العلم .

فأثمر ذلك عندى أنى عُرفت بكثرة سماعى لحديث الرسول ﷺ وأحواله وآدابه ، وأحوال أصحابه وتابعيهم ، فصرت فى معرفة طريقه كابن أجود .

وأثمر ذلك عندى من المعاملة ما لا يدرى بالعلم ، حتى أننى أذكر فى زمان الصَّبوة ، ووقت الغُلْمة والعُزْبة (٥) قدرتى على أشياء كانت النفس تتوق إليها توقان العطشان إلى الماء الزلال ، ولم يمنعنى عنها إلا ما أثمر عندى العلمُ من خوف الله عز وجل .

ولولا خطايا لا يخلو منها البشر ، لقد كنتُ أخافُ على نفسى من العجب .

غير أنه عز وجل صاننى ، وعلمنى ، وأطلعنى من أسرار العلم على معرفته ، وإيثار الخلوة به ، حتى أنه لو حضر معى معروف وبشر (٦) لرأيتهما زحمة .

ثم عاد فغمسنى فى التقصير والتقريط حتى رأيتُ أقل الناس خيراً منى .

وتارة يُوقظنى لقيام الليل ولذة مناجاته ، وتارة يحرمنى ذلك مع سلامة بدننى .

---

(٥) الصبوة : الميل إلى اللهو - الغُلْمة : شدة الشهوة - العُزْبة : من ليس له زوج .

(٦) معروف الكرخى ( ت ٢٠٠ هـ ) وبشر الحافى ( ت ٢٢٧ هـ ) من مشاهير المتصوفة فى العصر العباسى الأول .

ولولا بشارَةُ العلم بأن هذا نوع تهذيب وتأديب لخرجت إِمّا إلى العُجب عند العمل ،  
وإِمّا إلى اليأس عند البطالة .

لكن رجائي في فضله قد عادل خوفي منه .

وقد يَغلب الرجاء بقوة أسبابه ، لأنني رأيتُ أنه قد رباني منذ كنت طفلاً ، فإن أبي مات  
وأنا لا أعقل ، والآن لم تلتفت إليّ . فركّز في طبعي حبُّ العلم .

وما زال يُوقّني على المهمّ فالمهمّ ، ويَحْمِلُنِي إلى مَنْ يَحْمِلُنِي على الأصوب ، حتى  
قوّم أمرى .

وكم قد قصدني عدوّ فصّده عني ، وإذ رأيتَه قد نصّرني وبصرني ودافع عني ووهب لي ،  
قوّى رجائي في المستقبل بما قد رأيت في الماضي .

ولقد تاب على يدي في مجالس الذكر أكثر من مائتي ألف ، وأسلم على يدي أكثر من  
مائتي نفس .

وكم سألت عين متجبرٍ بوعظي لم تكن تسيل .

ويحقّ لمن تلمح هذا الإنعام أن يرجو التمام .

وربما لاحت أسبابُ الخوف بنظري إلى تقصيري وزللي .

ولقد جلستُ يوماً فرأيت حولي أكثر من عشرة آلاف ما فيهم إلا من قد رَقَّ قلبه ،  
أو دمعت عينه ، فقلت لنفسي : « كيف بك إن نَجّوا وهلكت » ، فصحتُ بلسان وَجْدِي :  
« إلهي وسيدي إن قَضَيْتَ عليّ بالعذاب غدا فلا تعلمهم بعذابي صيانة لكرمك لا لأجلي ،  
لئلا يقولوا عَذَّبَ من دلّ عليه » .

إلهي قد قيل لنبيك ﷺ : « أقتل ابن أبي المنافق » ، فقال : « لا يتحدث الناس أن  
محمدًا يقتل أصحابه » ، إلهي فاحفظ حسن عقائدهم في بكرمك أن تعلمهم بعذاب الدليل  
عليك .

حاشك والله يارب من تكدير الصافي .

لا تَبْرِ عـودًا أنت ريشته  
حاشا لباني الجود أن يتقضا  
لا تعطش الزرع الذي نبثه  
بصوب إنعامك قد روضا

\* \* \*

هـ - [ علو الهمة ] :

ما ابتلى الإنسان قط بأعظم من علو همته . فإن من علّت همته يختار المعالي .  
وربما لا يساعدُ الزمان ، وقد تضعف الآلة ، فيبقى في عذاب .  
وإني أعطيت من علو الهمة طرفًا فأنابه في عذاب ، ولا أقول ليته لم يكن ، فإنه إنما  
يحلو العيش بقدر عدم العقل ، والعامل لا يختار زيادة اللذة بنقصان العقل .  
ولقد رأيتُ أقوامًا يصفون علو هممهم ، فتأملتها فإذا بها في فن واحد ، ولا يبالون  
بالنقص فيما هو أهمّ ، قال الرضيّ :  
ولكلّ جسم في النحول بليّة      وبلاء جسمي من تفاوت همّتي  
فنظرتُ فإذا غاية أمله الإمارة . وكان أبو مسلم الخراساني في حال شببته لا يكاد ينام ،  
ف قيل له في ذلك ، فقال : « ذهن صافٍ ، وهم بعيد ، ونفس تتوق إلى معالي الأمور ، مع  
عيش كعيش الهمج الرعاع » .<sup>(٧)</sup>

قيل : فما الذي يُبرّد غليلك . قال الظفر بالملك .

قيل : فاطلبه ، قال : لا يُطلب إلا بالأهوال .

قيل : فاركب الأهوال ، قال . العقل مانع .

قيل : فما تصنع ؟ قال : سأجعل من عقلي جهلا ، وأحاول به خطرًا لا يُنال إلا بالجهل ،  
وأدبر بالعقل ما لا يحفظ إلا به ، فإن الخمول أخو العدم .

(٧) الهمج : الرعاع من الناس لانظام لهم - الرعاع - بفتح الراء وضمها الغوغاء ، الواحد : رعاعة .

فنظرتُ إلى حال هذا المسكين فإذا هو قد ضيَّع أهمَّ المهمات وهو جانب الآخرة ،  
وانتصب في طلب الولايات . فكم فتك وقتل ؟ حتى نال بعض مراده من لذات الدنيا .

ثم لم يتنعم في ذلك غير ثمان سنين .

ثم اغتيل ، ونسى تدبير العقل ، فقتل ومضى إلى الآخرة على أقبح حال . وكان المتنبي

يقول :

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه      ومركوبه رجلاه والثوب جلده  
ولكن قلبا - بين جنبى - ماله      ملى يتهى بى فى مراد أخده  
يرى جسمه يكسى شُفوفاً تربه      فيختار أن يكسى دُرُوعاً تَهْدُه (٨)

فتأملت هذا الآخر فإذا نُهِمَّتْه فيما يتعلق بالدنيا فحسب (٩) .

ونظرت إلى علو همتى فرأيته عجباً ، وذلك أننى أروم من العلم ما أتيقن أنى لا أصل  
إليه ، لأننى أحب نيل كل العلوم على اختلاف فنونها .

وأريد استقصاء كل فن ، هذا أمر يعجز العُمرُ عن بعضه .

فإن عَرَّض لى ذوهِمَّة فى فن قد بلغ متناه رأيتُه ناقصاً فى غيره . فلا أعد همته تامة .

مثل المحدث فاته الفقه ، والفقيه فاته علم الحديث ، فلا أرى الرضى بنقصان من  
العلوم إلا حادثاً عن نقص الهمة .

ثم إنى أروم نهاية العمل بالعلم ، فأَتَوَّقُ إلى وَرَعٍ بِشْرٍ ، وزهادة معروف ، وهذا مع  
مطالعة التصانيف وإفادة الخلق ومعاشرتهم بعيد .

---

(٨) الميسور : ما تيسر - أخذه : أجعل له حذاً - الشُّفُوف : جمع شَفْت ، وهو الثوب الرقيق - تربته : تنميته وتنعمه .

(٩) النُّهْمَة : الحاجة أو الشهوة فى الشيء .



ثم إنى أروم الغنى عن الخلق ، وأستشرف الإفضالَ عليهم . والاشتغالُ - بالعلم مانعٌ من الكسب ، وقَبُولُ المِنِّ مما تأباه الهمةُ العالية .

ثم إنى أتوقُّ إلى طلبِ الأولاد ، كما أتوقُّ إلى تحقيقِ التصانيف ، ليبقى الخلفان نائبين عني بعد التلف ، وفي طلبِ ذلك ما فيه من شغلِ القلبِ المحبِّ للتفرّد .

ثم إنى أروم الاستمتاعَ بالمستحسّنات ، وفي ذلك امتناعٌ من جهة قلّة المال ثم لو حصل فرق جمع الهمة .

وكذلك أطلبُ لبدنى ما يصلحُه من المطاعم والمشارب ، فإنه متعوّد للترّفه واللّطف ، وفي قلّة المال مانع ، وكل ذلك جمع بين أضداد .

فأين أنا وما وصفته من حال من كانت غايةُ همته الدنيا .

وأنا لأحبّ أن يחדش حصولُ شيء من الدنيا وَجْهَ ديني بسبب .

ولأن يؤثرفى علمي ولا فى عملي .

فياقلقى من طلبِ قيام الليل ، وتحقيقِ الورع مع إعادة العلم ، وشغلِ القلب بالتصانيف . وتحصيل ما يلائم البدن من المطاعم .

ووا أسفى على ما يفوتنى من المناجاة فى الخلوة مع ملاقات الناس وتعليمهم .

ويا كدرَ الورع مع طلب ما لا بدّ منه للعائلة .

غير أنى قد استسلمت لتعذيبى ، ولعلّ تهذيبى فى تعذيبى ، لأن علو الهمة تطلب المعالى المقرّبة إلى الحقّ عزّ وجلّ .

وربما كانت الحيرة فى الطلب دليلاً إلى المقصود ، وها أنا أحفظ أنفاسى من أن يضيع منها نفس فى غير فائدة .

وإن بلغ همى مراده ... وإلا فنيّة المؤمن أبلغ من عمله .

\*\*\*

## ٢ - من « مقامات ابن الجوزى » .

فى حسن الصحبة والمدارة :

بِتُّ لَيْلَةً أَسِيرَ الْغُمُومِ فِي الْبَيْتِ ، وَقَلْبِي خَسِيرٌ بِالْهُمُومِ كَالْمَيْتِ ، فَطَرَقَ الْبَابَ كَفُّ طَارِقٍ ، وَقَالَ : « ضَيْفٌ » . فَقُلْتُ : « مَنْ لِي بِوَكْفٍ بَارِقٍ وَكَيْفُ ؟ » . فَدَخَلَ ذُوهُدَمَلٍ قَدْ شَسَفَ (١٠) ، فَقُلْتُ : « بَدْرُ لَيْلَتِي قَدْ خَسَفَ » . فَتَلَمَّحَ ضَيْقُ مَعَاطِنِي ، وَتَمَلَّحَ رَيْقُ بَاطِنِي . فَقَالَ : « يَا زَوَلُ أَنَا زَوْرُ (١١) ، وَالْقَوْلُ عَلَى الْبَوَاطِنِ جَوْرُ » ، فَأَفْرَدَتْهُ فِي صُفَّةٍ ، وَأَبْرَدَتْهُ فِي أَهْلِ الصُّفَّةِ ، فَاجْتَمَعَ لِلْبَرْدِ كَأَنَّهُ قُفَّةٌ (١٢) ، وَأَنْشَدَ :

إِيَّاكَ أَنْ تَزْدَرِيَ الرَّجَالَ فَمَا يُذْرِيكَ مَاذَا يُجْنُهُ الصَّدَفُ  
نَفْسُ الْكَرِيمِ الْجَوَادِ بَاقِيَةٌ فِيهِ وَإِنْ مَسَّ جِلْدَهُ عَجَفُ  
وَالْحُرُّ حُرٌّ وَإِنْ أَلَمَّ بِهِ الدُّهْرُ فَيَهِيهِ الْحَيَاءُ وَالْأَنْفُ (١٣)

فَصِخْتُ بِخَادِمِي : « يَا كَافُورُ » . فَقَدَّمْ لَنَا قِدْرًا تَقُورُ . فَقُلْتُ : « وَيَحْكُ (١٤) أَغْرَفُ » . فَأَعْرَضَ عَنَّا وَأَبَى ، وَلَمْ يَعْرِفْ لَنَا . فَقُلْتُ لِلشَّيْخِ : « أَسْمِعْنِي ذِمَّةَ فَالْكَلامُ يَشْفِي صَدْرِي ، فَقَدْ حَيَّرَنِي هَذَا الْغَلَامُ فِي أَمْرِي » . فَزَفَرَ الشَّيْخُ - لِمَا مَيَّزَ - زَفْرَةَ الْقَيْظِ ، وَكَانَ يَتَمَيَّزُ (١٥) مِنَ الْغَيْظِ . وَقَالَ : « تَعَلَّمْ عَلَى غَلَامِكَ كَظْمَ الْغَيْظِ » ، ثُمَّ بَادَاهُ فَنَادَاهُ .

أَكَا فَوْرُ قُبِّخْتُ مِنْ خَادِمٍ وَلَا قَتْلَكَ مُسْرِعَةً جَانِحَةٌ  
حَكَيْتَ سَمِيئَكَ فِي بُرْدِهِ وَأَخْطَأَكَ اللَّوْنُ وَالرَّائِحَةُ (١٦)

(١٠) الْوَكْفُ : سِيلَانُ الْمَاءِ وَقَطْرُهُ قَلِيلًا قَلِيلًا - الْهَذْمَلُ : الثَّوبُ الْبَالِي - شَسَفَ : يَيْسُ .

(١١) ضَيْقُ مَعَاطِنِي أَيُّ قَلَّةِ صَبْرِي وَحِيلَتِي ، وَالْمَعَاطِنُ : مَبَارِكُ الْإِبِلِ وَمَرَابِضُ الْغَنَمِ عِنْدَ الْمَاءِ - زَوَلُ : ظَرِيفٌ خَفِيفٌ جَوَادٌ - زَوْرُ : زَائِرٌ .

(١٢) صُفَّةٌ : بَهْوٌ وَاسِعٌ - أَهْلُ الصُّفَّةِ : فَقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِي كَانُوا يَأْوِنُونَ إِلَى الصُّفَّةِ وَهُوَ مَكَانٌ مَظْلَلٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ وَيُرْعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ الْفَقَّةُ : الزَّبِيلُ أَوِ الْمَقْطُفُ الْكَبِيرُ .

(١٣) يَجْنُهُ : يَسْتَرُهُ - عَجَفُ : هُزَالٌ - الْأَنْفُ : الْعِزَّةُ وَالْحَمِيَّةُ .

(١٤) وَيَحْكُ : كَلِمَةٌ تَرْحَمُ وَتَوَجَّعُ . (١٥) يَتَمَيَّزُ : يَتَقَطَّعُ .

(١٦) جَانِحَةٌ : مُصِيبَةٌ تَجْتَاكُ - سَمِيئَكَ : مَنْ يُوَافِقُكَ فِي الْأَسْمِ ، وَيَعْنِي بِهِ كَافُورُ الْإِنْخِشِيدِي (ت ٣٤٩ هـ) حَاكِمُ مِصْرَ ، وَكَانَ مَعْرُوفًا بِطَيْبِ الرَّائِحَةِ .

فاستسعدتُ أنا بخدمة ضَيْقِي ، وأعددتُ للخادم سَوَاطِي وَسَيْفِي . ثم دَعَوْتُ جماعة كانوا يُفْطِرُونَ عِنْدِي ، فَأَسْنَيْتُ طَعَامَهُمْ وَنَسَيْتُ عَدِي . ثم حَنَّ قَلْبِي إِلَيْهِ فَصَافَحْتُهُ ، وَعَفَوْتُ عَنْ جِنَايَةِ يَدَيْهِ وَسَامَحْتُهُ . فقال : منذ ساعة لَدَيَّ تَنَاصَيْتُمَا (١٧) ، ولكن عَلَامَ مَا تَوَاصَيْتُمَا .

من بعدِما دَبْدَبْتُ فِي دَسْتِكُمْ      وصِرْتُ مِنْ أَجْلِكُمْ شَنْعَهُ (١٨)  
أَخْرَجْتُمَانِي وَتَفَرَزْتُمَا      صَدَقْتُمَا قَدْ مَاتَتِ الصَّنْعَةُ

ثم قال : « الْعَجَلَةُ وَالنَّدَامَةُ قَرَسَا رِهَان » . ثم قال : « كَلَامُ فَرَسَا رِهَان » (١٩) . ثم جعل يقول : « لَا بَأْسَ بِمِدَارَاةٍ مِنْ تُقَاسِيهِ . فَإِنَّ الْعَفْوِيْلَيْنِ مِنْ قَاسِيهِ » . فلما أَكَلُوا تَنَاولُوا بِالْأَصَابِعِ ثم بِالرَّاحِ . وَشَغَلُوا جَمِيعَ الْمَسَامِعِ بِحَدِيثِ الْأَفْرَاحِ . فَنَاولَ الشَّيْخُ نَاقَةَ الْجُوعِ لُقَمَاتٍ ثُمَّ شَقَّ . وقال : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّرِّهِ وَالسَّنَقِ » (٢٠) . « فَقُلْتُ لَهُ : « فَمَا الَّذِي تُؤْثِرُ مِنَ الْحَلْوَى ؟ » قال : « السَّلْوَى » (٢١) . فَازْدَادَ مِنْهَا ، وقال : « لَا بَأْسَ ، فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً لِلنَّاسِ » . فلما فَرَّغَ فَغَرَّ فَاهُ بِالشُّكْرِ . فَقُلْتُ : « لَعَلَّكَ مَمَّنْ هَوَاهُ فِي السُّكْرِ » . فقال : « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كَلِمَةِ النُّكْرِ . إِنْ الشَّمُولُ (٢٢) تُبَدَّدُ شَمْلُ الدِّينِ ، وَلَيْسَتْ مِنْ شَأْنِ الْفُطْنَاءِ وَلَا الْمُهْتَدِينَ . كَمْ بَيْنَ مَعْرُوفٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ (٢٣) ! هَذَا كَاسٌ بِالزَّهْدِ ، وَذَاكَ شَانَتَهُ الْكَاسُ ، ثُمَّ مَا لُسُنٌ تَقْرُقُفُ وَالْقَرْقَفُ ؟ » ، فلما رَأَى الْآكِلِينَ قَدْ لَعِبُوا وَأَشْرُوا (٢٤) ، قال : « فإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا » (٢٥) ، ثُمَّ أَبَ لِيْذَهَبَ ،

(١٧) تناصوا أى أخذ بعضهم بنواصي بعض فى الخصومة .

(١٨) دبذب : صخب وأجلب - الدست : صدر المجلس - شنعة : فيح .

(١٩) يقال فى المثل : « هما كفرسى رهان » يضرب للمتساويين فى الفضل وغيره ، والراهان هو السباق -

والرهان الثانية بمعنى الشيء المرهون ، من الرهن .

(٢٠) السَّنَقُ : البَشْمُ وَالتُّخْمَةُ .

(٢١) السلوى : العسل .

(٢٢) الشمول : الخمر .

(٢٣) يعنى « معروفًا الكرخي » المشهور بزهده ( ت ٢٠٠ هـ ) وأبى نواس الحسن بن هانىء المعروف بالخلاعة

والمجون ( ت ١٩٨ هـ ) .

(٢٤) ترقف أى تصطك ثناياها بعضها ببعض من البرد - القرقف : الخمر - أشروا : مرحوا ونشطوا .

(٢٥) سورة الأحزاب (٥٣) .

فَقُلْتُ : « مَا فِيهَا مَذْهَبٌ ، قَدْ عَرَّضَ لِي أَنْ تَبِيتَ » ، فَقَالَ : « لَا عَرَّضَ لِي فِي الْمَبِيتِ » .  
 فَشَمَّرَ لِلرَّحِيلِ ذَيْلَهُ . فَقُلْتُ : « إِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ » . فَقَالَ : « إِنَّ شُكْرَ الْمَنِّعِمْ مُسْتَحَقٌّ ، وَلَكَ بِمَا  
 فَعَلْتَ حَقٌّ » . فَلَمَّا أَمْسَيْتُ أَسْمَيْتُ لِسَمْرَى خَلْقًا . فَزَهَزَقَ (٢٦) مِنِّي حَتَّى اسْتَلْقَى . وَقَالَ :  
 « أَتُفْنِي زَمَانَكَ فِي حَدِيثِ الْكَذَّابِينَ . لَقَدْ قَمْتُ فِي مَقَامِ غَيْبٍ غَيْبٍ (٢٧) . أَحْذَرُ مَنْ إِذَا  
 قُلْتُ : هَاتِ . جَاءَ بِتَرَاهَاتٍ » . (٢٨) فَقُلْتُ : « إِنْ الْمُحَدَّثُ يُحِبُّ الْحَدِيثَ » . قَالَ : « فَأَنَا  
 أَسْرُدُ عَلَيْكَ الْقَدِيمَ وَالْحَدِيثَ » . فَقُلْتُ : « أَنْسِنِي أَنْسَ الْأَفَّاكَ . وَحَدَّثْنِي لَا رَضًى (٢٩) اللَّهُ  
 فَاكَ » . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : « عِنْدِي مَسَائِلٌ » . فَقَالَ : « وَلَكَ عِنْدِي وَسَائِلٌ » . فَقُلْتُ : « وَكَيْفَ أَرْوِدُ  
 عِلْمَكَ » . قَالَ : « سَلْ وَأَخْضِرْ فَهَمَّكَ . وَقُلْ مَا بَدَا لَكَ . وَقَدْ بَدَا لَكَ » . قُلْتُ : « يَغْتَرِبُنِي  
 غَمٌّ ، لَا أَجِدُ مِنْهُ مَخْلَصًا وَيَأْخُذُنِي هَمٌّ » .

فَقَالَ : مَنْ عَصَى قُرْعَ بَعْصَا ، وَمَنْ هَمَّ عُوقِبَ بِهِمْ .

قُلْتُ : مَا تَقُولُ فِي صُحْبَتِهِ الْإِخْوَانُ ؟

فَقَالَ : وَهَلْ بَقِيَ إِلَّا خَوَّانٌ . فَعَاشِرِ النَّاسَ بِالظَّاهِرِ وَالْإِعْلَانِ ، وَلَا تُطَالِبْهُمْ بِخُلُوصِ  
 السَّرَائِرِ وَالْجُسْمانِ ، فَقَدْ دَخَلَ الْمَخْلُصُونَ فِي خَبَرِكَانٍ .

هَمُّومُ زَمَانِي فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ      وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقُ مُسَاعِدُ  
 نَصِيرُ كُرُوحٍ بَيْنَ جَسْمَيْنِ فُرَّقَا      فِجْسَمَاهُمَا جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدُ

قُلْتُ : أَوْ أَعَاشِرُ مَنْ ذَا وَقْتِهِ .

قَالَ : نَعَمْ بِأَشْرَفِ مَاذَا وَقْتِهِ . إِنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ الصَّحِيحَ لَمْ تَجِدْ ، وَإِنْ طَالَبْتَ الشَّحِيحَ لَمْ  
 يَجِدْ (٣٠) .

(٢٦) زَهَزَقَ : ضَحَكَ ضَحْكًا شَدِيدًا .

(٢٧) غَيْبٍ : ضَعِيفُ الرَّأْيِ .

(٢٨) تَرَاهَاتٍ : أَبَاطِيلُ وَأَقْوَالُ خَالِيَةٌ مِنْ كُلِّ نَفْعٍ .

(٢٩) رَضًى : دَقٌّ وَكُسْرٌ .

(٣٠) لَمْ يَجِدْ : لَمْ يَسْخُجْ وَلَمْ يَبْذُلْ .



دَعِ المرءَ مطوياً على ما ذَمَّتْهُ      ولا تنشرِ الداءَ العضالَ فتُدَمِّما  
إذا العضو لم يُؤْلَمَكَ إلا قَطَعْتَهُ      على مضضٍ لم تُبقِ لحمًا ولا دَمًا  
وَيَحْكُ إنَّ العاقلَ يُدارى كلَّ شَخْصٍ بما يصلحُ له ، فإنَّ صُحْبَةَ العاقلِ للبهائمِ  
أُحوجتِ الفصح أن يقول للذُّباب : كِشْ (٣١) .

ثم قال : كلَّ صاحبٍ يُخالط ، فالواجبُ عليه أن يُنزِلَ الأصحابَ بمنزلة الشَّعر ، فإنَّ منه  
ما يُكْرَمُ ويُخْدَم ولا يُنْحَى كشعر الرأس ، ومنه ما يُقَصُّ إذا طال كالشارب ، والباقي  
يُسْتَأْصَل ، الصديقُ الصَّدوقُ لا يحتاجُ إلى مُداراة ، كحلوى السكر تحركُها في فيك وقد  
عبرت ، ومن المعاشرين كلحم البقر يُتْعَب الإنسانُ في مَضِغِهِ والمَعِدَّةُ في هَضْمِهِ ، ومنهم  
كالْفُجَل لا يَنْهَضِمُ أَضْلاً ، وأنشد :

لا تَرْكَنْنَ إلى هذا الزمان ولا      أبنائه سِاعةً واستعمل الحذار  
فإنَّ أَيْتَ فَجَرَّبَ مَنْ تَعاشِرُهُ      حتَّى يقولَ لك التجريبُ : كيف ترى ؟  
الصاحبُ كالرُّقعة في الثَّوبِ إذا لم تُشَكِّلْهُ شانتَه (٣٢) ، وأنشد :

أَرى حُلًّا تُصانُ ولا تُهانُ      وأَغراضًا تُهانُ ولا تُصانُ  
يقولون الزمانُ به فَسادٌ      وهُمُ فسادُوا وما فَسادَ الزمان

قلت : إن أصدقائي يُطْرُونِي حتَّى يطغُونِي .

قال : مَنْ وَصَفَكَ بما ليس فيكَ فقد هَجَاكَ .

قلت : وَيَبْلُغُنِي عَنْهُمْ ما لا يَصْلُحُ .

فقال : عَوْرَةُ الجاهلِ بَيْنَ فَكِّهِ .

---

(٣١) قوله « كِشْ » لعله صوت للزجر .

(٣٢) تشاكله : تشابهه وتمائله - شانتَه : عابته .



قلت : فإن وَجَدْتَ صديقًا مُخلصًا .

قال : ومن لك بِعَنْقَاءِ مُغْرِبٍ (٣٣) .

يا مَنْ يَرُومُ صديقَ صِدْ	قِي بَعْدَ مَا فَتَدَ الْأَنَامُ
ذَهَبَ الصديقُ وصارَ حُلْ	مًا مِثْلَ ما ذَهَبَ الْكَرامُ
فَتَعَزَّ عَمَّا فَاتَ مَنْ	— هُ فليس يُوجدُ والسَّلامُ

ثم قال : وَيَحْكُ كَانِ النَّاسُ أَصْدَقَاءَ فَدَخَلُوا فِي خَيْرِ كَانِ .

قلت : فما سببُ ذلك الصِّفَا ؟

قال : تساوى الصِّبَابَةُ .

قلت : ومتى تَتَسَاوى ؟

قال : إذا تشاكَلتُ جواهرُ الْأَصُولِ . ويَحْكُ الصديقُ الصَّدُوقُ ثَانِي النَّفْسِ وَثَالِثُ الْعَيْنِ ، لِقَاؤُهُ رُوحَ الْحَيَاةِ ، وفراقُهُ سُمَّ الْحَيَاتِ ، كم كان لى أنا من أخٍ جَرَّبْتَهُ فلم يَصْلُحْ لى حُبِّهِ ، ففتحت الْبُزَالَ (٣٤) .

طلبتُ صديقًا فى الْبَرِّيَّةِ كُلِّهَا	فَأَعْيَا طِلَابِي أَنْ أُصِيبَ صَدِيقًا
بلى مَنْ تَسَمَّى بالصديقِ عِبَارَةً	ولم يك فى معنى الْوَدَادِ صَدُوقًا
فَطَلَّقْتُ وَدَّ الْعَالَمِينَ صَرِيمَةً	فَأَصْبَحْتُ مِنْ أَشْرِ الْوَدَادِ طَلِيقًا (٣٥)

ثم قال : رَبِّ صُورِ لِلرَّائِي تَرُوقُ ، وَإِنَّمَا فى المعانى الْفُرُوقُ .

---

(٣٣) عَنْقَاءُ مُغْرِبٍ : طائر وهمى لم يره أحدٌ يُتَعَدُّ فى طيراته ، يضرب به المثل فى طلب المحال الذى لا يُنال .

(٣٤) الْبُزَالُ : الموضع الذى يخرج منه الشراب المَبْزُولُ - ومن معانى « الْحُبِّ » : وعاء الماء كالزير والجرة .

(٣٥) الصرِيمة : العزيمة أو القطيعة .

فلا تُغش ولا تُخدَعك بارقةً      من ذى خِداعٍ يُرى بِشراً وألطافاً  
فلو فلَّيت جميعَ الناسِ قاطبةً      وسِرَّتْ فى الأرضِ أوساطاً وأطرافاً (٣٦)  
لم تلقَ فيها صديقاً صادقاً أبداً      ولا أخاً يئذُلُ الإنصافَ إنْ صافى  
قلت : فإنْ رأيتَ من إخوانى مُنْكَراً .

فصاح : أنْصَحْ إنْ صَحَّ .

قلت : فما بالُ هذه النفسِ كرهتْ دخولَ البدنِ ثم كرهتْ الخروجَ .

فقال :

نزلنا كارهينَ لها فلما      أَلْفَنَاهَا خَرَجْنَا مُكْرَهِينَا  
وما حُبُّ الديارِ بنا ولكن      أَمْرُ العَيشِ فُرْقَةٌ مَن هَوِينَا  
ثم جعل يترنم :

ولولا هوى الأوطانِ ما حَنَّ نازح

ولولا لقاءُ الإلفِ ما أنَّ مُفْرَد

فقلت : ما بالُ الكبيرِ يَعْلَمُ قُرْبَ الرَّحِيلِ ، وأملُهُ طَوِيلُ ؟ !

فقال : لو كُشِفَ الغِطاءُ عن العواقبِ مات الحرْصُ والأَمَلُ ، ولهما أَجَلُ .

قلت : إني لأَقْنَعُ بالبُلْغَةِ وعندى شَرُّهُ (٣٧) .

فقال : لو قنعتَ ما رَهَنْتَ دارَ القلبِ على شَهْوَةٍ ، وسَلَّمْتَ كُتُبَ الأَصْلِ .

فقلت : ما بالُ الأعرابِ يَعْشَقُونَ ولا يَفْسُقُونَ .

قال : كان الحبُّ فى القلبِ فانتَقَلَ إلى المَعِدَةِ .

---

(٣٦) فلَّيت : نظرت متأملاً .

(٣٧) البلغة : ما يكفى لسد الحاجة ولا يفضل عنها .

قلت : كُلُّ الزُّهَّادِ غَرَسُوا أَشْجَارَ الْمُعَامَلَةِ فِي بَسَاتِينِ الْمَعْرِفَةِ فَلَمَّا ذَا عَلَا ذِكْرُ مَعْرُوفٍ ؟  
فقال : معروف ركب (٣٨) .

قلت : بلغنى أنه كان لا يلزم للزهد ناموسا (٣٩) .

قال : فهذه طريق محمد وعيسى وموسى ، أما علمت أنه من رمى عن رأسه قلنسوة التعظيم تواضعا ردها القدر بحبل ، من نزل فى بئر الدالية صعد له الماء (٤٠) .

قلت : فما سرُّ المُرَّاثى ؟

قال : دعا باسم ليلى غيرها (٤١) .

قلت : قد أطلت عليك فقنم ونم .

فقال : ما نحن فيه ألزم وأهم .

قلت : ما رأيت أكثر ممَّا عندنا من البراغيث .

فقال : ذلك لأن البرى غيث (٤٢) ، وأنشد :

يَالْبِلَّةَ بَاتَتْ بِرَاغِيْثُهَا      تَرْقُصُ إِذْ غَنَّى لَهَا الْبَقْ

فَكَدْتُ مِنْ حَزْنِي بِأَفْرَاحِهِمْ      أَنْشَقْتُ لَوْلَا الصُّبْحُ يَنْشَقُ

فسكت لئلا أمتعه النوم ، ووددت أن ليلتى كانت ألف يوم ، فلما أصبح خرج يسحب الدلائل (٤٣) ، فأزعجنى فراقه إزعاج الزلازل ، فحلفت له ألّوفا ، لقد خلقت ألّوفا ، أيمكن أن أضحك أو أن تُقيم ، وتأملته فإذا هو أبو التَّقْوِيم ، فقال : لا بُدَّ مِنَ الرَّحِيلِ ، وإن لم اختر بُعدك .

فقلت : لا كانت الدنيا بُعدك .

---

(٣٨) ركب أى نحت مثل القلم من شجرة ، وغرس فى أخرى ، ليجبىء الشرجيدا .

(٣٩) من معانى « الناموس » : القانون والشرعة أوييت الراهب .

(٤٠) الدالية : الأرض تُسقى بالدلو أو الناعورة يديرها الماء .

(٤١) مما ينسب إلى مجنون بنى عامر قوله :

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما      أطار بليلى طائرا كان فى صدرى

(٤٢) البرى : التراب .

(٤٣) الدلائل : أسافل القميص الطويل .



## ابن مَمَاتِي

( ٥٤٤ - ٦٠٦ هـ / ١١٤٩ - ١٢٠٩ م )

أبو المكارم القاضي الأسعد أسعد بن القاضي الخطير أبي سعيد مهذب بن مينا ، وُلد نحو سنة ٤٥٤ ، وهو سليل أسرة قبطية من أسبوط في صعيد مصر ، هاجرت إلى القاهرة في القرن الخامس ، وكان جدها الأعلى جوهرية ، استطاع أن يبت في الأبناء والأحفاد القدرة على رعاية الأموال ، فتوالوا على نظارة دواوينها في الدولتين الفاطمية والأيوبيه ، واعتنقت الأسرة الإسلام في عهد آخر الخلفاء الفاطميين العاضد عندما أسند الوزارة إلى أسد الدين شيركوه .

تولّى نظارة دواوين المال والجيش للسلطان صلاح الدين وزيره القاضي الفاضل ، وكان مقرباً منهما ، مما جعله على خصومة مع الصفيّ بن شكر ، فلما تولّى الوزارة في عهد الملك العادل انتقم من ابن مَمَاتِي ، وخافه هذا ، فهرب إلى حلب سنة ٦٠٤ ، والتحق بخدمة أميرها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ، وبقي في خدمته إلى أن توفى .

وكان شاعراً ، ولكن ديوانه لم يصل إلينا ، ويبدو أن معظمه مقطعات قصيرة ، مع ما عرف به من مطوّلات في نظم سيرة صلاح الدين ونظم كليله ودمنة شعرا ، والظنّ أنه كان ناثراً أفضل منه شاعراً .

صنّف عدداً من الكتب اعتمدت على اختصار المؤلفات المشهورة ، كما اعتمد بعضها الآخر على المختارات الأدبية سار فيها على نهج الثعالبي في كتبه ، ومن مصنفاته « الشيء بالشيء يذكر » ، ويقال إن القاضي الفاضل أعجب به ، وسماه سلاسل الذهب . وتقوم شهرة ابن مَمَاتِي في العصر الحديث على كتابين له ، أولهما : « قوانين الدواوين » وفيه معلومات غاية في الأهمية عن الأحوال الاقتصادية والإدارية في مصر آنذاك ، وثانيهما : « الفاشوش في حكم قراقوش » الذي سخر فيه من الأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي ، الذي أنابه صلاح الدين على مصر عندما غادرها إلى الشام لمواصلة حروبه ضد الصليبيين ، وكان في الرجل قسوة جعلت المصريين يكرهونه ، وقد أفلح الكتاب في تشويه صورة قراقوش ، حتى صار مثلاً للحاكم الظالم الجاهل إلى يومنا هذا ، وجعلت الناس يضيفون من تأليفهم قصصاً أخرى إلى ما في الكتاب .

\*\*\*



أورد العماد الأصبهاني جزءاً من رسالة إخوانية لابن مماتي صور فيها فراقه لأحد أصدقائه ، وأثنى عليها العماد ، فقال إنها « من نُورِ نثره البديع ، ونُورِ فجره الصديق ، وغُررِ دُرره النصيحة ، ودَرارى غُرره الصنعة »<sup>(١)</sup> ، ومما ورد في هذه الرسالة :

« فَصَلْتُ عَنْهُ فِي أَخْرِيَاتِ النَّهَارِ ، وَقَدْ ظَهَرَ فِي أَطْرَافِ الْجُدُرَانِ لَفَرْقٌ<sup>(٢)</sup> فِرَاقِ الشَّمْسِ اصْفِرَارٌ ، فَلَمَّا ذَهَبَ ذَهَبُ الْأَصِيلِ بِنَارِ الشَّفَقِ ، وَلَبِثَ الْمَشَارِقُ السَّوَادَ لَمَّا تَمَّ فِي الْمَغَارِبِ عَلَى الشَّمْسِ مِنَ الْفَرْقِ ، وَأَقْبَلَتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ فِي طَلَبِ النَّارِ ، كَدْرَاهِمِ النَّارِ<sup>(٣)</sup> ، وَتَشَابَهَتْ زَوَاهِرُهَا ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي الْأَشْجَانِ بِالْأَزْهَارِ فِي الْأَشْجَارِ ، وَتَكَلَّفَ الْقَمَرُ الْمَوَافِقَةَ فَظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ الْكَلْفُ<sup>(٤)</sup> ، وَمَرَّتْ بِهِ طَوَالِجُ النُّجُومِ فَلَمْ يَسْتَخْبِرْهَا حَسِداً فَأَغْرَبَ عَنْ غَدْرِ الْخَلْفِ بِالسَّلَفِ ، وَظَهَرَ الْوُجُومُ فِي وُجُوهِ النُّجُومِ ، وَعِيلَ صَبْرُ النَّسْرِينَ<sup>(٥)</sup> ، فَوَاحِدُ طَائِرٍ يَحُومُ ، وَآخِرُ وَاقِعٍ لَا يَقُومُ ، وَلَمْ تَزَلْ مُتَلَا حِقَّةً مُتَسَابِقَةً لَتَقْفُوا الْآثَرَ وَتَسْمَعَ الْخَبَرَ ، إِلَى أَنْ بَدَأَ سَوَسَنُ الْفَجْرِ وَلاَحَ ، وَابْتَسَمَ ثَغْرِ الصَّبَاحِ عَنِ الْأَقَاحِ<sup>(٦)</sup> ، وَكَادَ ثَعْلَبُهُ يَأْكُلُ عُنُقُودَ الثُّرَيَّا ، وَبَرَزَتْ الْغَزَالَةُ مِنْ أَسْرِ الْكِنَاسِ طَلْقَةَ الْمُحْيَا<sup>(٧)</sup> ، وَتَرَاءَتْ الْوُجُوهُ ، وَزَالَ مَا زَالَ بَغْيَبَتِهَا مِنَ الْمَكْرُوهِ ، وَأَخَذَتْ النُّجُومُ بِالْحِظِّ مِنَ الطَّرَبِ ، بِمَقْدَارِ مَا قَدَّمَتْهُ مِنَ الْحِضِّ فِي الْطَلَبِ ، وَانْخَرَطَتْ فِي سُلُوكِ شَعَاعِهَا نِظَامًا ، وَزَادَ خَوْفُهَا مِنْهَا عَلَى رَجَائِهَا فِيهَا ، فَذَابَتْ إِكْبَارًا لَهَا وَإِعْظَامًا » .

\*\*\*

---

(١) النُّورُ : الزهر - الصديق : المنسق نورا - النصيحة : الناصعة - الصنعة : البديعة .

(٢) فرق : جزع وخوف .

(٣) النُّارُ : ما يشر على العروس في الزفة من الدراهم ، أو ما يشره الأمراء على من يقصدونهم .

(٤) الكلف : ما يعلو وجه القمر أحيانا من كدره .

(٥) النسران : نجمان أحدهما يسمى النسر الطائر ، والثاني يسمى النسر الواقع .

(٦) أقاح : جمع أقحوان ، وهونيت زهره أبيض وورقه كأسنان المنشار ، وهو الأراولة ، ويشبه به الأسنان .

(٧) الغزالة : الشمس - الكناس : بيت الغزال في الشجر يستتر به - طلقة المحيا : بشة الوجه .

واستهلّ ابن ممّاتى كتابه « الفاشوش » بقوله :

« إننى لما رأيتُ عقلَ بهاء الدين قراقوش حُزْمَةَ فاشوش ، قد أنْلَفَ الأُمَّةَ ، والله يكشفُ عنهم كلَّ غُمَّةٍ ، لا يَقتدى بعالمٍ ، ولا يَعْرِفُ المَظْلُومَ من الظَّالِمِ ، والشَّكِيَّةُ (٨) عنده لمن سَبَقَ ، ولا يَهْتَدِي لمن صَدَقَ ، ولا يَقْدِرُ أَحَدٌ من عَظَمَ مَنْزِلَتِهِ أن يَرُدَّ كَلِمَةً وَيَشْتَطَّ اشْتِطَاطَ الشَّيْطَانِ ، ويحكم حكماً ما أنزلَ اللهُ به من سُلْطَانٍ ، صَنَّفْتُ هذا الكتاب لصلاح الدين ، عسى أن يُريحَ منه المسلمون . »

\* \* \*

---

(٨) الشكّية : ما يُشكلى منه .



## على ابن ظافر الأزدي المصري

( ٥٦٧ - ٦١٣ هـ / ١١٧١ - ١٢١٦ م )

هو أبو الحسين على بن ظافر بن الحسين المالكي ، قرأ على والده الأصول ، وتفقه على يديه ، وبرع في الأدب ، واهتم بالتاريخ وأخبار الملوك ، وحفظ من ذلك جملة وافرة ، وتعرف في أثناء الطلب على القاضي الفاضل ، وصحبه زمناً ، كما تعرف على ابن ممتاى الكاتب صاحب المصنفات الكثيرة .

تولى التدريس بمدرسة المالكية بمصر بعد أبيه ، وعمل بالكتابة في دواوين الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين الذي تولى مصر بعد وفاة أبيه ، واتصل بالملك العادل وكتب لابنه الأشرف موسى ، وتولى وزارته زمناً ، وذهب معه إلى بعض البلاد الشرقية ، ثم اعتزل خدمة الأشرف موسى ، وعاد إلى القاهرة وتفرغ للعمل والأدب مدة بمصر في عهد الملك الكامل بن العادل .

ومن مؤلفات ابن ظافر : ذيل المناقب النورية (قدمه لصلاح الدين ) ، أساس السياسة ، أخبار الشجعان ، مكرمات الكتاب ، كتاب من أصيب ممن اسمه على ( وابتدأ بعلى رضى الله عنه ) ، أخبار الملوك السلجوقية ، نفائس الذخيرة لابن بسام ( قيل عنه إنه لم يكمل ، ولو كمل ما كان في الأدب مثله ) .

وله أيضاً كتاب « الدول المنقطعة » ، يتألف من أربعة مجلدات ، وهو مفيد جداً في بابه ، ففيه يذكر تاريخ الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والساجيين والعباسيين حتى سنة ٦٢٢ ، ومما قاله في مقدمة حديثه عن أخبار الدولة الحمدانية : « هذه الدولة من أرفع الدول عماداً ، وأثبتها أوتاداً ، وبيت أربابها من أنه بيوت العرب ذكراً وأعلامها قدراً ... » .

ومن أشهر مؤلفاته « بدائع البدائ » ، ألفه للقاضي الفاضل ، وجمع فيه ما قاله بعض الشعراء من معاصريه على البديهة ، واشتمل على أخبار نادرة عن هؤلاء الشعراء ، مثل : ابن ممتاى وابن قلاقس وابن شيث ، قال في مقدمته : « ... اجتمع لى من أخبار الشعراء وبدائهم جزء أحكم ترتيبه ، وهديت تبويبه ، وسَمَّيته بدائع البدائ ، وربَّيت الأخبار في كل باب منه على ترتيب الأعصار ... فلما رأى [ الفاضل ] ما اجتمع منه سُربُه واغبط ،

وأكرم نُزلته فاعتبط ، وشرقنى على صغرسنى ، ونضارة غصنى ، بأن أنتسخه لخزائنه ، وحباه بحفظه وصيائنه .

ويعد كتابه « غرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات » من أوائل الكتب البلاغية التى ألّفت فى مصر - إن لم يكن أولها - وهو فى ستة أبواب: أولها فى تشبيه الأجرام العلوية ، والثانى فى تشبيه المياه والأنهار ، والثالث فى تشبيه الأنوار والأثمار والنبات ، والرابع فى التشبيه الواقع فى الخمريات ، والخامس فى التشبيه الواقع فى الغزل ، والسادس فى تشبيهات مختلفة ، وقدم ابن ظافر الكتاب إلى الملك الأفضل على بن صلاح الدين سنة ٥٨٤ تقريباً بعد أن فرغ من حصار عكا صحبة السلطان ، وكان الأفضل شاباً محباً للأدب والأدباء ، شاعراً جمع إليه لفيفاً من الشعراء والكتاب ممن وفدوا إلى السلطان الناصر ( ومن أشهر هؤلاء الوافدين ضياء الدين بن الأثير الذى أتى من الشام ، وجعله الأفضل كاتبه ووزيره ) ، ويقول ابن ظافر فى مقدمة كتابه فى حماسة الشاب المعجب بنفسه : « لم أزل فى كلّ أوان وزمان أسمع من أوصاف المآثر الملكية الأفضلية والمناقب النورية السلطانية ما تتأرجح بذكره المحاضر ، ويفتن به البادى والحاضر ، وأشهد من مآثره ما تشنى عليه الخناصر .. وخدمت مقامه بهذا الكتاب ، الذى ما أظنّ قريحة أتت بمثاله فيما سلف من الزمن ، ولا أظنّ أن أحداً يجمع مثله فيما بعد ... » .

وكان ممن ينظمون الشعر بديهة وارتجالاً ، ذكر بعضاً منه فى كتابه « بدائع البدائى » ، ولكن أكثره - فيما بدا - لم يبلغ درجة الإتقان ، ولم ينبج من التسهّل والتكلّف .

وقد وصفه بعض من ترجموا له ، فقالوا : « كان متوقّداً الخاطر ، طلق العبارة ، ومع تعلّقه بالدنيا له ميل كثير إلى أهل الآخرة ، محبّاً لأهل الدين والصلاح ، أقبل فى آخر عمره على مطالعة الأحاديث النبوية ، وأدمن النظر فيها » .

\*\*\*



من كتاب : « بدائع البدائ » :

قال على بن ظافر : كنتُ في بعض العشايا بالقرافة (١) ، أنا والأعزبن المؤيد - رحمه الله - في منزلٍ قد انعطفت قُدود أشجاره ، وابتسمت ثغور أزهاره ، وذاب كافور مائه على غُبر طينه ، ومدّت بكاسات الجلنار (٢) بنان غصونه ، والنسيم قد خفت فاعتلّ ، وسقط رداؤه في الماء فابتلّ ، ووهت قواه فضعفت عن السير ، واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير ، فاقترح علينا أصحابُ لند كانوا معنا أن نصنع في صفة تلك العشية على هذه القافية ، فقال الأعز :

جاء النسيم إلى الغُصون رسولا  
ومشى يجرُّ على الرِّياض ذبولا  
فقلت :

نشوان يَغُشِر في الخمائل عابثا  
بالزهر مبلول الرِّداء عيلا  
فقال :

فمايلت قاماتها فكأنما  
شربت بكاسات الشمال شُمولا  
فقلت :

فكأنه قد هزَّ رايات له  
خُضْرًا وسلَّ من المياه نُصولا  
فقال :

قد أطلعت من زهرها غررًا ومن  
جاري المياه يسوقها تخجلا  
فقلت :

تحكى العرائس في القلائد للشرى  
لبست خلاخل فضة وحجولا  
فقال :

ضحكت مباسم زهرها ولطالما  
بكيّت بدمع الهاطلات طويلا

(١) القرافة : مقبرة مصر ، وبها قبر الشافعي رحمه الله ( انظر : القاموس المحيط ، مادة « قرف » ) .

(٢) الجلنار : زهر الرُّمان .

فقلت :

وبدا عليها الجلنار كأنه وجنات خُودٍ سُمْتُها التَّيْلَ (٣)

فقال :

سَلْتُ عليهنَّ البُروقَ صوارمًا فكسوتها منه دَمًا مَطْلُولًا (٤)

فقلت :

وتناظرت أطيارها فيه وقد إكثرنَ قالًا في الهديل وقيلًا

\* \* \*

قال علي بن ظافر : ومررت أنا وهو رحمه الله يوما بدولاب يثن أنين ثكالي فقدت أطفالها ، والنواعج أضلت آفاله (٥) ، ويبكى بكاء صَبَّ آلمه هَوَاهُ ، وصارمة من يهواه ، وفرق البين بينه وبين محبوبه فراقًا لا يرجى انقطاعه ، ولا يمكن استرداد ما سلبه منه ولا استرجاعه ، فقلبه قد ملأته أوجاعه ، وجفنه قد ضاق مجراه عن دمه فتفتحت به أضلاعه ، فقلت :

وساقية تئن أنين ثكلى شكت بأنينها حرَّ الأوار (٦)  
فقال :

تحنُّ ولا تزال تطوفُ غجلى كرازمة تحنُّ إلى حُوار (٧)  
فقلت :

غدث تحكى محبًا ذا انتحاب يطوفُ باكيًا فى رَسْمِ دارٍ  
فقال :

حكث فلکما لجلب اللُّهودارث عليه من قوادسه درارى

\* \* \*

---

(٣) الخُود : الفتاة الشابة الحسنة الخلق ، وقيل الجارية الناعمة .  
(٤) المطلول : مهتر .  
(٥) الدولاب : آله كالناعق تديرها الدابة ليستقى بها - النواعج : الإبل البيض الكريمة - آفال : جمع أفيل وهو الصغير من الإبل .  
(٦) الثكلى : من فقدت ولدها .  
(٧) الكرازمة : الناقة حين تحن على ولدها - الحوار : ولد الناقة الصغير .

وَبَصُرْنَا بِسَاقِيَةٍ تَتَلَوَّى تَلَوًى الْأَفْعَوَانَ ، وَتَخْفِقُ خَفَقَاتِ قَلْبِ الْجَبَانَ ، وَالزَّهْرُ قَدْ نَظَمَ  
بَلَبَّتْهَا عَقُودًا فَوْقَ أَثْوَابِهَا الْمَمْسُكَةِ ، وَالنَّسِيمُ يَكْسُوهَا وَيَلْبِسُهَا غَلَائِلَ مَفْرَكَةٍ ، فَقُلْتُ : (٨)

\* أَسَاقِيَةٌ أَمْ أَقَمَّ فَرَّهَارِيَا \* (٩)

فَقَالَ :

\* أَمْ الرِّيحُ قَدْ هَزَّتْ مِنَ الْمَاءِ قَاضِيَا \*

فَقُلْتُ :

حَصَى مِثْلَ دَرِّ الثَّنَجْرِ أَجْرَى زَلَالَةٍ رُضَابًا وَأَبْدَى نَبْتَهُ النَّضْرِ شَارِيَا (١٠)

فَقَالَ :

يُوشِحُهَا زَهْرُ الرِّيَاضِ قَلَائِدًا وَيُلْبِسُهَا مَرَّ الرِّيَاحِ جَلَائِيَا

\* \* \*

قال عليّ بن ظافر: أخبرني أيضا هو وشهاب الدين يعقوب المقدّم ذكره بما هذا معناه :  
قالا : جلسنا في بعض الأيام لاجتماع زهر المحادثة ، واقتناء دور المناقفة ، فسمعنا صوت  
شبابية تذكر الأشيب الهرم زمان الشبية ، وتحرك من الخرف الهم غزله وتشبيهه ، وصوتها  
أشجى من أنين المشتاق لفرط الأشواق ، وأرق من نوح العشاق عند عزم الفريق على  
الفراق ؛ فقال شهاب الدين :

\* وَشَبَابِيَّةٌ شَبَّتْ لَظَى الشَّوْقِ فِي قَلْبِي \*

فَقَالَ الْأَعَزُّ :

\* تَذَكَّرْنِي عَهْدَ الصَّبَابَةِ وَالْحَبِّ \*

---

(٨) اللَّبَّة : موضع القلادة من العنق - ممسك : مطيب بالمسك - غلائل : ثياب رقيقة - مفركة بمعنى مصبوغة .

(٩) الأرقم : ذكر الحيات .

(١٠) الزلال : الماء العذب البارد - الرضاب : رغبة العسل أو قطع السكر ، ويقال : ماء رضاب أي عذب .

فقال شهاب الدين :

\* حبشنى على بُعد بترجيّعها الهوى \*

فقال الأعزّ :

\* فأخيت فؤادى المستهام على قُرب \*

\* \* \*

ومما وقع من بدائع البدائه من غير اقتراح ما :

روى من أن مرة بن محكان السعدى سعد تميم ، قدم بين يدى مصعب بن الزبير أيام ولايته العراق لأخيه عبد الله بن الزبير - وأظنّ ذلك بعد وقعة الحرّة ، ودخول مصعب البصرة - فأمر رجلا من بنى أسد بقتله ، فقال مرة بن محكان بديها :

بنى أسدٍ إن تقتلونى تُحاربُوا      تميما إذا الحربُ العوانُ أشمعلت (١١)  
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة      يياك على الدنيا إذا ما تولت

\* \* \*

أنبأنى العماد أبو حامد ، أخبرنى أبو على الحسن بن سعد الشاتانى ، قال لى نجم الدين بن الشهرزورى قاضى الموصل ؛ دخل إلى شاب من أهل بغداد فأنشدنى هذه الأبيات :

فى نهر عيسى والهواء مُعَبَّرٌ      والماء فضى القميص صقيل (١١)  
والطير إمّا هاتفٌ بقرينه      أونادب يشكو الفراق ثكول  
والدّهر كالليل البهيم وأنتم      غرر تضىء ظلامه وحجول  
واستجازنى فقلت :

والغصن مهزوز القوام كأنما      هبت عليه من الشمال شمول  
وكانما السّرو التحفّن بسندس      ورقصن فارفعت لهنّ ذيول

\* \* \*

(١١) العوان : التى قوتل فيها مرة بعد أخرى - أشمعلت : أسرع .

(١٢) نهر عيسى بن على بن عبد الله بن العباس : كورة وقرى كثيرة وعمل واسع فى غربى بغداد ، يعرف بهذا الاسم - صقيل : مجلّو .

قال علي بن ظافر: واتفقت لي وللقاضي الأجل شهاب الدين يعقوب سفرة إلى البيت المقدس للتبرك بما هناك من البقاع المقدسة، والمشاهد المعظمة، وأحداث الأنبياء المباركة الطيبة؛ فلما جد بنا المسير، وسهل من فراق الأهل والأوطان العسير، وقطعت المطايا بنا الربا والوهاد، ولم يسمع إلا هيد وهاد (١٣)، صنع الشهاب:

يارب سير كالشهاب المخرق  
قد خُتِه من زئد عود أورد  
يسير في الخرق مسير الأخرق (١٤)  
فهل رأت عيناك عدو النقي (١٥)  
حتى إذا ما افرَّ ثغر المشرق

ثم استجازني فقلت:

ولاح في الجو أحمرار الشفق  
كالخمر صبَّت في زجاج أزرَق  
بدا على الآل قطار الأيتنق (١٦)  
كمثل سطر في ياض مهرق (١٧)  
أو كالمداري في مَشيب المفريق (١٨)  
أوبازل في بحر كالزورق  
أو كهلال مشرق من زئرق

\* \* \*

(١٣) هيد وهاد أي حركة.

(١٤) الخرق: الصحراء الواسعة - الأخرق: البعير النجيب. (١٥) النقي: ذكر النعام.

(١٦) الأيتنق: جمع الناقة - وقطارها أي سيرها على نسق واحد، بعضها خلف بعض.

(١٧) مهرق: صحيفة بيضاء. (١٨) المداري: جمع منرى وهو ما يسرح به الشعر المتلبّد.



وهذه أيضًا حكاية بديعة ، تشتمل على نوعي الإجازة : القديم والعصري ، قصدت بإيرادها في هذا الموضع أن تكون دهليزًا للخروج من القسم الأول ، والدخول في القسم الثاني لما بينهما من الاشتراك فيها :

رُويَ من طرق مختلفة كتبتُ أكملها وأتمها ، أن الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر ارتاح إلى منادمة مَنْ بَعْدَ عهده بمنادمته ، أو من لم يره ، وحضره صاحبه الحسن بن محمد ابن طالوت - وكان أخَصَّ الناس به - فقال له : لا بد لنا في يومنا هذا من ثالث ، نطيب بمعاشرته ، ونلتذ بصحبته ومؤانسته ، فمن ترى أن يكون طاهر الأعراق غير دنس الأخلاق ؟ فأعمل فكره ، وأمعن نظره ، وقال : أيها الأمير ؛ قد خطر بيالي رجل ليست علينا في مجالسته كُلفة ، قد خلا من إبرام المجالسة ، وبريء من ثقل المؤانسة ، خفيف الواقعة إذا أحبيت ، سريع الوثية إذا أمرت ، قال : ومن ذاك ؟ قال : ماني الموسوس ، قال : أحسنت والله . فتقدم إلى أصحاب الأرباع بطلبه ، فما كان بأسرع من أن اقتنصه صاحب ربّع الكرخ ، فصار به إلى باب الأمير . فأدخل الحمام ، وأخذ من شعره ، وألبس ثيابًا نظيفًا ، ثم أدخل عليه ، فقال : السلام عليك أيها الأمير ؛ فقال : وعليك السلام يا ماني ، ألم يَأْنِ أن تزورنا على حين تَوْقَانِ مِنَّا إليك ، ومنازعة قلوبنا نحوك ! فقال ماني : الشوق شديد والمزار بعيد ، والحجاب عتيد والبواب فظ ، ولو سهل الإذن لسهلت علينا الزيارة ، قال : لقد ألطفت في الاستئذان ، فلا تُمنع في أيّ وقت جئت من ليل أو نهار ! ثم أذن له فجلس ، ثم دعا بالطعام فأكل ، ثم غسل يده وأخذ مجلسه ، وكان محمد قد تشوق إلى السماع من « تنوسة » جارية ابنة المهدي ، فأحضرت ، فكان أول ما غنت :

ولست بناس إذ غَدَوَا فتحملوا      دُموعي على الأحباب من شدة الوجد  
وقولي وقد زالت بلبيل حُمولهم      بواكر تخدي : لا يكن آخر العهد (١٩)

فقال ماني : أحسنت والله ، بحق رأس الأمير إلاما زدت فيه :

أقمت أناجى الفكر والذمغ حائر      بمقلة موقوف على الجهد والصد  
ولم يُغِدني هذا الأمير بعزّه      على ظالم قد لج في الهجر والصد

(١٩) الحُمُول : جمع الجمل وهو اليعر عليه الهودج - تخدي : تسرع .

قال : ومن أعجب ما ذهبت به ورُميت ، إلا أن الله يفضلُه نصرًا ، وأعطى الظَّفَر ، وأعان خاطري الكلِيل ، حتى مضى مَضَاءُ السَّيْفِ الصَّقِيل ، أنى كنت فى خدمة مولانا الملك العادل خَلَدَ الله ملكه بالإسكندرية ، سنة إحدى وستمائة ، مع من ضمته حاشية العسكر المنصور من الكتاب ، ودخلت سنة اثنتين ونحن مقيمون بالخدمة ، مرتضعون لأفاويق النعمة ، (٢٠) فحضرت مع مَنْ حضر للهناء ، من الفقهاء والعلماء والمشايخ والكبراء ، وجماعة الديوان والأمراء ، فى يوم من أيام الجلوس للأحكام ، والعرض لطوائف الأجناد بالتَّمام ، فلم يبق أحد من أهل البلد ولا من العسكر ، إلا حضر مهتًا ، ومثل شاكِرًا وداعيًا . فلما غَصَّ المجلس بأهله ، وشرِقَ بجمع الناس وحفله ، وخرجَ مولانا السلطان - خَلَدَ الله ملكه - إلى محله ، واستقرَّ فى دَسْتِهِ ، أخرج كتابًا ناوله إلى الصاحب الأجل صفى الدين أبى محمد عبد الله بن على وزير دولته وكبير حملته ، وهو مفضوض الختام ، مفكوك القِدام ، ففتحَه فإذا فيه قطعة وردت من المولى الملك المعظم - أبقاه الله - كتبها إليه يتشوقه ويستعطفه لزيارته ويرققه ، ويستحث عَوْدَ ركابه إلى الشام للمثاغرة بها وقمع عدوِّها ، ويعرِّض بذكر مصر وشدة حرِّها ووقد جمرها ، وذلك بعد أن كان وصل إلى خدمته بالثغور ثم رَجَعَ :

أزوى رِمَاحَكَ من دمَاءِ عِدَاكَ	وانهبْ بخيلِكَ مَنْ أطاعَ سِوَاكَ
واركبْ خيولًا كالسَّعَالَى شُرْبًا	واضربْ بسيفِكَ من يشقَّ عَصَاكَ (٢١)
واجلبْ من الأبطال كلَّ سَمِيدِعٍ	يقزى بعزمِكَ كلَّ من يشنَّاكَ (٢٢)
واسترعِف السُّمَرَ اللَّدَانِ ورؤُهَا	واسقِ المنيَّةَ سيفَكَ السَّفَاكَ (٢٣)
وسِرَّ الغداةَ إلى العُدَاةِ مبادِرًا	بالضربِ فى هامِ العدوِّ دِرَاكَ (٢٤)
وانكحْ رِمَاحَكَ للثغور فإنَّهَا	مشتاقَةٌ أن تُبَتِّى بُعْلَاكَ
فالعزُّ فى نضْبِ الخيامِ على العدا	تُرَدِّى الطفَّاءَ وتذفَعُ المُلَاكَ

(٢٠) الأفاويق بمعنى اللبن .

(٢١) السعالى : الغيلان - شرب : ضامرة .

(٢٢) سميدع : شجاع - يشنأك : يكرهك .

(٢٣) استرعف السمر اللدان : استنزل الدم من الرماح المتقضة لبنة الحركة والمهزة .

(٢٤) هام : رهوس - دراك : متتابعة .

والنصرُ مقرونٌ بهمتك التى  
فإذا عزمْتَ وجدتَ من هو طائعٌ  
والنصر فى الأعداء يوم كريبه  
والعجز أن تُمسى بمصرٍ مُخيماً  
فأرخ حُشاشتك الكريمة من لظى  
فلقد غدا قلبى عليك بخرقه  
وانهض إلى راجى لِقاك مُسارعاً  
وابرد فؤادَ المستهام بنظرة  
واشفِ الغداة غليلَ صبٍّ هائمٍ  
فسعدتى بالعادل الملك الذى  
فبقيت لى يا مالكى فى غبطةٍ  
قد أصبحت فوق السَّمَاءِ سَمَكا (٢٥)  
وإذا نهضت وجدتَ من يخشاك  
أحلى من الكأس الذى رؤاك  
وتحلّ من تلك العِراضِ عُراكا (٢٦)  
مصرٍ لكى نحظى الغداة بذاكا  
شَغَفًا ، ولا حَرَّ البلاد هُناكا  
فمنأى من كلِّ الأمور لِقاك  
وأعدْ عليه العيش من رؤاك  
أضحى مُناه من الحياة مُناكا  
ملك الملوك وقارن الأفلاك  
وجعلتُ فى كلِّ الأمور فِداكا

فلما تلا الصاحبُ على الحاضرين حكم آياتها ، وجَلَّ منها العروس التى حازت من  
المحاسن أبعدَ غاياتها ، أخذوا فى استحسان نظامها ، وتناسق غريب التثامها والثناء على  
الخاطر الذى نظم محكم آياتها ، وأطلع من مشرق فكره آياتها . فقال السلطان - خلد الله  
ملكه : نريد من يجيب عنها بأبيات على قافيتها . فالتفت مسرعاً إلىّ وأنا على يمينه  
وقال : يا مولانا ، مملوكك فلان وهو فارس هذا الميدان ، والمعتاد للتخلص فى مضايق  
هذا الشأن . ثم قطع وصلاً من دُرج كان بين يديه ، وألقاه إلىّ ، وعمد إلى دواته فأدارها بين  
يدىّ ، فقال السلطان - خلد الله ملكه - : على مثل هذه الحال ؟ قال : نعم ، أنا جرّيته  
فوجدته متقدّ الخاطر حاضر الذهن ، سريع إجابة الفكر . فقال السلطان : وعلى كلِّ حال ، قم  
إلى هاهنا لتكفّ عنك أبصار الناظرين ، وتنقطع غاغاء (٢٧) الحاضرين . وأشار إلى مكان

(٢٥) السماء : نجم نير .

(٢٦) العراض : الساحات - عرا : جمع عروة وهى مدخل الزر من الثوب .

(٢٧) كذا والغوغاء : الصوت والجلبة .

عن يمين البيت الخشب الذى هو منفرد به فقامت وقد فقدت رجلتي انخرالا (٢٨) ، وذهنى اختلالا ، لهيئة المجلس فى صدرى ، وكثرة من حضره من المترقبين لى ، المنتظرين حلول فاقرة (٢٩) الشماتة بى . فما هو إلا أن جلست حتى تاب إلى خاطرى ، وانتال الشعر على ضمائرى ، فكنت أرى فكرى كالبازي الصيود ، لا يرى كلمة إلا أنشب فيها منسره (٣٠) ، ولا معنى إلا شك فيه ظفره ، فقلت فى أسرع وقت :

وصلت من المليك المعظم تحفة	ملأت بفاخر دُرّها الأسلاك
أبيات شعر كالنجوم جلاله	فلذا حكّت أوراقها الأفلاك
عجبا وقد جاءت كمثل الرّوض إذ	لم تُذوها بالحر نار دكا
جلت الهموم عن الفؤاد كمثل ما	تجلو بغمرة وجهك الأخلاك (٣١)
كقميص يوسف إذ ضفت يعقوب	رياه ، شفتى مثله رياءكا
قد أعجزت شعراء أهل زماننا	حسنا فلم لاتعجز الأملاك !
ما كان هذا الفضل بمكن مثله	أن يحتويه من الأنعام سواكا
لم لا أغيب عن الشّام وهل له	من حاجة عندي وأنت هناكا !
أم كيف أخشى والبلاد جميعها	محمية فى جاه طعن قناكا
يكفى الأعدى حرباً بك فيهم	أضعاف ما يكفى الولي نذاكا
ما زرت مصر لغير ضبط ثغورها	فلذا صبرت فديت عن رؤياكا
أم البلاد عالا عليها قذرها	لا سيما منذ شرفت بخطاكا

(٢٨) انخرال : تناقل وتفكك .

(٢٩) فاقرة بمعنى داهية .

(٣٠) المنسر للبازي وغيره من الجوارح كالمنقار لغير الجوارح .

(٣١) لم تذوها : لم تجعلها تذيل وتضعف - الذكا والذكاء : اللهب أو الجمرة الملتهبة - الحلكة والحلك :

شدة السواد .



طابث وحق لها ولم لا وهى قد  
أنا كالسحاب أزور أرضاً ساقياً  
مكثى جهاد للعدو لأنسى  
لولا الرباط وفضله لقصدت بالـ  
ولئن أتيت إلى الشام فإنما  
إنى لأمنحك المحبة جاهداً  
فافخر فقد أصبحت بى وبأسك الـ  
لازلت تقهر من يعادى ملكنا  
وأعيش أنظر إنك الباقي أبداً  
حوت الملقى فى الفخار أخاكا  
حيناً وأمنح غيرها سقياكا  
أغدوه بالرأى السديد دراكاً  
سير الحثيث إليك نيل رضاكا (٣٢)  
يحتشنى شوقى إلى لثياكا  
وهواى فيما تشتهيه هواكا  
حامي وكل مملك يخشاكا  
أبدًا ، ومن عاداك كان فداكا  
وتعيش تخدم فى السعور أباكاً

ثم عدت إلى مكاني ، وقد بيضتها وحليت بزهرها ساحة القرطاس الأبيض وروضتها ،  
فلما رآنى السلطان - خلد الله ملكه - قد عدت قال : أعملت شيئاً ؟ ظناً منه أن العمل فى  
تلك اللوحة متعذر ، وبلوغ الغرض فيها غير متصور ، فقلت : نعم ، فقال : أنشدنا . فصمت  
الناس وحدقت الأبصار ، وأصاحت الأسماع ، وظن الناس بى الظنون ، وترقبوا منى ما يكون .  
فما هو إلا أن توالى إنشادى حتى صفقت الأيدى إعجاباً ، وتغامزت الأعين استغراباً ، وحين  
انتهيت إلى ذكر مولانا الملك الكامل بأنه الملقى إذ ضربت قداحهم ، وسردت أمداحهم ،  
اغرورقت عيناه لذكره ، وبان منه مخفى المحبة فأعلن بسرّه ، وحين انتهيت إلى آخرها فاض  
دمعه ولم يمكنه دفعه ، فمدّ يده مستدعيًا للورقة ، فناولتها إلى يد صاحب ، فناولها  
له ثم نهض .

وإنما حمل صاحب على هذا الفعل الذى غرّبنى فى التعريض له ، أمور كان يقترحها  
على فأنفذ فيها بين يديه ، ويخف الأمر منها على ، لدالتى عليه ؛ منها أننى كنت معه فى

(٣٢) حثيث : مسرع .



سنة تسع وتسعين وخمسمائة بدمشق ، فورد كتاب من الملك المنصور محمد بن الملك المظفر تقي الدين صاحب حماة ، وقد بعث صحبته نسخة من ديوان شعره ، فتشاغل بتسويد كتابة جوابه ، فلما كتب بعضه التفت إلى وقال : اصنع أبياتاً أكتبها إليه في صدر الجواب ، وأذكر فيها شعره ، فقلت له : على مثل هذا الحال ؟ قال : نعم . فقلت : بقدر ما أنجز بقية النسخة :

أَيَا مَلِكًا قَدْ أَوْسَعَ النَّاسِ نَائِلًا	وَأَغْرَقَهُمْ بِذَلَا وَعَمَّهُمْ عَذَلًا
فَدَيْنَاكَ هَبْ لِلنَّاسِ فَضْلًا يَزِينُهُمْ	فَقَدْ حُزَّتْ دُونَ النَّاسِ كُلُّهُمْ الْفَضْلًا
وَدُونَكَ فَاْمَنْحَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْحِجَا	كَمَا مَنَحْتَهُمْ كَفُّكَ الْجُودَ وَالْبَدَلًا
إِذَا حُزَّتْ أَوْفَى الْفَضْلِ عَفْوًا فَمَا الَّذِي	تَرَكْتَ لِمَنْ كَانَ الْقَرِيضُ لَهُ شُغْلًا !
وَمَاذَا عَسَى مِنْ ظَلٍّ بِالشَّعْرِ قَاصِدًا	لِبَابِكَ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ قُلٌّ أَوْجَلًا
فَلَا زِلْتَ فِي عَزِيدٍ وَرَفْعَةٍ	تَحُوزُ ثَنَاءً يَمَلَأُ الْوَعْرَ وَالسَّهْلًا

وقال ابن ظافر في كتاب « أخبار الدولة الحمدانية » يتحدث عن الأمير سيف الدولة :

أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمدان هو أصغر من أخيه ناصر الدولة ، وكان في أول أمره مسعوداً بسعادته متصرفاً على إرادته إلى أن دخلت سنة خمس وعشرين [ وثلاثمائة ] ، فمن تلك السنة انفرد بديار بكر ، والسبب في ذلك أن علي بن باجعفر الديلمي لما استأمن إلى ناصر الدولة كما ذكرناه ، ووافق علي بن علي بن خلف بن طياب سأله أن يوليه الجزيرة عن إخراج ما كرد منها ، فقال : « إن الجزيرة معدن أملاكنا ومحط ضياعنا ومسقط رؤوس أهلنا ولا حاجة لك بها ، ولكن هذه ديار بكر فيها أحمد بن نصر القشوري في عدة قليلة فخذ جيشاً وامض إليها وأخرجه عنها ، فإنني أقلدك إياها » ، وبعث معه جيشاً ، فانصرف ابن نصر ودخلها علي بن باجعفر وسكن آرزن وأقام الدعوة لناصر الدولة ، وهو مع ذلك يحصن البلد ويستكثر الرجال والأجناد ، فتمى الخبر إلى ناصر الدولة فلم يأمن شره وكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، فأبى وأظهر العصيان ، فندب ناصر الدولة عند ذلك أخاه سيف الدولة إلى حربه ، وقال له : « متى فتحتها يعني ديار بكر ، وقبضت على هذا الديلمي ملكتك بلادها

وقلاعها من غير أن تحمل عنها الخليفة ولا غيره ، فسار سيف الدولة إليها في ألف فارس فتحصن منه على بن با جعفر في قلعة آرزن ، وهي المعروفة بحصن العيون ، فنزل تحتها على النهر المعروف بشريط ، وبنى في معسكره بناء كثيرا ، وسارت إليه العساكر والحشود وصدق القتال ، فأخرج الديلمي أكثر من معه في الحصن لنقل المؤونة عنه ، وبعث بحاجبه بدر الجستاني إلى ابن ترنيق ملك أرمينيا وسائر بطارقتها يستنجد بهم على سيف الدولة ، ويخبرهم أنه متى حصلت البلاد له لم يطيقوا مجاورته ، واستأمن رجل من الحصن إلى سيف الدولة فأخبره بخبر الحاجب ، فرصده عند عودة فقبض عليه وأحضر بين يديه ، فأمر به فشهر في العسكر ، وبلغ ابن با جعفر الخبر فأنكسر قلبه ، وفست نيات أكثر أصحابه عليه ، فراسل سيف الدولة يسأله أن يؤمنه على أن يمضي إلى مدينة السلام ، أو يبقى في خدمته ، فأجابه وحلف له فنزل وسلم إليه القلعة ، فوفى له ، وأقام في خدمته إلى أن استأمن له ابن رائق ، وملك سيف الدولة بعد ذلك جميع بلاد أرمينية وما جاور بلاد بكر (٣٣) من الران ، ثم ملك حلبا وانتزعها من يد الإخشيد ، ثم قلده بعد ذلك الثغور الجزيرية ، وهي : طرسوس (٣٤) وعين ذربة (٣٥) والمصيصة (٣٦) وما جاورهم من الثغور من غير أداء مال عن شيء مما بيده من الأعمال ، لأنه رحمه الله كفى المسلمين أمر الروم ، واعتنق حربهم ، فافتنع منه بذلك ، وكان له مع الروم نحوًا من أربعين وقعة وقعت له وعليه ، وكان بعيد الهمة صادق العزيمة شجاعًا يلقي الأمور بنفسه ، وكان شاعره أبو الطيب المتنبى بمدحه في كل غزاة ويذكر وقائعه ، ويقال إن الدمستق كان يقول : « بلينا بشاعر كذاب ، وأمير خفيف الركاب » ، وكان لسيف الدولة خمسمائة غلام أقران لهم بأس وشدة إذا حمل بهم في أي جيش كان خرقه ، وكانت سنه خمس وعشرة عند ولايته لأخيه ناصر الدولة ديار بكر في أيام المقتدر ، فنهض مع أخيه وظهرت شجاعته وشهامته ، وكان أديبًا فاضلاً وله مقاطع أشعار حسنة في أغراض لائقة بمثله ، منها ما أنشده له الثعالبي في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمع فيه :

(٣٣) بلاد بكر : هي بلاد كبيرة تنسب إلى بكر بن وائل وحدها ما غرب من دجله إلى نصيبين .

(٣٤) طرسوس مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب ، هي في تركية الآن .

(٣٥) عين ذربة : بلد بالثغر من نواحي المصيصة .

(٣٦) المصيصة : هي مدينة على شاطئ جيجان من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس .

وساقٍ صبيحٍ للصبُّوح دعوتُهُ  
يطوفُ بكاساتِ العقارِ كأنَّجُمَ  
وقد نَصَرَتْ أيدى الجنُوبِ مطارفاً  
وطرَّزها قوسُ الغمامِ بأضفيرِ  
كأذيالِ خُودٍ أَقْبَلَتْ فى غلائلِ  
وقال أيضاً :

فقامَ وفى أجفانه سِنَّةُ الغَمَضِ  
فَمِنْ بَيْنِ مُنْقَضِ عَلَيْنَا وَمُنْقَضِ  
على الجُودِ كُنَّا والحواشى على الأرضِ  
على أحمرِ فى أخضرٍ فوق مُبَيَضِ  
مُصَبَّغَةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

أَقْبَلَهُ عَلَى جَزَعِ  
رَأَى مَاءَ فَاطْعَمَهُ  
وصادفَ فرصةً فدنا

كشرب الطائر الفزع  
وخاف عواقب الطمع  
ولم يلتذ بالجزع

ويحكى أنه كان لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم لا يرى الدنيا إلا بها ، ويشفق  
من الريح الهابة عليها ، فحسدها سائر حظاياه على قرب محلها منه ، وأزمعن إيقاع مكروه  
بها من سمٍّ أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك فأمر بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على  
روحها ، وقال :

راقبتنى العيون فيك فأشفقُ  
ورأيتُ العذول يحسدننى فيـ  
فتمنيتُ أن تكونننى بعيداً  
ربَّ هجرٍ يكون من خوف هَجَرِ  
وأنشد ابن خالوية (٣٧) لسيف الدولة :  
تجننى على الذنب والذنبُ ذنبه  
وأعرض لما صار قلبى بكفِّه  
إذا برِّمَ المولى بخدمة عبده

تُ ولم أخلُ قط من إشفاقِ  
ك مجداً يا أنفس الأعلاقِ  
والذى بيتنا من الودِّ باقِ  
وفراقٍ يكون خَوْفُ الفِراقِ  
وعائبكى ظُلماً وفى نفسه العُتبُ  
فهلَّا جفانى حين كان لى القلبُ !  
تجننى له ذنباً وإن لم يكن ذنب

(٣٧) ابن خالوية : هو الحسين بن أحمد بن خالوية أبو عبد الله لغوى من كبار النحاة أصله من همدان استوطن  
حلب (ت ٣٧٠ هـ / ٩٨٠ م) .

قال بعض المؤرخين : ومن عجيب النقد على الشعراء نقد سيف الدولة أبي الحسن على بن حمدان ملك العواصم والديارين وهو أحد ملوك الإسلام جلاله ونبله وشرفه وشجاعة وكرما وحلما وحزما وعزما على أبي الطيب لما أنشده قصيدته التي أولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

وفرغ منها ، قال : يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك قولك فيها :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ      كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
تَمَرُّبِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً      وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمِ  
كما انتقد على امرئ القيس قوله :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذَّةِ      وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ  
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَوِيَّ وَلَمْ أَقْلُ      لَخَبْلَى كُرَى كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالِ (٣٨)

فما كان ينبغي لامرئ القيس أن يركب القسم الأخير من بيته الأول وتركيب القسم الآخر من بيته الأول على القسم الأول من بيته الثاني فيقول :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ      لَخَبْلَى كُرَى كَرَّةً بَعْدَ أَجْفَالِ  
وَلَمْ أَسْبَأِ الرِّقَّ الرَوِيَّ لِلذَّةِ      وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَالِ  
فيقرن لذة الشرب بلذة النكاح وركوبه الجواد بأمره خيله بالكر فذلك كان ينبغي أن تركب هذين البيتين فتقول :

وَقَفْتُ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لَوَاقِفِ      وَوَجْهُكَ وَضَّاحٌ وَتَغْرُكُ بِاسْمِ  
تَمَرُّبِكَ الْأَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً      كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
حتى يتألف المدح بتيقن الموت ، مع توضيح الوجه وتبسم الثغرويتألف البيت الثاني حين تذكرت انهزام الأبطال وكلمهم مع السلامة ، فتقول حيثئذ : « كأنك في جفن الردى » .

(٣٨) سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها .



فقال أبو الطيّب : أعزّ الله سيدنا إن كان الذي انتقد على امرئ القيس أعلم منه فقد لزمه تغيير بيته ولزمني ، ومولانا يعلم أن القزاز يعرف الثوب أكثر من معرفة البزاز (٣٩) لأن القزاز يعرفه جملة وتفصيلا ، وكذلك الشاعر يعرف الشعر أكثر من معرفة الراوى ، فأما امرؤ القيس فإنه أراد أن يذكر أن يلتذ بركوب الخيل فقرن بين لذته بركوبها ، وبين لذته بتبطين الكواعب ، إذ كان مركبى الحرب والسلام ، وأراد فى البيت الثانى ، أن يجمع بين سروره بطرب الشرب ، وبين سروره بطرد العدو ، فقرن وكذلك عبدك لما ذكر الوقوف مع تيقن الموت ذكر الحلول فى جفن الردى وهونائهم ، فجمع بين إطفاء الردى وبين غفلته عنك ، ثم لما ذكرت فى البيت الثانى ، مرور الأبطال كلمى هزيمة ، وكان من عادة كل من ضاق عطنه (٤٠) وقلّت شجاعته ، إذا رأى أصحابه منهزمين كلمى أن يعبس لخوفه من الهلاك فقلت :

### ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسمٌ

فاستحسن سيف الدولة كلامه وأمر له بخمسمائة دينار .

ومن جملة غزوات سيف الدولة غزاة سنة ست وعشرين خرج فى ذى القعدة منها ، حتى صار إلى حصن دارم ووجه الحسن بن على القواس فى سرية إلى حصن التلّ وسار سيف الدولة إلى حسن زياد (٤١) ، فشارف فتحه وأقام عليه تسعة أيام ووافاه الدمستق فى مائتى ألف فانكفأ راجعاً يطلب شمشاط وخيول الروم تسايه فتزل ضيعة تعرف بالمقدمية ، وهمّ بمناجزة الروم ، ثم تطيّر باسمها فسار ، فلما كان يوم النحر وصل إلى موضع بين حصنى سلام وزیاد فتفّاءل بأسمائها .

ووقف وأقبلت عساكر الروم ، وانقطع منها موكب قد أجازوه فى نحو عشرين ألف فارس ووقع القتال وحمل سيف الدولة فى غلمانها وغلّامه يمال ، وعبد الأعلى بن مسلم فهزم الله الروم ، وأسر سبعين بطريقاً ، ولم يزل القتال والأسر فيهم إلى الليل ، وأخذ سرير الدمستق وكرسيه .

(٣٩) القزاز: ناسج القز وباتعه ، والقز هو الحرير من الثياب - البرّاز: بائع البرّ وهو ضرب من الثياب .

(٤٠) ضاق عطنه بمعنى قلت حيلته ولم يصبر عند الشدة ، والعطن هو مبرك الإبل ومريض الغنم عند الماء .

(٤١) حصن زياد بأرض أرمينية بين آمد وملطية .



وفى سنة ثمان وعشرين ، خرج سيف الدولة من نصيبين غازيا فتزل منازل دربند مدينة تاليقا (٤٢) وكان الروم بنوا حذاءها مدينة سموها : هفجيج فلما علم الروم بمسيرة أحرقوا المدينة التى بنوها وهربوا ففى ذلك يقول النامى :

ونادى الهدى مُستصرخًا فأجبتَه      بقاليقلا إذ أتت بالخيل سُهما  
ولسم تبس هفجيج أيدى بناتها      أبدتهم تحت السنايك رُغما  
لئن حسنت عذراء والبحر خدرها      لقد وجدت فيه ثكولا وأيما

ولما هدم الروم هذه المدينة وهربوا ، ورجع سيف الدولة فأقام بأرزن حتى انحسر الثلج وأمكن الغزو ، ثم خرج إلى خلاط (٤٣) ، ودخل بلد الروم بعد أن جاءه ملك أرمينية وحرذان ، وما وطىء بساط ملك قط ، فأحسن إليه وخلع عليه وتسلم منه حصونا ، كانت ضررا على المسلمين ، وردّه إلى بلدة سالما بعد أن استحلفه على الطاعة وحماية السبل ، ووردت عليه كتب ملوك أرمينية وحرزان بالطاعة والانقياد ، ثم سار إلى بلد ، وأناخ على مدينة موش (٤٤) فخرّبها وهدم بيعة جليلة القدر عند النصرانية ، ودخل إلى بلاد الروم فهدم لهم حصونا كثيرة ، وفتح قلاعاً منيعة ووطىء مواطىء لم يطأها أحد من المسلمين قبله ، وورد إليه كتاب ملك الروم بما أحفظه فأجابه عنه جواباً شديداً وأنقذه إليه ، - فقال الملك لرسول سيف الدولة : يكاتبني بهذه المكاتبة كأنه نزل على قلونية (٤٥) استعظاما لذلك فاتصل قوله بسيف الدولة ، فعزم على قصد قلونية أو يفتحها الله على يديه فكأنه رأى من بعض أصحابه استعظاما للأمر ، فقال : « لست أقنع عن قصد هذه المدينة فإما الظفر وإما الشهادة » .

فسار حتى نزل عليها ، وأحرق رساتيقها (٤٦) وسلب ضياعها ، وكتب إلى الدمستق ، وهو الملك كتابا من قلونية ، فاستعظم الروم هذا الفعل وخافوه خوفاً عظيماً ، لأنه بلد ماوطئه

---

(٤٢) دربند هي باب الأبواب ، وتاليقا أو تاليقلا ، بأرمينية العظمى من نواحي خلاط .

(٤٣) هي قصبة أرمينية الوسطى ما تزال تحمل هذا الاسم فى تركية .

(٤٤) موش : بلدة من ناحية خلاط بأرمينية .

(٤٥) قلونية : لبد بالروم .

(٤٦) الرساتيق : جمع الرستاق وهو كل موضع فيه مزارع وقرى .

أحد من المسلمين ، ثم رجع سيف الدولة منها فسايره الدمستق ، فأوقع به سيف الدولة وقتل من الروم مقتله لا يحصيها إلا الله تعالى .

وفى سنة ثلاثين وثلاثمائة سار البريديون من واسط إلى بغداد وبها المتقى لله وابن رائق ، فكتب المتقى كتابا وأنفذ رسولا إلى ناصر الدولة يعرفه ما أظله من البريديين ويسأله الانحذار لنصرته ، فكتب ناصر الدولة إلى سيف الدولة وهو بنصيبين يحثه على المسير فإلى أن - وافى بغدادا وافى ابن البريدى وقد نشبت الحرب بينه وبين ابن رائق ، وانهزم ابن رائق ، وتحصن فى دار الخليفة ، ثم أخرج منها ومعه الخليفة وابنه على أقبح صورة على دابتين بغير غلام ، وخرج عامة الكتاب والقواد على أقبح من هذه الصورة ، وملك البريدى بغداد فتحكم فيها بما أراد من القتل والسلب واستخراج الأموال والتشقى من الأعداء ، واحتوى على دار الخلافة وجميع ما فيها وسار الخليفة وجماعة من أرباب الدولة إلى تكريت<sup>(٤٧)</sup> عراة بأسوأ حال وأكثرهم رجالة ، فلما صار سيف الدولة ببعض الطريق ، واتصل به ماحل بالسلطان أغذ السير ، خرج ابن رائق إليه فتلقاها وسار معه حتى وصل إلى الخليفة ، فشكا إليه ما ناله واستخبره عن ناصر الدولة فعرفه أنه بالأثر ، ولما خرج سيف الدولة من عند الخليفة حمل إليه من أصناف الأموال والثياب والدواب والطيب ما يجلب خطره ويعظم أمره ، وكذلك إلى سائر القواد والجند والكتاب حتى استقلوا وحسنت أحوالهم ، وحمل إليهم من الدقيق والشعير والتبن وجميع آلات الدواب والسلاح ما كفاهم وفضل عنهم ، واجتمعت الألسن على شكره .

وأمر الخليفة له ولناصر الدولة مع التكنية والتلقيب أن تكتب أسماؤها على الدنانير والدراهم ، وهذه فضيلة لم يسبقها أحد إليها ، ثم سارا مع الخليفة متوجهين إلى بغداد ، فلما سمع البريدى ذلك انحدر عن بغداد .

ثم كانت له مع سيف الدولة وقعة هزمه سيف الدولة فيها ، واستبشر الناس بما وهب الله تعالى لهم على يديه من الراحة من فتنة البريدى ، وأمنوا على أنفسهم وحرمتهم وأموالهم وأكثروا الدعاء له فى المساجد والطرق .

---

(٤٧) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل .



## ابن جبیر

( ٥٤٠ - ٦١٤ هـ / ١١٤٥ - ١٢١٧ م )

محمد بن أحمد بن جبیر، يرجع أصله إلى كنانة من بطون قريش . دخل جده الأعلى عبد السلام المغرب والأندلس في جيش كلثوم بن عياض القسيري ، في عهد هشام ابن عبد الملك . وولد محمد في بلنسية أو شاطبة في ١٠ ربيع الأول سنة ٥٤٠ ( ١١٤٥ / ٩ / ١ ) ، لأب من كتاب شاطبة ورؤسائها .

وأخذ العلم من أبيه ثم من معلمى بلدته ، ثم من كبار علماء البلدان التي زارها في رحلاته . واتخذ الكتابة حرفة له ، واتصل بالموحدين واشتغل بالتدريس أيضا بعد رحلته الثانية . ومات في الإسكندرية ، في أثناء رحلته الثالثة ، في ٢٧ ( أو ٢٩ ) من شعبان سنة ٦١٤ ( ٣٠ نوفمبر أو ٢ ديسمبر ١٢١٧ ) أو السنة التي بعدها . ويظن بعض الناس أنه هو سيدى جابر نفسه ، بعد أن حرف اسمه .

وأشاد المؤرخون بدين محمد وأخلاقه ، وتكشف رحلته أنهم كانوا صادقين . كما أشادوا بأدبه . والأمر الذي يؤسف له أن شيئا من رسائله التي كتبها للأمرء الذين اتصل بهم لم يصل إلينا . ولكن وصلت أقوال تثنى عليه . فقد ذكر لسان الدين بن الخطيب أنه جرت بينه وبين طائفة من أدباء عصره مخاطبات ظهرت فيها براعته ، وقال أيضا : « نشره بديع ، وكلامه المرسل سهل حسن » ، وقال : « له ترسل بديع وحكم مستطابة » ، وروى بعض هذه الحكم .

كذلك كان ابن جبیر شاعرا غزير الإنتاج . فقد عزا إليه القدماء ديوانين خاصين إلى جوار شعره العام . أما الديوان الخاص الأول فقد جمع فيه ما قاله في ذم أهل عصره وسماه « نظم الجمان في التشكى من إخوان الزمان » . وجمع في الديوان الثانى ما نظمه من شعر في رثاء زوجته أم المجد عاتكة بنت الوزير أبى جعفر الوقشى ، وسماه « نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح » . وأما شعره الآخر فقد مدح فيه الموحدين وصلاح الدين الأيوبي ثم نظم في الإخوانيات وغيرها من الموضوعات التقليدية .

ومهما يكن من شىء ، فإن شهرة ابن جبیر تقوم أصلا على رحلته ، التي بدأها في ٨ شوال ٥٧٨ ( ١١٨٣ / ٢ / ٣ ) وأنهاها في ٢٢ محرم ٥٨١ ( ١١٨٥ / ٤ / ٢٥ ) وزار فيها

مصر وبلاد العرب والعراق والشام وصقلية فى عصر الحروب الصليبية . وذكر القدماء أن سبب رحلته التكفير عن شربه الخمر الذى أرغمه عليه أميره . ولكن د . حسين نصار كشف عما جعله يشك فى هذا الخبر ، ويرى أن الرحلة كانت بغية الحج فقط .

وكان الرجل يدون مشاهداته على صورة مذكرات لا كتاب متصل مطرد ، ثم نسق هذه المذكرات أو بعض تلاميذه . فخلف هذا أثارا واضحة فيها : من عبارة قريبة إلى العامية ، وضماير مضطربة . وإلحاق لبعض الأخبار فى غير مواضعها التى خصصت لها . ومع ذلك افتتح الحديث عن المدن المهمة التى مربها بفقرات مجودة ، غلب فيها التنعيم أعجب بها معاصروه ومن تلاهم ، فاقتبسوها فى كتبهم .

\*\*\*

قال ابن جبير فى حكمه :

إِنْ شَرَّفَ الْإِنْسَانُ . فَبَشَّرَفَ وَإِحْسَانٌ ؛ وَإِنْ فَاقَ ، فَبَفْضَلٍ وَرِفَاقٍ . يَنْبَغِي أَنْ يَحْفَظُ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ كَمَا يَحْفَظُ الْجَفْنُ إِنْسَانَهُ . فَرُبَّ كَلِمَةٍ تُقَالُ ، تُخْدِثُ عَثْرَةً لَا تُقَالُ . كَمْ كَسَتْ فَلَتَاتُ الْأَلْسِنَةِ الْحِدَادَ ، مِنْ وَرَائِهَا مَلَابِسٌ حِدَادٌ . نَحْنُ فِي زَمَانٍ لَا يَخْصُلُ فِيهِ نَفَاقٌ ، إِلَّا مِنْ عَامِلٍ بِالنَّفَاقِ (١) .

\*\*\*

وقال فى رحلته عن بغداد :

هذه المدينة العتيقة ، وإن لم تزل حضرة الخلافة العباسية ، ومثابة الدعوة الإمامية القرشية الهاشمية ، قد ذهب أكثر رُسْمِها ، ولم يبقَ منها إلا شهيرُ اسمها . فهى - بالإضافة لما كانت عليه ، قبل إنحاء الحوادث عليها ، والتفات أعين النوائب إليها - كالطلل الدارس والأثر الطامس ، أو تمثال الخيال الشاخص . فلا حُسن فيها يَسْتَوْقِفُ البصر ، وَيَسْتَدْعِي مِنَ الْمُسْتَوْفِزِ الْعُقْلَةَ وَالنَّظَرَ (٢) ، إِلَّا دَجَلَتَهَا ، التى هى بين الشرقية والغربية منها ، كالمراة

(١) عثرة لا يقال أى زلة لا تتجاوز ولا يُصْفَحُ عنها - الألسنة الحداد أى الحادة المشحودة ، وملابس الحداد هى ثياب المأتم - النفاق ، بفتح النون : الرواج ، وبكسرهما : إظهار الإنسان خلاف ما يعطن .  
(٢) المستوفز : الماضى المسرع - العقلة : الوقوف .



المجلوة بين صفحتين ، أو العقد المنتظم بين لبتين . فهي تردّها ولا تَظْمَأ ، وتتطّلع منها فى مرآة صَقِيلَةٍ لاتضدأ . والحسنُ الحريمى بين هوائها ومائها ينشأ . هو من ذلك على شُهرة فى نبلاد معروفة موصوفة ، ففتن الهوى - إلا أن يعصم الله - فيها مخوفة .

\*\*\*

#### وقال يصف عاصفة بحرية :

فى ليلة الأربعاء .. عَصَفَتْ علينا ريحٌ مآل لها البَحرُ ، وجاء معها مَطَرٌ تُرسله الرياحُ بقوة ، كأنه شَائِبٌ (٣) سِهَام . فعَظُمَ الخَطْبُ ، واشتدَّ الكَرْبُ ، وجاءنا الموجُ من كلِّ مكان ، أمثال الجبال السائرة . فبقينا على تلك الحالِ الليلَ كلّه ، واليأسُ قد بلغَ منا مبلغه . وارتجينا مع الصباح فُرْجَةً تخفّف عنا بعضَ ما نزل بنا . فجاء النهار - وهو يوم الأربعاء التاسع عشر من ذى القعدة - بما هو أشدُّ هَوْلًا وأعظمَ كَرْبًا . وزاد البحرُ اهتياجًا وازبدت الآفاق سوارًا ، واستشّرت (٤) الريح والمطرُ عُصُوفًا ، حتى لم يثبت معها شِراع . فُلجىء إلى استعمال الشُّرُوع الصّغار . فأخذت الريحُ أحدها ومزقته ، وكسّرت الخشبة التى ترتبط الشرع فيها ، وهى المعروفة عندهم بالقرية . فحيثُ تمكّن اليأس من النفوس ، وارتفعت أيدي المسلمين بالدعاء إلى الله عزّ وجلّ . وأقمنا على تلك الحال النهارَ كلّه . فلما جنّ (٥) الليل فترت الحال بعض فتور ..

فلما أسفر الصبح ، نشر الله رحمته ، وأقشعت (٦) السحاب ، وطاب الهواء وأضاءت الشمس ، وأخذ فى السُّكُون البحر . فاستبشّر الناس ، وعاد الأنس ، وذهب اليأس . والحمدُ لله الذى أَرانا عَظِيمَ قدرته ، ثم تلافى تحمّل رحمته ولطيف رأفته ، حمدًا يكون كِفَاءَ لِمَنِّهِ ونِعَمَتِهِ .

---

(٣) الشُّبُوب : الدُّفْعَة من المطر .

(٤) استشرى : عَظُم وتفاقم شرّه .

(٥) جنّ : أَظْلَم .

(٦) أقشعت : زالت .



طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

---

رقم الإيداع ١١٧٣٧ / ٢٠٠١







يتضمن هذا الجزء إبداع القرن السادس الهجرى الذى يمتد إلى عام ٦٢٥ هـ تقريبا ، بنفس النظام المتبع فى الأجزاء السالفة .وقد اشتمل هذا الجزء على طائفة من الكتاب والشعراء من بلدان شتى ، فمن أهل الأندلس ابن خفاجة وابن الزقاق وأمّية بن أبى الصلت وابن بقى وأبو جعفر ابن سعيد وابن غالب الرصافى وابن أبى الخصال وابن بسام واللبلبى وأبو حامد الغرناطى وابن طفيل وابن رشد وابن جبير ، ومن أهل مصر ظافر الحداد وطلائع بن رزّيك والمهذب بن الزبير وابن الكيزانى وابن قلاقس وتاج الدين بورى وابن سناء الملك وابن النبيه وابن الصيرفى وابن ممّاتى وعلى ابن ظافر ، ومن أهل الشام ابن منير الطرابلسى وعرقلة الكلبى ومن أهل فارس العماد الأصفهانى والزمخشري والوطواط ومن أهل العراق سبط ابن التعاويذى وابن الجوزى ، ومن أهل الجزيرة العربية عمارة اليمنى وغيرهم .

ومن البدهى أن هؤلاء المبدعين إنما هم قليل من كثير غصّت بهم البيئات العربية الإسلامية المختلفة فى ذلك القرن السادس بعد أن تعددت مراكز الإبداع وتنوعت الأقاليم المنتجة له.

